

تراث عمان
MARE
ARABICVM
ORMVS.
BESCHARIN.
MAFFA.
ALIBINALI.
Deserta Vasta.
Basora Fretum.
Maffa
Alibinali
Gubelhaman
Mascate
Cariate
Calayata
Marimata
Apola
Spalheiro
Cuova
Mirbat
Desme
I. de Mazira
Enseado d. S. Paulo
O. Palheyros
Enseado dos Baixos
C. d. Matera
C. dos Pontos
Ilhas de Curia muria
Ormus
Obraimi
Lareque
Delfshaven
C. Mozandon
Doba
Dadena
Bocca lima
Xarma
Corfacao
Calata
Soar
Julfar
Cantan
Canta
Sochor
Mig
Carat
Omnagada
Beron
Tabla
Gode
Nahan
Andrani
Tonie
Quare
Quiximi
Calba
Teuhi
Hor
Nayn
Asta
Acor
Brun
Xeseque
Pacher
Morubate
Dolfar
Magiarabit
Martinos mons

إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان. وتوفر الرقعة الوعرة الشاسعة لصحراء الربع الخالي ورملة الوهيبة الفريدة والمنطقة الساحلية شبه الصحراوية حيث يجلب ضباب الرياح الموسمية رطوبة تهب الحياة لمجموعة كبيرة من الحياة النباتية والحيوانية، خلفية للجروف الشامخة المكسوة بغابات كثيفة من الأشجار النادرة وحيث الوديان التي تفيض بمياه الأمطار الموسمية حيث تشكل شلالات لها مناظر درامية. وفي عُمان يستطيع المرء أن يرى أبقار المارية العربية تعود الى الحياة البرية وتتكاثر في المناطق الصحراوية حيث يحميها سكان المنطقة البدو بكل فخر واعتزاز. كما تعتبر عمان موطناً للآلاف من الغزلان البرية والوعول العربية وحيوان الطهر العربي وبعض النمور العربية التي لم تنقرض، وهي ايضاً موطن لمجموعة كبيرة من الكائنات المعرضة للإنقراض ببطء.

وأينما يتجه المرء بعينيه يجد ما يثير الدهشة، فهناك على سبيل المثال منطقة مسندم التي لا تعرفها الا القلة القليلة على الرغم من انهاتشمل بعض أجمل مشاهد الجروف الساحلية في العالم. ان الممرات البحرية التي تكتنفها الجروف تشكل ملاجيء أمينة للصيادين المحليين وتوفر غذاءً غنياً لجراد البحر "أم الربيان" اللوبستر ولقطعان الأسماك ومجموعة من الحياة البحرية الأخرى.

إن مشهد قطعان السردين التي تطاردها أسماك التونة المتقافزة أوالدلافين، والتي يصطادها العمانيون الذين يسحبون شباكهم حولها بالقرب من البر قبل أن يضعوا صيدهم في الشاحنات الصغيرة هو من المشاهد المألوفة التي يراها كل من يقود سيارته على الطرق الجديدة النظيفة التي تحتضنها الجروف. وبالاضافة الى ذلك يوجد ما لا يقل عن ١٤ نوعاً من الحيتان والدلافين التي تظهر بالقرب من الشاطيء. وبعض الجزر العمانية هي أماكن ذات أهمية عالمية حيث تعشعش فيها السلاحف، إذ تقوم أكثر من ٣٠٠٠٠ سلحفاة من السلاحف البحرية الكبيرة ضخمة الرأس بوضع بيضها في جزيرة مصيرة وحدها، ولا نغفل بالطبع عن ذكر أنواع السلاحف الأخرى مثل السلاحف الخضراء وسلاحف البحر التي تعشعش هناك بأعداد كبيرة.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف النقاب عن أهمية عمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين، وأوضح التطورات المبتكرة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد. لقد تنقل المؤلف بكثرة في أنحاء البلاد خلال قيامه بالأبحاث اللازمة لهذا الكتاب المثير عن تراث عُمان الرائع.







تراث عمان

تراث عمان

بيتر ڤاين

دار ايميل
للنشر

الخرائط المطبوعة في هذا الكتاب ليس لها أي صفة رسمية فيما يتعلق بالحدود الدولية.

الصور المنشورة في هذا الكتاب هي من تصوير المؤلف ما لم يتم نسبها إلى شخص آخر.

المساهمون الآخرون في انتاج هذا الكتاب:
النص:
جيجي كروكر جونس.

الصور الاضافية:
متحف الصناعات التعدينية الألماني، بوتشوم. تصوير جي فيسجربر.
بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان. تصوير بول يول.
وزارة الاعلام، سلطنة عمان.
وزارة النفط والمعادن.
شركة تنمية نفط عمان ش. م. م.
مكتبة شيستر بيتي، دبلن.
هان وجينز إريكسين.
رانولف فينس.
إيف جيلي.
شيرلي كاي.
رودني سالم.
أندرو سبالتون.
جي. تومسون.
كريستيان ڤيوجارد.

الترجمة وصف الحروف والاخراج الفني:
شركة الغرافيك العربي، لندن. هاتف: ٠١٧١ ٧٣٩ ٨٠٠٠

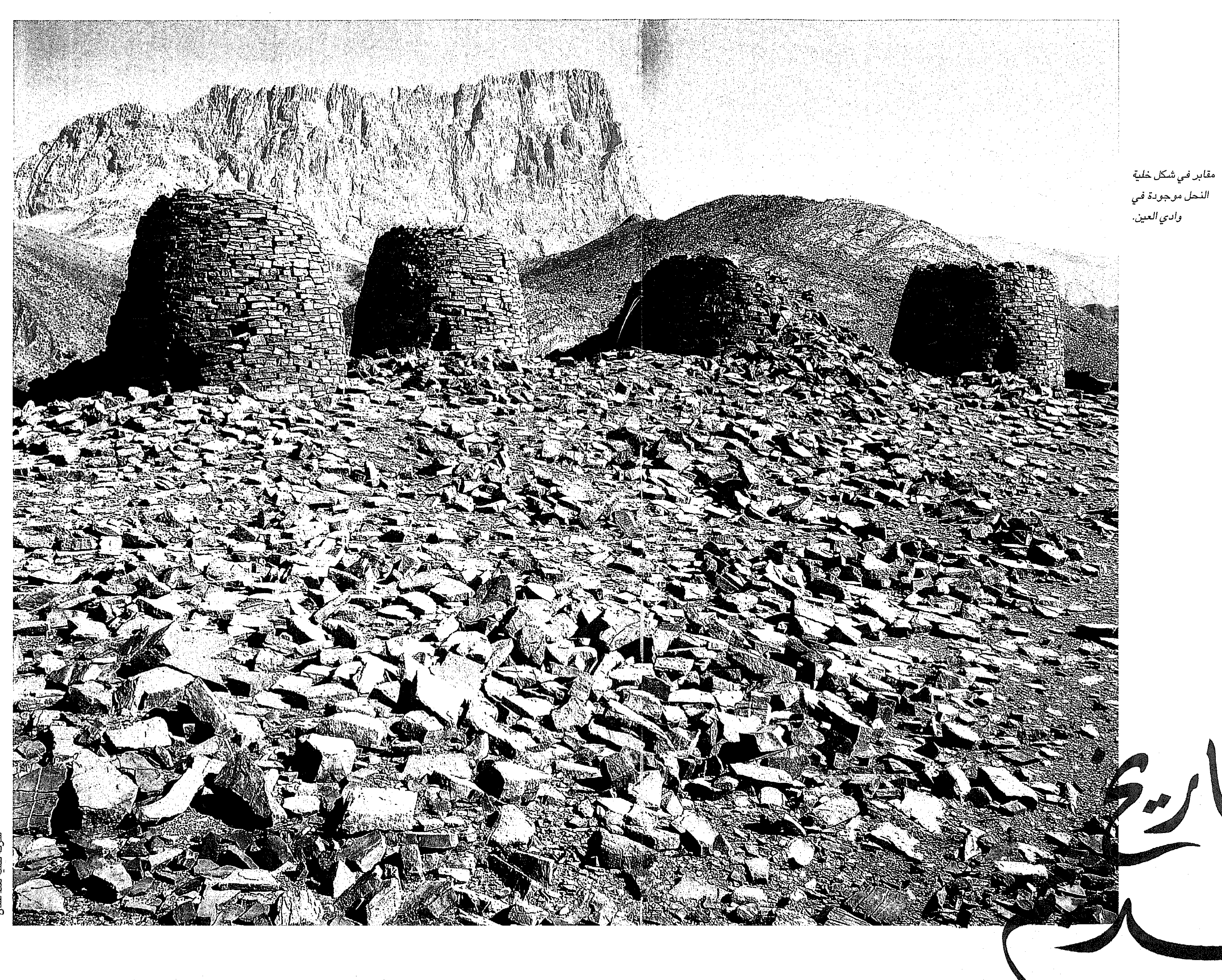
رقم الطلب الدولي ISBN 1 898162 40 1

دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت
باركلي سكوير
لندن، دبليو ١ إكس ٥ أي ئي

هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩
فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

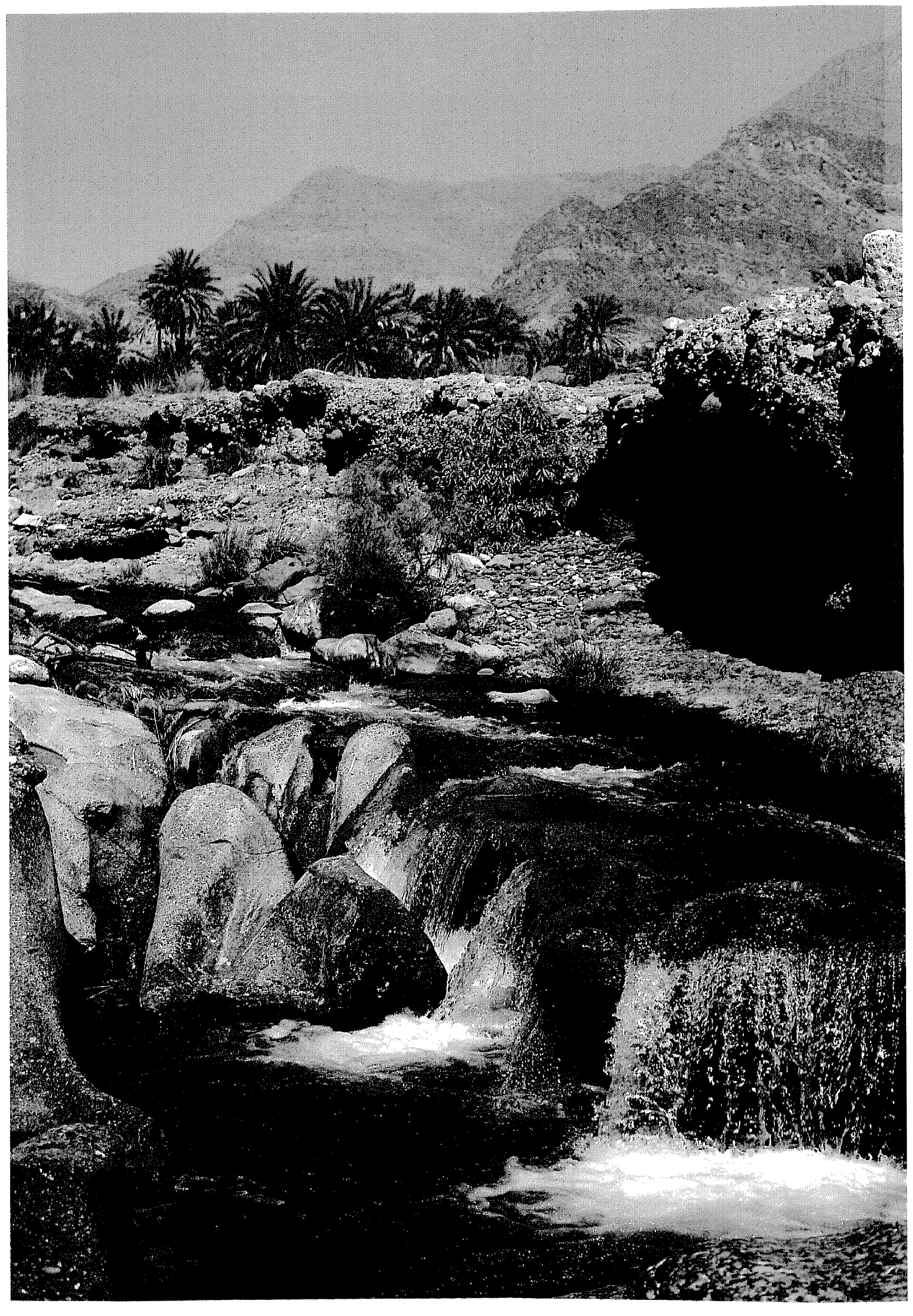
المحتويات

التاريخ القديم



مقابر في شكل خلية النحل موجودة في وادي العين.

شركة تنمية نفط عمان



المستوطنون الأوائل

فريق الصيد

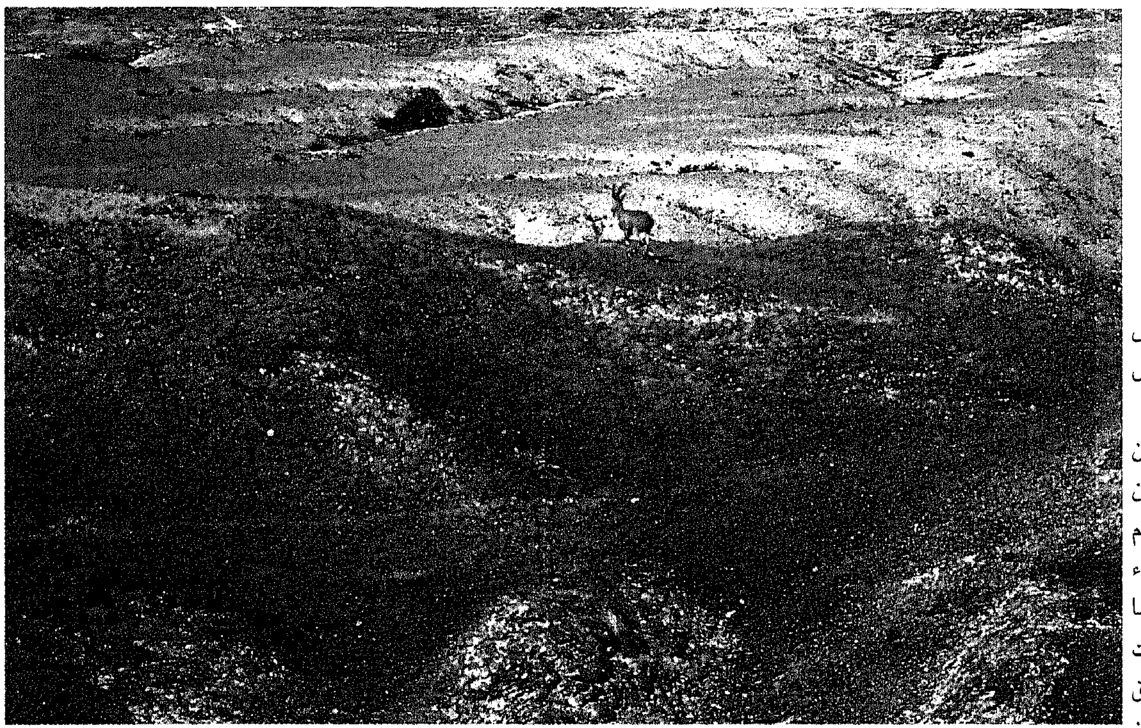
لقد دفعـت بهم العاصفة إلـى الشاطـىء بحثا عـن الطعام. وأحياناً تجلـب مثل هذه العواصف الفـأل الحسن، فتلقي بالأسماك الطـازجة إلى الشاطـىء ربما كقربان مقـدم من الأرواح. لكن هـذه العاصفة، علـى وجه الخصوص، كـانت شيئاً مختلفاً فقد كان رذاذ الماء المالـح يرتطم بالشاطىء معبرا عـن غضب البحـر الشديـد. ومع ذلـك فقد كـان من الممكن مـواصلة جمع القواقـع من الخليج الصغيـر الذي تحـف بـه أشجـار القرم والـذي يتـوارى خلـف اللسـان البحري. ولذلك فقد ترك الـرجال النساء والأطفال الصغار خلفهـم وحضروا ليبحثـوا عن اللحـم الطـازج. لم يسبـق للرجـال استكشاف هذه المنطقـة من قبل علـى الاطـلاق، فقد يتنقلـون على طول السـاحل وأحيـانا ما يمكثـون في نفس المكان لعـدة طلعات قمرية (أيـام) لكنهم يغادرونـه فـي النهايـة سعياً وراء البحـث عن أراضٍ جـديدة. وكـان أباؤهم وأجـدادهم يفعلون نفس الشيء، وهـم أنفسهم في أيام الطفولة قـاموا بأعمال الصيد المشابهـة ليكتسبوا من الأجيـال التي سبقتهـم المهـارات المختلفـة مثل مهـارات التقفـي والتتبع وليتعلمـوا كيفية تـوقـع الخطر واحتـرام رشاقـة ودهاء القط المنقـط وتذوق حلاوة الانتصـار عند ايقاع الحيوان ذي القرن الأبيض في الفخ.

لقد قادتهم هـذه الطرقات إلى مكان غريـب، أقاموا فيه لمدة يوميـن يقتفون آثار قطيع كبيـر من الحيـوانـات ذوات القـرون البيضـاء. واستطـاعوا فـي بعض الأحيـان رؤية هـذه الحيوانات من على مسافة بعيدة حيث كان لون جلودهـا الأبيض النـاصع يعكـس أشعة الشمـس وكانـت أجسامها تبـدو وكأنهـا تسبح في السمـاء مع ومضات السراب المنبعثة في الأفـق الناتجة عن دفء النهار. ولـم يبد لهـم ما يدل علـى أن هناك فـي هذه المنطقـة نقص فـي الحيوانـات البريـة الصالحـة للصيد لأنهـم نادرا مـا شاهـدوا مثل هـذا العدد الكبير من الحيـوانات. وكان قطيع مـن الغزلان الـرشيقة يـرقص أمـام عيـونهم وتتطـاير مـع اقتـرابها طيـور كبيـرة تتسـابق راكضـة علـى الأرض أولا قبل أن تحلـق في الجو. وكان أكبـر هذه الطيـور حجمـاً لا يستطيع الطيـران لكنـــه كـان أسـرع فـي الـركض مـن الحيـوان ذي القـرن الأبيض. وكان لهـذه الطيور بيض كبير صـالح للأكـل ولاستخدام قشـوره في صنـع الأكواب المستعملـة في الشـرب. وهكذا لـم يكن هنـاك نقص فـي الطعام هنـا، مع ذلك فلـم يكن اصطياد هـــذه الحيوانـات أمراً سهـلاً. لكنهم لحسن الحـظ تمكنوا من العثـور علـى حل لهذه المشكلة.

فالسهل المتدرج الارتفاع الذي كانوا يسيرون عبره انخفض فجأة ليشكل وادياً صغيراً ضيقاً شديـد الانحدار. وهو شـيء لا عهد لفريـق الصيد به ولـم ير مثله مـن قبل مطلقا. وكان مـن الصعب عليهم ايقاع الحيـوانات الضخمة في الفـخ عندمـا كانت تسـرح وتمرح راكضـة بحريـة في السـهل العشبي الفسيح أما الآن فقد أصبحت لديهم مصيدة طبيعية فـي نفس جودة مصـائد الوديان الجبليـة الضيقة التي كـانوا يصيدون فيهـا منذ ثـلاث ليال قمريـة مضت. وتطرقت إلـى أسماعهم حتى حيـن كانوا واقفين يتـأملون الجروف ويتطلعـون إلى الأرض الـواسعة للصـدع الكبير، قعقعـة الأحجـار ووقـع الضـربـات المنتظمـة لحـوافـر الحيوانـات ذات القرون المقـوسة أثنـاء ارتقاء قطيـع منها للصخـور الواقعـة أسفلهـم، وظهورهـم عنـد القمة وهـم يركضـون على طول الحـافة يقـودهم ذكر ذو قـرن كبير وخلفـه زوج مـن العجـول. لقد سبق لهم رؤيـة مثل هذه الحيوانات مـن قبل مرة أو مرتين أثناء رحـلات الصيد التي قامـوا بها، لكنهم لـم يتوقعوا أن يجـدوها هنا. كـان الفأل يبشر بالخير وطلب منهم زعيمهم أن

في الصفحة المواجهة:
شلال طبيعي في منطقة الحجر الشرقي الجبلية.

أدناه:
رمح من العصر الحجري ورأس حربة من أيام المستوطنين الأوائل لعمان.



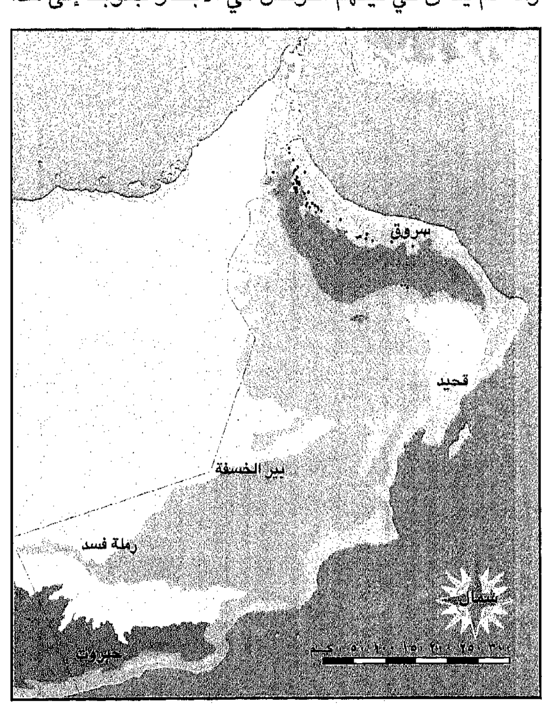
يجلسوا ثم قام برسم بعض الرسـومات علـى الـرمـل شارحاً لهم خطته.

اختبأ الرماة في اليومين التـالييـن فـي الـوديـان الصغيـرة الضيقـة، وقـام زمـلاؤهم فـي هذه الأثنـاء بملاحقة الطرائـد ودفعهـا فـي اتجـاهـم. لقـد كانـت مصائدهم مصممـة لتعوق حركـة الطريـدة لفترة مـن الوقـت تكفي لتمكيـن الصياديـن مـن الانقضـاض عليها وقنصـها. ولم تكـن المهمـة يسيـرة، لكنهـم أيضا لـم يكونوا بحاجـة إلى قتـل عـدد كبير من الحيـوانات لاطعام أعضاء المجموعة بـأكملها. ومـع حلول الأمسيـة الثانيـة كانوا قـد نجحوا في صيد ثلاثـة حيوانات أحدهـا من نوع الحيـوان ذي القرن الأبيـض والاثنين الآخـريـن مـن ذوات القرن المقوس الصغيـر والتي تعيش في الكهـوف. وقاموا بسلخ جلود الحيـوانات وشواء لحمها فـوق نار مكشوفـة. ثـم حملوا الجلـود وما تبقـى مـن اللحم وعـادوا بهما إلـى عائلاتهـم لتشاركهم هـذه الوليمـة. لقـد كانـت الحيـاة جيدة حقاً.

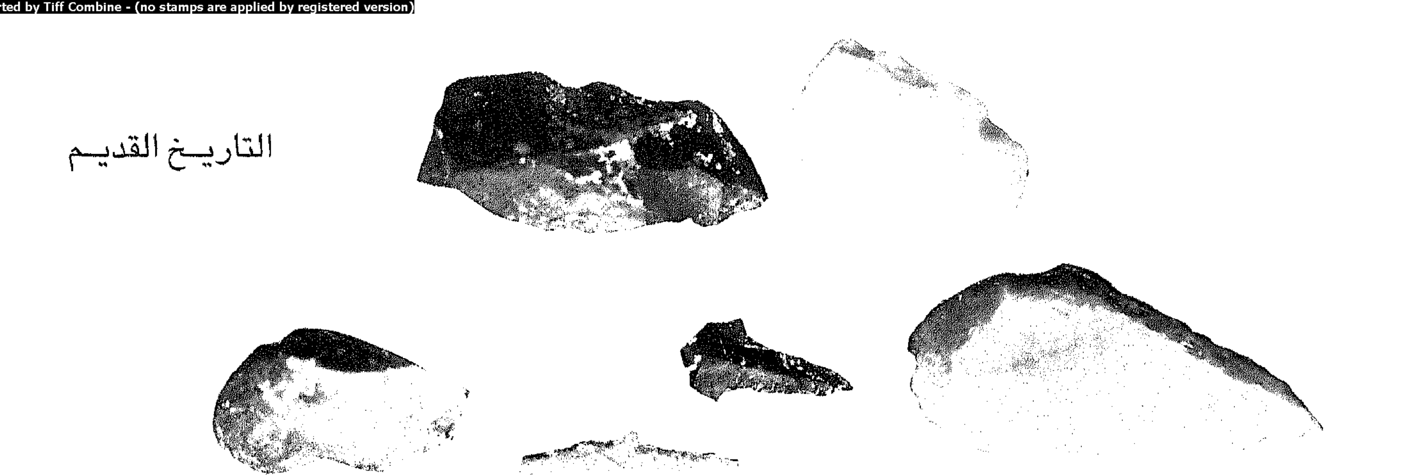
وعنـد عودتهـم كـانت العـاصفة قـد وهنـت وكانـت نساؤهـم قد جمعن كـومة كبيرة من المحـار اللذيذ مـن بين أشجـار القرم. وانشغلـت امـرأتان بعمـل خطـافات لصيـد السمـك من الأصـداف القديمـة وكـانتا تكشطـان الرقـائق باستخدام حجارة صـوانية مدببة. أشعلوا النار بـالقرب من الشاطـئ ودار في تلك الأمسيـة حديـث طويل عـن أعمال البطولة التـي قام بها الرجـال وعن الأشياء التي شـاهدوها. وعندما انتهى الـرجال من سرد حكاياتهـم حان دور النساء للحديث. فـروت احدى أكبـر الفتيـات سنـاً مـا لاحظته في اليـوم السابـق عندمـا كانـت تصطاد السمـك عند طـرف اللسـان. وقـالـت ان رجليـن مـرا بهـا فـي قـارب غـريـب الشكل،وانهمـا لم يكونا مـن أبناء القبيلة التي تنتسـب إليها المجموعـة. كما أن الفتاة لـم تر في حياتهـا ـ كما قـالت ـ قارباً مشابهاً للقارب الذي كانا على متنه. ولم تكن هـذه هي المرة الأولى التي يستمع فيها الرجـال إلى مثل هذه الروايات عن أمثال هـؤلاء الأشخاص. ففي طلعة القمـر الأخيرة التقت مجموعة مـن أفراد القبيلة ببعض الصيادين الـذين يمتطون مثل هذه القـوارب عند رسوهم في خليج صغيـر. وقد أعجب أفـراد المجمـوعـة بخطـافـات صيـد السمـك التـي كـان يستعملهـا هـؤلاء الأغراب وبملابسهـم المنسوجة الغـريبة وبأوانـي الماء والقوارب المصنوعـة من بعض حزم القصب والتي تصلح للابحار في البحـار. ومن خلال محاولات أفراد المجموعـة الاتصال بهؤلاء الغربـاء عـن طريـق الاشـارات كان يبدو أنهـم قدموا من أمـاكن بعيدة وجذفـوا بمجاذيفهم لفترة طويلة استغرقت عدة طلعات قمرية.

ولو كـان بمقدور هؤلاء الغربـاء أن يتحدثوا بنفـس لغة أفـراد المجموعـة لشرحـوا لهم أنهـم قادمـون من احـدى المناطق القريبة من مـدن أور وإريدو والابيض جنوب بلاد ما بيـن النهرين (بلاد وادي الـرافدين) عنـد رأس الخليج، وأنه لم يكـن في نيتهم التوغـل في الابحار جنوبـاً إلى هذا

الحقف في آدم هي منطقة برية مقفرة ونائية لم تشهد أي تغير يذكر منذ قيام الانسان بالصيد فيها لأول مرة. ولا يزال الوعل (تيس الجبل) موجوداً فيها، حيث يعيش على مقربة من قمة المنحدرات الصخرية شديدة الانحدار.



توزيع مواقع وجود رؤوس السهام النصلية. (طبقا لبوتس، ١٩٩٠)

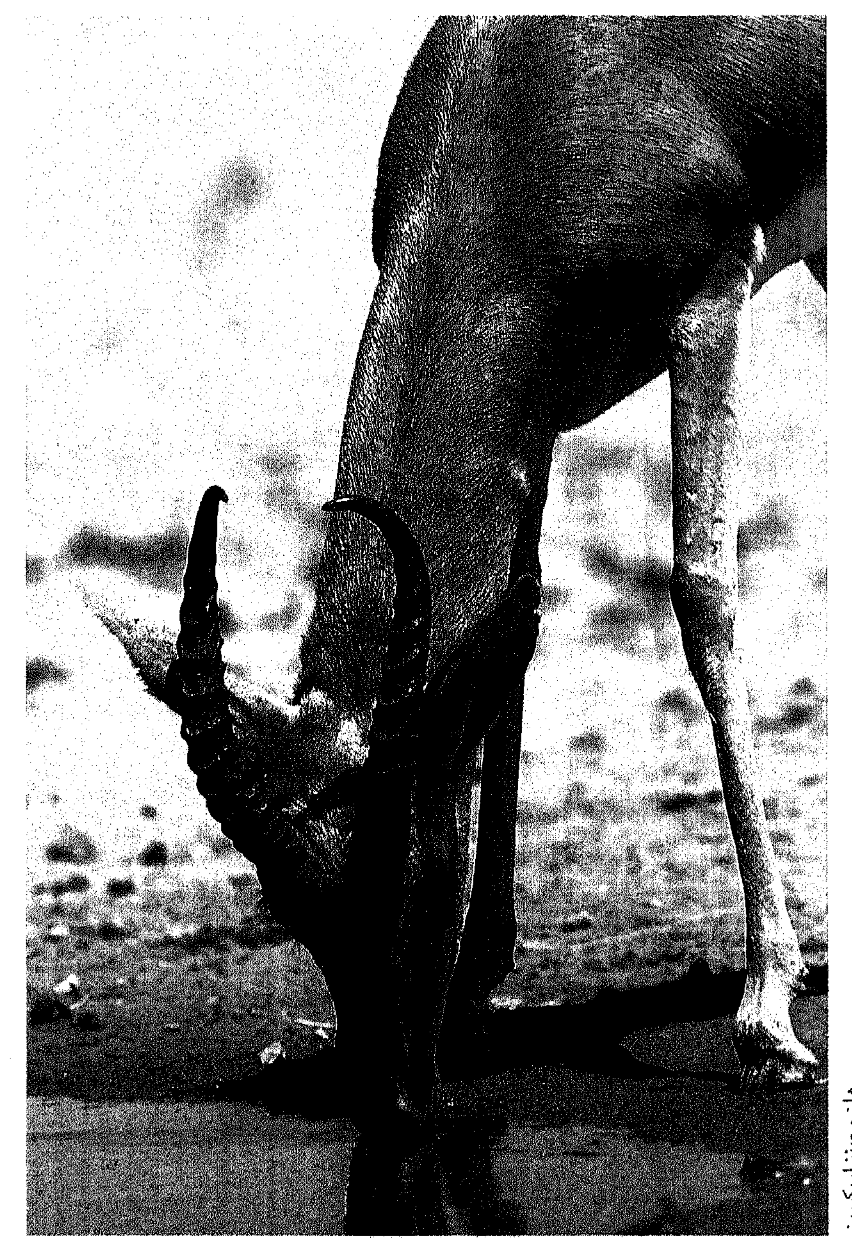


منه ذاته. ولم يكن هؤلاء الأغراب أول من قام بهذه الرحلة، ومن المؤكد أنهم لن يكونوا آخر من يقوم بها، فالبحر بالنسبة للسومريين الذين يستوطنون بلاد ما بين النهرين القديمة، هو في المقام الأول مصدر هام للحصول على الغذاء. ومع تغلغل الصيادين في عرض البحر استطاعوا تحسين زوارقهم وجعلها صالحة للابحار في البحار وتمكنوا كذلك من اتقان مهارات الابحار. وبعد مضي فترة من الزمن أصبح من الواضح أن هذه السفن البحرية أتاحت توفير وسيلة قيمة لنقل الناس والبضائع على حد السواء. واكتشف الصيادون الذين أبحروا جنوباً لصيد الأسماك بعض الكنوز الأخرى مثل التمر واللؤلؤ والمواد العطرية مثل اللبان والبخور. كما اكتشفوا أخيرا مادة النحاس الخام الثمينة واللازمة لصناعة الأدوات البارعة في سومر.

عصر ما قبل الفخار: العصر الحجري في عمان

إن رحلة الصيد التي تم وصف وقائعها آنفا هي بالطبع مجرد تصورات وتوقعات بالنظر لعدم وجود أية أوصاف مكتوبة عن أساليب الحياة التي كان يمارسها المستوطنون الأوائل في عمان. ومع ذلك فإن هذه القصة مبنية على تقييم دقيق للتحف الفنية والآثار التي عثر عليها علماء الآثار العاملون في منطقة عمان. وتعتبر الأدوات الحجرية من أقدم الأدوات التي صنعها الانسان والتي نجت من الفناء عبر آلاف السنين لتعطي احساساً مثيراً بمعايشة الماضي. وقد تم اكتشاف كميات كبيرة من رؤوس الرماح الحجرية والمكاشط والفؤوس وغير ذلك من الأدوات التي تركها الصيادون الذين جابوا المنطقة المعروفة باسم عمان بحثا عن الطرائد. وعلى عكس الاكتشافات اللاحقة التي يمكن تحديد عمرها بالتحليل الكربوني، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تقدير عمر هذه الأدوات الحجرية — إذا لم تكن مرتبطة بصورة مؤكدة بالآثار التي تعود إلى عصر محدد — هي مقارنتها بالأدوات الأخرى المماثلة التي تم تحديد عمرها بصورة موثوق بها.

إن المناطق (التي تفتقر إلى الفخار) الموجودة في شرق وجنوب الجزيرة العربية والتي تم العثور فيها على أدوات حجرية، هي مناطق ذات أعداد كبير ةنسبياً، لكن هناك جدلاً كبيراً حول ما إذا كان أي من هذه المواقع يرجع إلى العصر الحجري الحديث أو إلى طوره الأول القديم فقط بالتحديد. وفي المناقشات التي جرت أخيرا



هان وجينز إريكسين

غزال جبلي محرم صيده الآن، تم تصويره في جعلوني، لكنه في الماضي كان يشكل مصدراً أساسياً للحوم لسكان الصحراء في عمان.

الحد غير أن التيارات القوية عند المقطوعات الصخرية الشاهقة جرفتهم حول قُنة (رعن) الجبل للمضيق وأنهم وجدوا أنفسهم يواصلون الرحلة لشدة اعجابهم بما رأوه من جهة ولخشيتهم من العودة من الطريق الذي قدموا

بقرتان من نوع المارية (المها) العربية (ضرب من البقر الوحشي) تتجول بحرية في جدة الحراسيس. لقد كانت مصدرا هاماً للطعام للمستوطنين الأوائل الذين كانوا يصطادونها باستخدام مصائد صحراوية مصممة بذكاء وباستعمال السهام والأقواس.

حول هذه المسألة تمت الاشارة إلى أن المواقع التي كان يعتقد في الماضي بأنها ترجع إلى العصر الحجري القديم تبلغ مـن العمر في الواقـع ٩٥٠٠ سنة أو أنها ترجـع إلى العصر الحجري الحديث. وقد فندت الدراسات التي قامت بها بعثة الآثار الفرنسية والتي تعمـل في أماكن أخرى من المنطقة الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بصورة قاطعة التفسيـرات التي تقـول بالعمـر المبكـر للآثار التي تـم اكتشافهـا هناك. وأوضحت هـذه الدراسات أن المكـاشط التي كان يعتقد بأنها تـرجع إلى العصر الحجري الأوسط كانـت في الواقـع ترجع إلى الألـف الخامس أو ربمـا إلى الألف الرابـع قبل الميلاد. وقد كتب «دي. تي. بـوتس» في تعليقه على هذا العمل، الوارد في بحثة الممتاز المكون من جزئيـن والمعنون «الخليج فـي العصور القديمـة» يقول: "لقـد حذف «جـاي. تيكسـر» و«إم. إل. إنيـزان» بالفعـل عبـارة العصـر الحجري القـديـم مـن قائمـة المفـردات المستعملة في علم الآثار القديمة للخليج ورفضا أن ينسبا الاكتشـافات الآثـاريـة المذكـورة أعـلاه والتـي أتت مـن الكويت ومـن شرق المملكة العربية السعوديـة والبحرين وعمان إلى العصر الحجري القديم". (ومع ذلك فإنه يؤكد وجود بعض المواقـع في غرب الجزيرة العربيـة ترجع إلى العصر الحجري القديم).

إن الأدوات الحجرية الأولى التي جاء ذكـرها آنفا يوجد لهـا مثيل فـي عمـان، وهي تـرجع إلـى حـوالي الأعـوام ٧٦٠٠- ٥٠٠٠ ق.م. وبذلك فهي تعطينـا أقدم دليل قوي علـى وجود الانسـان فـي عمـان. إن الشكل النمـوذجـي المنبثق عـن الصناعـة الحجريـة لذلـك العصر، هـو رأس الحربـة النـاحـل بنصله المصقـول بأنـاقة، والـذي يكون أحيانـاً مزوداً بمقبـض. وقد تـم اكتشـاف مـواقع يمكـن ارجاعها إلـى هذه الفترة من العصر الحجري الحـديث في عدة أماكن مختلفة في عمان تشمـل رملة فسد الواقعة في شمال ظفار وبيـر خصف وحبروت في جنـوب ظفار وفي رملة الـوهيبية وفـي سرور بـالقرب مـن مسقط. إن أحـد المظاهـر التي تلفت النظر حول مـواقع حجـارة الصوان التـي ترجـع إلى أوائل العصـر الحجـري لمنطقة جنـوب الجزيرة العـربية هو أنها مـوزعة بصورة شديـدة التناثر، وربمـا يعكـس هـذا الأمر حقيقـة أن المنـاخ فـي جنـوب الجزيرة العـربية خلال هذه الفترة كان أدفـأ نسبيا وأكثر جفافاً، وأن أعـداد الطرائد كثيرة التناسل فـي خلال الألف الخامـس وأوائل الألف الرابع ق. م. لـم تكن بهذه الـوفرة تقريباً في هذا العصر الأسبق.

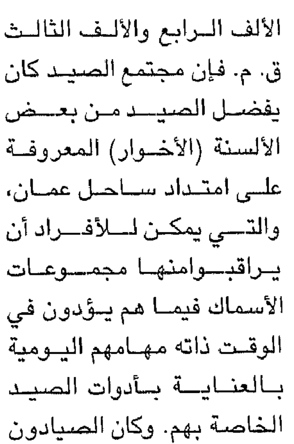
وعلـى الرغـم مـن أن عـدد الصياديـن الـذيـن كانـوا يعتمدون على رؤوس السهام ذات النصل الحاد كان يبدو صغيـرا، إلا أن هذا لا يعنـي أن الصيـاديـن كانـوا النـوع الوحيد من النـاس الذين عاشوا في عمان فـي ذلك الوقت. وبينما لا يمكـن اعتبار المناطق الـداخلية التي تعانـي من الجفاف مثـالية لتجمعـات الصيادين المعـروفة فـي ذلك الزمان فـإن الحياة بالقرب مـن المناطق السـاحلية كانت شيئاً آخر مختلفـاً تماماً. وقد أشـار اليونانيون فـي وقت لاحق بكثير إلـى «أكلة السمك» الذيـن عاشوا بالقـرب من سواحـل الجزيـرة العربيـة. لقد رسـخ أسلاف صيـادي السمك العرب هـؤلاء وجودهم في الجزيرة العـربية خلال الحقبة التاريخية من حوالي أعوام ٧٦٠٠-٥٠٠٠ ق. م. وكمـا سنرى فـي القسم الـذي يتنـاول عصر أواخـر

منظر مثير للمقابر التي بنيت على هيئة خلية النحل والموجودة في وادي العين.

مان وجينز إريكسين



هان وجينز إريكسين



الألف الـرابع والألـف الثالـث ق. م. فإن مجتمع الصيـد كان يفضـل الصيــد مـن بعــض الألسنة (الأخـوار) المعروفـة علـى امتـداد سـاحـل عمـان، والتــي يمكـن لــلأفــراد أن يـراقبـوامنهـا مجمـوعـات الأسماك فيمـا هم يـؤدون في الوقـت ذاته مهـامهم اليـومية بـالعنـايـة بـأدوات الصيـد الخاصة بهم. وكان الصيادون في حوالي عام ٦٠٠٠ ق. م. وما بعـدها يستخدمون موقع رأس الحمراء الـواقع غـربي مسقـط بالقـرب من المـوقع الحالي لفندق انتركونتيننتال. وكانت المنطقة تبدو مختلفة إلـى حد مـا في العصـور القـديمة حيـث كـان الجــدول (الخليج) الـواقـع أسفل اللسان مكسـوّاً بغابة كثيفـة مـن أشجار القرم، وكان يعتبر موقعا أسـاسيا لجمع الرخويات التي كـانت تشكـل جزءاً هـامـا مـن نظام التغـذية لأفراد المجتمع. ومـن بين سلسلة المواقـع التي تم حفـرها في منطقة رأس الحمراء يوجد موقـع واحد، هو الموقع RH10، يقدم أدلـة مبكرة علـى تواجد مجتمعـات الصيد هـذه في عمان. وقـد تم تطبيق الاختبار الكـربوني ١٤ علـى بعض قطع الفحـم والمحار وعلـى التربـة التي أحـرقتها نيـران القـدم لتحـديد عمـرها. كما كـانت المقـابر تحتـوي على مخلفـات انسانيـة متفحـمة. وكان أقـدم إطـار زمني تـم تحديده باستخدام اختبار الكـربون ١٤ هو الاطار الزمني ٥٩٧٥-٥٤٧٥ ق. م.، وفـي نفس الـوقت تـم اكتشـاف مجموعة أخـرى من المواد ترجـع إلى الفترة ما بيـن عامي ٥٨٠٠ و٥٣٩٠ ق. م. مما يؤكـد أن هذا الموقع يـرجع إلى الألف السادس ق. م.

وقـد أكـدت الـدراسـات التـي أجـريـت علـى الأدوات الحجرية التي تم العثور عليهـا في شرق وجنوب الجزيرة العربيـة والتي تـرجع إلـى الألف الخـامس قبـل الميلاد، انتشـار تقاليـد مشابهـة فـي تقنيات التصنيـع الخـاصـة بمنطقـة واسعة تمتـد من المنطقـة الشرقيـة في المملكـة العربيـة السعودية إلى ظفـار في جنوب عمان. كمـا أكدت عمليات تحديد العمر باختبـارات التحليل بالكربون المشع أن المـوقع الكـائن في منطقـة رأس الحمراء كـان مأهـولاً طول فترة الألف الخـامس ق. م.

وبالاضافة إلى مخلفات وجبات الطعام التي تم العـثور عليها، فـإن الأدلة الأخرى على تـواجد الانسان تتوفـر من خـلال اكتشـاف وجـود ثقـالات شبـاك الصيد وخطـافـات صيــد السمك المصنـوعة مـن أصداف اللـؤلؤ والعظـام. ويؤكـد اكتشـاف الـذرة الرفيعـة في إحـدى الطبقات التـي ترجـع إلى عـام ٤٨٠٠ ق.م. الاستعمال المبكـر في عمـان لنبات أصبح فيما بعد محصولا زراعياً كبيرا تنتشر زراعته في جنوب آسيا وأفريقيا. ومع ذلك، لا يزال هناك شك حول ما إذا كـان هذا الذره الـرفيعة مستورداً أو أن زراعتـه تمت محلياً. كما أن اكتشـاف وجود أحد الفؤوس المصنـوعة من الحجر الأخضـر المصقول والـذي قد يكـون أحد الأدوات التي كان يتم استخدامها فـي بناء القوارب الخشبية، فضلاً عن وجود كمية كبيرة من خطـافات صيد السمك المصنوعة مـن الأصداف، هـو دليـل آخر علـى اعتمـاد هؤلاء النـاس بصورة أساسية على البحر والأعمال البحرية.

وفي كتابه «*الخليج العربي فـي العصور القديمة*» لفت «بوتس» الانتباه إلى كتابات البـارون «آر. سي. كيون دي هـوجروورد». فقـد كان البـارون يكتـب عام ١٨٨٦ عـن الأوضاع البحرية في الخليـج وفي المحيط الهندي، وأوحى «بوتـس» أن الأمور في العصـور القـديمة لم تكـن مختلفة بدرجة كبيرة، وعلق على ذلك بقوله:

فـي مطلع حـديثه عـن سكان السـاحل العمـاني أطلـق البـارون عليهـم اسـم «بدو البحـر الحقيقييـن»... كـان مجتمعهـم مختلطـاً يضم العـرب والفرس والبلـوشيين والسـوقطريين والأمهرين وكذلك بعض أهل حضرموت. وكان هـؤلاء الناس يتنقلون حسب المـوسم حيث كانوا يمضـون مـا لا يقـل عـن ثلاثـة أشهـر كـل سنـة فـي بلوشستـان لتقـديد وتمليح الأسمـاك التي اصطـادوها قبل أن يعودوا إلـى عمان لبيع جزء منها.

كان غروب الشمس في جعلوني مشهدا مثيرا تماماً كالذي يبدو في هذه الصورة. إنه مكان ساحر صانته الطبيعة بحنان. وهو مكان يعود فيه الانسان إلى الماضي ويكتسب الأمل في المستقبل.

آواخر الألف الرابع والألف الثالث ق. م.

مستوطنات الصيد

كـان الصيادون فـي الألف الـرابـع ق. م. يعيشـون فـي مستوطنـات صغيرة مـؤقتة منتشرة علـى طول سـاحل الباطنة. وكانت إحدى قواعـدهم الرئيسية تقع عنـد رأس الحمراء حيـث تم العثور علـى أدلة تشيـر إلى تواجـدهم هناك فـي ذلك العصـر، وذلك مـن خلال عمليـة تحديـد التاريخ بتطبيق اختبار التحليل الكـربوني على الآثار التي تم العثور عليها هناك.

ويشير فتـات المواد الغـذائية إلـى أن طعام أفـراد مجتمـع الصيـد كان يتكـون مـن الـرخويـات والسمـك والسـلاحف ولحـم الدلافيـن أو الحيتـان ولحم الطـرائد البرية مثـل الغزلان، وإلى أنهم كانوا يطهـون جميع هذه الأغذية فوق نيران الأخشاب والحطـب. ومن الثابت أيضاً مـن خـلال آثـار الآبـار (الحفـر) قليلـة العمـق ودوائر الحجارة أن سكان هـذا الموقع قد أقامـوا بعـض الأكواخ بالقرب مـن الشاطىء، وأنهم كانـوا يدفنون موتـاهم في المقـابر. وتضمنـت الاكتشافـات المتعلقة بهـذا الموقـع بعض الأواني المصقولة ذات اللون الأسود والتي تعتبـر نموذجـا لصناعة الفخـار القديمـة المعروفة فـي شمال شـبه الجـزيرة العمانية. وتعتبـر المقبرة الموجـودة في رأس الحمراء هـي المقبرة الـوحيدة التـي تم اكتشـافها حتى الآن في شبه الجزيرة العربيـة بأكملها والتي ترجع إلى الألف الرابع ق. م.

ومن المثيـر ملاحظة أن دفن جثـث الموتى كـان يتم فـي وضعين مختلفين،إما على جـانبهم الأيمن في اتجاه الشمال الغربـي (وهو اتجاه غروب الشمـس في أواخـر الصيـف وأوائل الخريـف) أو على جـانبهـم الأيسر فـي اتجاه الجنوب الشرقي (وهـو اتجاه شروق الشمـس في فصل الشتـاء). وقد تـم تفسير ذلـك بأنـه دليل علـى أن استيطان موقع رأس الحمراء ربمـا كان يتم على أسـاس مـوسمي. ومـن السمات الهـامة الأخـرى لهذه المقابـر العربيـة القديمة أنـه كان يتم فـي الغالب وضـع بعـض الأطعمة في المقبـرة ربما كنوع من القرابيـن، وذلك بعـد

سلحفاة خضراء تعود إلى البحر في رأس الجنيز في رحلة كانت تتم هنا منذ عدة آلاف من السنين.

هان وجينز إريكسين





كانت منحدرات رأس الجنيز تشكل أحد المعالم البارزة سواء للسلاحف أو الصيادين القدماء على حد سواء.

تغطية جثة المتوفى بالتراب والحجارة. وكانت السلاحف والأسماك من الأطعمة الشائعة في هذه المقابر وإن كان بعضها الآخر يتضمن الرخويات أو بقايا لحم الغزال أو بقر المارية أو الثدييات البحرية. ويبدو أن ترس (ظهر) السلاحف الخضراء كان له مغزى خاص إذ كان يتم وضعه في المقابر باستمرار. أما بالنسبة للموتى أنفسهم فلم يتم العثور معهم على أية أسلحة أو أشياء ثمينة من الآثار الخاصة بالمقابر، وذلك باستثناء بعض العقود المصنوعة من الصدف أو العظم أو حجر الاستيتيت والتي كان يتم وضعها في المقابر في بعض الأحيان. وتوحي حقيقة أن مجموعات العقود الموضوعة في المقابر كانت تتباين وتتراوح بين كميات صغيرة جداً وأخرى كبيرة (تم العثور على ١٥٢ عقدا في مقبرة واحدة) بأن المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه كان مجتمعاً طبقياً في الاحتمال الأغلب.

طرق الصيد

استخدم الصيادون أساليب مختلفة في الصيد بما في ذلك المصائد وخطافات الصيد المصنوعة من العظام وشباك الصيد. وقد تم العثور في موقع المستوطنة القديمة الموجودة في رأس الحمراء وفي العديد من المواقع الأثرية الأخرى على طول الساحل العماني، على ثقالات لشباك الصيد مصنوعة من الحجارة. ولتخيل احدى الصور المدهشة لطرق الصيد القديمة التي دامت حتى الماضي القريب فليس هناك أفضل من قراءة وصف «إتش. جاي. كارتر» المنشور في عام ١٨٥١. فقد كتب في معرض تعليقه على ملاحظاته التي جمعها عن رأس الجيب في مسندم حيث كان الصيادون يخرجون للصيد مستخدمين وسائل عون منفوخة وقابلة للطفو مصنوعة من جلود الحيوانات كانوا يسمونها



الصيادون يجهزون شباكهم في منطقة تلاطم الأمواج.

«القربـة» (وهي تشبـه إلى حد كبيـر الاطارات الـداخلية لعجلة الشاحنة) يقول:

بمجرد أن يشاهد هؤلاء الذين يراقبون السمك مـن أماكنهم المرتفعـة اقتراب مجمـوعة مـن الأسماك مثـل السرديـن، فإنهـم يتجمعون ويمسكـون بجلودهـم وبشبـاك الصيد ويسرعون إلى حافة الماء. وهنا يتم نقع الجلود ونفخها ثم ربط السـاقين الأمـامية والخلفيـة معاً بقطعـة من الحبـل. وعندئذ يصبحون مستعدين لتأديـة مهمتهم ويتقدمون إلى الحلبة ويضعون الجلـدة (القربة) في اتجـاه الجزء السفلي من البطـن ويطرحـون شبكـة الصيـد على الكتـف الأيسر ويخوضون في الماء حتى أعنـاقهم ثم يجلسون على الحبل المستند على الجزء الخلفي من أفخـاذهم ومن ثم يجدّفون بأيـديهم متجهين صوب مكـان تواجد السمك. وعلـى هذه الشاكلـة شاهدت حـوالي عشريـن صيادا يخوضـون في المـاء دفعة واحـدة ويقـذفون بشبـاكهـم ثـم يجمعونهـا ويعودون بهـا إلى الشاطـئ ليفرغـوا محتوياتهـا هناك، لعـدم توفـر أي وسيلة أخرى لتأميـن السمك في مـوقع الصيد. ولاعطاء فكـرة مقتضبة عن درجة الفقـر التي كان يعيشـها هؤلاء الناس أذكر أن شباكهـم كانت مصنوعة من القطن المجدول في هيئة حبال خشن، وأن الثقالات المثبتة في محيطها كانت تتألف من قطع مثقوبة من الحجارة يبلغ حجمهـا نصـف حجـم قبضـة اليـد بـدلا مـن أن تكـون مصنوعة من قطع صغيرة من الرصاص.



غنيمة من سمك السردين المتوفر بكثرة عند سواحل عمان بصورة خاصة.

إس. كاي

منجم أصيل للنحاس.

التعديـن

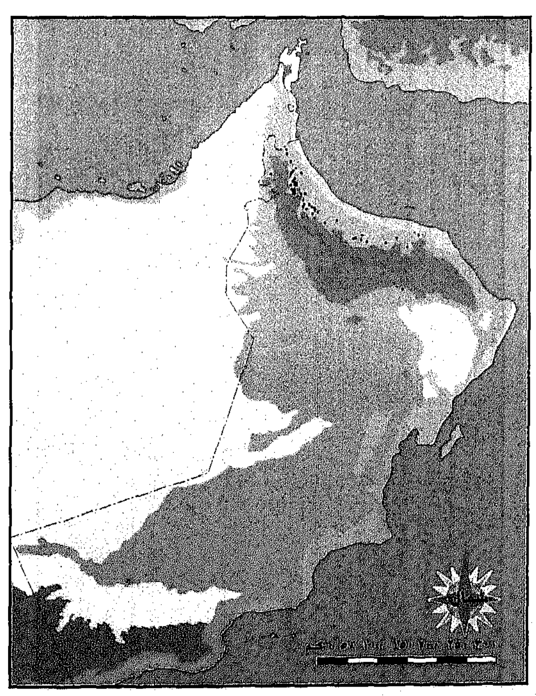
بينما كـان الصيـادون يعيشـون عنـد السـاحـل، كـان المزارعون مـن أهل الـريف يقطنون في المنـاطق الـداخلية ويقومون بتربية الماشية والماعز وقطعان الأغنام.

وقـد بسطت إحـدى المستـوطنـات الرئيسيـة في بـات بـالجبـال العمانيـة هيمنتهـاعلى أحـد الطـرق البريـة الرئيسيـة لتصدير النحاس. بفضـل موقعها القريـب من العـروق الغنية بـالنحاس الـذي تستخرجـه مجموعـات متزايدة من الناس.

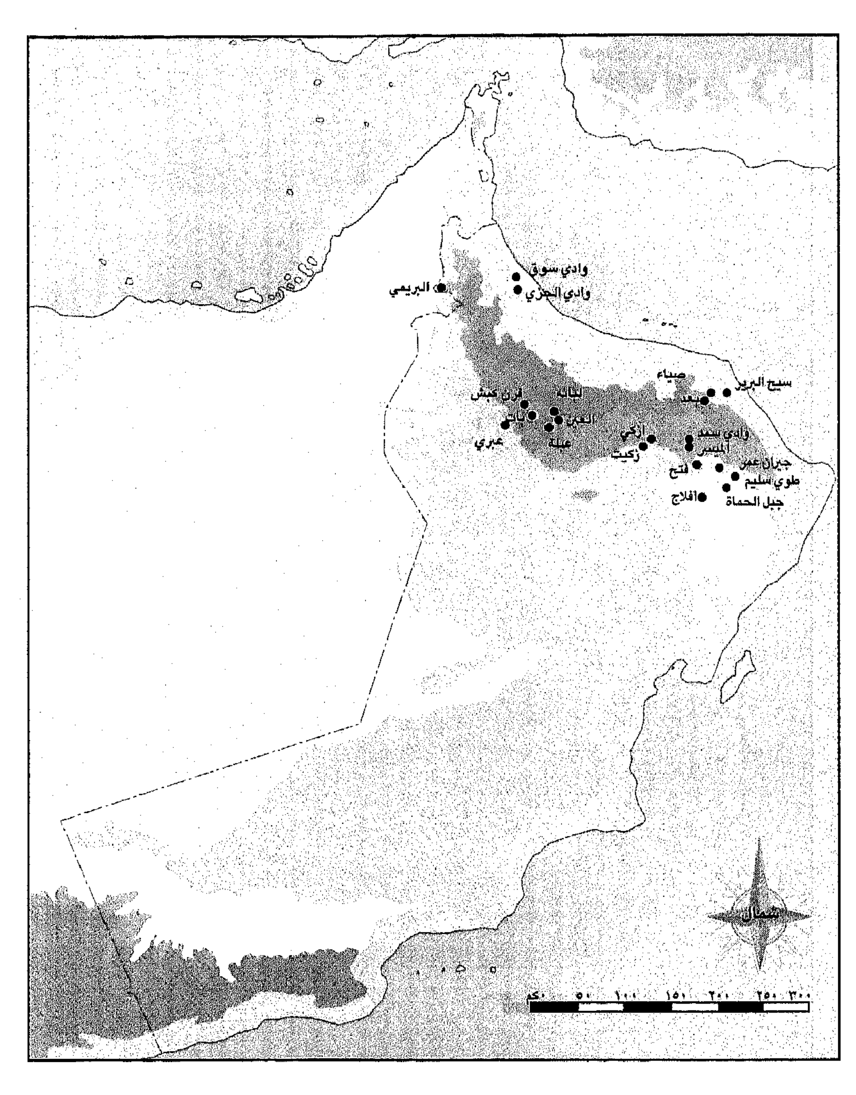
وقد تطلب القيام بهذا العمل تنظيـم وارساء أسس بنية اجتماعية جديدة.

فكانت هناك بادىء ذي بدء مهمـة حفر مداخل المناجم للوصول إلى خام المعدن. ثم تـأتي مشكلـة حماية المناجم وكل ما يتعلق بملكيتها وادارتها. وبعـد ذلـك تأتي مسألة نقل المعـدن الخام إلى مواقع الصهر واشعـال نيران أفران صهـر النحاس. وأخيـرا كان ينبغـي تشكيل النحـاس وتحويلـه إلى منتجـات أو صبـه في قوالـب لتحـويلـه إلى سبائك بأحجام قياسية يمكن بيعها.

وقد جاء التأثير الرئيسي لاقـامةهذه البنية الاجتماعيـة الجديدة من دولـة سومـر ـ المشـتري الرئيسي للنحاس ـ والتـي كانـت مصدراً لاستيراد العـديد مـن السلع وكـان النحاس الثمين يصل إليها في نهاية المطاف.



مناجم ومصادر النحاس الرئيسية في شمال عمان (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).



مواقع مقابر حفيت والمقابر التي في هيئة خلايا النحل والواقعة في شمال عمان (٣٥٠٠-٢٥٠٠ ق.م) (طبقا للوتس، ١٩٩٠).

اجراءات الدفن

تختلط المراسـم القديمـة بالطقـوس الجديدة وخـاصـة في حالة الوفـاة. وقد تم اقامة مقابر كبيرة تتخـذ هيئة خلايا النحل باستخـدام بلاطات مصنوعـة من الحجر الجيري البني المتشكـل محلياً. وفي البـداية كـان يتم اقـامة هـذه المقابر مجهـزة بجدران سميكة ومزودة بغرفـة بيضاوية صغيرة غير متناسقة.

ولكن تم فيما بعد تعديـل التصميمات لتتضمن مقابر كبيرة ذات جـدران سميكـة مكسوة بـالحجـارة الجيريـة البيضـاء وتضـم غرفاً ذات نظـام متطور. وبالاضـافة إلى رفاق المتـوفى كان يتـم وضـع بعـض الأكواب والكـؤوس والأواني المملؤة بالماء والطعام داخل المقبرة ليتغذى عليها المتوفى في الحياة الأخرى.

وقد تم العثور في عدة مواقع في عمان بما في ذلك مواقع أم النار ووادي سـوق ووادي الجزي وابرا وبـات وصيع ووادي سمد وطوي سليم وجبل حفيـت على مقابر أثرية مـن النوع البـدائي ذي الغرفـة الـواحدة وذي الـدائرتين الحجـريتين المتحـدتي المحور والمشكلتين على هيئـة قبـة لحمايـة غـرفـة الـدفـن. وكـانـت جميـع هـذه المقـابـر يعرفهاعلماء الآثار باسم مقابر حفيت.

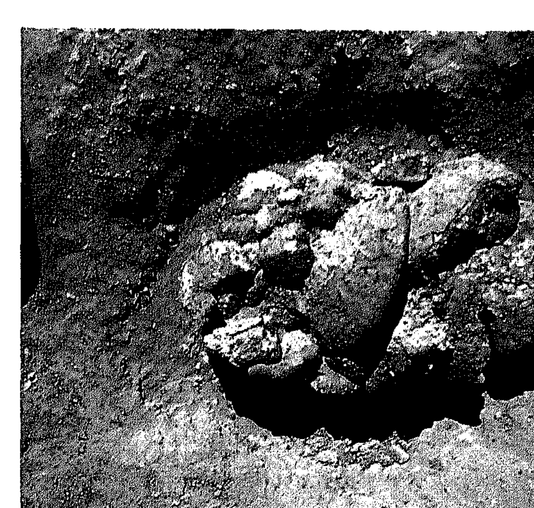
وقـد تم خـلال نفس الفترة بنـاء مقابـر أخـرى فـــي شكـل خلايـا النحل، تتكـون من غرفــة دفـن واحــدة وتضم جداريـن أو ثلاثة جدران حاجـزة بينهـا أحجـار في حجـم اليد مبنيــة مـــن الحجـــر الجيري البني مـــع بـلاطـة منخفضـة يبلـغ عـرضهـا نصـف متر تقـريبـا مقامـة حــول القاعـدة (فريفـلت، ١٩٧٦). وبالرغـــم مـن أن الارتفاع الكلي للمقـابر المقـامـة في هيئـة خـلايـا النحـل قـد يبلـغ ٨ أو ٩ أمتار، فـإن الغـرف الداخلـيـة كـانـت صغيرة نسبيـا وكـان قطـرهـايتراوح بين متـــر ومترين ونصف.

المستوطنات ومهارات الزراعة

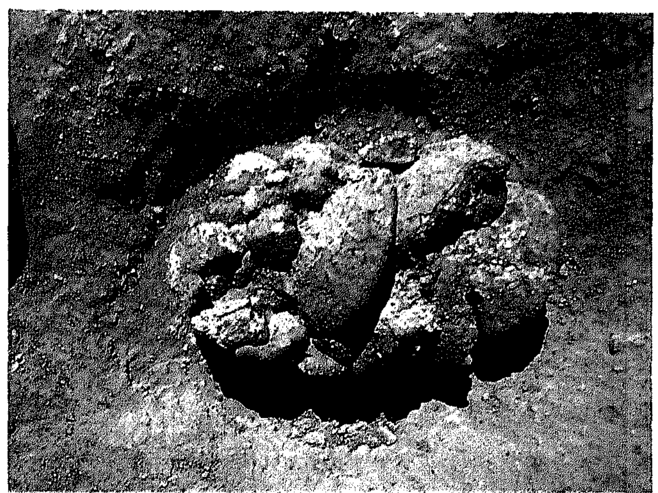
تعتبر انشـاءات المدافــن أهـم الأدلـة المميــزة علـــى وجـود الانسـان في عمان خـلال فتـرة أواخـر الألــف الرابـع وأوائــل الألف الثالــث ق. م.، وربما يرجــع ذلك إلى حقيقـة أنها كـانـت موجـودة فـوق أرض منخفضـة وصلـت إليهـا الميـاه، وقـد ظهـر فيها غـرين كثيـــف غطاها بالرمال.

ولذلك تحظـى المستوطنات التي تم التنقيـب عنها والتي تـرجـع إلى هـذا العصر بـأهميـة خـاصـة. وإحـدى هــذه المستوطنـات هي تلـك التي ترجـع إلى الألف الثـالـث ق. م. والموجودة في هيلي في أبـو ظبي. وقـد سـاعـد العلماء الذيـن يعملون هناك في الاجـابـة على بعض التساؤلات حـول كيف كـان الناس يعيشـون في هـذه المنطقـة خلال تلـك الفترة. ويشير تحليل المواد النبـاتية التي تـم العثور عليهـا في هذا الموقع إلى أنه كان يتم استعمال عـدة محاصيل مختلفة مثل الحنطـة النشـويـة وقمـح الخبـز والشعير ذي السنبلـة المزدوجة والشعير ذي السنبلـة السداسيـة الذرة الـرفيعة. وإلى جانـب محـاصيـل الحبوب، كان المستوطنـون يزرعون الشمام والتمر، كما كانوا يحصدون بعـض النباتات البرية مثل الشوفـان البري وبذور العناب. وباتـت التمور تشكل بديلاً غـذائياً متزايد الأهمية وذلك في أعقـاب زراعة أشجار النخيل. وقـد أدى ذلك إلى الابتعاد عن الاعتماد السـابق على السمـك واللحـم ممـا أدى إلى حدوث تـدهـور ملحـوظ في الأحوال الصحية لأسنان الانسان.

وبينما كـانت تتـم الاشـارة إلى نبـات الذرة الـرفيعـة



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

أعلاه: منظر لمقبرة أثرية تم التنقيب عنها في أم النار تبين الأروقة المقامة تحت سطح الأرض.

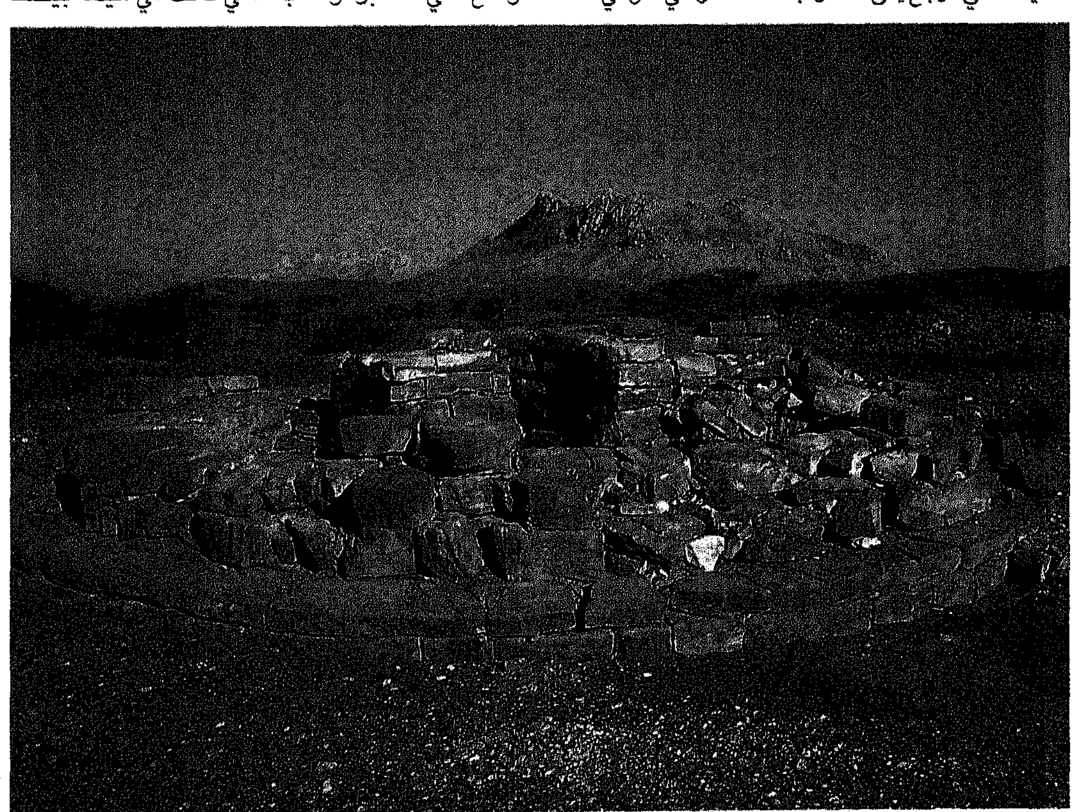
أعلاه جهة اليمين: مخزون من سبائك النحاس أثناء استخراجها من أحد المواقع الصناعية في قرية المسرة التي اشتهرت بصناعة صهر النحاس.

بـالارتباط بـالاكتشـافات التـي تمـت فـي مستوطنـات الصياديـن في منطقة رأس الحمـراء بالقرب مـن مسقط والتـي كـانت مـأهـولـة منـذ ألـف سنة أو أكثـر، فـإن الاستكشافات التي تمت في هيلي، كانت أول دليل واضح على أن نبـات الذرة الـرفيعة كان يـزرع محلياً ولـم يكن مستورداً. وتعليقا على ذلك وغيره من الملاحظات توصل «بوتـس» إلى أنـه «يبدو الآن أن الجـزيرة العـربية ربمـا كانـت الجسر الذي انتقلت عبـره هذه الأصناف مـن قارة إلى أخرى خاصـة وأنه قد تم العثور عليها هنـا قبل ألف سنة مـن تواجـدها في شبـه الجزيـرة الهنديـة (المجلد الأول، بوتس، ١٩٩٠).

المستوطنات والمقابر في بات

تـم العثـور علـى مـا لا يقل عـن ٦٠ مقبـرة مـن مقابـر حفيت التي ترجع إلى عصر جمـدة نصر في حوالي سنة ٣٠٠٠ ق. م. وقد تـم استخراج بعـض الأواني الفخـارية المميزة والمعـروفة باسم جمـدة نصر من العديـد مـن المقابر في بـات مما يؤكد أن أصحاب هذه المقـابر كانوا يعيشون في حوالي سنة ٣٢٠٠-٢٧٠٠ ق. م.

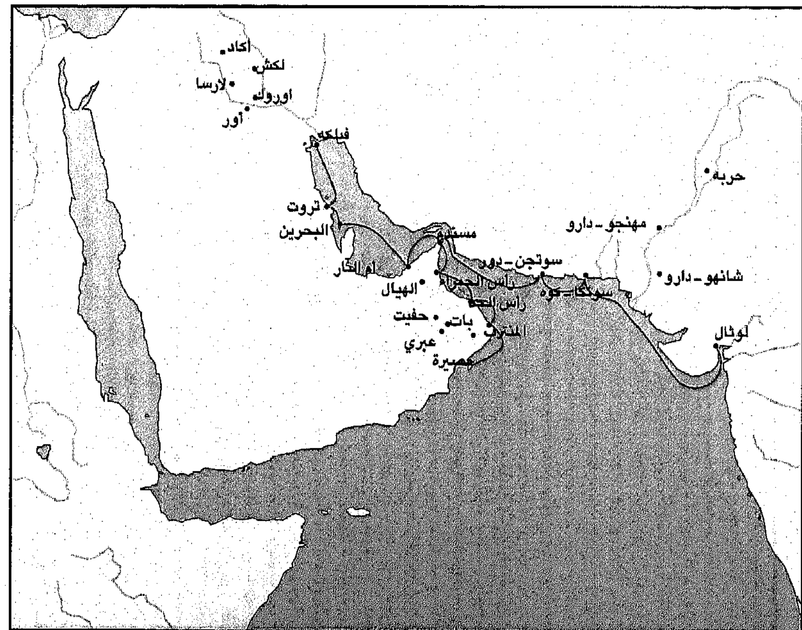
وبالاضـافة إلى هذه المقـابر المثيرة للاعجـاب، أقام أهل بات أبراجـاً ضخمـة في شكـل انشاءات ذات جدران حلقية غـائرة وأرضيات مـرفوعـة توفـر قاعـدة مرفـوعة تستخدم في أعمـال المراقبـة وفي توفيـر الحمايـة لآبار الماء العـذب. غير أن قريـة بات اليوم أصبحـت صـورة باهتة لما كانت عليه فـي الماضـي .. كمستوطنـة أساسية للزراعـة والرعـي وباتت لا تقـدم أي دليـل يذكـر عـلى كـونها كـانت خليـة للنشاط والحيـوية منـذ أكثـر مـن ٥٠٠٠ سنة. وبالاضـافة إلى الآنيات الثنـائية المخـروط ذات اللون الأخضـر أو الكريمـي الجميـل والتـي كانـت توضـع فـي المقابر، والعلب التـي كانت في هيئـة بيضـة



إس. كاي

جهة اليمين: إحدى المقابر التي تم التنقيب عنها في بات.

إس. كاي

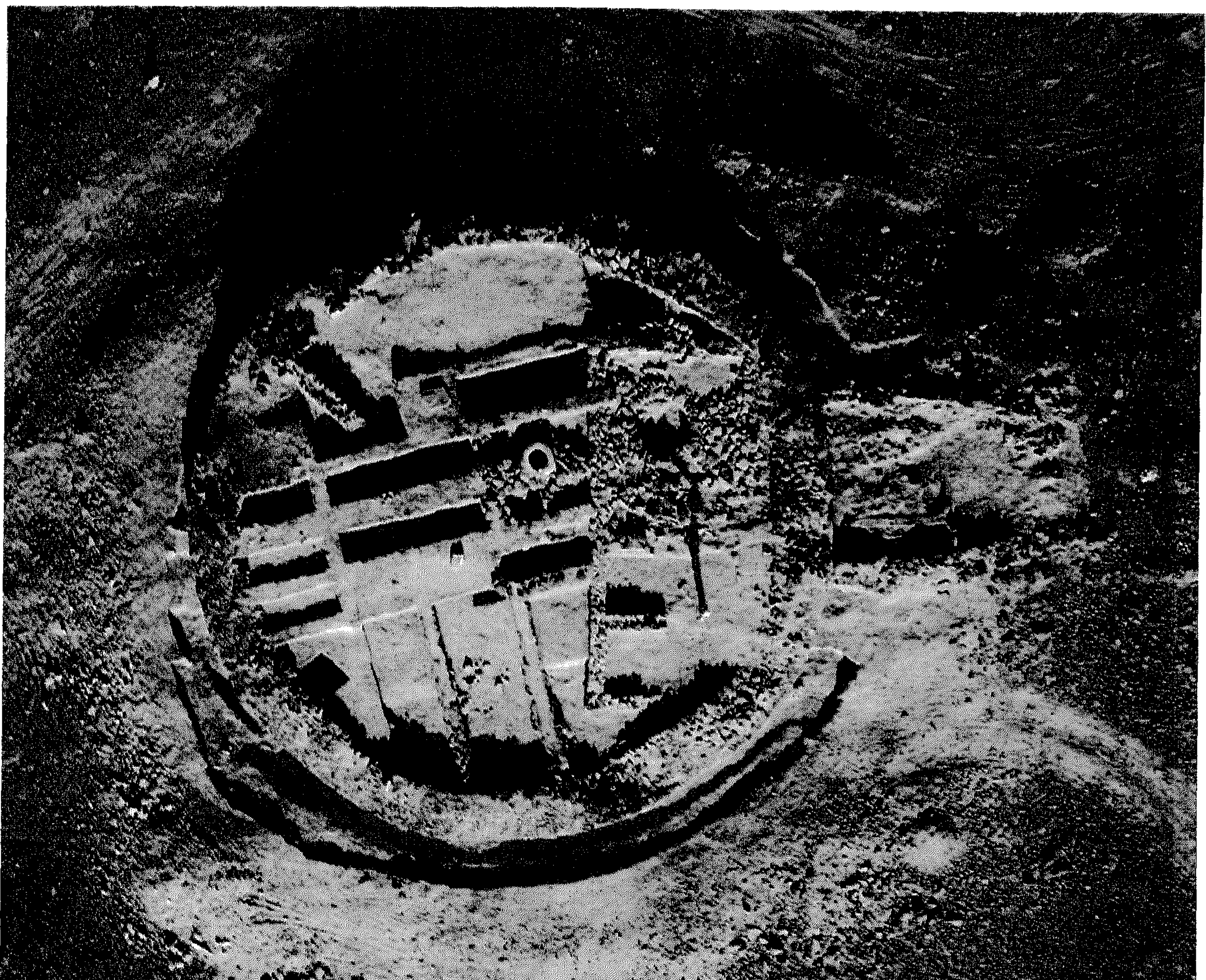


طرق التجارة القديمة في الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق. م.

صغيرة والجرات ذات الأعناق المثقوبة والمشكلة على دولاب الفخار، كان يتم تشكيل النحاس لاستخدامه في تصنيع بعض الأدوات المختلفة مثل الأوتاد والأبر والبرشامات التي كان يتم بيعها مع السلع الأخرى المرسلة إلى أم النار (بالقرب من أبو ظبي) ومنها إلى موانىء بلاد ما بين النهرين عن طريق دلمون (ربما البحرين وشرقي المملكة العربية السعودية).

التجارة والنفوذ الأجنبي

لم تتأثر عمان لآلاف السنين بما كان يحدث في بقية أنحاء العالم، ولم يهتم صائدو السمك والصيادون القدماء الذين جابوا المنطقة من مسندم إلى ظفار وفي المناطق الداخلية عبر السهول الغنية بالطرائد وبين الجبال التي تسكنها النمور اهتماماً يذكر بالحضارات العظيمة التي كانت تظهر في مصر وفي الشرق الأدنى وفي بلاد ما بين النهرين وفي آسيا. أن عدم وجود أي تسجيلات مكتوبة عن أي معاملات بين مجان وبلاد ما بين النهرين في خلال أواخر عصر الوركاء وعصر جمدة نصر وأوائل عصر الأسر الحاكمة تشير أيضاً إلى عدم وجود تواصل مع شمال الخليج في ذلك العصر. ومع ذلك، كان العالم الشمالي متطوراً تطوراً كبيرا، فقد كانت مدينة أريحا تبلغ من العمر ٤٠٠٠ سنة وكان جنوب مصر وشمالها في صراع من أجل الاتحاد تحت راية أول ملوك الفراعنة.



جي. فيسجرير، متحف الصناعات التعدينية الألماني

القلعة البرجية «المسرة ٢٥» التي ترجع إلى عصر أم النار. كان المستوطنون يستطيعون الالتجاء إليها عندما يتعرضون لأي هجوم.

وكان يقـع بين مصـر وبلاد مـا بين النهـرين هـلال خصيب واسع يـوفر الغذاء اللازم للتطور الانسـاني منذ آلاف السنين. وبمجـرد أن توطدت أواصر الاتصـال بين شمال الخليج وجنـوبه لم يستطع سكان الجـزء الجنوبي المأهـول من الجـزيرة العـربية والمعـروف الآن باسـم عمان مواصلـة تجاهلهم للأحـداث التي تقع في المـراكز الثقافية والاقتصادية العظيمة في العالم.

ولم تكـن عملية التبادل بين هـذين العالمين تتـم في اتجـاه واحـد فقـط، فقـد تم منـذ ٦٠٠٠ سنـة تـوثيـق الاتصالات المنتظمة بين عمان والدول المجاورة وخاصة بلوشستان وايران وتركستان ومـع بلاد ما بين النهرين بصورة مباشرة عـن طريق دلمون. وعندما تـزايد اهتمام سومر بنحـاس عمان وصلت العلاقات التي تـربط عمان بشمال الخليج العربي إلى مستـوى جيد. وعلى الرغم من ثراء بلاد ما بيـن النهرين فقد كان لديها نقـص في العديد من المواد الخام، ولم يكن لديهـا أي قدر يذكر من حجارة البنـاء أو الخشـب أو العطـور أو أي مـن المعـادن الأخرى.كـان يتم تعويض معظـم هذا النقص عن طـريق التجارة مع عمـان، غير أن تجارة النحاس كـان لها مغزى خاص. وأصـدق دليل علـى مدى ضخـامة حجـم تجارة النحاس يظهـر من خـلال أكوام النحـاس الموجـودة في أصيل والتي يقدر بأنها تضم ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ طن من الحفريـات الأثرية. ولا ترجـع كل هذه الحفريـات إلى أوائل العصـر مـوضوع الـدراسـة لأن صنـاعة تعـديـن النحاس، بمجـرد أن توطدت، حتـى دامت لأكثر مـن ألف عام قبل أن تبدأ في التدهور.

عصر أم النــار
من حوالي عام ٢٥٠٠ إلى عام ٢٠٠٠ ق. م.

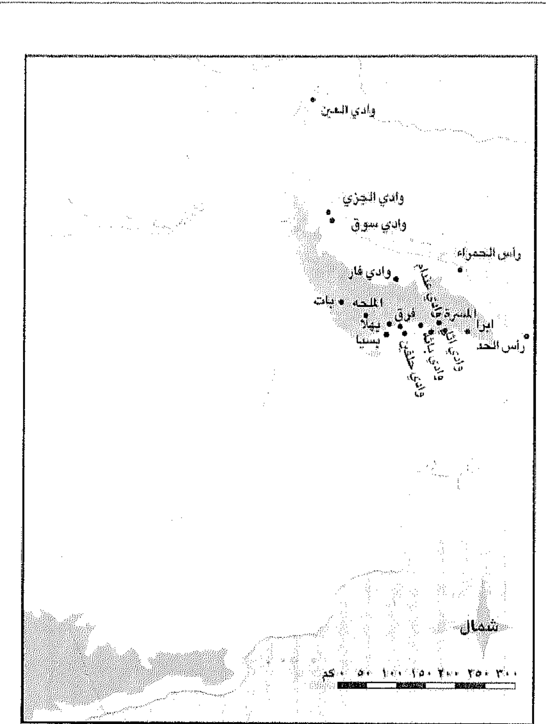
المستوطنات ومواقع المقابر

تزايد نشاط التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين بصورة مفاجئة في هذا العصر وخاصة نشاط تجارة تصدير النحاس إلى منطقة شمال الخليج العربي.

وكان يتم نقل معظم هذا المعدن الثمين المستخرج من جبال عمان، على ظهر الجمال التي أمكن استئناسها مؤخرا، إلى شواطئ الخليج حيث توفر جزيرة أم النار موقعاً مناسبا لرسو القوارب وتحميلها.

وتعرف الثورة الثقافية التي تفجرت في أعقاب توثيق روابط العلاقات التجارية المربحة باسم عصر أم النار.

وبالاضافة إلى آثار موقع المستوطنة المأهولة وآثار المقابر الأثرية التي تم العثور عليها في أم النار ذاتها فإن الآثار الأخرى التي ترجع إلى هذا العصر تتضمن المقابر الموجودة في وادي الجزي والمواقع الموجودة في وادي بهلا ووادي فار ووادي حلفين ووادي عندام ووادي سمد ووادي إثل ووادي ابرا ووادي بات أي في معظم الوديان الموجودة في المنطقة الشرقية. كما أن اكتشاف قطعة من الفخار بنقوش حربانية (من وادي الاندس) قد ترجع إلى عصر أم النار عند ساحل عش السلاحف الشهير في رأس الجنيز الواقع على مسافة ١١ كيلومترا جنوبي رأس الحد هو دليل آخر على انتشار الثقافة في عمان.



موقع من عصر أم النار (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

الملك سرجون والامبراطورية الأكدية

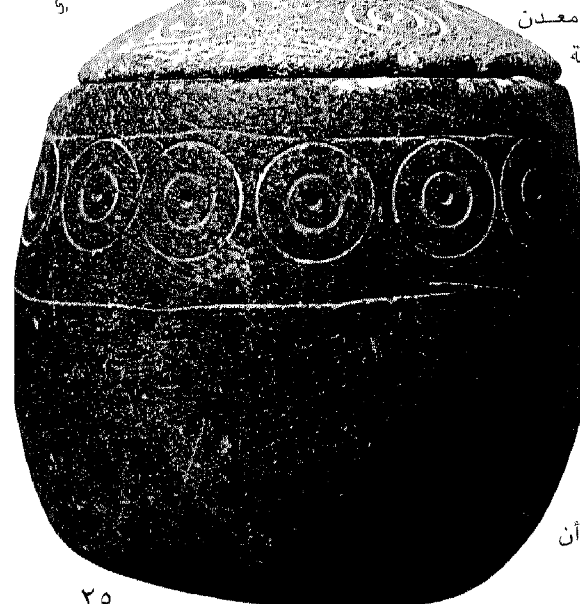
من الطبيعي أن يجذب ازدهار التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين اهتمام المجموعات المهتمة بالسلطة بما في ذلك الحكام المحليون وكهنة المعابد والقوات الأجنبية ولا ننسى بالطبع المقاولين المحليين وغيرهم من الذين يزاولون العمل في مجال التجارة ذاته. وقد اتحدت المدن المتنافسة واقطاعيات بلاد ما بين النهرين نتيجة للفتوحات التي قام بها سرجون الأكدي مؤسس الامبراطورية الأكدية والتي كانت السبب في سرعة حركة التطور لخلقها عهداً من الاستقرار والهدوء النسبي في المنطقة.

لقد ولد سرجون في حوالي عام ٢٤٠٠ ق. م. واشتهر بتأسيس ما يعرف بأنه أول امبراطورية في العالم. ولم يكن من أبناء طبقة النبلاء أوالأثرياء، فقد ارتقى من خادم متواضع يعمل كحامل لكأس ملك كيش أو قيس (ملك دولة مدينة سومر).

وقد نسب إليه فضل الاطاحة بمجموعة الملوك المتطاحنة وتوحيد المنطقة بأكملها تحت رايته. وأصبحت لغته الأم - وهي اللغة الأكدية — هي اللغة الرسمية وحلت محل اللغة السومرية. وفي خلال أوائل عصر الاسرة الحاكمة الأولى كانت السفن القادمة من مجان ترسو في موانيء بلاد ما بين النهرين بجوار السفن الأخرى القادمة من ملوخا (منطقة وادي الاندس) ومن دلمون القريبة.

وقد أدى ازدهار صناعة التعدين في عمان مقروناً بتزايد اكتشافه في منطقة شمال الخليج إلى تحول النحاس من معدن ثمين إلى مجرد سلعة عادية تستخدم في الأغراض الصناعية. وبالرغم من عدم اعتماد بلاد ما بين النهرين اعتمادا كلياً على مجان في الحصول على احتياجاتها (حيث كان يمكن شراء النحاس من الأناضول أيضا) فقد كان النحاس القادم من مجان مفضلا لديها نظرا لاعتدال أسعاره.

وقد انتشر النفوذ الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن



أدناه: جرة من الحجارة بغطاء تم العثور عليها في مستوطنة المسرة. كانت معظم هذه الجرات عبارة عن قرابين توضع في المدافن.

جي فيسبرجر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن الناس هناك كانوا يقدمــون فروض الاحتــرام وربما فــروض الطاعــة أيضاً لشركائهم الشماليين فــي التجارة. ويمكن اكتشاف مدى العــلاقة التجــاريــة بين البلــديــن مــن خلال النصــوص المسماريــة المنقوشــة على اللــوحات الحجــرية التــي تم اكتشافهــا في بلاد مــا بين النهــرين. والتي كــان منقوش على احداها العبارة التالية:

لقــد ازدهرت بــلاد مجــان ودلمون أمــام نــاظري أنــا «إنكــي»، وقــوارب دلمــون راسيــة وقـــوارب مجـــان محملة عــن آخرهــا وقوارب ماجــلان التابعــة لملوخــا تنقل الفضــة والذهــب وتجلب الرجــال إلى نيبــور مــن أجل إنليل.

ويتضح مــن هذا النص وغيره مــن النصوص التي تــرجع إلى هذا العصر أن القوارب القادمة من مجان كانت تجلب إلــى أهل بــلاد ما بيــن النهريــن مــا هو أكثــر من مجــرد منتجات محليــة فقد كــانت تجلب إليهم أيضــا المنتجات المختلفة من ملــوخا ذات الحضارة الشرقية بمــا في ذلك الــذهــب والفضــة والعاج والأحجــار النفيســة والخشــب النادر والعطور وربما أيضا الأيدي العاملة.

كما تــؤكد هذه النصوص أن مجــان كانت تقــع جنوب دلمون وكانت توجد فيها جبــال عالية يتم منها استخراج الحجارة السوداء التي تعتبر جيــدة للاستعمال في صنع التماثيل. وربما كانت هذه الحجارة هي حجارة الديوريت أو الجابرو.

وقد أدى انــدلاع العصيان فــي بلاد مــا بين النهــرين نتيجــة لارتقــاء «نــرام ــ سيــن» لعــرش الامبــراطــوريــة السومرية ــ الأكدية إلى حدوث تذمــر في الدول الموردة للسلع بما فيها مجان.

ويقال أن «نــرام ـ سيــن» قد أرســل جيشاً لقمــع هذه الاضطرابات وأن جيشه حقق قسطاً من النجاح واستطاع اخضاع الملــك «منيوم» ملــك مجان وعــاد محملاً بغنــائم الحرب التــي ضمت مجموعة مــن الأواني المصنوعــة من المرمر والتي قام باكتشافها علماء الآثار.

ومع ذلك فمــن المؤكد أن هذا الخضوع كــان خضوعاً مخففاً لأنــه تم بعد ذلــك تكريــم الملك منيوم ملــك مجان باطلاق اسمه على احدى مدن سومر.

ولم تبــق جميع الغنائم التــي عادت بها حملــة «نرام ــ سيــن» والتــي تم اكتشــافهــا فــي جنوب العــراق ضمــن المجموعات الحــالية، فقد فقدت احدى الأوانــي المنقوشة المصنوعة من المرمر عنــدما تعرض القارب (البرج) الذي كان يحملهــا أثناء ابحــاره في نهــر دجلة فــي عام ١٨٥٥ لهجوم عــدواني مــن قبل رجــال القبائل ممــا تسبب فــي غرقــه. ولحسن الحظ فقد نقــل أحد الأفراد نــص النقوش التي كان يحملها والتي يقول نصها:

«نرام ــ سين»، ملــك أركان العالــم الأربعة. إنــاء (من) غنائم مجان.

اضطرابات الكوتيين في بلاد ما بين النهرين

سقطت مــدينتا اور ولكش اللتان شكلتــا مؤخرا جــزءاً من الامبراطورية الأكدية في أيــدي الغزاة الأجانب، الكوتيين، الذين كانوا يسيطرون على المنطقــة بأكملها. وكان كوديا حاكــم لكش (حوالــي عام ٢١٤٤-٢١٢٤ ق. م.) مغــرما بتمجيد فترة حكمه باقامــة التماثيل والأجسام الاسطوانية المزخرفة والتي يحمل العديــد منها بعض النقوشات. وقد بــذل أقصى جهــده ليجلب إلــى البلاد أرقــى مواد البنــاء للاستخــدام في اقــامة الانشاءات المختلفــة بما فــي ذلك معبد إلآهه نينجيرسو.

فلتجلــب بــلاد مجــان لكم النحــاس الممتــاز وحجــارة الديوريت والحجارة النونية وحجارة شومان.

كما يشيــر أحد النصــوص الأخرى إلــى دفــع مــا قيمتــه ٢٤١ قطعة قماش إلى أحد التجار المحليين المتجهين إلى مجان. وبينمــا توضــح الدراســات أن الصخور الســوداء المستعملة فــي اقامة التمــاثيل في بــلاد ما بين النهــرين كانت مــن صخور الجابرو الأولفينية مما يــرجح إحتمال جلب هــذه الصخور من عمــان، فإن تماثيــل كوديا كــانت مصنوعة في الواقع من صخــور الديوريت التي لا تتشكل في شبــه جزيرة عمــان في كتل بــأحجام كبيرة (بــوتس، المجلــد الأول، ١٩٩٠) وذلك بــالرغــم من وجــودها فــي جنوب إيــران. وهذا يوحي بــأن المنطقة المعروفة بــاسم مجان كانت تضــم جزءاً من جنوب ايران إلى جــانب عمان وانها ربما كــانت مصطلحا مرنــا إلى حد ما يستخــدم في وصف الأراضي المحيطة بمدخل الخليج.

وقد تميــز العصر الذي سيطر فيــه الكوتيون بمــوقف عدائي تجــاه شركاء التجارة التقليــديين مثل مجــان. وقد ذكرت النقــوش التي تــرجع إلــى فترة حكــم الملك كــوديا

مرتيـن أنه فرض الطـاعة علـى مجان وملوخـا ودلمون. وفـي النهايـة تمكنـت القوات المحليـة مـن طرد الغـزاة الكوتييـن من جنوب بـابل. وأدت الحروب المحليـة التي نتجت عن هـذا التغير والتي نشبت بين الكـوتيين واوتو- هنجال، والحروب المنفصلة بين «اوتو - هنجال» و«اور - نامو» إلى توقف حركـة التجارة في الخليج بصفة مؤقتة مما نجم عنه قيام حالة من «الكساد» في مجان.

اور - نامو ونشاط التجارة مع مجان

وسرعـان ما قـام «اور - نـامو» (٢١١٢-٢٠٩٥ ق. م.) الـذي انتصر فـي هـذه الحروب بـاعـادة انعاش تجـارة النحاس المربحة مع عمان. وتسجل احدى نقوش الاهداء التي ترجع إلى بداية هـذه المرحلة من عصر أسرة «اور» الثالثة هذا الانجاز في العبارة التالية:

من أجـل نانا المـولود الأول لأنليل، سيـده، فإن اور - نامو الـرجل العظيم ملك اور وملك سومـر وملك الأكد، الرجل الذي أقام معبد نانـا قد أعاد الأوضاع إلى سابق عهدها. وقد شاهد على الشواطىء وفي مكان التسجيل تجار البحـر يعودون سالمين إلـى الوطن وقـد أعادوا قوارب مجان إليه (أي إلى نانا).

وبالمثل يتضمن دستور اور - نامو العبارة التالية:

باسم نانـا العظيم، ملك المدينة (مدينـة اور) فإنه يعيد زورق مجان الخاص بنانا إلى مكان التسجيل (؟).

وفي هـذا الوقـت كانـت التجارة تتـم عن طـريق ابحـار المشترين مـن الشمال إلى أم النار لعقد الصفقـات نيابة عن تجـار النحاس العمانيين، وفـي مقابل النحـاس كان تجار مجان يحصلـون على الصوف والملابـس والفضة والمشغـولات الجلديـة وزيت الطهـي إلى جـانب بعـض السلع الأخرى مثل البصل والحجارة الممتـازة.

وكان «لو - إنليلا» وكيل معبد نـانا فـي أثنـاء حكـم الملـك « إيبـي ـــ سيـن » آخر ملـوك اسـرة اور الثـالثـة (٢٠٢٦-٢٠٠٦ ق. م.) مـن بيـن أبـرز تجـار البحـر المغامرين هؤلاء فقد استلـم سلعاً تجارية (١,٧ طناً من الصوف تقريبـاً أي حوالي ٦٠ طالن و٣٠٠ كيلـو جراماً من النبـاتات الصـالحة للأكـل أو منتجاتهـا و٦٠٠ كيو جرامـاً من الأسمـاك الصغيرة المتوفـرة بالمستـودعات و٧٠ ثوبـاً و١٥١٥ لتراً مـن زيت السمسـم الممتاز مـن «لوجال ــ جاب» و١٨٠ جلدة حيوان مـن «اور - سلبا») من معبد نـانا ومن رجال الأعمال المحلييـن ليشتري بها النحاس من مجان. وتـم وضع لوحة منقوشة مـوثقة من قبـل رسـول اسمه «ليبـوربلـي» فـي حاويـة البضـائع وتحميل جميع البضـائع على متن السفينة المتجهـة إلى مجان. كمـا تم تسجيل النحـاس القادم من مجـان، ربما مقابـل السلع المذكـورة آنفا، علـى لوحة أخـرى منقوش عليها أن «لـو - إنليـلا» قد استلم ١٥٤ كيلـو جرامـا من النحاس (٥ طالن و٨ مينا) وكذلك بعض العاج والأحجار شبه النفيسة والمُغرة الحمراء.

كما سجل نفس النص أن «لو - إينليلا» قد قدم للمعبد ١٠ لترات من البصل و٢٠ لترا من العقاقير المختلفة.

إن العلاقـة الجيدة التـي كانـت تربـط «اور - نـامو» وعمان تؤكدها عدة نصوص تشيـر إلى تقديم المؤن إلى بنائي السفن في مجان وتوفيـر القار (البتيومين) اللازم لسد حزوز السفن التابعة لمجان.

وتضمنت السلع المـرسلة من اور إلى مجـان الشعير والمنســوجات. وهنـاك أدلة تشيـر إلـى أن التجارة بيـن شمال الخليـج وجنوبه كـانت تتبـع نمطاً موسميـاً حيث كانت السفـن تبحر إلى الجنوب في فصل الـربيع أي في حوالي شهر مارس أو أوائل شهر ابريـل تساعدها الرياح المواتية.

وبالـرغم من نجاح بعـض التجار مثل « لو ـــ إينليلا» فقد كـانت التجارة من الأعمـال الخطرة والغاليـة نسبيا. فبانقضـاء الوقـت الذي يستغرقه التاجر فـي الابحار عبر الخليج والعـودة في عكس اتجـاه الرياح السـائدة تكون جميع أشكال الاضطـرابات السياسية أو الصـراعات بين المدن المتنافسـة أو الكوارث الطبيعية قد وقعـت في اور وغيرها من المدن. كما أن مياه الخليج قد لا ترحم فتلطمه بأمـواجها العـاتية العـالية. وكـانت سـلاسل الصخـور البحريـة القريبـة من دلمـون غادرة عندما تقتـرب منها السفن ليلا أو في الظروف الجوية السيئة. أضف إلى كل ذلك أخطار أعمال السرقة التي تقوم بها في أعالي البحار السفن المنافسـة أو خطر الوقوع فريسـة للمرض نتيجة لسوء التغذية على متن القوارب والسفن.

بزوغ دلمون

لكن هذه الفترة مـن وجهة نظر مجان كانت علـى أية حال فترة ممتـازة نسبيا لأنها كـانت تتمتـع بحرية الـوصول



إس. كاي

خام النحاس من أصيل

المباشـر إلى أسـواق بيع سلعهـا. وكان يتـم نقل بعـض النحـاس على متـن السفـن عن طـريـق دلمون، غيـر أن معظمه كان يتم نقله إلى بلاد ما بين النهرين مباشرة مما يتيـح تفادي الـوسطـاء. ولسوء الحـظ، مـن وجهة نظـر مجان، فإن الاضطرابات التي نتجـت عن المعارك الرامية إلى عـزل «إيبي ــ سين» قد تـركت فراغـا اداريا مـؤقتاً سرعـان ما ملأته دلمـون. ووجد تجار النحـاس في اور خلال السنوات الأخيـرة أنه من الأفضل لهم اقـامة محطة تجاريـة هناك. وحـانت الآن فـرصتهم للتعـاون مع أهـل دلمون من أجل السيطرة على التجارة حتى يمر كل شيء عبـر أيديهم فـي البحريـن. وعلى الـرغـم من استمـرار استخراج النحـاس في عمان فقد كـان يتم جره بـالجمال والحمير عبر الجبـال والصحراء إلى الساحـل ونقله على متن السفن المحلية إلى الأماكن المختلفة مثل البحرين.

ومنذ الآن تـوقف تجـار اور عن تسجيـل مشتريـات النحاس من مجـان وبدلا من ذلك أصبحـوا يشيرون إلى الشراء من دلمون التي بدأت تبـزغ كقوة تجارية رئيسية فـي الخليج. وعلـى مـر السنين التـاليـة وطدت دلمـون مكانتها وحققـت ثروة كبيرة من خلال سيطرتهـا الفعالة على حركة التجارة بين شمال الخليج وجنوبه.

أمة بحرية

بالرغـم من الصعوبات التي واجهتهـا التجارة المباشـرة بين مجـان وبلاد ما بيـن النهرين فقـد كانت مجـان على علاقـة وثيقة مـع الدول الـواقعة فـي الشرق والجنـوب الشرقـي بما في ذلـك الدول المعـروفة الآن باسـم ايران وباكستان والهند.

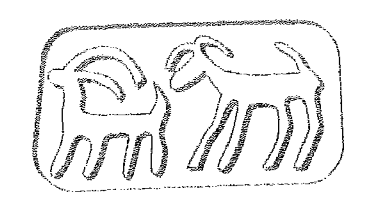
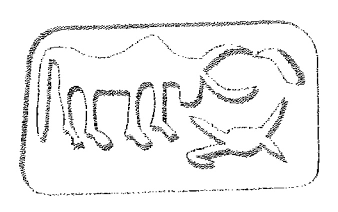
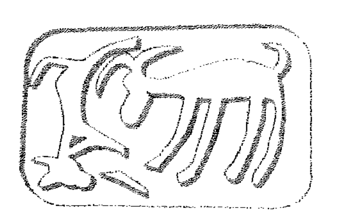
وغالبـا ما تحتوي المقابـر التي اقيمت في تلـك الفترة في عمـان على سلع مستـوردة من هذه البـلاد. وبصورة خاصة كانت العلب الصغيرة المستطيلة الشكل والتي يتم وضعها مع جثة الميت تشبه إلـى حد كبير العلب التي تم العثور عليها في بلوشستان.

وفي كتاب «عمـان ـ أمة بحرية» يعلق المـؤلف «وليام فـاسي» علـى التـزايـد الكبير فـي النشـاطـات الثقافيـة المتداخلة ونفوذها في عمان بقوله:

وهكـذا يعيـش بحارة وتجـار مجـان فـي جو ثقـافـي وتكنـولوجـي مـن الدرجـة الأولـى. وأصبحت بعـض العبارات مثـل سفن الابحار لمسافـات طويلة والكتـابة والأعمال المصرفية والمساهميـن ترد جميعاً في عملية تغيير العالم، وهي من المعالم التي تميز فترة طور فيها الانسان حضارة مدنية لأول مرة.

نهاية الألف الثالث ق. م.

بينـما نرى أن بدايـة الألف الثـالث ق. م. قد حلت وعمان أو مجان كما كانت تعرف فـي ذلك الحين وهي في وضـع غير متنـاسق وفيهـا تنظيمات اجتمـاعية محـدودة، فإن الأمور تغيـرت بشكل مذهـل في نهـاية هذه الألـف. فقـد كانـت البلاد في حالــة استقـرار واطمئنـان رائعتـين. وكـان شعبهـا يتكون مـن أفـراد طـوال القامـة نسبيـا يعيشـون فـي قرى تضـم بيـوتـاً مشيّدة مـن الحجـارة والبارستـي تنتشر علـى إمتداد مـوارد المياه السـاحلية.

وكـانـت تتم زراعـة الـذره الـرفيعة والقمـح والشعيـر وأشجار النخيـل، وكانت الجمـال المستأنسـة وماشيـة أبقار الـدربانـي والأغنام والمـاعز تضفـي يسراً علـى حياتهـم. وكان يتم صيـد الطرائد المختلفة مثـل الغزلان وأبقـار الماريـة (المهـا العربيـة) والطيـور، بينما كـان الصيادون يعملون في المناطق المائية البرية ويستغلون الأعداد الكبيرة من السلاحف التـي كانت (ولا تزال) تأتي إلى شواطيء عمان لتضع بيضها. كما كان يتم استخراج النحاس وتصـديره فـي مقابل الحصـول على مجمـوعة متنوعة من السلع القيمة. وتضمنت المباني العامة أماكن مغلقة ضخمـة ذات جدران من الحجارة وأبـراج محصنة للمراقبة مثـل آثار أبراج بات التي تعتبر خيـر نموذج لها. ولا تزال جدران هذه الأبراج منتصبـة بارزة فوق مستوى الأرض وتوحي أبعادها الكلية بأنهـا كانت تستطيع توفير الحماية لأعداد كبيرة من الناس والحيوانات.

الأختام التي ترجع إلى عصر أم النار

تم حتى الآن اكتشـاف ثلاثة أختام فقط في شبـه جزيرة عمـان ترجـع إلى عصـر أم النـار. وقد تـم العثور علـى الأختام الثـلاثة فـي موقـع ميسر بـوادي سمد. والختـم الأول عبارة عن قطعة بيضاوية من الرصاص مثقوبة في منتصفها ومنقـوش على وجهها شكـل عصاة. أمـا الختم الثاني فعبارة عن ختم مـوشوري مثلث الشكل ذي ثلاثة أوجـه، مصنوع مـن الحجارة الـرماديـة اللون ويحمـل بعض النقـوش. فكان الـوجه الأول يحمـل رسما يعـوزه الاتقـان لكلب ولمـا يبدو حيـواناً أشبـه بخروف، بينمـا يحمل الوجه الثاني رسماً لبقـرة دربانى وعقرب، في حين يحمل الـوجه الثالـث رسما لـوعل (تيس) الجبـل ولحمل بري آخـر. وكانت هـذه الأختام الموشـورية شائعـة في بعض أجزاء «العالم النامـي» آنذاك رغم عدم وجود نماذج شبيهة لهـا في عمان. وكـانت معـروفة ابتداء مـن أواخر الألف الثالث ق. م. فـي كريت وسوريا ومصر وكـذلك في آسيا الوسطى.

وقد تـم العثور علـى ختم مـوشوري آخـر في مـوقع مقابـر حجار في البحـرين، ويبدو أنـه يرجع إلـى عصر ثقافة وادى الاندس.

أما الختم الثالث فهو على هيئة كمثرى ويبدو أن وجهه يحمـل رسم عصـاة لشخص يمـد يده وهـو ما يمكـن أن يكون، في الواقع، رمزاً لأحـد الحروف الإندسية. ويوحي عدد الأختام المحـدود الذي تم العثور عليـه، وعدم وجود أي أدلة مختومـة بأن هذه الأختام بـأنها كانت عبـارة عن قطع زخرفيـة أو رموز للمكانة الاجتمـاعية وليست أدوات تجارية بالمعنى المعروف.

أواني المدافن في أم النار

تطـورت فنون صنـاعة الفخـار، وتـم انتاج أوانٍ جميلـة، بعضها مزخرف، باستخـدام دولاب الخزاف. كما تم نحت بعض الأواني الأخرى من الحجارة الطرية والمرمر. وكان يتم زخـرفة الأوانـي النموذجية المصنـوعة مـن الحجارة الطرية (الكلوريت) بأشكـال هندسية مختلفة مثل الدوائر التي تحمل بعـض النقاط. وقد تم اكتشاف عـدد كبير من هذه الأواني في مـواقع المقابر في أم النار فـي عمان. كما تـم العثور عليها في مـوقـع المستوطنـة المحفورة فـي ميسر حيـث تم تأكيـد أنه كان يتـم انتاجها هنـاك أيضا، كأوانـي للمدافن على أكثـر الاحتمالات. كما تـم اكتشـاف الأواني المصنـوعة في عمـان من الكلـوريت في المقـابر التـي ترجـع إلى هـذا العصر والمـوجودة فـي البحريـن وتروت وفيلكه في الكويت.

وبنهـاية الألـف الثالـث ق. م. كان النـاس في عمـان يغزلون ملابسهم ويصنعون المجـوهرات ويتزينون بها ويركبون الحمير، واستطاعوا أيضـا توسيـع قدراتهم على السفر براً عن طريق استئناس الجمال.

النحـاس



جهة اليمين: نسخة نحاسية من منجم نحاس قديم في أصيل تشكل شعار شركة التعدين العمانية.

أقصى جهة اليمين: آثار منجـم نحـاس قديـم فـي أصيل (حـوالي عـام ٣٠٠٠ ق. م).

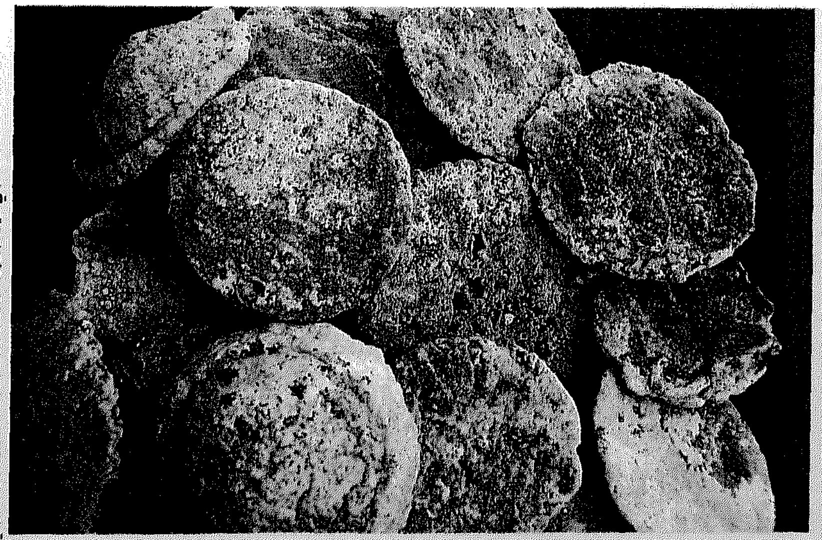
تتـوفر أدلـة كثيرة تشير إلـى أنـه كـان يتم استخـراج النحاس قديما في عمان. كمـا أن أعمال التعدين الحاليـة هي دليل آخـر على توفر الثـروات المعدنيـة في البـلاد، فبعـد مضـي ٥٠٠٠ سنـة تقريبـاً علـى بـدء أعـمـال التعديـن واستخـراج المعـادن في المنطقـة المعروفـة فـي ذلك الحيـن بـاسـم مجان، بـدأت شـركـة التعديـن العمانيـة فـي استخراج النحاس علـى نطاق تجـاري في نفـس المنطقـة التي كانت توجـد بها المناجم الأثرية في وادي الجزي. وبحلول عـام ١٩٨٦ كانت الشركـة تصدر ٩٥٠٠ طن مـن كاثود النحاس الممتـاز إلى الزبـائن من الـدول الجديـدة وإلى بعض الشركـاء التجاريين القدماء من دول الخليج. ومـع ذلك، وباستثناء المراجـع الخاصة بالنحـاس المستخرج مـن مجان والنصـوص المنقوشـة على اللوحات الأثريـة فإنـه يجب أن نعـود إلى القـرن العاشر بعد الميلاد لنعثر على أي تعليق مكتوب مؤكد عن النواحي التاريخية لاستخراج النحاس في عمان.

وقد تمت الاشارة إلى هذه الصناعة لأول مرة من قبل الكاتب العماني ابن جعفـر الـذي كتب في جامي عن عدة نصوص تتعلق بأعمال التعديـن. وقد تم وضـع نسخـة من هـذه النصوص ترجـع إلى القـرن الثاني عشـر بعد الميلاد ضمن مجلـد «كتاب المصنف» لعبد اللـه الكندي، تحكـي عن منجـم يملكه سكـان إزكي وتـذكر أن منجـم النحاس في وادي الجزي والذي يملكـه سكان صحاركان يتم تـأجيره مقابل ١٠٪ مـن أرباح المنجـم. كما كتـب المؤلـف العربي «المسعـودي» (في حوالـي ٩٤٣م.) عن النحاس القادم من عمان. وكان «كـريستين نيبوهر» آخر من بقـي على قيـد الحياة مـن بعثة فيلكس الدانمـاركية العـربية هـو أول كاتـب علمي غـربي يـزور عمان، وتـم اعـلامه بنشـاط استخـراج النحـاس فـي ذلك الـوقـت (١٧٦٥) في الخوبـار التي لا تبعد كثيرا عن قريات. كما سجل المؤرخ العماني حميد بن محمـد بن رزيـق والذي تـوفي فـي عام ١٨٧٣ فـي كتابه «الصحافة القحطانية» أنه قد تم بـالفعل بذل بعض المحاولات لانعاش صنـاعة النحاس فـي عمان فـي تلك الفتـرة. كما كتب الضابـط والمـؤلف البـريطانـي «جـاي. آر. ويلستيد» فـي كتابـه «رحـلات في الجـزيرة العـربيـة» والذي نشـر في عـام ١٨٣٨ يقول:

«كانـت الجزيرة العـربية خـالية من المعـادن النفيسة بصورة قاطعة، لكننا في هـذه المقاطعة صادفنا الفضة التي ترتبط في المعتاد بالـرصاص. كما تم العثور على النحاس، ففي قـرية صغيرة على الطريق مـن سمد إلى نزوى كـان يوجـد منجم يعمـل به العـرب في الـوقت الحالي لكن المناجم الأخرى كانت مهملة بالكامل.

وبالاضافة إلى ذلك فإن التقـارير المكتوبة في القرن التاسع عشـر عن استخراج النحاس في عمـان قد ضمت تلك التي كتبها «اتش. جاي. كارتر» الذي عثر على مناجم

مخزون من كتل النحاس المستخرج من العجير بالقرب من بهلا.

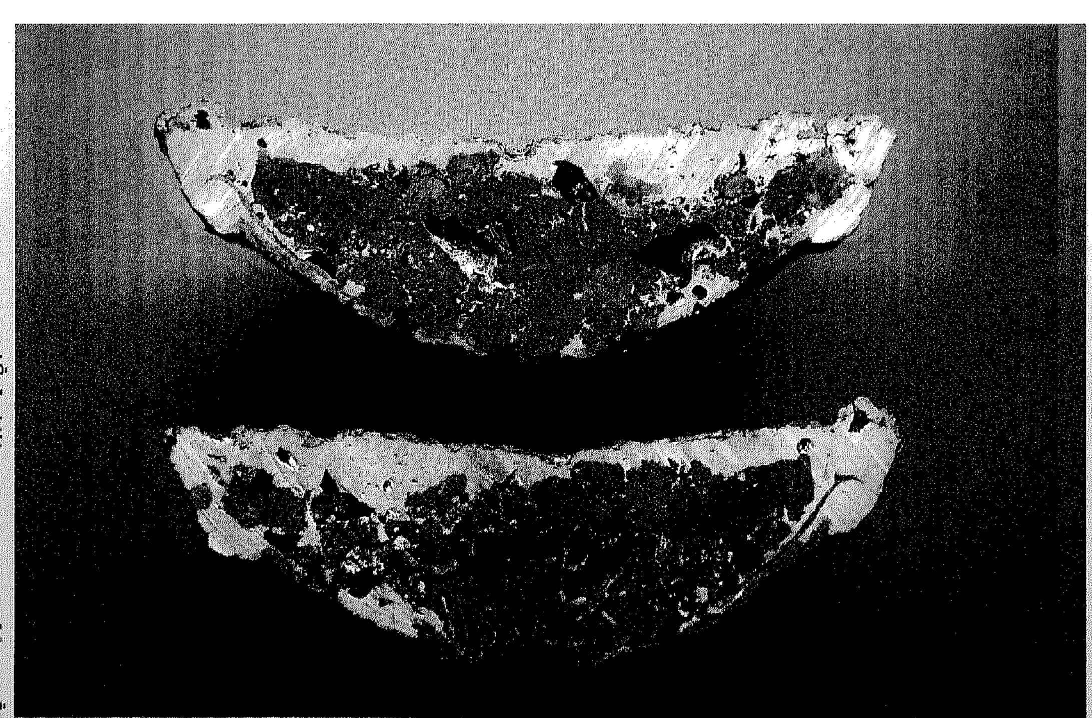


جي. فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



إس. كاي

للتعدين السطحي ومواقع للصهر السطحي ومواقع للصهر في جزيرة مصيرة، وتقارير «بلجراف» الذي يقال بأن الملاحظات المنسوبة إليه والتي تدعي بأنه كان يتم تصدير النحاس من مطرح في عام ١٨٦٣ هي ملاحظات مضللة وربما يجب عدم الاعتماد عليها، وتقارير «أيه. جيرماين» وهو مهندس للهيدروغرافيا فرنسي الأصل كتب في عام ١٨٦٨ أنه كانت توجد مناجم قديمة للنحاس في المناطق الداخلية من عمان وأن النحاس كان سلعة شائعة في وسط عمان، وتقارير الكولونيل «إس. بي. ميلز» الذي زار نزوى في عام ١٨٨٥ وعلق قائلا إنه بالرغم من أن حرفة صناعة النحاس لا تزال نشطة فإن المواد الخام كان يتم استيرادها في الواقع من بومباي. وبحلول أوائل القرن العشرين كان من الواضح أنه بالرغم من عدم استخراج النحاس في عمان فقد كان هناك نشاط كبير لاستخراج النحاس في الماضي. وقد حدى الاهتمام بالتقارير المختلفة عن مناجم النحاس القديمة في عمان إلى قيام الجمعية البريطانية للعلوم باجراء بحث خاص في عام ١٩٢٤ بهدف «اعداد تقرير عن المصادر المحتملة للنحاس الذي كان يستعمله السومريون». وفي نفس الوقت تم اجراء مسح جيولوجي لعمان برعاية «وليام نوكس دي أركاي» الذي أسس شركة النفط الانجليزية الايرانية. وقد أوقف مؤقتا أحد أعضاء فريق الجيولوجيين وهو المهندس الجيولوجي «جي. إس. ليز» أعمال البحث عن النفط التي كان يقوم بها ليتولى تحري مناجم النحاس القديمة وجمع بعض عينات



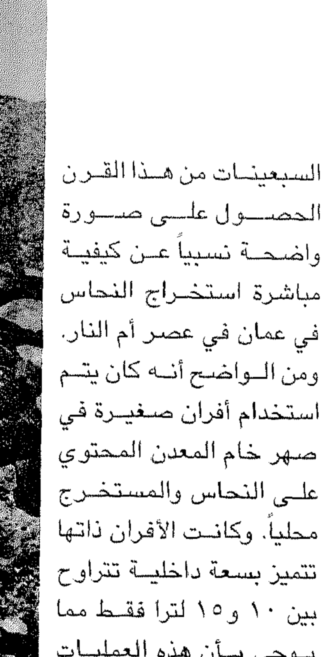
جي. فيسجرين، متحف الصناعات التعدينية الألماني

كتلة «خادعة» من مخزون العجير. يتألف اللب من بقايا متخلفة من المعدن مغطاة بطبقة من النحاس.

المعدن الخام والخبث من احدى المناطق الداخلية بالقرب من صحار.

وقد أثمرت الدراسات التي قام بها فريق الجمعية البريطانية وكذلك نتائج تحليل عينات المعادن عن اعلان أن «المكان الذي حصل منه السومريون على النحاس هو عمان» وذلك في المؤتمر الدولي السابع عشر للمستشرقين الذي انعقد في اكسفورد في ٢٩ أغسطس ١٩٢٨. وقد استند أساس الخلاصة على تحليل محتوى النيكل في المعدن الخام المستخرج في عمان وفي الآثار النحاسية المرتبطة ببلاد ما بين النهرين. ومع ذلك فقد تم منذ ذلك الحين ايضاح وجود مستويات مماثلة من النيكل مرتبطة بالنحاس في عدد من المواقع في أنحاء العالم. وكان أساس الاستنتاج خاطئاً لكن الاستنتاج نفسه لم يكن باطلاً بالضرورة.

وقد تم الآن اكتشاف وجود حوالي ٥٠ موقعاً للتراكم الطبيعي للنحاس في عمان. وبالاضافة إلى ذلك تم توثيق ما يزيد عن ١٥٠ موقعاً للصهر تتراوح في الحجم بين أكوام صغيرة ربما تحتوي على طن واحد من الخبث وأكوام ضخمة يقدر محتواها من الخبث بحوالي ١٥٠٠٠٠ طن. وقد كشفت الدراسات التي اجريت على العديد من مواقع الصهر والتعدين هذه أن بعضها كان يتم العمل فيه في الألف الثالث ق. م. وقد غل الموقع المعروف باسم ميسر والواقع في وادي سمد عدداً كبيراً من حجارة السندان والسحق. وقد أتاحت لنا النتائج المستخلصة من هذه الدراسات وكذلك الاستقصاءات التي اجريت لمواقع المناجم الأثرية والتي قام بها فريق فرنسي في منتصف السبعينات من هذا القرن الحصول على صورة واضحة نسبياً عن كيفية مباشرة استخراج النحاس في عمان في عصر أم النار. ومن الواضح أنه كان يتم استخدام أفران صغيرة في صهر خام المعدن المحتوي على النحاس والمستخرج محلياً. وكانت الأفران ذاتها تتميز بسعة داخلية تتراوح بين ١٠ و ١٥ لترا فقط مما يوحي بأن هذه العمليات كانت متواضعة.



أعلاه: فرن تم تجديده لصهر النحاس في جنوب وادي الجزي.

وليس هناك شك في أن السكان المحليين كانوا يستخدمون المنتجات النهائية لهذه الصناعة في شكل أوتاد وأزاميل وسكاكين وخطافات لصيد السمك وأبر مصنوعة من النحاس. فقد تم في المسرة على سبيل المثال اكتشاف فرن للصهر مع بعض خرزات النحاس والأزاميل والحلقات والأبر والفؤوس في مواقع الحفر في مستوطنة أم النار. كما تم اكتشاف وجود بعض الكتل النحاسية التي في شكل كعكة في أحد المنازل في ميسر. كما تشير التقديرات إلى أنه قد تم انتاج ما بين ألفين وأربعة آلاف طن من النحاس في عمان في عصر أم النار.

وبعد تأكيد عملية انتاج النحاس في عمان خلال الألف الثالث ق. م. وتصنيع الأدوات النحاسية في البلاد

أدناه: بقايا متخلفة من معدن النحاس بعد صهره.

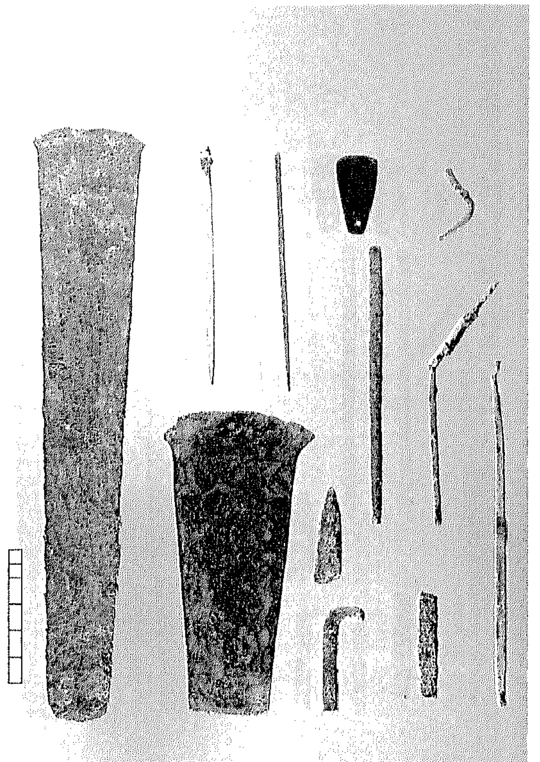
أدناه جهة اليمين: مقبرة ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق اكتشفها بعض الأطفال في الواسط. كانت تستخدم كمقبرة للفقراء.



إس. كاي



جي. فيسجربر. متحف الصناعات التعدينية الألماني



مجموعة من اكتشافات النحاس في المسرة من عصر أم النار.

في ذلك الحين يصبح السؤال الأخير هو ما هي الأدلة المتوفرة لدينا والتي تشير إلى أن هذه المنتجات كانت تجد طريقها إلى بلاد ما بين النهرين ؟. إن هذه الأدلة، كما سبق أن أشرنا، موجودة أساساً في شكل نصوص مترجمة من اللوحات المسمارية التي تم العثور عليها ضمن آثار المنازل الأكدية القديمة والسومرية الجديدة. ولم يأت ذكر مجان في هذه اللوحات حتى عصر سرجون.

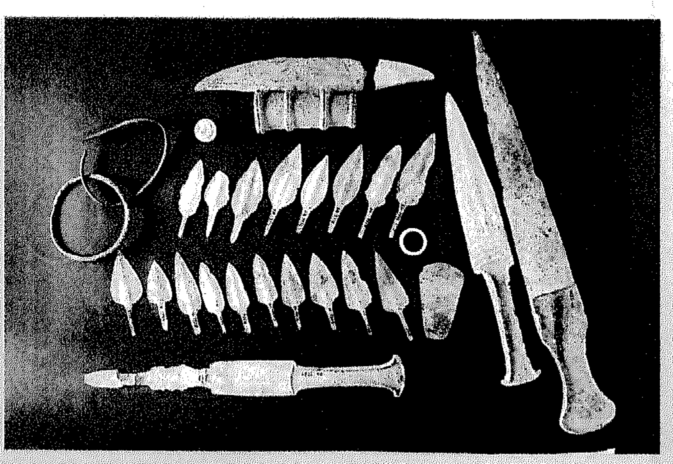
وفي «النقوش القياسية» لمانيستوسو نسمع كيف أن مانيستوسو أبحرجنوباً بعد أن جمع جيشاً ينتسب مقاتلوه إلى ٣٢ مدينة. وتنص النقوش على أنهم قد قبضوا على قوات الأعداء في أماكن متفرقة بعيدة بعد مناجم المعادن وأنهم استخرجوا حجراً أسود أخذوه معهم إلى أكد لاستخدامه في نحت تمثال له. وقد تم بعد ذلك اهداء التمثال للآله إنليل. إن ارتباط الحجارة السوداء، التي كانت موضع تقدير السومريين والأكديين، بمجان مذكور أيضاً في رواية هجوم «نرام - سين» على مجان.

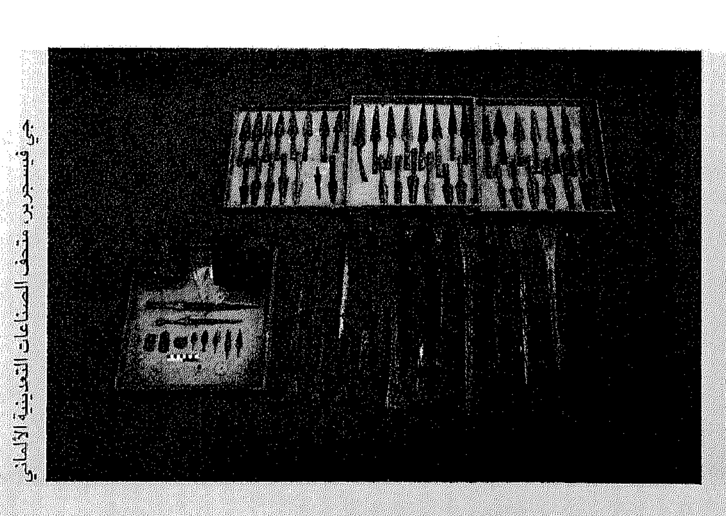
وقد ذكر العديد من المؤلفين أن الحجارة المشار إليها هي حجارة الديوريت، غير أن التحاليل التي اجريت على تمثالين من عصر مانيستوسو محفوظين في متحف اللوفر في باريس قد كشفت أنهما مصنوعان من حجارة الجابرو الأولڤيني وهو نوع من الحجارة شائع في عمان بصورة كبيرة.

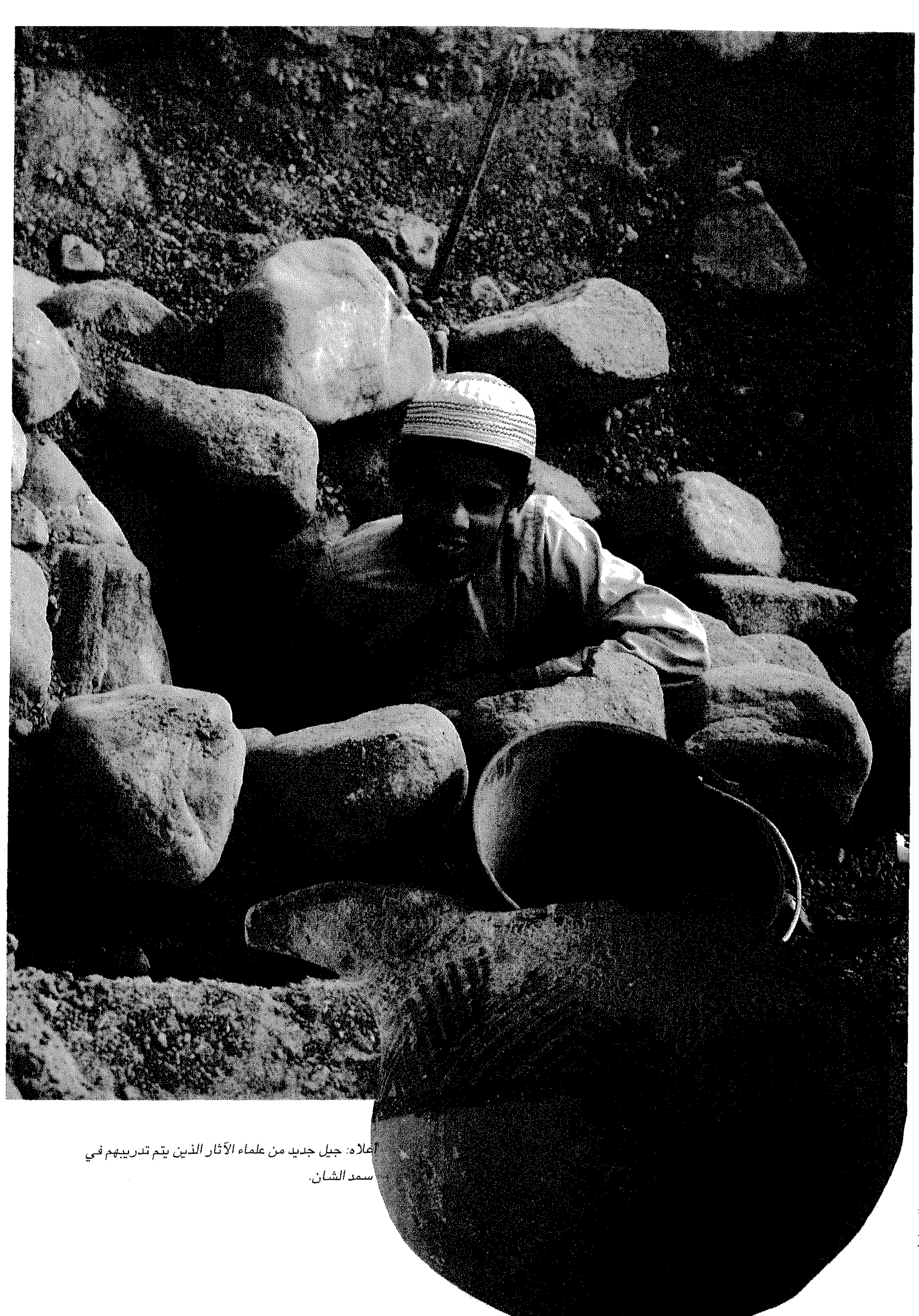
كما تم في لوحتين مسماريتين من نفس العصر تسجيل أنه كان يتم جلب النحاس إلى القصر من مجان، وأنه تم نقل النحاس القادم من مجان من أحد المنازل. ومن الواضح أيضاً أنه كان يتم استيراد النحاس في أشكال مختلفة وليس في هيئة كتل خام فحسب. فقد نصت احدى اللوحات المسمارية من عدب أن أحد تماثيل «زا ـ هوم» المصنوعة من البرونز قد أتت من مجان. كما يطلعنا أحد النصوص على أن بحارة مجان قد أبحروا حتى بلاد ما بين النهرين وذلك من خلال الاشارة إلى رسو سفنهم عند رصيف أكد ومن خلال أحد النصوص التي تسجل تقديم الجعة كهدية إلى رسول من مجان في خلال عصرالأكديين القديم.

أدناه جهة اليسار: بعض السيوف والخناجر ورؤس الرماح النحاسية العديدة التي تم العثور عليها في مقبرة الواسط.

أدناه: مقبرة أحد المقاتلين التي ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق والتي تم اكتشافها في عام ١٩٨٥. تضم المقبرة مجموعة كبيرة من الأسلحة.







بول يول، بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

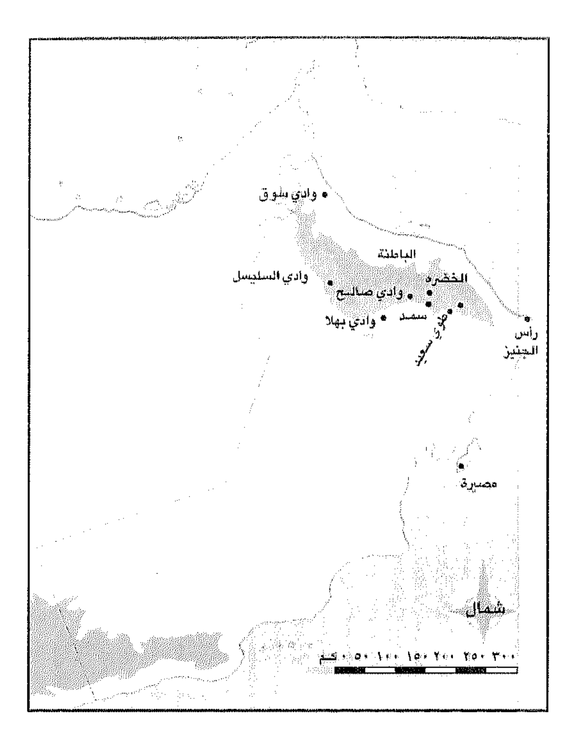
جي فيسجربر، متحف الصناعات

أعلاه: جيل جديد من علماء الآثار الذين يتم تدريبهم في
سمد الشان.

عصر وادي سوق
من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ق. م.

اختفاء التراث الثقافي لأم النار

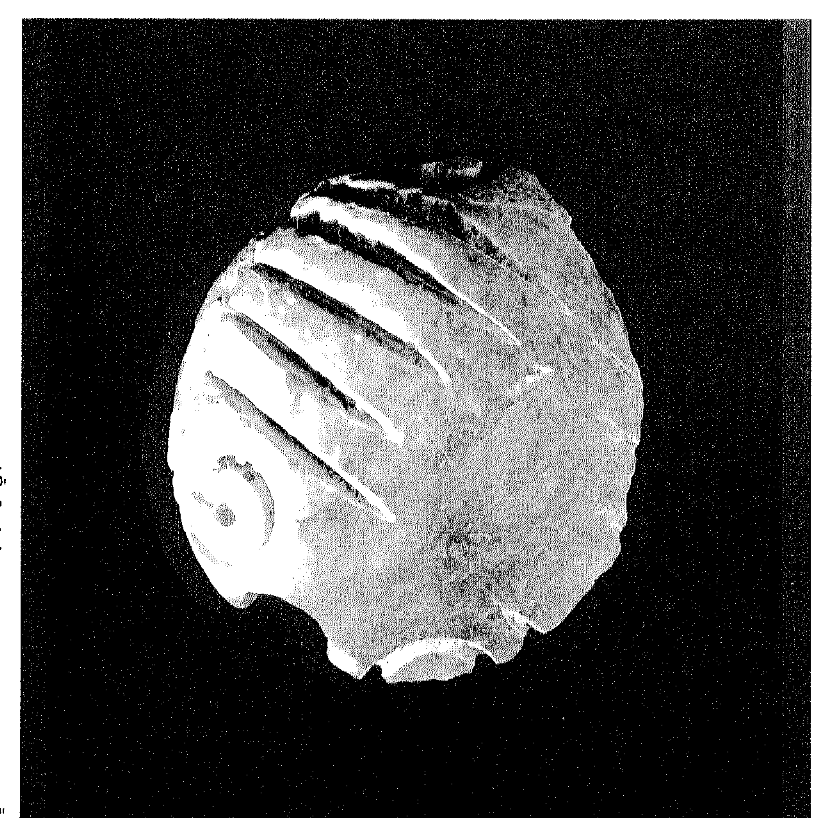
لم تكن سجلات الآثار القديمة المتعلقة بهذه الفترة متوفرة بكثرة كما أوحت بذلك العديد من الروايات القديمة عن تاريخ عمان القديم. وكان من المعتقد أنه قد حدثت ثغرة كبيرة في التسلسل الآثاري في أعقاب أوائل الألف الثاني ق. م. مباشرة في إشارة إلى اختفاء التراث الثقافي لأم النار بصورة يصعب تفسيرها. وقد أوضحت دراسات الآثار التي تمت مؤخراً حدوث التغير فعلاً، لكنها أكدت انه كان تغيراً تدريجياً على عكس الاعتقادات السائدة في السابق. وفي الواقع يمكن نسب بعض الآثار التي تم اكتشافها في وادي سوق إلى فترة منتصف الألف الثاني ق. م. وربما ما بعدها وبذلك يمكن سد الثغرة الواقعة بين الفترة من ١٨٠٠ ق. م. وبداية عصر الحديد في عمان. ويعلق «بوتس» على ذلك بقوله «وهكذا بات من الواضح أنه لا توجد ثغرة في التاريخ الاستيطاني لشبه جزيرة عمان أثناء الألف الثاني ق. م. وأن ما كان يعرف في المنطقة باسم عصر الظلام لم يكن سوى نتيجة لجهلنا (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). ويشير العلماء الآن إلى الفترة من سنة ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م. بأنها الفترة التي تضم عصر وادى سوق والتي تنقسم إلى مرحلة مبكرة (من ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٦٠٠ ق. م.) ومرحلة متأخرة (من ١٦٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م.).



المواقع الرئيسية لفترة عصر وادي سوق (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

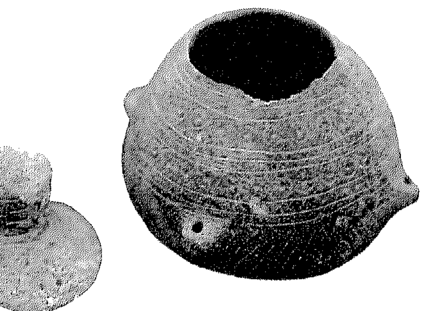
التجارة مع دلمون

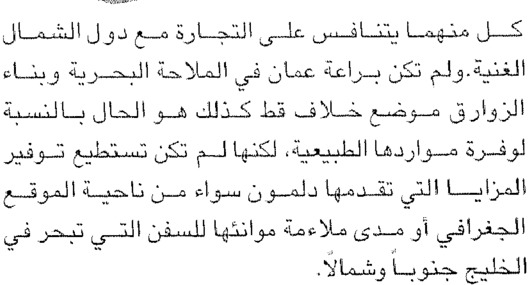
واكب بزوغ الألف الثاني ق. م. ازدهار دلمون كمحور لتجارة الخليج. وكان مكسب دلمون خسارة لمجان. فمع ازدهار الحضارة القديمة في البحرين خبت أم النار وتدهورت المستوطنات التي نمت خلال الألف سنة الأخيرة بين جبال عمان. وكان تجار وبائعو النحاس في عمان قد جمعوا ثرواتهم أساساً من خلال التجارة المباشرة مع مدن سومر. ومع تحول التجارة ليصبح مرورها الآن عن طريق البحرين قلت امكانية تحكمهم فيما يجنوه من المنافع والمكاسب. وحدثت عملية إعادة تنظيم أصبحت البحرين بموجبها أهم الشركاء التجاريين لعمان وتركزت التبادلات الثقافية بين هذين البلدين بدرجة أكبر مما كانت عليه بين عمان وسومر في السابق. وكانت تلك الأوضاع جديدة بالنسبة لعمان والبحرين لأنه لم يكن هناك في الماضي القريب اتصال مباشر يذكر بينهما، وكان كل منهما يتنافس على التجارة مع دول الشمال الغنية.ولم تكن براعة عمان في



خلفية ختم من الحجارة الطرية المصقولة تم العثور عليه في مقبرة سمد الشان.

جي نيسجرين، متحف الصناعات التعدينية الألماني





كل منهما يتنافس على التجارة مع دول الشمال الغنية.ولم تكن براعة عمان في الملاحة البحرية وبناء الزوارق موضع خلاف قط كذلك هو الحال بالنسبة لوفرة مواردها الطبيعية، لكنها لم تكن تستطيع توفير المزايا التي تقدمها دلمون سواء من ناحية الموقع الجغرافي أو مدى ملاءمة موانئها للسفن التي تبحر في الخليج جنوباً وشمالاً.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

الأواني الخاصة بالمدافن

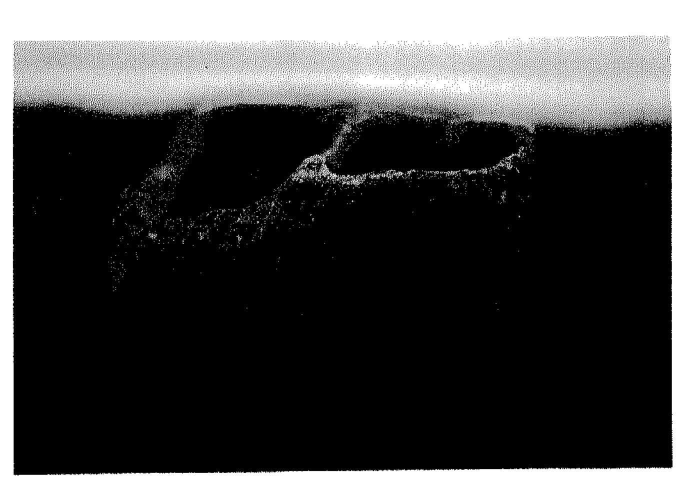
بالاضافة إلى الأدلة المكتوبة عن التغيرات التي وقعت، فقد أكدت الآثار التي تم العثور عليها في المقابر التي اقيمت في هذه الفترة والموجودة في وادي سوق ووادي السليسل على سبيل المثال أن الروابط الرئيسية لعمان كانت مع البحرين وليس مع بلاد ما بين النهرين. إن وادي سوق هو أحد روافد وادي الجزي الذي يمتد من واحة البريمي إلى الساحل بالقرب من صحار، بينما تقع المقابر الموجودة في وادي السليسل على مسافة أربعة كيلومترات تقريبا شمالي ابرا. وكانت مقابر وادي السليسل تضم مدافن (حفر)مبطنة بالحجارة ومقامة تحت سطح الأرض ومغطاة بأكوام من التراب ومحصورة بواسطة جدران دائرية تحيط بها. وكانت الأواني الفخارية والأواني المصنوعة من الاستيتيت والتي تم العثور عليها في هذه المقابر تماثل الأنواع التي تم العثور عليها في المقابر الموجودة في البحرين. وعلى عكس الأواني الفخارية الحمراء أو البرتقالية اللون والمزخرفة باللون الأسود والتي ترجع إلى أواخر الألف الثالث ق. م. كانت الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في هذه المقابر والتي ترمز إلى عصر وادي سوق أقل إحماءاً من تلك الأواني التي ترجع إلى عصر أم النار وكانت أقل جودة منهابصورة عامة. وكانت هذه الأواني بصورة عامة ذات لون أصفر بني أو أسمر ضارب إلى الصفرة أو ذات لون برتقالي إلى حد ما. ومع ذلك فقد شهد هذا العصر ادخال إحدى التحسينات على تقنية صناعة الفخار، اتخذت شكل عمل شريحة في قاعدة الاناء باستخدام حبل مشدود وهي طريقة لم يستخدمها صناع الأواني في عصر أم النار. وبالاضافة إلى ذلك ظهرت بعض الأشكال الجديدة مثل الأواني المفتوحة والدائرية والأواني الخفيضة إلى حد ما والمزودة بفتحة للصب تشبه أعناق الأباريق.

ولا تكشف الأواني المصنوعة من الاستيتيت والتي ترجع إلى أوائل عصر وادي سوق عن وجود أي اختلافات واضحة تميزها عن تلك التي ترجع إلى الألف الثالث ق. م. مثلها مثل الأواني الخزفية التي ترجع إلى عصر وادي سوق. ولا يزال نمط الدائرة المنقطة هو النمط المفضل في ذلك الوقت وكان يتم زخرفة الأواني عادة بزخارف بسيطة كهذه حول الحافة. أما الأواني التي تمت صناعتها في مرحلة لاحقة فكانت من نوع

مجموعة من بعض الأوعية المصنوعة من الحجارة والتي تم العثور عليها في المقابر المشتركة التي اكتشفها بعض الأطفال في الواسط.

أدناه: رؤوس رماح نموذجية من عصر وادي سوق مثل تلك التي لا تزال موجودة عند مدخل المقبرة.

أدناه جهة اليمين: وعاء من الاستيتيت محفوظ في المتحف الوطني العماني.





جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

إناء من الفضة باطار ضيق تم العثور عليها في مقبرة أمرأة ثرية في سمد الشان.

أوانـي التعليـق ذات الجسـم الدائري ومـزودة بـأربعـة عروات لـلامساك مثقـوبة رأسيا وعلـى أبعاد متسـاوية حول وسط الجسم ومزودة بغطاء (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). وأخذت التعديلات التي تـم ادخالها شكل الأناء المخروطـي ذي الغطاء المـزود بأربعـة مساكـات أنفية رأسية،، وشكل انـاء مسطح ذي فتحات الصب الجـانبية وكليهما مـن الأواني النمـوذجية التـي تمثل عصـر وادي سـوق، وقد تـم العثور على أعداد كبيرة منها فـي المقابر التي ترجع إلى فترة عصر وادي سوق.

وباستثـاء الأواني الفخاريـة والأواني المصنوعـة من الحجارة الطـرية فقـد تم العثور علـى بضعة نمـاذج من التحف البـرونزيـة في حفـريات الآثـار الخاصـة بفترة عصر وادي سـوق. وكانـت الأسلحة المفضلـة في هـذا العصر هي الرماح والسهـام ذات الرؤوس المصنوعة من النحاس أو البرونز والخناجـر ذات النصل المصنوع من البرونز والرماح ذات الرأس البرونزي المجوف.

الأدلة المدونة

تم تسجيل فتـرة أوائل الألف الثاني ق. م. علـى اللوحات التي تم اكتشـافها في بلاد مـا بين النهرين. وتـوجد أدلة وافرة على نقـل السلع المنتجة في مجان مـن دلمون إلى اور وعلى قيام تجـار اور بزيارات منتظمة إلـى البحرين خلال الفتـرة من عام ١٩٣٢ ق. م إلـى عام ١٨٦٦ ق. م. أي خـلال عصـور ملـوك لارسـا الثـلاثـة الأوائل وهـم «جنجونـوم» «عبيسار» و«سومو ـــ إيلوم». وكما ذكـرنا آنفا، لم يعـد تجار اور يقطعون كل الطريـق إلى أم النار أو إلى جبـال عمان لعقد الصفقـات بل أصبحـوا يكتفون بالقيام بـزيارات متكررة إلى موانيء السفـن في دلمون. كما أشارت النصوص المكتوبة فـي أثناء فترة حكم «ريم ـــ سيـن» (١٨٢٢ ق. م. إلى ١٧٦٣ ق. م.) إلـى كميـات النحاس الضخمـة التي لايزال يتـم استيرادها والتـي تم استيـراد معظمها عـن طريـق أحد التجـار واسمه «إيـا ـ ناصير» ويعمـل كوكيل للسلطات المحليـة والمستثمرين الأهليين. غير أن ازدهار تجارة النحـاس كانت تقترب من نهايتهـا. ففي عـام ٢٠٠٣ ق. ب. وفي أبـان نهايـة فترة حكـم «ريـم ـــ سيـن» فـي اور سقطـت اور فـي أيـدي العيلاميين القـادمين من مرتفعات فارس وعـانى التراث الثقافي لسومر بأكمله من التدهور السريع حتى أن اللغة نفسها تعرضت للضياع.

غزوات من الشمال

أدى الضعف النـاتج عـن هذه الاضطـرابات إلـى انفتاح أبواب القـلاقل الخطيرة فـي أنحاء منطقة الخليـج. وكان العامل الرئيسي لذلك هـو حملات الغزو الطويلة القادمة من الشمال والغـرب والتي كانت تضم أعـداداً كبيرة من الهنود الأوروبين الذين كان العـديد منهم يمتطي الخيول وكانـوا مسلحين بفؤوس القتال. لقـد كانت مستـوطنات الخليج، والتـي عاشت فـي سلام نسبي وازدهـار لفترة طويلـة، غير مستعـدة ببساطة لمثـل هذا الغـزو. وأخيرا وصل الغـزاة إلى عمان حيث كـان لعدوانهم تأثيـر كبير ساهم في تدهور دلمون ومدن الجنوب الواقعة عند رأس الخليج مثـل اور والتي ازدهرت جميعـاً نتيجة لنشـاطها في استخراج النحاس في عمـان ونشاط التجارة المرتبط بها.

أواخر عصر وادي سوق

لم تمـر فترة طـويلة حتى سقـط اسم مجـان تمامـاً من سجلات بـلاد ما بين النهريـن. وبمعزل عن الصعـوبات الاجتماعيـة والاقتصاديـة التي أثقلت كـاهل عمـان، فقد لعبت العوامـل الطبيعة دورها في احداث التـدهور العام. فقـد تسببـت فترات القحـط الطـويلـة في فشـل زراعـة المحاصيل وفناء الحيوانات والطيـور البرية وفي معاناة الناس. كما تسببت العواصف الرملية الشديدة في تدمير



عاصفة رملية في شهر نوفمبر تذكرنا بقسوة الظروف الجوية في أواخر عصر وادي سوق.

جميـع نواحـي الحياة اليـومية وسـد المنازل بـالرمـال الضـارة وأقـامة كثبـان الـرمـال. واستمر أهـل مجـان يعتمـدون بـدرجـة كبيـرة على مهـاراتهـم فـي الصيـد والابحار. وبـالرغم من تـدهور روابط التجارة كثيـرا فقد واصلوا المحـافظة علـى علاقـاتهم بجيـرانهم فـي أنحاء الخليـج والمحيط الهنـدي.غير أن اهتمـامهـم الرئيسـي بـالتجارة انحصـر في الضـروريـات اللازمـة لمزاولـة النشاطات التجارية مثل السلع الزراعية. ويقال أن العديد من البحارة العمانيين قد هـاجروا إلى الشمال عبر البحر الأحمر إلى بلاد المشرق حيث عـرفت سلالاتهم فيما بعد بالفينيقيين.

المستوطنات

تم التنقيـب في موقـع مستوطنـة ترجع إلـى عصر وادي سـوق فـي رأس الجنيـز الواقعـة جنـوب رأس الحـد مباشـرة وهو مـن المواقع المعـروفة اليـوم للعديـد مـن زوار عمان كمـوقع هـام يضم شاطـىء عش السـلاحف الخضـراء. وتضمنـت الآثـار المكتشفـة والتـي تبـعد بضعـة أمتار عـن رأس الشـاطـىء بنـاءاً مـن الطـوب الطينـي يـزيـد طـوله عـن ٣٠ متـراً، وكـان يستخـدم كمستـودع لبلاطـات القار.ويـوحي العثـور على كسـرة أثريـة لآنية فخاريـة منقوشة بنقوش حـربانية بـأن هذا الموقـع كان أحد المواقـع الرئيسية لنزول تجـار حربـا عند وصولهـم إلى عمان في خلال أوائل الألـف الثاني ق. م. كمـا تم اكتشـاف مجمع بنـايـات مقامـة من الطـوب الطيني في طوي سعيـد بالقرب من إبرا يرجـع إلى نفس الفترة. ولم يزدهر النشاط التجـاري جدياً مرة أخرى في المحيط الهنـدي وعمان حتى حلـول النصف الثانـي من الألـف الأول ق. م. عنـدمـا هيـأ ملـوك الأمبـراطـوريـة الأخمينيـة الفرص الظـروف للنمـو الاقتصـادي وقدمـت الامبراطورية اليـونانية والامبراطورية الرومـانية شركاء تجاريين أثرياء للغاية.

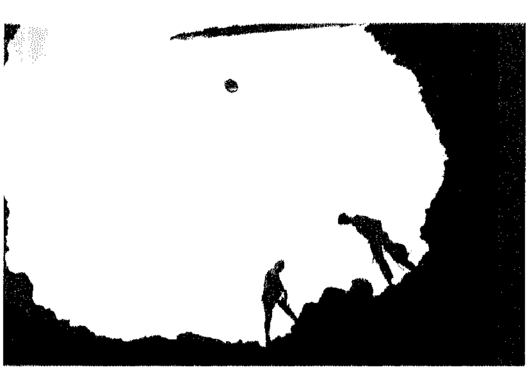
أقامت السلاحف أعشاشاً لها على شواطىء عمان منذ آلاف السنين. وعندما تصبح الظروف أكثر صعوبة في المناطق الداخلية كان الناس يعتمدون على البحر في الحصول على امدادات كافية من الطعام.



عصـــر الحديـد أو عصـر لــزق من عام ١٣٠٠ إلى عام ٣٠٠ ق. م.

البرونز: المعدن المفضل

بالرغم مـن وصف هذه الحقبة بأنها عصـر الحديد، فقـد ظل البرونز طوال هذا العصر في عمان المعدن المفضـل. كـذلك فـإن الحديـد «لم يثبـت عمليـا تواجـده في هـذه المنطـقة قبل عصر سليوسيد» (بوتس، ١٩٩٠). والاسم البديل لعصر الحديد وهـو «لزق» مشتق من اسم موقـع حصيـن فـي جنـوب وادى سمـد. لكـن هنـاك بعـض الصعوبات الملازمة المرتبطة باستخدام هذا الاسم.



رانولف فينس

الحفريات في شصر والتي يعتقد البعض بأنه الموقع القديم لمدنية اوبار.

سي فيتجيرالد، بإذن من وزارة الاعلام

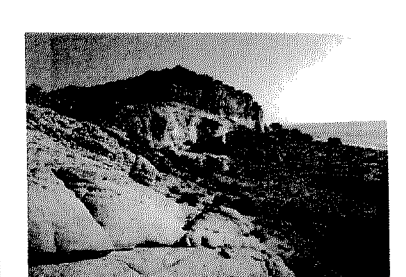
اوبار: جزيرة «أطلنتس» الرمال

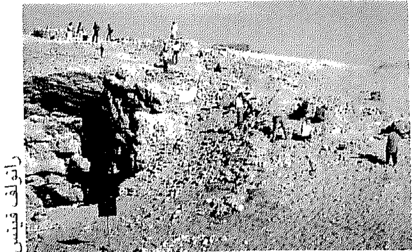
فـي أعقاب فتـرة طـويلة مـن الانعـزال النسبي والكسـاد أصبحـت عمـان تشهـد الآن فترة مـن النمـو السـريـع، وسجلت المصادر التوراتية كيف أن قوافل الجمال كانـت في العصـور المبكرة في عام ٢٠٠٠ ق. م. تحمـل السلع مـن أحد طرفـي الجزيرة العربية إلى طـرفها الآخر أي من المصادر الجنوبية للبخور واللبـان والمر والسلع الأخرى المتوفرة في عمان إلى بـلاد الحضارة المزدهرة في مصر القديمـة. وكانـت هـذه الرحـلات تحتـاج إلـى تنظميات هامة للانسـان والحيـوان وتعتمـد على امـدادات كافيـة من المـاء العذب. وكانـت قوافـل الجمـال تقطـع الرحلـة على مراحـل، تبدأ من أحد المـراكز الهامة للتـزود بالمـاء والمؤن إلى المركز الذي يليـه وهكـذا.

وتعتبر مدينـة اوبـار المحصنة والتي جاء ذكـرها في القـرآن الكريم باسـم مـدينة إرم المـدينة ذات الأبـراج العديـدة التي لـم يشيّد مثلهـا في أنحـاء المعمورة. وقـد روى «سير رانـولف فينس» في كتـابه الذي يحمـل نفس الاسم والـذي تم نشره فـي عام ١٩٩٢ قصة البحـث عن «جزيـرة «أطلنتس الرمال» هـذه. وفي هذا الكتـاب ساوى المؤلف مـدينة اوبار بمدينـة شصر الحالية الـواقعة على مشارف الـربع الخالـي حيث كشفـت الحفريات عـن آثار هامة لمستوطنـة مسورة ومحصنة بالاضافة إلـى العديد من المستـوطنات المحيطة بهـا. كما أوضحـت الـدراسات التي قاموا بها كيف أن انهيـار الكهف المقـام تحت سطح الأرض قد تسبب فـي دمار المدينة حيـث سقطت معظمها في فجـوة هائلة. ولا تزال الـدراسات التـي يتم اجـراؤها على هذا الموقع في مراحلهـا الأولية نسبيا وهي تتواصل تحت اشراف لجنة وطنية يرأسهـا وزير الاعلام بمساعدة من الـدكتور خـوريس زارينس وغيـره من علمـاء الآثار. ويتضح من خلال مـوقعها أنها كانت مركـزاً رئيسياً على طريق مسار قـوافل الجمال حيث كانت القـوافل المتجهة إلى الشمـال تتوقف فيها للتـزود بامدادات المـاء العذب قبل أن تواصل رحلتها عبر الرمـال إلى ليوا أو إلـى تقاطع المسارات الأخـرى عبر اليمن وشمـالاً عبر مـأرب ومكة المكرمة على طول تهامة على البحر الأحمر.

كان البخور واللبان هو السبب الأهم في تواجد المراكز التجارية العمانية مثل ذلك الموجود في خور روري.

إن وجود الأواني الفخـارية اليونانية والرومـانية فـي مدينة شصر وهي الموقع الحـالي لمدينة اوبار هو دليـل علـى مـدى أهميتهـا الكبيرة كهمـزة وصـل علـى طـرق التجـارة الداخليـة الهامة. وبالأخذ فـي الاعتبار موقعهـا الاستراتيجـي والحاجـة إلى ضـرورة حمايـة آبار الماء العـذب المـوجودة بهـا فليس من المـدهش أن تقـام فيها تحصينات قويـة في شكل حيز مسيج خمـاسي الزوايـا والاضلاع تبلـغ مساحته التقـريبية ٥٤ متـراً ×٥٧ متراً، مـزود بأبـراج دائرية ومـربعة ليستعملهـا الحراس فـي مراقبـة الأراضـي المحيطة بهـا. وقد تـم استخدام هـذه المنطقـة لعـدة قـرون، وكشفـت اختبـارات التـأريـخ بالتحليل بالكـربون المشع أن احد أماكن التخـزين كان مستعمـلاً فـي عـام ٣٥٠ ق. م. ممـا يـوحـي بمعـرفـة بطليمـوس بـوجودها وأنـه ضمها إلـى خريطته فـي ذلك الحيـن. ومن المثيـر للدهشـة أن خريطـة بطليموس قـد سجلت في نفس المنطقة التي تحتلها شصر اليوم وجـود الأوباريتيين فيها، الذين هم ربما أهل اوبار.

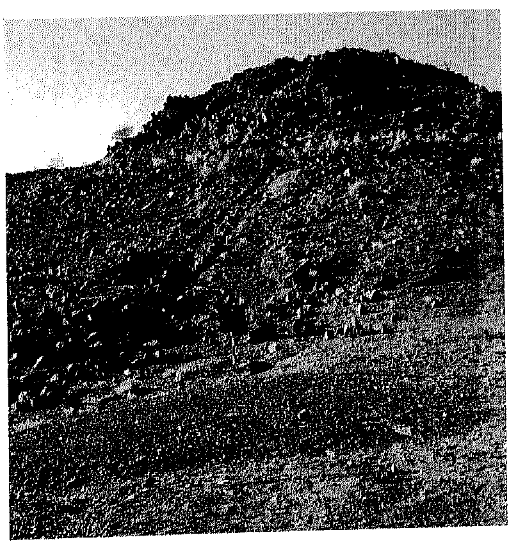




رالف فيس

الاستيطان

توجد في عمان مواقع عديدة ترجع إلى عصر الحديد تحفل بها سجلات الآثار. وتم اكتشاف العديد من هذه المواقع أثناء تنفيذ مشاريع البناء. ففي عام ١٩٧٩ على سبيل المثال، تم اكتشاف ٥٥٠ إناء من البرونز والاستيتيت والفخار أثناء اجراء أعمال الحفر بالبولدوزر في قرية حيل السلم بالقرب من ابرا. وكانت هذه المجموعة هي مخزون أحد لصوص المقابر



جي فيسجرير، متحف الصناعات التعدينية الألماني

وكان معظمها يعود إلى عصر الحديد. وقد سبق لنا بالفعل ذكر موقع بات في مستهل تناول عصر أم النار. ولقد تمخضت الاكتشافات في الطبقات العليا في هذا الموقع عن اكتشاف بعض رؤوس الرماح المصنوعة من البرونز والأواني المصنوعة من الاسيتيت وكسر أثرية من الأواني الفخارية ترجع إلى عصر الحديد. وهناك رقعة قطرها ١٠٠ متر مربع تقع عند حافة وادي بهلا على مسافة كيلومترين شمالي غرب بيساح تحتوي على ما يتراوح بين ثمانية وعشرة أمتار من المخلفات المتراكمة منذ فترة الاستيطان الطويلة في عصر الحديد. كما توجد بعض المواقع في منطقة وادي سمائل. وتم أيضا العثور على آثار قرية صغيرة في المنحدر الغربي لوادي سمد على مسافة قصيرة شمال قرية ميسر الحديثة سماها علماء الآثار «ميسر ٤٢». ويبدو أنها اقيمت في نفس فترة اقامة نظام قنوات الأفلاج القريبة والتي ظلت مستعملة منذ انشائها. وكانت احدى المقابر القريبة والتي ترجع إلى عصر الحديد وتضم ما لا يقل عن ٧٠ قبرا قد تعرضت للسرقة منذ فترة طويلة ومع ذلك فإنها كانت لا تزال تضم آثاراً كافية أتاحت للعلماء تحديد تاريخها.

ويستحق الموقع الموجود في لزق اشارة خاصة، فهناك هضبة شديدة الانحدار ارتفاعها ٦٥ مترا تقع على مسافة قصيرة شرقي المستوطنة الحديثة. ويقع على قمة الهضبة بناء محصن مقام من كتل ضخمة من الحجارة، يتم دخوله عن طريق سلم من الحجارة يتكون من ٧٩ درجة متصلة ببعضها با لملاط الطيني ومدعمة عند كلا الجانبين بجدار منخفض ارتفاعه نصف متر تقريباً. ويوجد في أعلى بئر السلم برجان يمكن للحراس من خلالهما الدفاع عن المستوطنة وهم داخل جدرانها الحصينة.

وفي الباطنة يوجد عدد من المواقع الهامة التي ترجع إلى عصر الحديد، فهناك أسفل القلعة الاسلامية في صحار آثار كثيرة ترجع إلى العصور المبكرة التي تمتد حتى عصر الحديد. كما توجد مواقع أخرى قريبة يمكن نسبها إلى الألف الأول ق. م. وكذلك مجمع للمقابر يضم ما لا يقل عن ٢٠٠ مقبرة متداخلة في وادي بشر في المنطقة الداخلية وجد فيها مؤخرا عدد كبير من الأواني النموذجية المصنوعة من الاستيتيت والفخار والتي ترجع إلى عصر الحديد.

المواقع الرئيسية لعصر الحديد(طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

أعلاه جهة اليمين: الحفريات في شصر.

أعلاه في أقصى اليمين: رأس الجنيز.

جهة اليمين: مشهد لدرج السلم المؤدي إلى القلعة الكائنة فوق الهضبة في لزق والتي ترجع إلى عصر لزق.

مجان ـ كاد

عمان المعروفة باسم كاد

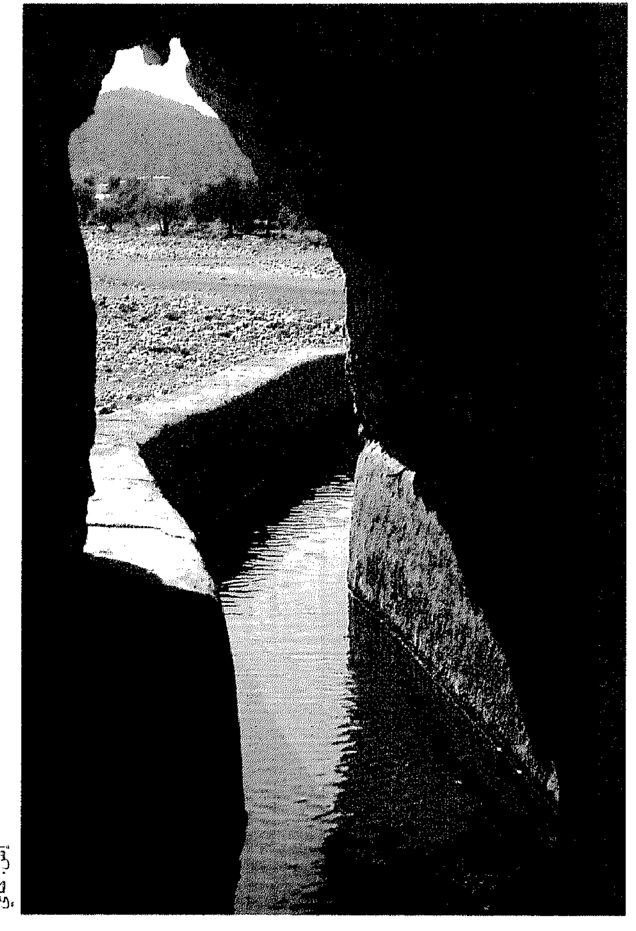
بحلول عـام ١٠٠ ق. م. لم يعـد اسم مجـان يشير إلـى عمـان، وفي تغيـر محير لأسمـاء الأماكـن، ربما يمكـن تفسيره مـن خلال تنقـلات الناس وتبـادل الأدوار بيـن هذه الأماكـن، أصبحـت ملوخـا ومجـان تشيـران الآن إلى مصـر.

ومن المحتمـل أن يكو ن المهاجـرو ن من مجـــان قـد قـدمـوا لمصـر الفـرعـونيـةمفتاح استعـمـال ثرواتهـا الطبيعيـة. ومـن غير المتصـــو ر أن العمانييـــن الذيـن سافـروا إلى مـصـر مـع اللبان والبخور لـم يتقاسمـوا معها أيضاً خبراتهم المكتسبة في مجال تجارة المعـادن. غيـر أن عمـان، التـي كانـت تعـرف فـي ذلـك الوقـت باسـم كـاد، قـد بـدأت تشـهد أوقاتـاً أفضـل. فبحلول عـام ٧٠٠ ق. م. تحـــول أفـراد الجمـاعـات الهنـديـة الأوروبيـة الفظـة التي غـزت ملـوخـا إلى أفـراد أكثـر انضبـاطـاً وحضارة وصـاروا يهتمـو ن بـإعادة اقـامـة الروابط التجـارية واعادة بناء الحضارات التـي دمروها. وهكذا تمـت اعادة الـروابط التجاريـة مـع عمـان. وقـد بلغنا أن ملـك كاد قـد سافر مـن مقر حكـومته فـي ازكي لـزيارة بـلاط الامبراطوريـة الأشـورية في نينـوى وذلك في حوالي عام ٦٤٠ ق. م.

أنا باد، ملك بلاد كاد المقيم في مدينة ازكي التي لم يطأ أي ملك في تاريخها حدود بلاد الأشوريين: بأمر أشور ونين ـــ ليل سافر رســولهما للمحبة والســلام محملا باحتـرامهما وثنائهما فـي رحلة استغرقت ستـة أشهر ليـأتي ويمثـل أمامـي. (نقـوش موجـودة على احـدى اللوحـات التي تم العثور عليهـا في نينوى ، ترجـع إلى حوالي عام ٦٤٠ ق. م).

نظام جديد للري

شهـد الألف الأول ق. م. ادخـال تحسينـات جديـدة فـي عمـان صحبها زيـادة كبيـرة فـي تعداد السكـان. ومـن الـواضح أن شيئـا هامـا قـد حـدث وأدى إلى زيـادة طاقات البـلاد في توفير الغذاء لسكانهـا. وهـذا الشـيء الهام هـو ابتكار جديـد شهدتـه عمان في حـوالي عـام ١٠٠٠ ق. م. وكان هـذا الابتكـار هـو سر نقـل المـاء إلى الصحـراء عبر شبكـة دقيقـة من القنـوات المقامـة تحت سطـح الأرض وفوقه تعـرف باسم الأفـلاج. وطبقا للأسـاطير كان الملـك سليمان مـؤسس بلاد فـارس هو المسؤول عـن هذا النمـوذج القديـم لنقل التكنـولوجيـا. وتـروي القصـــة أنه حـــاد عن مسـاره أثنـاء طيرانـــه فوق المملكـة، وحملته الـرياح العـاصفة عبـر الخليـج وهبط في سلـوت. وعندما شاهـد أن المنطقـــة ينقصهـا المـاء أمر النـاس ببنـاء الأفـــلاج. وبـالرغـم من هـــذه التـرجمة المنمقـة فمن المحتمـل أن تكـو ن هناك بعـض الحقيقة فـي هذه الروايـة نظـراً لأن أقـدم الأفـــلاج في عمـان موجـودة بالفعل فـي هـذه المنطقـة وأن أهلها هم مـن الخبـراء المشهوريـن في مجـال اقامـة الأفـلاج. وهـــذه الأفلاج هـــي عبارة عـــن نظـام لتوزيـع المـاء بسيط بشكل جميـل لكنه غاية في الكفـاءة، وليس هـنـاك شـك فـي أن اقامـة هـذه الأفـلاج قـد غير عمـان تغييراً جذرياً.



أس. كاي

فلج قديم.



الأفلاج

الماء هـو عماد الـزراعة والثروة فـي عمان، لأنـه لا يمكن زراعـة الأراضـي فـي عمـان دون الاعتمـاد علـى الـري بـاستثناء بضعـة أمـاكن محـدودة. وينتشـر في بعـض الأماكـن وخاصـة في البـاطنة استعمال أنظمة الـري التي تستخـدم ميـاه الأبـار المحفـورة فـي طبقـات الأرض الحاويـة للماء. ومـع ذلك يعتبر النظـام المعروف بـاسم الأفلاج المصدر الـرئيسي لمياد الري اليـوم ومنذ ٢٠٠٠ سنـة على الأقـل فـي معظم أنحـاء عمـان وخـاصـة فـي المناطـق الداخلية من البـلاد. وتتيح هذه القنـوات سواء المقامة تحـت سطح الأرض أو فوقه توفيـر نماذج ممتازة تدل على المهارات الهندسية العمانية الرائدة.

وقد اقيمت العـديد من قنوات الأفـلاج هذه منذ ٢٠٠٠ أو ٢٥٠٠٠ سنـة، وتم بنـاء نظام الأفـلاج الضـخم الـذي يحيط بصحار والذي توقـف استعماله اليوم منذ ١٠٠٠ سنة مضـت، كما قـام الحكام اليعـاربة العظـام ببناء أو تجديـد بعض أنظمة الأفـلاج الأخرى. إنها جميعـا أنظمة عريقـة في القـدم. ومن الجديـر بالـذكر أن كلمـة الفلج العربية هي كلمة مشتقة من كلمة سامية عريقة في القدم تتعلق بالتقسيم والتوزيع. وتعتبـر الأفلاج شريان الحياة في القرية ولـذلك يتم توزيع مياهـها على أفراد المجتمع عـن طريـق بـوابات تتحكـم فـي اغـلاق وفتح القنـوات الفرعيـة. كما يتم تقـاسمها عن طـريق التقسيم الـزمني المبنـي على أسـاس تحركـات الشمـس والنجوم. ويتـم تخصيص حصة من امدادات الميـاه السنوية للاستخدام



فلج قديم.

شركة تنمية النفط العمانية

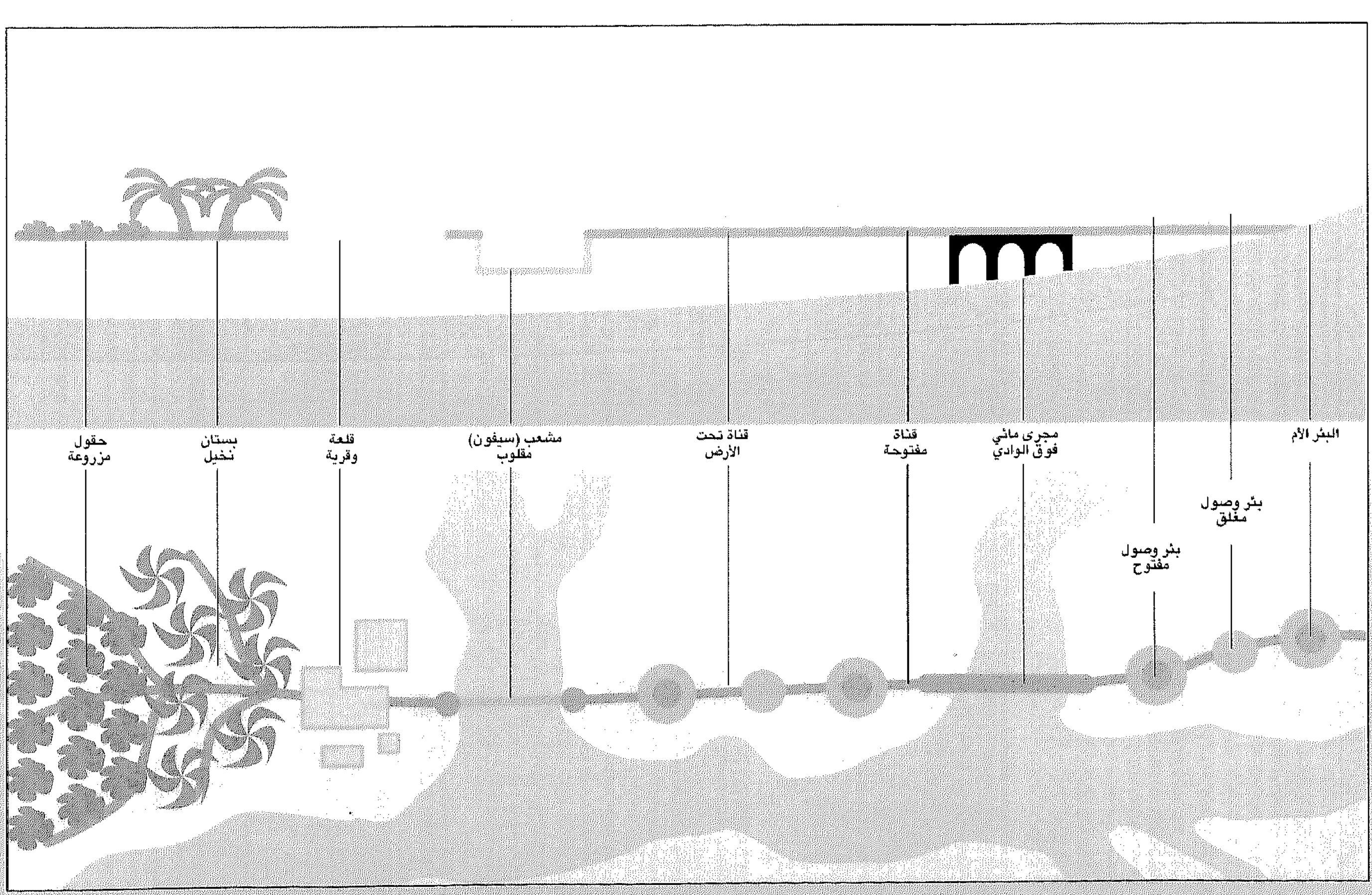
ربما تكون قنوات الفلج قد وصلت إلى عمان في بداية الألف الأول ق. م.. ويقع أقدم هذه الأفلاج التي أمكن تحديد عمرها في ميسر وتم بناؤها في أواخر عصر لزق/رميلة.



إيس كاي

فتح قناة الفلج

في صيانة الأفلاج. وتعرف هذه الحصة باسم «القاعدة»، وكان يتم بيعها بالمزاد العلني أو استخدامها في زراعة المحاصيل المخصصة للبيع. ويتيح ريع بيع هذه المحاصيل تعيين أحد المسؤولين «بيدار» لصيانة الشبكة المشتركة عن طريق تنظيف القنوات المقامة تحت سطح الأرض وصيانة واصلاح الانشاءات الطوبية والصخور والبطانات والممرات الرأسية وكذلك مداخل الأفلاج والقنوات المفتوحة المتجهة نحو البساتين. ويوجد نوعان من الأفلاج في عمان هما الأفلاج السطحية والأفلاج المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قنوات الأفلاج. وتسحب الأفلاج المقامة تحت سطح الأرض الماء من الطبقات الحصوية العليا لقاع الوادي وتحملها عبر قناة متدرجة برقة إلى الأراضي الصالحة للزراعة والتي تبعد في الغالب عدة كيلومترات . كما يتم استخدام القنوات السطحية إلى جانب المجاري السفلية لقناة الفلج. إن سحب الماء هو أمر غاية في السهولة، لكن عملية نقله تحتاج في الغالب إلى اقامة قناة خاصة من الحجارة والملاط على طول الجدران الصخرية للوادي أو منحوته فيها. كما يلزم أن تعبر هذه الأفلاج العوائق المختلفة مثل الحيود الصخرية وذلك عن طريق شق الأنفاق. أما الوديان الجانبية ذات التدفق الرقيق للماء فيتم عبورها عن طريق اقامة مجاري مائية قنطرية، في حين يتم عبور الوديان ذات التدفقات القوية عن طريق اقامة مشعبات (سيفونات) معكوسة. ويتم اقامة المشعبات المعكوسة عندما يكون تدفق الماء في قاع الوادي قوياً بدرجة قد تؤدي إلى جرف المجاري المائية. ويتدفق الماء عبر أنبوب رأسي إلى أسفل الوادي في قناة من الحجارة والملاط ذات تبطين جيد. وإذا كان قاع النظام لا يسرب عندها يمتلىء الأنبوب ويتدفق الماء عبر الجانب الآخر للوادي في نفس مستوى القناة المفتوحة الموجودة على الجانب الآخر ومن ثم يمكن توجيه الماء إلى الحقول.وتقوم القناة المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قناة الفلج بسحب المياه الباطنية سواء مياه الينابيع الموجودة تحت سطح الأرض أو المياه الموجودة في المناطق التي يكون فيها منسوب الماء في الطبقات الحصوية القريبة من الجبال أعلى من مستوى سطح الأرض في السهول. ويتم في البداية تحديد أماكن توفر امدادات المياه الباطنية عن طريق فحص النباتات النامية أو الكشف عن وجود برك مائية أو أي شيء آخر قد يوحي بوجود نبع أو كميات وفيرة من الماء في باطن الأرض. ويتم التأكد من


البئر الأم
بئر وصول مغلق
بئر وصول مفتوح
مجرى مائي فوق الوادي
قناة مفتوحة
قناة تحت الأرض
مشعب (سيفون) مقلوب
قلعة وقرية
بستان نخيل
حقول مزروعة

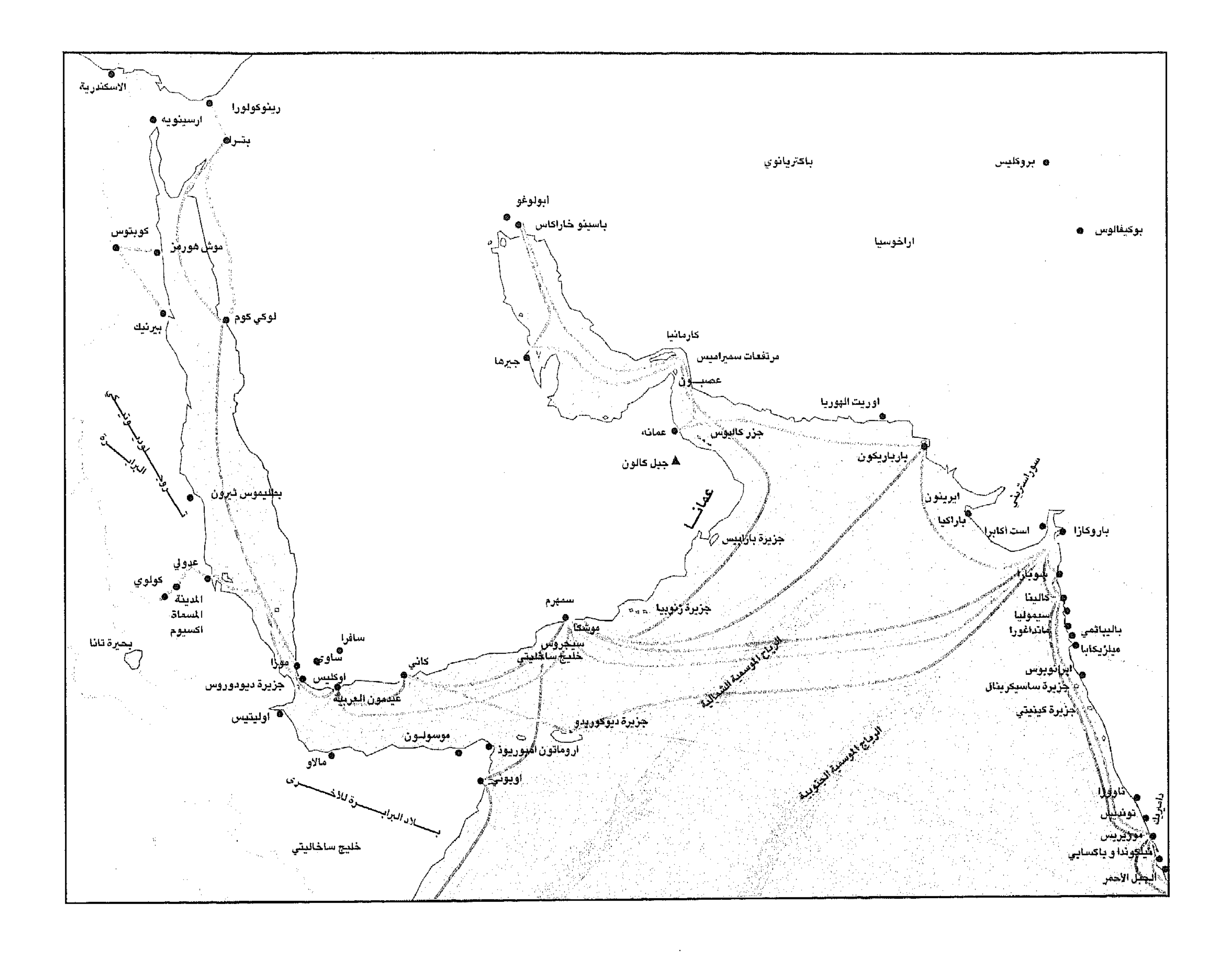


قناة فلج حديثة تستخدم في أعمال الري في عمان.

في الصفحة المواجهة: رسومات هندسية تبين كيف تحمل شبكة الأفلاج الماء من منبعها إلى حيث تستعمل. وتوضح الصورة العليا مشعب (سيفون) معكوس يستخدم في حمل الماء عبر قاع الفلج، أما الصورة السفلية فتصور مقطعاً عرضيا عاما للشبكة بأكملها.

حجم الماء الباطني عن طريق حفر بئر أو سلسلة آبار تجريبية وقياس مقدار التدفق عن طريق النزح. وإذا كانت نتيجة هذه الفحوص مرضية يبدأ العمل في اقامة الفلج بالابتداء من مصبه الذي يبعد في الغالب عدة كيلومترات عن البئر الأم للماء ثم يتم حفر قناة مائلة برقة مع اقامة مجاري رأسية على فواصل منتظمة لتوفير الهواء النقي اللازم لعمال حفر القناة والسماح بنقل الأنقاض. وعندما تمر القناة عبر تربة رخوة أو رملية يتم تبطينها بالحجارة أو الفخار. وتأتي أصعب لحظة في هذا العمل عندما تقترب القناة من المنطقة الحاوية للماء أو المحيطة بالبئر الأم.

فإذا تم اختراق الطبقات الحاوية للماء فجأة فقد يتسبب اندفاع الماء المفاجيء في اغراق العامل الذي يقوم بالحفر وتدمير ما قام به من أعمال. أن الأعمال المرتبطة بالانشاءات قد تكون ضخمة حتى وإن كان قطر القناة لا يتجاوز نصف متر فقط لأنه يلزم إزالة حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف طن من الحجارة عن كل كيلومتر يتم حفره. وقد يبلغ طول أطول قناة تسعة كيلومترات بينما يصل عمق البئر الأم في المتوسط إلى ٢٠ متراً. ويلزم أن يتم اصلاح القنوات بصفة منتظمة وتطهيرها باستمرار من الطمي... وحتى هذا العمل قد يشكل مهمة عسيرة.



الاهتمام اليوناني بعمان

بعد أن فتح الحاكم الأخميني الفارسي «كامبيسس» (٥٥٠-٥٢١ ق. م.) مصر توثقت الروابط بين جنوب الجزيرة العربية ومنطقة البحر المتوسط الكلاسيكية. وقد تحمس داريوس الأول (٥٢١-٤٨٤ ق. م.) خليفة «كامبيس» لاعادة العلاقات التجارية البحرية القديمة التي كانت تربط الجزيرة العربية ومناطق المحيط الهندي الأخرى بدول الشمال. وفي مسعاه لتحقيق هذا الهدف قام بتوكيل البحار اليوناني «سيلاكس الكريندي» بدراسة احتمالات اقامة طرق بحرية بين الهند ومصر. وأكدت رحلته الناجحة من وادي الاندس عبر فارس وعمان وساحل حضرموت ثم البحر الأحمر إن هذا الطريق البحري يوفر بديلاً صالحاً للرحلات البحرية الطويلة، غير أن هذا المسار لم يسهم اسهاماً كبيراً في احياء طريق الخليج القديم.

ومع ذلك ففي عام ٣٢٦ ق. م. أي بعد حوالي ٢٠٠ سنة عاد أسطول الاسكندر الأكبر (الاسكندر المقدوني) المكون من ١٥٠٠ سفينة من الهند بقيادة قائده اليوناني «نيرتشوس» الذي ذكر في سجل السفينة أنه مر على رأس الجزيرة العربية، وربما كان يعني بذلك مسندم، التي يتم منها تصدير القرفة والمنتجات الأخرى إلى الأشوريين. كما ذكر في سجل السفينة أيضا ميناء Teredon الواقع عند رأس الخليج ووصفه بأنه «سوق التجارة البحرية للبخور واللبان وجميع المنتجات العطرية الأخرى للجزيرة العربية». وبعد مضي بضع سنوات وقبل مصرعه بقليل أرسل الاسكندر الأكبر بعثة استكشافية جديدة عبر الخليج. وبينما وصل الأميرال «أرشياس» إلى البحرين قامت السفينة التي يقودها «هيرون السولي» باكتشاف ساحل مسندم.

خريطة المنطقة العربية كما يعرفها اليونانيون والرومان.

اللبــــان

تم اعداد المعلومات الخاصة باللبان والمدرجة في هذا الفصل من الكتاب من مرجع «نباتات ظفار» تأليف الكاتبين أنتوني ميلر وميراندا موريس.

جاء ذكر الذهب واللبان والمـر في الكتاب المقدس كهدايا مقدمة إلـى عيسى المسيح وهو طفل في بيـت لحم. ومن المحتمل أن يكون المنتوجان الأخيران من صادرات ظفار في عمان. وربما كان اللبان من بين قرابين الهدايا الثلاث الشـهيـرة هـذه هـو أكثـرهـا جـذبـاً لـلانتبـاه نتيجـة لاستخداماتـه المتعددة الكثيرة ولأن اللبان العمـاني كان يعتبر أفضل أنواع اللبان في العالم.

وتنمـو أشـجـار اللبـان العمانيـة المعروفـة باسـم بورزفيليا سـاكرا Boswellia sacra بارتفـاعات تصـل إلى خمسة أمتـار تقريبـاً. وهذا النـوع من الأشجـار وكذلـك أشجـار المر همـا من فصيلـة الأشجار البخـورية التـي يتميز أعضـاؤها بـوجود مجاري راتينجيـة في لحـائها. وباستثناء أنواع أشجار اللبان التـي تنمو في عمان يوجد أنواع أخرى فـي شمال شرق أفريقيا والهنـد. وفي عمان توجد هذه الأشجار في أمـاكن محصورة نسبيا بعيداً عن منطقة الأمطـار الموسمية مباشـرة، لكن ضمن المنـاطق التي تتعـرض لريـاح باردة تتسبـب في انخفـاض درجة حرارة الهواء فـي شهور فصل الصيف. وبالاضـافة إلى ذلك توجـد هذه الأشجار بالقـرب من الساحل فـي نطاق منطقة سقوط الأمطـار الموسمية، غير ان مـن المعتقد أنه قد تم زراعة العديد منها هناك.

ويقال أن جمـع صمغ اللبـان في العصـور اليونـانية كانت تقوم به مجموعة من العبيـد الذين كانوا يعانون من سوء التغذية والـذين لقى العديد منهم حتفـه نتيجة لسوء التغذية والمـرض. وبمجرد الانتهاء من جمـع الصمغ يتم نقلـه إلى مينـاء سمهـرم الذي كـان يعتبـر ميناء اللبـان الرئيسـي حيث يتم شحنه فـي السفن بإذن صريـح من الملك. لقد كـان اللبان سلعة ثمينة لها نفس قيمـة الذهب في أسواق الأمبراطورية الرومانية.



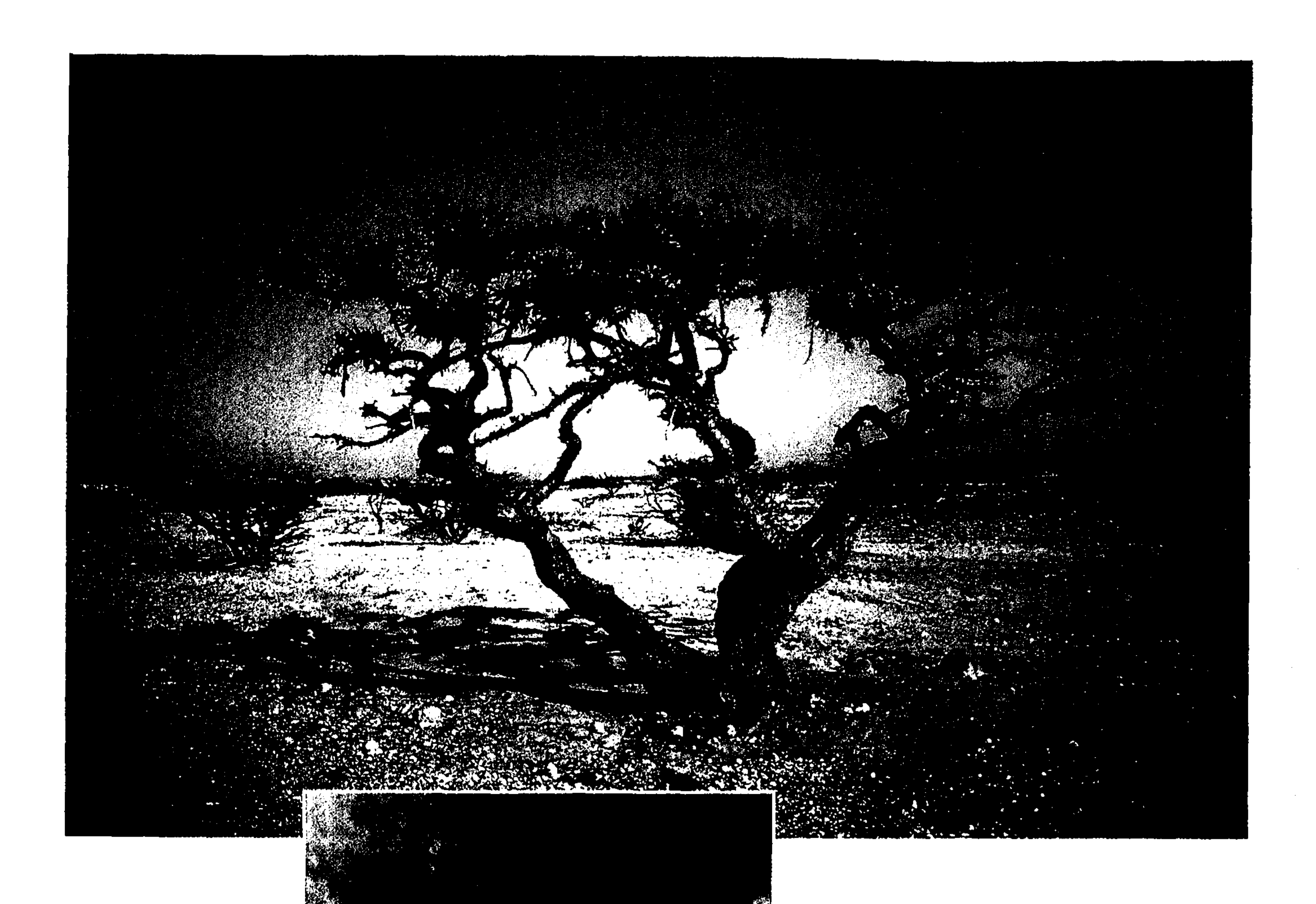
آسي. كاي

شجرة لبان تبين سائل (نزّ راتينج) اللبان.

وإلى جانب حرق بخور اللبان كقـربان للآلهة كانت له أهميـة كبيرة مـن النـاحيـة الطبية، وكـان يستخـدم كبخـور لمكافحـة الأمراض والقضـاء على الـروائح الكريهة. وقـد أوصى مؤلف كتاب «مـوت المصريين القدماء» (الـذين كانوا يعتقدون بأن اللبـان هو حلاوة الآلهة التي تتسـاقط على الأرض) باستعمـال البخور فـي عديـد مـن الطقوس الجنـائزيـة وفي الطهـارات الشعـائرية. وقـد استخـدم اللبان بعـد اشعـاله فـي أحواض من الصلصال واطفاء لهبه بحليب الأبقار في دفـع الشر والخصـوم الحاقـديـن والضغينة. ومـن

الناحيـة الطبية كـان للبان مكانـة كبيرة لـدى الأطباء اليونـانيين والـرومان الـذين استخـدموه فـي علاج جميـع الأمـراض المتصورة. كمـا ظهـرت الأدويـة المحتويـة على اللبـان في كتاب «الطب السريـاني» ضمـن نصـوص الأطبـاء المسلميـن فـي العصـور الوسطى وفي المخطوطـات الطبية الهندية والصينية (ميلر وموريس، ١٩٨٨).

ويدعي المـؤلف اليوناني «ثيوفـراستوس» أن قطرات اللبان النقي كانت أفضل جـودة من الصمغ المقشوط من لحـاء الشجر أو المـؤخـوذ مـن فوق الأرض. ويقـال أن الصمغ الذي يتم جمعه في فصل الخريف أفضل من ذلك



تتوفر أشجار اللبان بكثرة في بعض مناطق ظفار.

ساثل (نز راتينج) اللبان من شق في لحاء شجرة اللبان.

الذي يتم جمعـه في فصل الربيع. وقد علـق «بليني» على موسمـي الجمع هـذين. ومن المثيـر أن الاسمين اللـذين أعطاهما للمـوسمين وهما كلمة «كارفياثـوم» للتعبير عن فصل الخريف وكلمة «داثياثوم» للتعبير عن فصل الربيع يتشابهان فـي النطق جدا مع الكلمتين اللتين تـرمزان إلى موسمي الجمع في اللهجة الجبالية في ظفار. وكان اللبان مرتبطـاً بصورة ثـابتة بالاحتفـالات التي كـانت تتـم في العالم اليوناني والعالم الـروماني. ففي أوج الامبراطورية الرومانية عنـدما كان الترف هو القاعـدة وليس الاستثناء ذكر «بلوتـارك» أنه تم صب تمثال لثور مـن اللبان والمر والمنتجـات النـادرة الأخـرى كـوجبـة لضيـوف أحـد المضيفين النباتيين الذي كان يحتفـل بالفوز الذي حققه في أحـد سباقـات الخيل. وفـي أثناء جنـازة «سولا» تـم اقامة تمثال بـالحجم الكامل للطاغية المتـوفي باستخدام خليط من اللبان والقرفة والتـوابل المختلفة الأخرى. وفي فترة مبكـرة وأثناء مـرحلة صعـود الحضارة اليـونانيـة عنـدما كـان الاسكندر الأكبـر لا يزال طفـلاً صغيرا أنّبـه معلمه لاهداره اللبـان. وتقول الرواية ان معلـم الاسكندر قال له إن عليـه الاقتصاد في هذا السلـوك المترف إلى أن يصبح هـو نفسه سيد بلاد اللبـان. وبعد مضي عقـد من الزمن وفي أعقاب نجاح الاسكنـدر الأكبر في غزو «غزة» وبداية حملاتـه الجنوبية تذكر عتاب معلمـه وأرسل إليه شحنة كبيـرة تتألـف من ٥٠٠ طـالن مـن اللبان و١٠٠ طالن مـن المر. وقد كانـت هناك اعتقادات عديـدة غريبة حول اللبان بمـا في ذلك تصنيفه إلى لبـان «ذكر» ولبان «انثى» (نتـاية) مـع القول بـأن اللبان الـذكر كـان أعلى منزلة. إن السهولة التي يمكـن بها عجن الصمغ وتشكيله قد شجعت التجار على تشكيلـه في أشكال تجذب اهتمام المشترين. وقد ذكر «بليني» أن فتات اللبان المتخلف من القطع الكبيرة بعد تشكيلها كان يسمى «مانع».

التاريخ القديم

ويجمع أهل ظفار اللبان اليوم بنفس الطريقة التي كانت متبعة منذ ٢٠٠٠ سنة. وقد ذكر المؤلف «ثيوفراستوس» أن الأشجار التي شاهدها الزوار اليونانيون كانت تحمل علامات الفؤوس التي كان يسيل منها اللبان قبل أن يتم جمعه بمكاشط من الحديد أو تركه يتساقط فوق حصيرة من أوراق أشجار النخيل التي يتم فرشها فوق الأرض. وقد أدهشه معرفة أن هذه السلعة الثمينة لم يكن يتم حراستها ليلاً ونهاراً بل كان يتم تركها في أكوام فوق الأرض. وطبقا لتعليقات «بليني» فإن بعض المراقبين قد ذكروا أن حقوق جمع اللبان كانت مقصورة على ٣٠٠ أسرة فقط. بينما ذكر البعض الآخر أن ملكية أشجار اللبان كانت ملكية مشتركة وأن حقوق جمع اللبان كان يوزعها الحاكم المحلي على أساس سنوي. وانحصرت احدى العادات المرتبطة بقطع أو جمع اللبان في أنه إذا لمس أحد القائمين بقطع اللبان في الآونة الأخيرة امرأة حضرت جنازة مؤخرا فيتم منعه مؤقتاً من جمع اللبان.

وقد ارتبطت العديد من الأساطير باللبان، فكان قدماء المصريين يعتقدون بأن «بلاد بونت»وهو مصطلح غير محدد يشير إلى منطقة جنوب الجزيرة العربية يوجد فيها طائر ذو رائحة حلوة ومثيرة يحمل اللبان بين مخالبه. كما أن طائر الفونيكس كان أحد الطيور الاسطورية الأخرى التي كانت تبني عش موتها من غصون اللبان ومنتجات ثمينة أخرى. وكان يعتقد بأن طائرالفونيكس يعيش في عمان وبعض مناطق جنوب الجزيرة العربية الأخرى حيث كان يلتهم «دموع» وزهور أشجار اللبان وندى الجنة. ويقال أنه كان يقوم برحلة طيران طويلة إلى هليوبولس مرة كل ٥٠٠ سنة ليدفن أباه المتوفى في كفن مشبع بالمر. ويقال أن هذه المعتقدات الغريبة حول اللبان في مصر كانت نتيجة لأن التجار العمانيين الذين كانوا يغزلون الخيوط لعملائهم المصريين، كانوا يبذلون أقصى ما في وسعهم لأبقاء سر الأصل الطبيعي للبان طي الكتمان. وليس هناك شك كبير في أن أهل ظفار أنفسهم كانت لديهم أساطيرهم الخاصة ومعتقداتهم حول اللبان. ومن المدهش أن الكلمة العبرية التي ترمز إلى طائر الفونيكس وهي كلمة «حول» تشبه اسم الآله «حول» القديم في جنوب الجزيرة العربية. إن هذا الترابط قد يفسر لماذا كان قدماء المصريين يعتقدون بأن اللبان هو هدية الآلهة.

وتسجل احدى الأساطير الرومانية كيف أن أحد الأباء قرر أن يقتل إبنته حرقاً، حنقاً منه على علاقتها الغرامية بآله الشمس، لكن حبيبها إله الشمس أنقذها بأن حولها



إلـى غصن لبـان ينمو علـى إحدى الأشجار.

ومع ذلك فقـد كان اللبان أكثـر مـن مجرد مـوضـوع للـروايات والأسـاطير، فقـد كانـت له استخدامـات عملية عـديدة وكـان يتم استخـدام جميع أجـزاء أشجار اللبـان بما في ذلـك الصمغ واللحاء والخشب والأوراق والزهور. وكـان يتـم طحـن اللبـان ليصبح مسحوقاً دقيقاً يقدم فـي هيئـة بـودرة التلـك العطرية أو كمـادة مضافـة تعطـي رائحة النبيـذ الحلـوة. ويبـدو أن تنـاوله بجـرعات مفرطـة يدفـع متعاطيـه إلى الجنـون وأحيانـا إلـى الهلاك. وقـد ألهمـت الاهتياجـات الشرسـة التي تظهر على متعـاطي النبيذ المعد مـن اللبان البعض للقيام باعطاء اللبـان والنبيـذ إلى فيلة القتـال قبل اصطحابهـا إلى ساحة المعركة. كما تم استخـدام اللبـان كمخـدر لتهدئة المذنبين قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهم. كما كان اللبان أحد العناصر المستخدمة باستمرار في الطـب الشعبـي لعلاج مجمـوعة كبيـرة من الأمـراض، كما كـان الامبراطور الـروماني «نيرون» يستخدمه فـي اخفاء آثار ليالي السهر الطويلة المتعددة!.

سمهرم ـ موشكا

لم يكن الاهتمام اليـوناني بتجارة اللبان أمراً مـدهشا، فقد كانـوا يقدرونـه بنفس مرتبـة تقديـرهم للذهـب تقريبـا (انظر المـربع). وقد تركـزت تجارة اللبان العمانيـة حول ميـنـاء سمهرم (والـذي كـان يعرف أيضـاً بـاسم سمهـر وسمارم وسمهـورم) الذي يمكن مشـاهدة آثـاره اليـوم عنـد خور روري علـى مسـافة قصيـرة شمـال صلالـة. وكانـت المـدينة تحتـل موقعـاً رائعاً فـوق شبه جزيـرة عاليـة ناتئة عن البحـر وتبرز في داخل الميناء الطبيعي، لذلك فليس مـن الصعوبة تصور لماذا أقيمت المـدينة في هذا الموقع أو لمـاذا تدهورت في النهاية. ومـن خلال آثار المباني الحجرية يظهر مشهـد واضح للميناء والـذي مـن المؤكد أن السفـن كانت ترسو فيـه يوماً ما، وكـذلك صف من حواجـز الأمواج قائـم عـنـد مدخـل الخليـج ويوحـي بـأن الحاجـز الـرملي قـد تسبب فـي غلـق الميـنـاء فـي النهايـة. وفي القـرن الـرابـع ب. م. دمرت قـوات الفتـح الفـارسية مـدينة سمهـرم ونهبت المنـازل التي هجرهـا أهلهـا. ونعلـم من خـلال عدة نقـوش محفوظـة بوضـوح علـى قطـع حجرية كبيرة مقطـوعة موجودة عنـد مدخـل المـدينـة وفـي شـوارعها الضيقـة أن المـدينـة أقـامهـا «ليازياليت الأول» ملك بلاد اللبان في القرن الأول ق. م.

وقد قـام فريق علماء الآثـار الأمريكيين تحـت اشراف «ويندل فليبس» بالتنقيب عن جزء مـن آثار المدينة الرائعة خـلال الفترة من عام ١٩٥٢ إلـى عام ١٩٦٢. وقد كشـف هذا التنقيب عن وجـود جـدران ضخمـة يزيـد ارتفاعـهـا عن ٤ أقـدام وعن وجـود آثار معبـد في منـاطق عديـدة. وتتضمـن المكتشفات التي تم العثـور عليها تمثـالاً صغيراً من الهند مصنـوع من البرونز وتحفاً من الفخـار من روما

خور روري كما يظهر من موقع آثار سمهرم التي كانت يوماً ما ميناءاً هاماً يتم منه تصدير اللبان.





إس. كاي

التنقيب عن آثار سمهرم.

كانت موقع تحميل محصن لنقل لبان عمان بحلـول أواخر القرن الأول ق. م. علـى الأقل. وكان اليـونانيون يعـرفون هذه المـدينة بـاسم مـوشكا. ومـن المؤكـد أنه كـان لدى الرومان في عام ٢٤ ق. م. طمـوحات للسيطرة على تجارة اللبـان. وقـد حـاولت قـوات الجيـش بقيـادة الجنـرال «أليوس جالـوس» الوصول إلى جنوب الجـزيرة العربيـة براً عن طـريق الساحل الشرقي للبحـر الأحمـر. وبرغـم من قـوتهم العسكريـة فقد هـزمهم المرض. كـان اللبان الظفـاري يتراكـم فـي سمهرم ويتـم شحنـه مـن ميـنـاء المدينة إلى «عيدمون» العربية (بالقرب من عدن) قبل أن يتـم نقلـه في النهاية عبـر البحر الأحمـر إلى مصـر وما بعدهـا. وطبقا «لبليني» فإن تجـارة اللبان هذه قـد جعلت أهل جنوب الجـزيرة العربية مـن أغنى النـاس في العـالم أجمع.

بعد سيجـروس مباشـرة يغور خليـج عمان عميقـاً في السـاحـل، وخلف هذا السـاحل تقـع جبـال .. عاليـة .. ذات منحـدر صخري .. وخلـف ذلـك يوجـد ميـنـاء تمت اقامته لاستقبال لبان مدينة «سوسوليتك». والمرفأ هو ميناء يسمى مـوشكا وتتوقف به السفن القـادمة من كانـا بانتظام والسفـن العـائدة إلـى دامابايجـازا (جنوب الهند) إذا كان الموسم هنـاك هـو نهايـة فصل الشتاء .. ويقـوم التجار مـع موظفـي الملك بمقايضـة الملابـس والقمح وزيت السمسم بـاللبان الموجـود في أكـوام منتشـرة في أنحاء مدينـة «سوسوليتـك» .. في أماكـن مفتـوحة لا يحـرسها أحـد وكأن المكـان تحت حمـايـة الآلهـة .. ولا يمكن تحميـل اللبـان علـى متـن السفيـنـة لا في السر ولا فـي العلن دون إذن من الملك .. وإذا تـم تحميل ذرة واحـدة منـه بـدون هذا الإذن فـإن السفينـة لا تغـادر الميناء (ترجمة من كتـاب بريبلوس الدليـل الملاحي للبحر الأرتيري).

وهناك ترجمة بديلة للترجمة المذكورة آنفا، تقول: *هناك مكّلاً (مكان قرب الشاطىء تستطيع السفن الرسو فيه) مخصصـة لتحميل بخـور موشكـا التي يتـم إليها ارسال السفـن بانتظام مـن كل مكان.. وتـأتي السفـن من دايمـرك (جنوب الهند) ومن بـريجاز (عند مـدخل خليج الانـدس) لتجوب المنطقة وتمضي فصـل الشتاء هناك نتيجـة لتأخر الموسـم، وتحصل مـن المـوظفين الملكيين مقابل الكـتان والحبـوب والزيـت على شحنـة*

وصـوراً بـارزة لهيئـة رجال وثيـران وقـاروة (أمفـورة) يـونانيـة. ومـن الـواضـح أن هـذا المـوقـع كان مـوطنـاً لمستوطنة كبيـرة قبل أن يأمر الملـك «ليازياليت» بنّـائيه باقامة مدينة هناك بزمن طويل.

إن عسـدام تـال أم، ابـن كـالمـوم، خـادم إليـاد وملـك حضرموت وسكان مدينـة صبـوا قد تحمل طبقـا للخطة المسـؤولية عـن مدينـة سمهرم وعـن تسويـة الأرض وتدفق الماء إليها من مـرحلة الأرض العذراء إلى أن يتم تنظيمها وانشـاؤها واقامتهـا بناء علـى مبـادرة وأوامر سيده «عبيت سلحيم» ابن «دالمـا علي» قائد الجيش في حضرموت فـي بلد سكلان. (أحد النصـوص المنقوشة على آثار سمهرم عند خور روري).

كما نعلـم من خـلال بعـض النقوش أن هـذه المدينـة

إس. كاي

من هـذا البخور الموجود في أكوام لا يحرسها أحـد في أنحاء خليج «ساكالايتـس» لأن هنـاك قـوة إلهية تحرس المكـان .. ومـن المستحيـل سـواء فـي السـر أو العلـن تحميل السفينـة بدون إذن ملكـي. وإذا أخذ أي شخـص حفنـة ولـو صغيـرة منه لا يمكـن للسفينـة أن تبحـر. (ترجمـة من كتـاب بريبلـوس الدليـل المـلاحي للبحـر الارتيري).

موانيء هامة

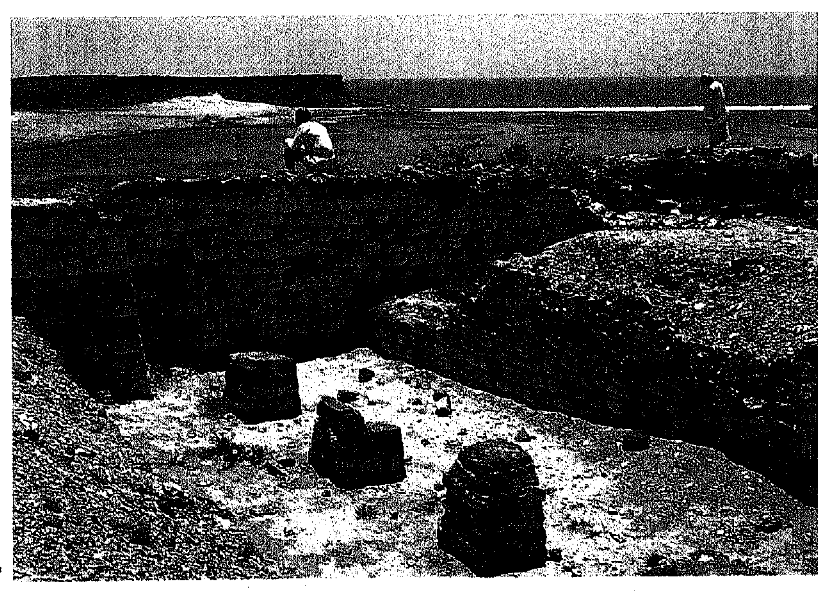
كان العلماء يفتـرضـون حتى وقت قـريب أن «سيجروس» الواردة في النـص القديم (المكتوب مـا بين عام ٤٠ ب. م. وعام ٧٠ ب. م. تقريبا) يقابل رأس فـرتاك. ومـع ذلك، فقد تم القـول بأن رأس سجير هي التـي تقع في أقصـى غرب خليج صلالة.

وربمـا كـانت القلعـة التي يطـوقها المنحـدر الصخري الشاهـق والتي كان يتـم تخزيـن اللبان فيها هـي القلعة الساحلية ذات غـرف التخزين والسياج الجـداري المتهدم جـزئيا والمـوجودة عنـد ريسوت. ويتمتـع هـذا الموقـع بمشهـد رائـع للميناء المحصـن المعـروف الآن بـاسم ميناء ريسوت.

وبالاضافة إلى موشكـا وسمهرم الموجودة عنـد خور روري وريسوت كان هناك بعض الموانيء الهامة الأخرى على ساحل عمان. وأحد هذه المـوانيء كان يـوما من أكبر الموانيء فـي العالم النامـي. وكان هذا الميـناء الـذي يقع في صحـار يعرف فـي ذلك الحيـن باسـم عمانـة وكـان يشتهر بوجود بنـاة الزوارق الذين برعوا فـي بناء القوارب التي تـم خياطتهـا وبالتمـر الذي يتـم جمعه مـن أشجار النخيـل التي تنمو في المناطق الداخلية من الميناء. كمـا كـان هنـاك أيضاً ميناء في شبـه جزيرة مسنـدم يعـرف بـإسـم عسيلة. وقـد ذكـر المـؤلـف الـرومانـي بلينـي (٢٣-٧٩ ب. م.) أيضاً «باتراسيـف» (ربما رأس الخيمة) و«دابيميجوريس ريجيو» (ربما دبي) كمدينتين في شـبه الجزيرة العمانية.

ولقد لقي وصف بليني اهتمامـا كبيراً لأنه وصف بيـن أشياء أخـرى كيف كـان يتم بنـاء القوارب عـن طـريـق خياطـة مجموعة من الألـواح الخشبية معاً (وهـو اسلـوب دام حتـى العصور الأخيـرة وانتشـر إلـى حد كبيـر فـي المحيط الهـاديء الهندي، مـن جنوب الجـزيرة العربيـة حتى جزر المحيـط الهاديء) وعلق أيضاً علـى كيف كان البحارة يستغلـون الريـاح الموسمية الشمـالية الشـرقية للابحـار إلى الهند. وكـانت الرحلـة التي تتم علـى امتداد السـواحـل العربيـة تتسـم بـالخطورة وتستلـزم وجـود مجموعـة من رمـاة السهام على متـن سفن البضـائع لرد «القراصنة» الذين انتشروا كالطاعون في المياه الساحلية.

المدخل إلى سمهرم.



إس. كاي

سمهرم وخور روري.

وربما كـان لهذه الهجمـات ما يبررهـا من وجهـة نظر الناس المحليين نتيجة لحقيقة أن القوات الأجنبية هي التي سيطرت علـى التجارة المربحة التـي كانت ولفترة طـويلة مصدر ثـروتهم الـرئيسية. وفـي هـذه الحالـة فإن مـا يعتبـره البعـض قرصنـة يعتبره البعـض الآخر احتجـاجا مشروعاً. وعلـى أية حال، إذا ما قارنا الأوضـاع في مستهل الألف سنـة بالأوضـاع في نهـايتها نجـد من الـواضح أن تجـارة اللبان والمـر وغيرهمـا من المنتجـات المحلية قـد جلبت ثـروة عظمية إلى عمان وسمحـت لها بأن تنمـو في مواكبة شركائها في عالم البحر المتوسط الكلاسيكي وفي امبراطورية السيليسيين الايرانية.

ويعلق «وليـام فيسي» فـي كتابه «عمـان: أمة بحـرية» على الأحداث التي وقعت في نهاية الألف سنة بقوله:

فـي حوالـي عـام ١٠٠ ق. م. حـدث تطوران هامـــان اجتمعـا معاً ليجعـلا جنوب الجـزيرة العـربية مركـــزاً تجارياً أقل أهمية. الأول هو أن ملك مصر الهليني (بتولمي السابع) بدأ يشجع تجـارة على الابحار بيـن مصر والهند مبـاشرة، والثانـي أنه أثناء هـــذه الارسـاليـات أو بعدها مبـاشرة اكتشف رجـل أسمه «هيبالـوس» طريقـاً جديدا لـم يتم استعماله من قبل قط لـلابحار إلى الهند. فقد أدرك كيف يبحـر مباشـرة عبـر المحيط الهنـدي مستغـلاً الريـاح الموسمية الجنوبية الغربية.

وأدى هذان التطـوران إلى سحـب حركـة التجـــارة مـن الهند إلـــى مصـــر بعـيداً عـــن موانـى عمـان ممـــا تسبب فـي حدوث تدهـــور محلي وربمـــا أدى إلـــى أعمال «القـرصنة» التي علـق عليها بليني. وبحلـول عـام ٥٠ ب. م. أصبحـت طـرق الابحـار المباشـر مـع الهنـد راسخة لدرجـــة أن أسعار المنتجات العطـرية فـــي مدن الامبراطـورية الرومـانية تدهـورت تدهوراً كبيـرا وبلغت جـزءاً ضئيـلاً مـن قيمتهـا في السـابـق نتيجـة لفـرط المعروض منها.

السماء في المساء في سمهرم.



سي فيرجسال، بإذن من وزارة الإعلام



مقبرة من نوع مقابر سمد في سمد الشان. كان يتم وضع جثة الذكر على جانبه الأيمن ورأسه في اتجاه الجنوب الشرقي، مع وضع جرار التخزين الكبيرة عند قدميه.

بول يول، بعثة الآثار الألمانية الى سلطنة عمان

عصر سمد
من عام ٢٠٠ ق. م. إلى عام ٩٠٠ م

أواخر عصر الحديد

أوضحت دراسات الآثار في عمان أن عصر سمد كان يقع بين عصر الحديد وأوائل عصر الاسلام، وامتد من عام ٢٠٠ ق. م. إلى حوالي عام ٩٠٠ م. وتتوفر لدينا أدلة كثيرة في شكل تحف أثرية عديدة تم جمعها من القبور التي ترجع إلى هذا العصر وذلك بالاضافة إلى الآثار الانشائية والنقوش الهامة. وكان يتم دفن الرجال مع أسلحتهم ومجموعة من السلع الأخرى. وتميل قبور الرجال في هذه الفترة إلى أن تكون غنية بالسلع بدرجة أكبر من قبور الأناث، ولذلك فمن الواضح أن المرأة كانت تحتل مكانة اجتماعية أقل من مكانة الرجل. ومع ذلك كانت المرأة ترتدي المجوهرات مثل العقود المصنوعة من الخرز والأساور المصنوعة من الفضة. ويتضح أيضاً من هذه الاستكشافات أن الوفاة كانت مناسبة للتبهرج في الحداد ولأقامة قبور ضخمة تعكس مكانة المتوفى الاجتماعية.وعلى العكس من ذلك كانت شعائر الدفن الاسلامية مختلفة تماما حيث أن القرآن الكريم يحث المسلمين على تفادي الافراط في الحداد العام وفي اقامة المقابر المبهرجة.

هجرةالأزد

كانت عمان ولآلاف السنين توفر مكانا جذابا للاقامة، فقد أدى النجاح في استئناس الجمال إلى فتح المناطق الداخلية للجزيرة العربية وزيادة سبل الاتصال بين القبائل بصورة كبيرة. كما أدى أيضاً إلى ازدهار اللغة والثقافة الموحدة التي نعرفها اليوم باسم اللغة والثقافة العربية. وكان العرب يعيشون في عمان بالفعل قبل زحف أفراد قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم في خلال القرن الثاني الميلادي (أو قبل ذلك بكثير طبقاً لبعض المصادر الأخرى وفي أثناء حكم داريوس الثالث (٣٣٦-٣٣١ ق. م).

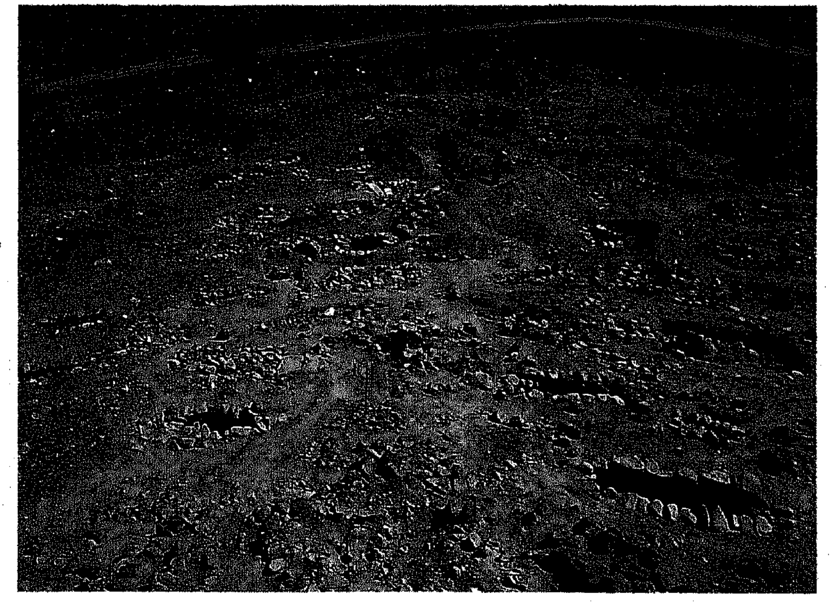
وبينما استوطن بعض أفراد الأزد في مدينة الشحر على ساحل حضرموت، فقد جعل مالك وأتباعه الأوفياء من قلهات قاعدة لهم في عمان. وبدأ مالك، ادراكا منه لتواجد قوات الفرس في صحار شمالا، محاولة التفاوض معهم لعقد اتفاقية سلام. ويقول التاريخ العماني عن هذه الفترة المسجلة في كتاب «كشف الغمة» أن ما بدأ في البداية كشعور ودي ودبلوماسي قد اختفى سريعاً نتيجة لانعدام الثقة المتبادلة الذي نجم عنه اندلاع المعارك الحربية. فقد انطلق الفرس من حاميتهم في صحار بقوة قتال كبيرة يتراوح تعدادها بين حوالي ٣٠٠٠٠ و٤٠٠٠٠ رجل بمعداتهم وبفيلة القتال. وتقابل هذا الجيش مع جيش مالك في سهل سلوت بالقرب من نزوى حيث ألحق بهم جيش مالك الهزيمة بالرغم من قوتهم. كما انتهت محاولة أخرى تدعمها التعزيزات المرسلة من صحار بهزيمة الفرس. وهكذا طرد الأزد المنتصرون، المستعمرين الفرس من صحار ومن قواعدهم الأخرى على امتداد سواحل عمان وفتحوا الطريق أمام أفراد قبيلة الأزد الآخرين لدخول عمان. وبحلول حملة الغزو الفارسية التالية لعمان والتي قام بها الساسانيون كان الأزد هم القوة المسيطرة في البلاد.

السيطرة على الطرق البحرية

نشط الرومان على وجه الخصوص في البحر الأحمر والمحيط الهندي وكانوا يرسلون تجارهم إلى أماكن

جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

احتوت العديد من مقابر سمد الشان على خرز زجاجي جميل مثل ذلك الخرز المتفتت والذي ربما تم استيراده من جنوب الهند.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

استغرق حفر المقبرة «سمد ٢١» ثلاثة مواسم وتضمنت أكثر من ١٠٠ قبر ترجع إلى الفترة من عصر وادي سوق إلى عصر سمد.

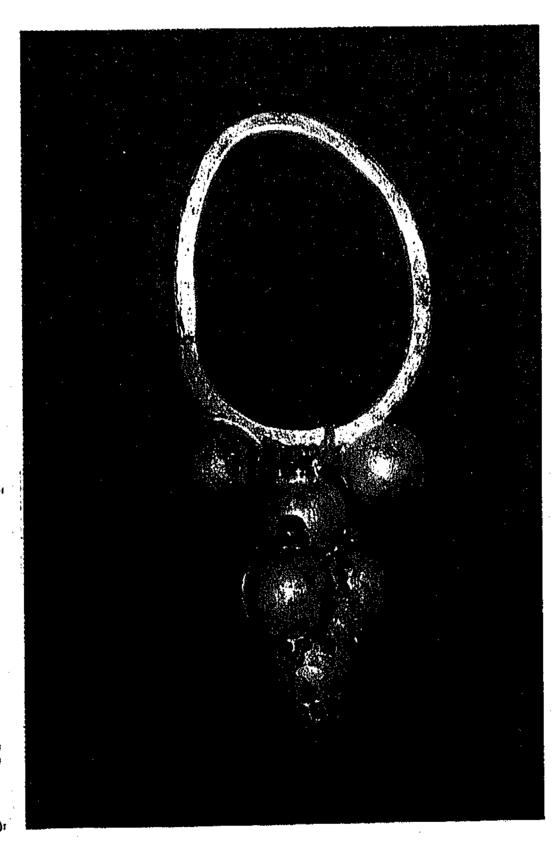
بعيـدة بعد سيلان والكنج وشبه جزيرة المـلايو وحتى إلـى حـدود الصين. وفـي نفـس الـوقت كـان البحـارة العمانيـون يميلون إلـى الحفاظ على طـرقهم التقليـد ية وكانـوا يبحرون إلى ميناء بـاريجاز وغيره من المـوانيء الهنديـة. كما زاولـوا التجـارة مع أفـريقيـا حيـث كانـوا يجمعـون القـرفة التـي كـان ينقلهـا بـالمراكـب التجـار القادمـون من أمـاكن بعيدة مثـل جنوب الصيـن وجاوه ويحملونها إلى الميناء القديم فـي عدن بالقرب من مدخل البحر الأحمر.

ومـع ازدهار حـركـة التجارة المباشـرة بين مصـر والهند منـافسة بـذلك جنـوب الجزيـرة العربيـة، واصل بحارة السـاحل منـاوشاتهـم مع السفـن الأجنبية التـي تبحـر بالقـرب من شـواطئهـم. وأرسل تـرخان، مفعمـاً بخيبـة الأمل نتيجة للخسائر التـي تتعرض لهـا السفـن التجاريـة، حملة في عام ١١٦ م للاستيـلاء والسيطـرة على طـرق الملاحة البحريـة، غير أن جنوده لـم يصلـوا إلى عمـان على الاطلاق. وبعـد مضي مئتي سنـة، وكان بحارة جنوب الجـزيرة ما زالـوا يعتزمـون أخـذ حصة لهـم فـي التجـارة المـربحـة، قـام شـابـور الثـانـي (٣١٠-٣٣٠م) بغـارة ناجحـة علـى سـاحل الجـزيـرة العربية. ويذكـر كتاب «بريبلوس الدليل المـلاحي للبحر الارتيري» الـذي كتب فـي الفترة بيـن عامـي ٤٠ و٧٠م على أكثـر الاحتمالات، وصفاً أكثـر دقة لجنوب الجـزيرة العربية يقول فيه:

خلف ميناء مـوشكا ولمسافة ١٥٠٠ فـرسخ وحتى أزك تمتد سلسلـة جبال علـى طـول السـاحل فـي نهايتهـا صـف يتـألف من سبعة جـزر تسمى زنوبيا، وبعـدها يوجـد إقليم بربري لـم يعد جزءاً مـن نفـس المملكـة لكنـه يتبع الآن بـلاد فارس. وأثـنـاء الابحـار عـلـى امتداد السـاحل فـي أعماق البحـر على مسـافة ٢٠٠٠ فرسـخ من جـزر زنجبـار تلتقي بجـزيـرة تدعـى سـرابيـا تقع علـى مسـافـة ١٢٠ فـرسخاً مـن البـر الرئيسـي، ويبلـغ عرضهـا ٢٠٠ فـرسخـاً تقريبـا وطولهـا ٦٠٠ فرسخـاً ويقطنها مستوطنون مـن «أكلة السمك». يستعملون اللغة العربية ويـرتدون أحزمة من أوراق أشجار النخيـل. وتقوم الجزيـرة بانتـاج كميات كبيـرة مـن عظم ظهـر السلاحـف ذي الجودة الفـائقة ويتم ارسـال القوارب الصغيرة وسفن البضـائع إليهـا بانتظام من كانا.

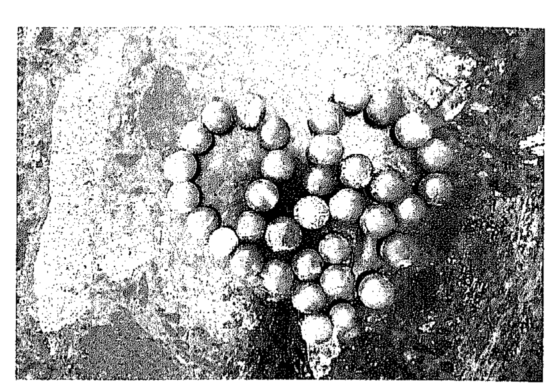
وأثناء الابحار على امتداد السـاحل نحو الشمال في اتجاه بحر فارس توجد عـدة جزر تعرف باسم Calaei على مسـافة ٢٠٠٠ فـرسخاً تقريبـا وتمتد علـى طول السـاحل وتقطنها جماعـة غـادرة تفتقد إلـى التحضر. وعنـد الطـرف الجنوبـي لجـزر Calaei هـذه توجـد سلسلة جبليـة تسمى Calon وبعدها ولكـن ليس بعيداً عن مدخل خليج فارس تتم أعمال الغوص بنشاط كبير لصيد محار اللـؤلؤ. وعلى مسار المضيق تـوجد جبال عظيمة تسمى عصبـون يقف على يمينها شـامخاً جبل آخر شاهـق ودائري يسمى سميراميس، وبينهمـا ممر عبر المضيـق عرضه ٦٠٠ فرسخـاً. وبعد ذلك يـوجد خليج فـارس، هذا البحر العظيـم الشاسـع الـذي يصل لمسافات بعيدة في الداخل. وعند الطرف الجنوبي لهذا الخليج تـوجد المدينة التـي خصصها القانـون كسوق وتسمـى «أبـولـوجـوس» بـالقـرب مـن «شـاراكـس سباسيني» ونهر الفرات.

وأثناء الابحـار عبر مدخـل الخليج بعد رحلـة ستة أيام توجـد مدينة سوق فـارسية أخرى تسمى عمـانة. ويتـم بانتظـام ارسال سفـن كبيـرة من بـايجاز إلـى



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

تحفة فنية من صنع صائغ الفضة تتضمن قرطاً واحداً كانت ترتديه أمرأة عجوز يرجع إلى عصر سمد (١٠٠ ق.م - ٦٢٩ م).



سلسلة تضم ٣٦ خرزة من العقيق الأحمر في حجم الكرز تم العثور عليها في قبر امرأة عجوز. ربما كان ذلك هو أحد النماذج المبكرة للمسبحة، لكن هذه المسبحات كانت تضم عادة ٣٩ خرزة وليس ٣٦.

مدينتي السوق هاتين محملة بالنحاس وخشب الصندل وخشب الساج وكتل الخشب الأسود والعاج. كما يتم جلب اللبان من كانا إلى عمانة ونقله من عمانة إلى قوارب الجزيرة العربية التي كان يتم خياطتها حسب النمط السائد في هذا المكان والتي تعرف باسم مدراطة. ومن مدينتي السوق هاتين يتم تصدير العديد من أنواع اللؤلؤ الذي يتسم بنوعية أقل جودة من لؤلؤ الهند، والصبغة الارجوانية (وهي صبغة مستخرجة من الرخويات) والملابس المصنوعة حسب الموضة السائدة في هذا المكان والنبيذ وكمية كبيرة من التمر والذهب بالاضافة إلى أعداد كبيرة من الرقيق (العبيد).

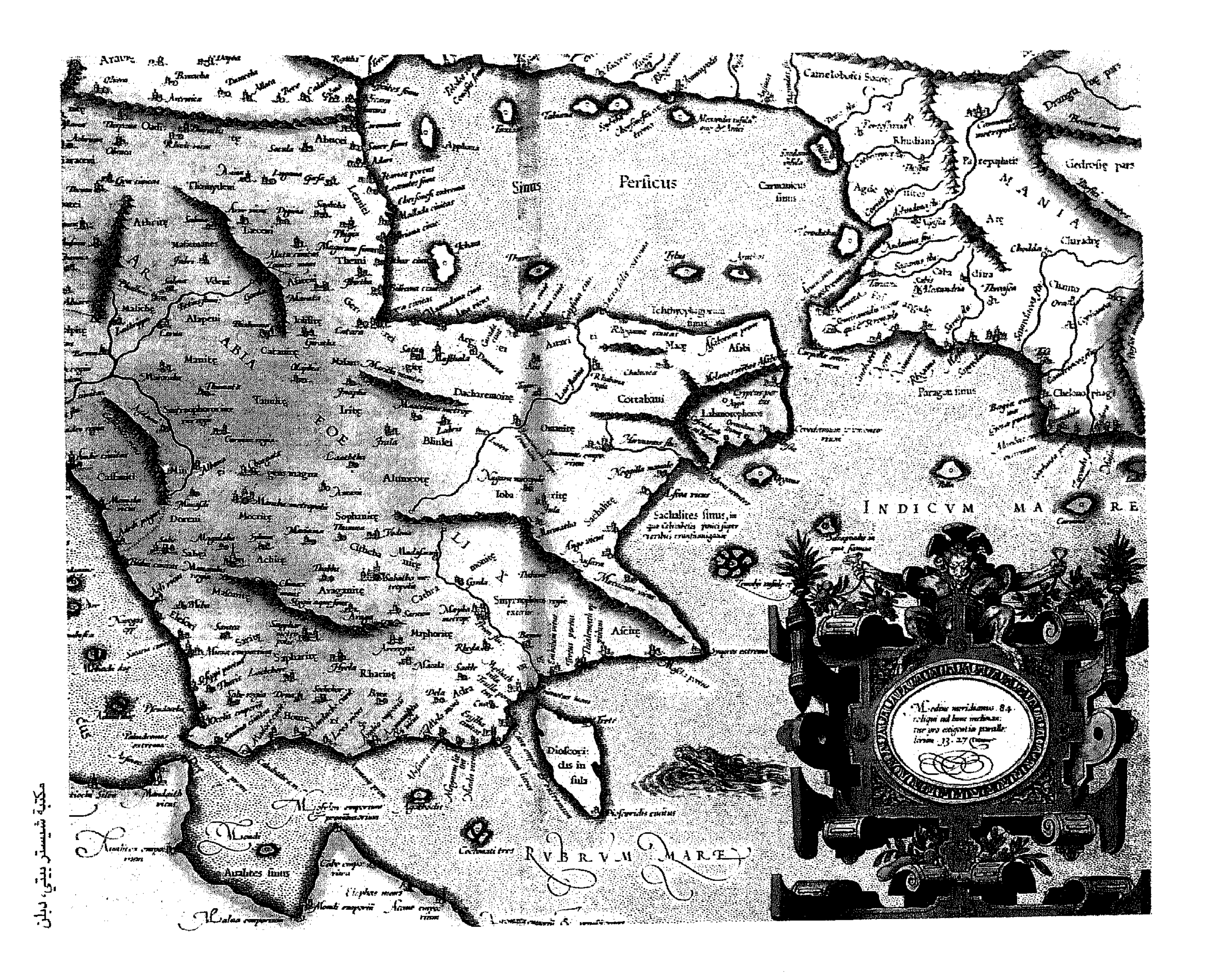
إن من السهل علينا أن نستوعب هذه المعلومات المدونة في كتاب الدليل الملاحي للبحر الارتيري بدرجة أكبر من استيعابنا لتسجيل بليني. ويبدأ النص المقتطف من كتاب بريبلوس بالقول بأن السفن تبحر من ميناء موشكا القديم المعروف في السابق باسم سمهرم والواقع عند خور روري شمال مدينة صلالة الحديثة في ظفار. وعقب مغادرة ميناء اللبان هذا مباشرة، تلتف هذه السفن حول رأس مربط وتتجه إلى الشمال الشرقي عبر خليج الحلانية حيث تمر بجزر الحلانيات المسماة هنا جزر زنجبار والتي كان يشار إليها في السابق باسم جزر كوريا موريا. ثم يذكر بريبلوس أن الموانيء الساحلية الموجودة شمال هذه الجزر كانت تسيطر عليها قوات الفرس. ومصطلح الفرس في السابق يعني ايران. وبعد ذلك يذكر النص جزيرة سرابيس وهي ربما جزيرة مصيرة التي لا تزال تأتي إليها كل عام حتى الآن ٣٠٠٠٠ سلحفاة من السلاحف ذات الرأس الكبير لتضع بيضها وذلك إلى جانب عدد أقل من السلاحف الخضراء وسلاحف البحر. ومن المؤكد أن أجود دروع (ظهور) السلاحف الذي يشير إليه كتاب بريبلوس تأتي من سلاحف البحر. وفي جهة الشمال من هنا، يذكر النص، أن أحد المعالم الهامة التالية على الطريق هي مجموعة الجزر العديدة الممتدة على طول الساحل. ومن المؤكد أن هذه الجزر التي

أدناه جهة اليسار: طبق تم تجديده من النحاس من المجموعة التي عثر عليها في ابرا/سليم. وكانت هذه هي أكبر مجموعة معروفة من الشرق الأدنى القديم بأكمله وتتألف من ٦٠٠ قطعة تقريباً.

أدناه: طبق لصورة أسد يبحث عن طريدته، تم العثور عليه في أحدى المقابر في سمائل. لقد تم التوصل إلى أنه يرجع إلى عام ٢٠٠-٤٠٠م وذلك اعتماداً على طرازه وتركيبته.







مكتبة شيستر بيتي، دبلن

كانت تعرف في ذلك الحين باسم كاليه هي الجزر المعروفة اليوم باسم مجموعة جزر الديمانيات بالاضافة إلى جزيرة «جون» ومجموعة جزر السوادي. وعند الاتجاه شمالاً، يأخذنا النص إلى عصبون ومن المؤكد أنها تقع في شبه جزيرة مسندم حيث تقع المدينة الرئيسية خصب.

والمصدر الكلاسيكي التالي الذي يمكننا الاعتداد به للحصول على معلومات عن عمان هو المؤلف «بطليموس كلوديوس» الذي كتب كتاب «الجغرافيا» في الفترة ما بين عامي ١٤٧ و١٨٠م. وقد تم جمع الخريطة التي تحمل إسمه بعد ذلك بفترة طويلة اعتماداً على ملاحظاته، ولذلك فإن هناك مجالاً أكبر لاختلاف التفسيرات فيما يتعلق بمواقع المدن المختلفة أوالمعالم الهامة الأخرى. وعند الانتقال هذه المرة في اتجاه الشمال بعد الالتفاف حول عصبون (رأس مسندم) يذكر بطليموس ميناء «كريبتوس ليمين» الذي يمكن ربطه اليوم بمدينة مسقط، ثم تأتي بعد ذلك «كورودامون والتي يقال بأنها هي رأس الحد. وبعد ذلك وبالقرب من خور جرماح وعند الانتقال جنوباً مع الساحل يذكر جزيرة «أوراجانا/ سرابديس» والتي من الواضح أنها جزيرة مصيرة. إن ملاحظات بطليموس عن عمان يصعب تفسيرها إلى حد ما. وربما كانت رفانا أو رابانا أو روانا باسيليون هي نزوى أو الرستاق وباستثناء ذلك فالبقية غير واضحة.

كما تمت الاشارة إلى عمان خلال عصر أسرة «كاراسانيني» فقد كتب «إيزودروس الشراكسي» الذي من المؤكد أنه عاصر أيام المسيح عليه السلام عن ملك اسمه «جيوسوس» الذي كان «ملك العمانيين في بلاد البخور». ويؤكد بليني هجرة أفراد قبيلة الأزد الذين استوطنوا معظم الجزيرة العربية في اتجاه الشمال تاركين جنوب الجزيرة العربية حيث كتب يقول «كانت البلد حتى شركس يقطنها العمانيون». وهناك مرجع مجهول لا يستعمل كثيرا ويرجع إلى أوائل القرن الثامن ب. م. وهو مرجع

خريطة بطليموس التي تبين الجزيرة العربية والتي تم طبعها في عام ١٥٨٤ والتي تشير إلى أسماء الأماكن المعروفة لليونانيين.

«جغرافيـا الكون أو جغـرافيا العـالم» الـذي يعتمد علـى المصـــادر الرومانيـــة بمــــا فــي ذلــك أعمــال «كاستــوريــوس» والـذي ذكــر «ساميمـاتـرايـد كاستيرليم أمـاريوم» والتي تم تفسيرها علـى أنها تعني حصن عمـان أو تحصينات العمانييـــن والتي يقـال أنها تشير إلى مينائي مطرح ومسقط.

الساسانيون

اعتمدت الامبـراطورية السـاسانية، التـي كانت تنـافس الامبراطـورية البيـزنطية وتـأسست فـي المناطـق التي تعرف اليـوم باسـم العراق وايران وانتشـر نفوذهـا إلى أبعد مـن حدود هذيـن البلدين، على ثقـافة أسرة حـاكمة تـرجـع جـذورهـا إلـى جنـوب فـارس. وقـد اعتنـق الساسانيون الـديانة الزرادشتية التي تقـوم على نظرية الخير والشر. ويصف «ألبرت حوارني» في كتابه «تاريخ العرب» فلسفة ديـانة زرادشت هكذا «كان العالـم ساحة لمعـركة بيـن الخير والشـر تحـت رعايـة الآله العظيـم، والخيـر هو الـذي سينتصر لكـن عفة النسـاء والرجـال وطهارة مذهبهم ستعجّل من تحقيق الفوز».

وقـد حـارب «أردشيـر» أول الملـوك الساسانييـــن والذي قـام بحملة شرق الجزيـرة العربية فـــي حوالـي عـام ٢٢٥ م في عمـان أيضـاً. وجاء فـي أحـد المراجـع العـربية التـي ترجـع إلى حـوالي عـام ١٠٠٠ ب. م. أن «أردشير» قـد توجـه مع جنـوده وعساكـره ... وحاربـوا معركة دامية قتل فيها العديـد من الطرفين. كما قتل أيضـاً Sanatruk ملك البحـرين وعمر بـن الوكيد الحميـري ملك عمان. ويدعي الجغرافي ياقـوت بأن أردشير ابن بابك قد ثبت أقدام الأزد كبحـارة في مدينة الشحر فـي عمان قبل ظهـور الاسلام هنـاك بحـوالـي ٦٠٠ سنة». وقـد ذكـر «بـوتس» فـي مجلديـه الممتـازين المعنـونين «الخليـج العربي في العصور القديمة» أن حملة أردشير ربما كانت اشارة «العودة إلـى عمان» والتي صاحبـت سقوط فارس في أيدي بني ساسان كما جاء في كتاب «كشف الغمة».

ومع ذلك يبدو أنه بنهايـة القرن الثالث الميلادي كان نفوذ الفرس في عمان قد قضي عليه.

وفـي عام ٥٣١م أصبـح خسـرو أنـوشيروان ملكـاً للامبـراطوريـة الساسانيـة. وبعد توليـه مقاليـد الحكم بفترة قصيرة اعترف بالمنذر ملكـاً على منطقة كبيرة من جنوب الجـزيرة العربيـة بما فـي ذلك عمان. وأرسـل في عام ٥٧٥م جيشـاً إلى عمان قـوامه ٨٠٠ رجل علـى متن ثمان سفن رست ست منها على ساحل حضرموت.

ويسجـل كتاب «كشـف الغمة» أن «ملـوك الفرس قـد اعتادوا على ارسـال كل مـن يتعرض لغضبهم أو يخشـون منه إلـى جيشهم فـي عمان. واستمـر هذا الحـال إلى أن أرسـل الله الاسلام». وذكـرت أحـدى المصادر الأخـرى توقيع معاهدة بين خسـرو أنوشيروان والأزد العمانيين. وقـد اعتـرفت هـذه المعـاهـدة بـوجود منطقـة تخضـع للسيطرة الفـارسية على امتداد سـاحل الباطنة. وتـم في الاسـم العربـي لقلعة الـرستاق (قلعـة كسرى) ويعنـي (قلعة خسرو). وقـد تم وضـع هيكل للسيطـرة العسكرية يتضمن تعييـن حكام محليين (مرازبـة) يقع مقرهـم في القـلاع المـوجـودة في المستـوطنـات الكبيـرة، وهيكـل للقيـادة العسكـريـة (أساورة)يسيطـر علـى المنـاطـق المختلفـة، وأخيـرا إدارة محليـة فـي القـرى باســم (حنـاقـرة) ، تـم وصفهـم بأنهـم «فئـة رأسماليـة مستعمرة لـلأراضي». وهكذا تمـت اقامة نظـام طبقـي في ثـلاثة مستويـات يدعم قاعـدة السلطة الساسـانية. وكان الأزد يتـزعمهم رئيـس أخذ لقـب الجلندى مـن بني معولـة. وقد قام بالسيطـرة على مناطـق عمـان التي لا تخضع بصورة مبـاشرة لسيطرة الساسانييـن مثل دبي ومستـوطنـة واحة تـوام (فـي البـريمي) وكـان يجبـي الضرائب مـن السكان ويكـون مسؤولاً أمـام المرزبـان الساساني الموجود في الرستاق.

ويعلق كتـاب «كشف الغمة» علـى العلاقة بيـن قوات الاحتلال الفـارسية والـدويلات العمـانية ويقـول: «ساد السـلام بينهـم وبيـن الجلندى فـي عمـان واحتفـظ الفرس بقـوة قوامهـا ٤٠٠٠ مقاتـل في عمـان وبمندوب لــدى ملوك الأزد. وأقـام الفـرس عنـد سـاحل البحـر، بينمـا حكـم الأزد سهـول وتـلال المنـاطـق الـداخليـة وضـواحي عمـان، وكـان توجيـه الشـؤون فـي أيديهـم تمـامـاً». ومع ذلـك نعلـم مـن عدة مصـادر أن سلطـة الجلنـدى لـم تستمـر دون معـارضـة أو تحـدي، فقبـل وصول الاسـلام مباشرة علـى سبيل المثال تـم الايحاء بأن نفـوذ «لقيط ابـن مالـك ذو التاج» كـان يعادل نفـوذ الجلندى وكان له اتباع كثيرون.

المسيحيون الأوائل في عمان

يبـدو أن المسيحية قـد وصلت إلـى عمـان خلال القـرن الرابـع م، ويقال أنه كـانت هنـاك كنيسة نسطوريـة في صحار وذلك على الرغم من عـدم تأكيد هذا ويشك بعض



جي. فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

تم العثور على هذين الحصانين المنحوتين في المقابر الموجودة في سمائل وفي سمد الشان حيث كان يستوطن أفراد قبلية الأزد كما هو معتقد.

الكتاب في أمر ذلك. وقد حضر أحد الأساقفة من عمان «يوحنا» اجتماع المجمع الكنسي في عام ٤٢٣/ ٤٢٤م والذي تم فيه اعلان انفصال الكنيسة النسطورية عن النصرانية البيزنطية. كما حضر أسقف مزون اجتماع المجمع الكنسي النسطوري في عام ٥٤٤م، وكانت هذه هي أول زيارة مسجلة بعد الزيارة المذكورة آنفاً والتي تمت في عام ٤٢٤م. كما تمت زيارة أخرى قام بها الاسقف صمويل الذي حضر اجتماع المجمع الكنسي في مار عسقيل في شهر فبراير عام ٥٧٦م. كما أننا سمعنا عن قيس بن زهير الذي عاد إلى عمان في أعقاب احدى المعارك التي نشبت في وسط الجزيرة العربية ليصبح راهباً، مما يوحي بوجود أحد الأديرة في عمان في ذلك الحين.

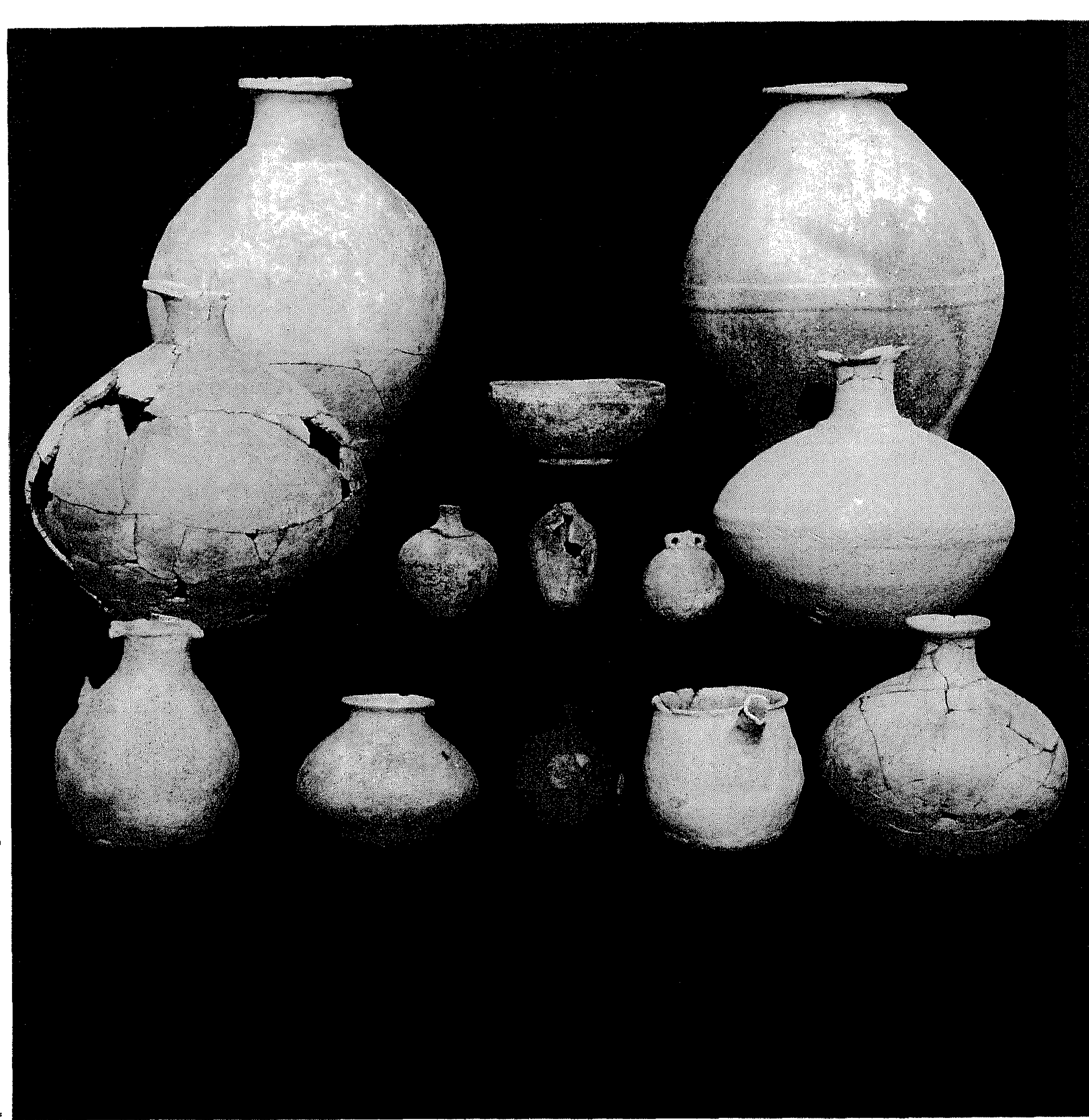
السنوات الأخيرة قبل وصول الاسلام

تم بذل جهود جبارة أثناء حكم الامبراطورين البيزنطيين جوستين (٥١٧-٥٥٢ ب. م.) وجاستنيان (٥٢٥-٥٥٦م) لتجريد القوات الساسانية من سيطرتها على مملكة أكسوم الحبشية، غير أن الهزيمة الساحقة التي تعرض لها الجيش الحبشي في اليمن قد عززت سيطرة الساسانيين على المنطقة الساحلية لجنوب الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وتميل الآثار الفخارية التي تم العثور عليها في مسندم والتي ترجع إلى هذا العصر إلى الايحاء بأن سيطرة الساسانيين قد امتدت على طول ساحل عمان في ذلك الوقت.

إن المعلومات المدونة عن عمان خلال هذه المرحلة الأخيرة من تاريخها السابق على الاسلام محدودة جداً، وعلينا أن نعتمد جزئياً على الأدلة الموجودة في الكتب التي تم تدوينها بعد ذلك الحين والتي تشير إلى هذه الفترة. وأحد هذه الكتب هو كتاب «المحبار» لأبن حبيب الذي يصف الأوضاع في بعض الأسواق العمانية في حوالي عام ٦٢٠ ب. م. أي في نهاية عصر الساسانية وقبل بزوغ الاسلام مباشرة. وفيما يلي ترجمة لمقتطفات من هذا الكتاب:

وأحد الأسواق الأخرى هو سوق صحار وسوق عمان والذي كان يقام عادة في اليوم الأول من شهر رجب ويستمر لمدة خمس ليالي. وقد اعتاد الجلندى ابن المستكبر ان يجبي ضريبة صغيرة (ضريبة العشر) من التجار هناك. وكان هناك سوق آخر هو سوق دبي. ودبي هي أحد الميناثين العربيين اللذين يأتي إليهما التجار من السند والهند والصين ويأتي إليهما الناس من الشرق والغرب. وكان هذا السوق يقام في اليوم الأخير من شهر رجب وكان التجار يتاجرون هناك عن طريق المساومة. وكان الجلندى ابن المستكبر يجبي ضريبة صغيرة (ضريبة العشر) في هذا السوق كما هو الحال في سوق صحار. كما أنه اعتاد على التصرف مثل الملوك الآخرين في الأماكن الأخرى. كذلك كان هناك سوق آخر هو سوق الشهر «شهر محرم» وكان يقام عند قاعدة الجبل حيث يوجد قبر النبي هود. وكان لا يتم جباية أي ضرائب في هذا السوق لأن سوق شهر محرم كان لا يخضع لسلطة المملكة.

ويبدو من الواضح الآن أن نفوذ الساسانيين قد خبا كثيراً، وأن الجلندى يسيطر على موانيء الباطنة سيطرة تجارية تامة إن لم تكن عسكرية.



جي نيسجير، متحف الصناعات التعدينية الألماني

بعض الأواني التي تم العثور عليها في المقابر والتي ترجع إلى عصر سمد.

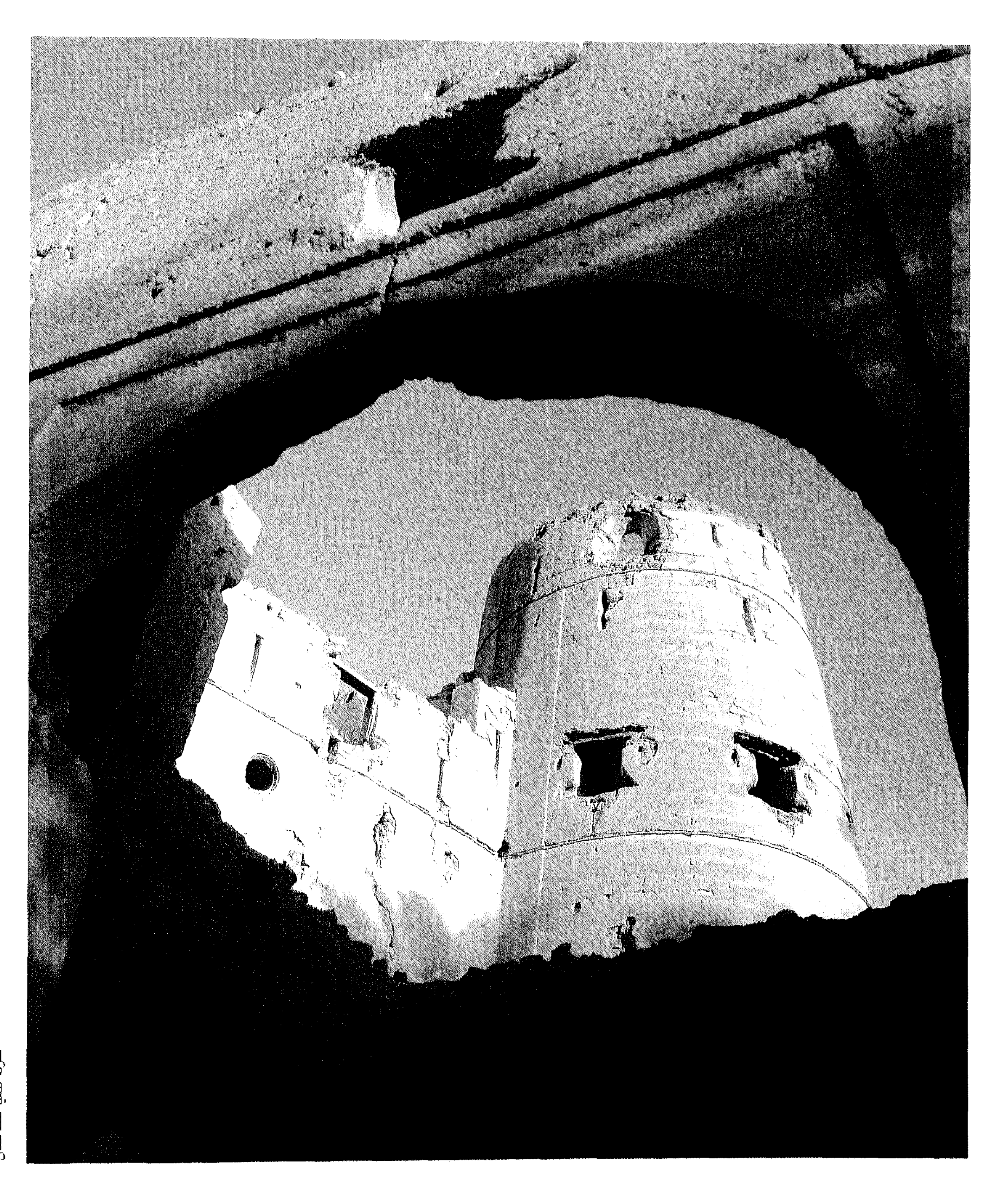
العصر الاس

داخل قلعة الحزم.
يحمل المدفع العلامات
البرتغالية.



شركة تنمية نفط عمان

تـراث عمـان



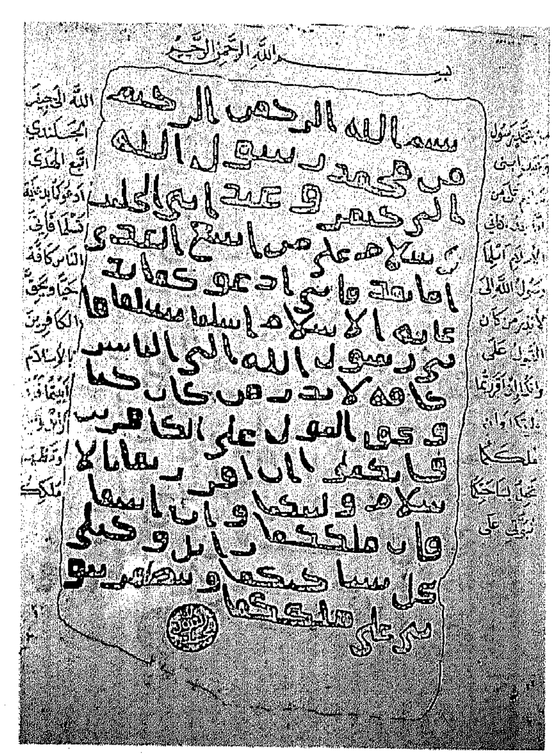
شركة تنمية نفط عمان

ازدهـار عمـان المسلمـة

دخول عمان في الاسلام

طبقاً للمخطوطات المعنونة «تـاريخ الرُسل والملوك» والتي كتبها الطبري في الفترة بيـن عامي ٨٣٨ و٩٢٣م. (أي بعد حوالي مائتين إلى ثلاثمـائة عام من دخول عمان في رحاب الاسلام) ذكر رجل يدعى وكيـدي أن اعتناق عمان للاسلام نتج عن قيـام رسول الله محمد ﷺ بارسال مبعـوث له، هو عمرو بـن العاص، إلـى عمان حيث التقـى بإبنـي الجلندي الذي توفى مؤخراً. ويقال أن ابنـي الحاكم المدعوين: جيفر وعبد قـدما ولاءهمـا لرسـول الله ﷺ ووافقا علـى تحصيل الزكـاة من أغنياء عمان بهـدف توزيع الثروة بصـورة أكثر عدالة تمكّن من رعاية الفقراء.

وهناك روايـة مختلفة قليلاً عـن تلك الواقعـة وردت في كتاب «الطبقـات الكبرى» الذي كتبـه محمد بن سعيـد قبل وفاته بفتـرة في عام ٨٤٥م. وطبقاً لرواية محمـد بن سعيد فإن مبعـوث رسول الله ﷺ قد وصل يحمـل كتاباً مختـوماً مرسـلاً إلى إبني الجلندي جيفـر وعبد مباشرة. وتـم اعطاء الكتاب، الذي ينصح الأخوين باعتناق الاسلام، إلى عبد لأنه كان أكثر الأخويـن حلماً وتعقلاً وذلك بالرغـم من أن جيفر كان يحتـل مرتبة أعلى بصفتـه الأخ الأكبر سناً. وإحتـراما لمكانـة أخيه الأكبـر قدم عبد الكتـاب إلى أخيـه. ويبدو أن الكتاب كان له وقع عميق في نفس الأخ الأصغر.



بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
الى جيفر وعبد ابني الجلندي
سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوكما بداعية
الاسلام اسلما تسلما فاني
رسول الله الى الناس
كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين
فانكما ان اقررتما بالاسلام
وليتكما وان ابيتما
وان ملككما زايل وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبوتي
على ملككما

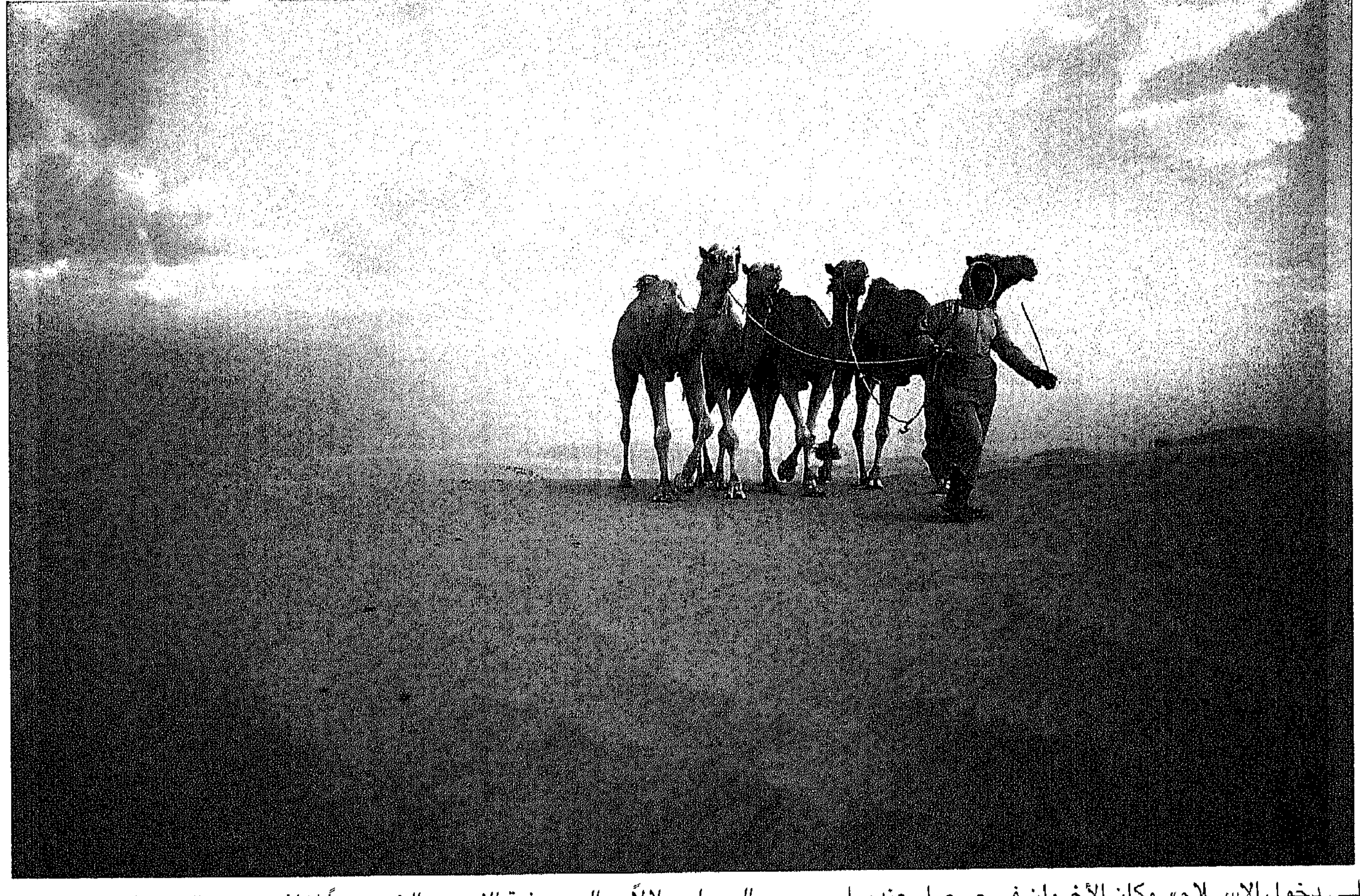
كتاب رسول الله الكريم محمد ﷺ المحرر في عام ٦٣٠م. والمرسل إلى حاكمي عمان.

ولا يزال نص الكتابين اللذيـن أرسلهما الرسول الكريم محمد ﷺ إلى الأخوين محفوظـاً وقد استطعنا الاطلاع على الاسلوب المقنـع المستخدم في نشر الـرسالة المحمـدية. فقد تعهـد الرسـول ﷺ في هذيـن الكتابيـن بأنـه إذا قبل الأخَوان اعتناق الاسـلام فسوف يخولهما الرسـول الكريم ﷺ السلطـة ويمنحهمـا التـأييد. أمـا إذا رفضـا اعتنـاق الاسلام فسوف يعـزلهما الرسول الكريـم ﷺ من السلطة ويحاصرهما بفـرسانه ولن يسمح لهما بالـوقوف في وجه انتشار الاسلام في عمان.

ويضمـن الكتـابـان المعنـونان كـل علـى حـدة، إلـى الحاكميـن الأخويـن، عبدي اللـه وأميري عمـان السلامـة والأمـن لأولئك الـذين «يقيمـون الصـلاة ويأتـون الزكـاة ويطيعون اللـه ورسولـه ويؤدون ما عليهـم إلى الـرسول ويتبعون طـريق المسلمين». كمـا تم إبـلاغ الأخوين بـأنه سيتم احترام ممتلكـاتهما باستثناء خزانة معبـد النار التي ستصبح مـن ممتلكات اللـه ورسوله، وبـأنه سيتـم جمع ضـريبـة الزكـاة بمقدار عشـرة في المـائة على محصـول الفواكه وخمسة في المائة على محصول الحبوب.

وكان رد جيفر علـى الكتاب هو كما يلي طبقـا لما ذكره وكيدي: «لقد فكرت ملياً في مطـالبكم، لكنني أكون أضعف ضعفـاء العرب إذا سمحـت لـرجل آخـر بـأن يتحكم فـي ممتلكاتـي». ويقال أن جيفـر عندمـا رأى مبعوث الـرسول يستعد للعـودة لنقل رده إلى الرسـول الكريم ﷺ فـي مكة المكـرمة فكـر فـي الأمر مـرة أخـرى واستـدعاه واعتنـق الاسلام. وهنـا شرع عمرو بن العـاص في جمع ضـريبة الزكاة وعين نفسـه قاضيا بموافقة جيفر واسـرته وبدأ في تلقين شعـب عمان تعـاليم الاسلام. ويقـال أنه مكـث في عمان إلى أن بلغه نبأ وفاة الرسول الكريم محمد ﷺ.

وقد جاء ذكر هذه القصة بصورة مختلفة إلى حد ما في كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري الذي توفى في عام ٩٨٢م. وطبقا للـرواية التي وردت في هـذا الكتاب فقد تـم ارسال مبعوثيـن هما عمرو بن العـاص الذي ورد ذكره آنفـا وأبي زيد. وكان الكتابان اللذان حملهمـا المبعوثان معنونين إلى جيفر وعبد وينصـان على أنه عند قبول الشـروط المدرجة فيهما يصبـح عمـرو بن العاص أميـرهم ويتحمل أبو زيد المسؤولية عن تلقيـن الناس التعاليم الدينية ومسـاعدتهم



أندرو سيالتون

تعبر الجمال الصحراء الرملية في أواسط عمان لتذكرنا بالعصور القديمة.

علـى دخول الاسـلام». وكان الأخـوان في صحـار عندمـا وصلهمـا الكتابـان وقبلا الشـروط الـواردة بهما وشجعـا الآخرين على الدخول في الاسلام.

وأخيراً، جـاء ذكر هذه الواقعـة في المصدر التـاريخي الغني «كشف الغمة» والذي جاء فيه ما يلي:

قيـل إن أول من أسلـم من أهـل عمان هـو مازن بـن غضوبة بن سبيعة بن شماسـه بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بـن خطامه بن سعد بن نبهـان ابن عمرو بن الغوث بن طي، وكـان يسكن قرية سمايل، وقيـل إنه جد سعيد أمبو علـي، الذي طلب من النبـي ﷺ: ادع الله لأهل عمان، فقـال النبي «اللهـم اهدهـم وثبتهم» فقلـت زدني يـارسـول الله فقـال: «اللهم ارزقهـم العفـاف والكفـاف والرضـا بما قدرت لهم». قـال مازن: يارسـول الله البحر ينضح بجانبنـا فادع الله في ميرتنا وخفنـا وظلفنا فقال: «اللهم وسـع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم» فقلت زدني فقال: «اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم» وقال لمـازن: « قل يامـازن آمين فـإنه يستجيب عنـدهـا الدعاء». فقال مازن «آمين».

ثم قـال: يارسـول الله إني مـولع بـالطرب وبشـرب الخمرة لجوج بـالنساء وليس لي ولد فـادع الله أن يذهب عني ما أجـد ويرزقني ولداً تقـر به عيني، ويأتينـا بالحيا فقال عليـه السلام: «اللهـم أبدله بـالطرب قـراءة القرآن وبالحـرام حلالاً وبالعهر عفـة الفرج وبالخمر ريـاً لا إثم فيه وآتهـم بالحيا وهـب له ولداً تقـرّ به عينه» قـال مازن فأذهـب الله عني ما كنت أجـد من الطرب وحججـت حجاً وحفظـت شطراً مـن القرآن وتـزوجت أربـع عقائل مـن العرب ورزقت ولداً وسميته حيان بن مازن.

ثـم إنه صلـى الله عليـه وسلـم كتب إلـى أهل عمـان يدعوهم إلى الاسلام. وعلى أهـل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلنـدى، وكان أبـوهما الجلندى، قـد مات فـي ذلك العصر. وكان كتـابه ﷺ: «من محمد رسـول الله إلى أهل عمان. أما بعـد، أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنـي محمد رسـول الله وأقيمـوا الصـلاة وأدوا الـزكـاة وأعمـروا المساجد وإلا غزوتكم».

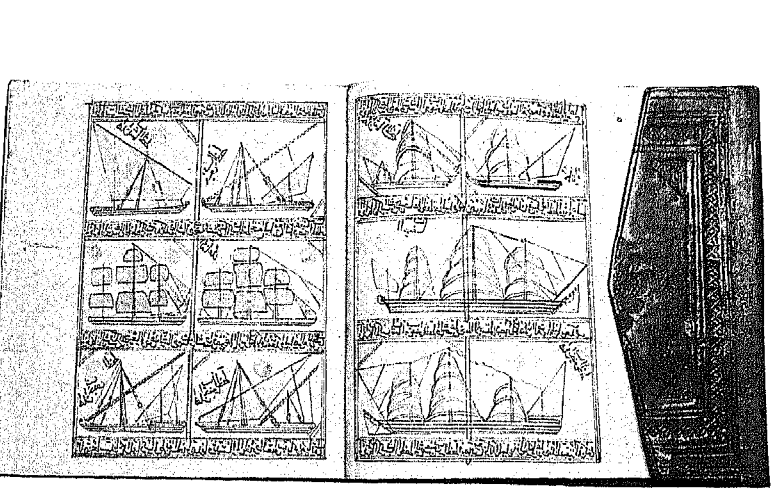
وكتب ﷺ إلى عبد وجيفر: «مـن محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلنـدى، أما بعد فإني أدعوكـم بدعاية الاسلام أسلمـا تسلما فإني رسـول الله إلى الناس كـافة لأنـذر من كـان حياً ويحـق القول علـى الكافـرين، فـإن أسلمتمـا ولّيتكمـا وإن أبيتمـا فـإن ملككمـا زائل عنكمـا وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

وكان الكـاتب لهـذا أبي بـن كعب وهـو عليه السـلام المملي عليه. وقد طوى الصحيفـة وختمها بخاتمه وبعث بها مع عمرو بن العاص فقـدم بها عمرو إلى عبد وجيفر، وأول موضـع نـزل به بعمان هو «دستجرد» وهـي مدينة بصحار بنتها العجم فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى ابني

الجلندى وهما ببادية عمان، فأول من لقيه عبد وهو أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً فأوصل عمرو إلى أخيه جيفر ودفع إليه الكتاب مختوماً ففض ختامه وقرأه ثم دفعه إلى عبد فقرأه ثم التفت إلى عمرو فقال إن هذا الذي تدعو إليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير وأنا أعيد فكري فيه وأعلمك. ثم استحضر جماعة الأزد وبعثوا إلى كعب بن برشه العودي فسألوه عن أمر النبي ﷺ فقال إنه نبي وقد عرفت صفته وإنه سيظهر على العرب والعجم وأسلم كعب وعبد وجيفر وبعثوا إلى وجوه الناس فبايعوهم للنبي ﷺ ودخلوا في دينه وألزمهم تسليم الصدقة وأمروا عمرو بقبضها فقبضها منهم على الجهة التي أمره بها رسول الله ﷺ.

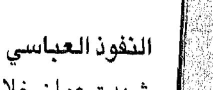
ثم بعث جيفر إلى مهرة والشحر ونواحيها فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبعث إلى دُبا وما يليها إلى آخر عمان فما ورد رسوله على أحد إلا أسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا بعمان فحين أبوا عن الاسلام اجتمعت الأزد إلى جيفر وقالوا لا تجاورنا العجم بعد هذا اليوم. وأجمعوا على اخراج عامل الفرس «مسكان» ومن معه من الفرس. فدعا جيفر بالأساورة والمرازبة فقال لهم إنه قد بعث نبي من العرب فاختاروا منا إحدى حالتين: أما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم. فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج.

فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالا شديداً وقتل مسكان وكثير من أصحابه وقواده ثم تحصن بقيتهم في مدينة دستجرد فحاصروهم أشد الحصار. فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة ويراع فأجابوا إلى ذلك وخرجوا من عمان وبقيت أموالهم وهذه الصوافي (الأملاك والأرض). ومكث معهم عمرو وهم له طائعون ولقوله سامعون إلى أن بلغته وفاة النبي ﷺ.



وطبقاً لأحد المصادر فإنه عند وصول نبأ وفاة الرسول ﷺ إلى عمان، ارتد بعض أولئك الذين اعتنقوا الاسلام تحت راية لقيط بن مالك ذي التاج الذي سبق أن ذكرنا أنه كان يشغل مكانة قوية في عمان قبل وصول مبعوثي الرسول ﷺ. وقد علق بوتس في كتابه على ذلك بقوله: «يمكننا تصور أن هذا الارتداد كان يهدف إلى عزل جيفر وليس إلى رفض الاسلام».

على أية حال، تم ارسال قوات من جيش المسلمين بقيادة حذيفة بن محسن المخزومي الذي انضم إلى القوات الموالية بزعامة عبد وجيفر. ولقي لقيط مصرعه في ساحة المعركة في دبا حيث يقال أن ١٠٠٠٠ من المتمردين قد لقوا مصرعهم بينما وقع ٤٠٠٠ منهم في الأسر. وعاد السكان المحليون مرة أخرى إلى رحاب الاسلام، لكن حدث عصيان آخر في الشحر تم القضاء عليه أيضا بواسطة القوات التي كان يقودها عكرمه بن أبي جهل.



النفوذ العباسي

شهدت عمان خلال الفترة بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين فترة من الازدهار المبني على علاقاتها الزراعية والتجارية. وكانت هذه الفترة أيضاً هي فترة الفتوحات العباسية التي بسطت نفوذها من بغداد إلى

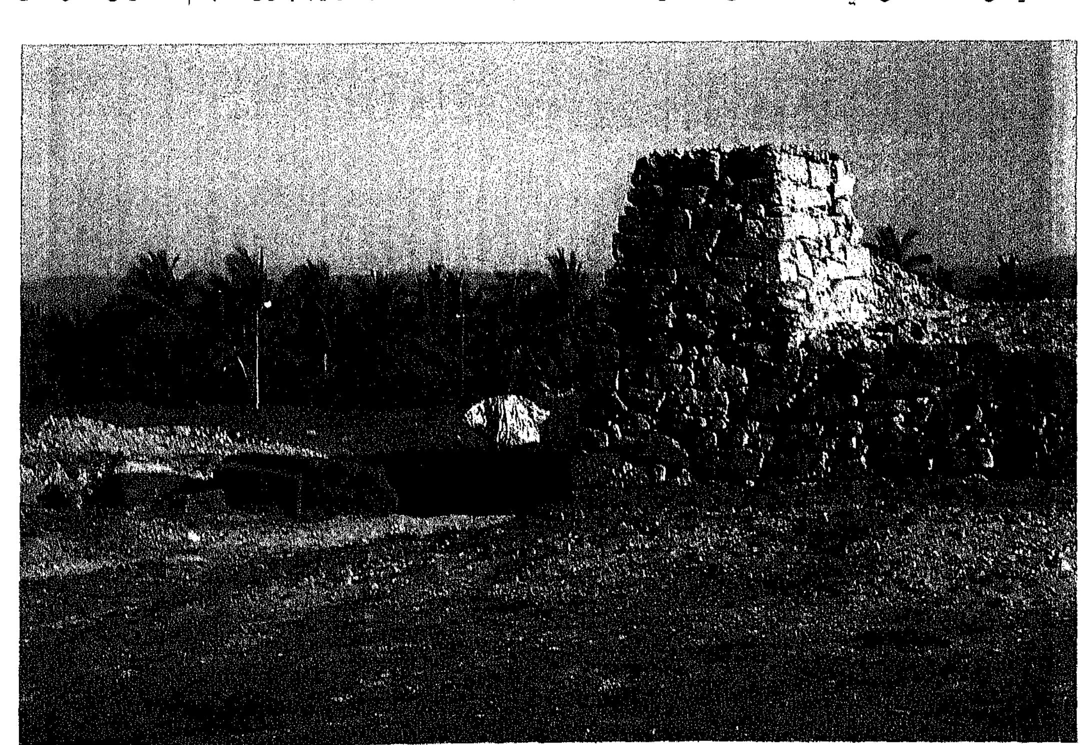
المقاطعات الجبليــة والداخلية لنزوى وبهلا وهمــا مركزان مهمــان في قلــب عمان. إن سيطـرة النفوذ العبــاسي علــى هذيـن المركـزين كان يعنــي إنتشــار نفـوذهم فعــلاً في منطقة كبيرة من عمان باستثنـاء مسندم التي كانت لا تزال نائيـــة بدرجـــة لا تستطيــع معهــا الجيــوش البــريــة أن تخضعها بصـــورة فعالة. وكان حــافز العباسيين هــو ربط طـرق التجـارة المـربحــة بيــن الهنـد والشــرق الأدنــي وأفريقيـا وجنــوب الجزيـرة العربية بــالموانيء العمــانية التي تحتـل مواقع هــامة كمراكز تجــارية رئيسية. وكــانت هــذه الفترة هـــي فتـــرة أوج عظمــة صحار وأوج عظمــة الاسطول البحــري العماني الذي ســاعد في المحافظة على الطرق البحرية خالية من القراصنة.

التطورات التجارية

وضع وصول الســلاجقة الأقوياء عسكرياً عقـب هزيمتهم للبويهييـن في عام ١٠٦٢م. نهــاية للسلام النسبــي الذي تمتعت به التجارة في الخليج لمدة قرنين أو أكثر. ومع ذلك لم تعمــل أسرة حكام الســلاجقــة في عمان ضد المصـــالح التجارية تمــاماً حيث استمرت معظم حركــة تجارة المحيط الهندي مع دول الخليج في الانتقال إلــى الموانيء العمانية.

وقد واكب ازدهار هرمز كمركز تجاري اقليمي خلال القرن الثالــث عشر نمو المــوانيء العمــانية في صحــار ومسقط وقلهات. وكانت السفن القادمة من أماكن بعيدة بعد الصين تصل إلــى الشواطــيء العمانيــة بانتظــام. وقد كتــب «توم بيرس» ما يلي عن هرمز كمــا كانت قبل عام ١٥١٤م عندما استولى عليها البرتغاليون:

كانــت هرمــز تزاول التجــارة مع عــدن وكمبا ومـــع مملكــة دكــان وجاوه ومــع مــوانــيء مملكة نــرسينجــا ومـوانــيء مكبار. وأهـم السلع التــي كان يــأخذهــا تجار هرمــز هي الخيول العربيــة والفارسية واللؤلــؤ الصغير والملح الصخــري والكبريــت والحريـر واكسيد الزنـــك الخام والشــب ـ المعروف في منطقتنــا من العالم بــاسم الالكسندرينـا ـ وكبــريتات الحديـدوز والزاج وذلــك إلى جانب كميــات كبيرة من الملح والحرير الأبيـض والعديد من قطــع التنجا وهــي عملة فضيــة تبلغ قيمتهــا حوالــي خمســة وستين ريــس (وحــدة نقد بــرتغــاليــة قديمــة) والمسك وأحيانــا الكهرمان وكميات ضخمة مــن الفواكه المجففة والقمح والشعيـر ومواد غذائية مشــابهة أخرى. وكــان هؤلاء التجــار يجلبــون معهــم الفلفل والقــرنفــل



جزء من آثار البليد.

إس. كاي



إس. كاي

عمود من آثار مدينة البليد، ظفار.

والقرفة والزنجبيل وجميع أنواع التوابل والعقاقير التي كان عليها طلب شديد في بلاد فارس والجزيرة العربية والتي كان يذهب جزء منها ـ عندما تكون متوفرة ـ إلى عدن. لكن نظراً لأنها كانت غالية بالفعل في هرمز فأعتقد أنها كانت تذهب إلى القاهرة ليتم ارسالها إلى ايطاليا. كما كان هؤلاء التجار يجلبون معهم أيضاً كميات كبيرة من الأرز على قدر الامكان وكذلك القماش الأبيض. كما كانت تسيطر عليهم فكرة جلب الفلفل والأرز والذهب. وكانت أسعار الخيول مرتفعة جداً في مملكة جاوه ودكان ونارسينجا ولذلك كان تجار هرمز يذهبون إلى هذه الممالك قبل عام محملين بالخيول. وكان ثمن الحصان عندما يكون من النوع الممتاز هو سبعمائة زرافين وهي عملة تبلغ قيمتها حوالي ٣٢٠ ريس. وكانت أفضل الخيول هي الخيول العربية تليها الخيول الفارسية ثم خيول كمباي.

ومع وجود مثل هذا المحور للنشاطات التجارية على امتداد سواحل عمان وعند مدخل الخليج، فليس من المدهش أن تركز البرتغال اهتمامها على هذه المنطقة في أعقاب وصول اسطولها البحري إلى المحيط الهندي.

وفي عام ١٥١٤م. سقطت هرمز في أيدي البرتغاليين وبعدها أصبح النفوذ البرتغالي أحد العوامل الرئيسية في عمان والدول المجاورة لها.

وقبل أن نترك موضوع التجارة البحرية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، فمن الجدير بالاهتمام أن نشير إلى عبارة أخرى من كتاب توم بيرس تشرح كيف أن السلع القادمة من جنوب الجزيرة العربية قد وصلت إلى القاهرة حيث كان يتم كما رآينا آنفاً نقلها على متن السفن إلى أوروبا.

كان التجار هناك يحفظون التوابل بأنفسهم ويرسلونها إلى القاهرة بالطريقة التالية: كانوا يتجهون من عدن إلى جزر قمران ومن جزر قمران إلى زلكا ومن زلكا إلى جزر سواكن ثم عبر مضائق جزر سواكن حتى ميناء القصير المصري. ومن هناك إلى نهر النيل في رحلة تستغرق ثلاثة أيام ثم إلى القاهرة في رحلة تستغرق عشرة أيام. وكان هؤلاء التجار هم وحدهم الذين لا يتبعون هذه الطريق بسبب اللصوص. فقد كانوا عند وصولهم إلى جزر سواكن يتجهون إلى جدة مبحرين أثناء النهار. وقد تعرض العديد منهم للغرق لأن المضائق كانت عاصفة نتيجة للرياح البرية. وعندما يصل هؤء التجار إلى جدة يفرغون حمولتهم هناك وينتظرون حتى موسم الحج عندما تأتي إلى مكة المكرمة قوافل كبيرة يشترك فيها التجار بعد أن يقنعوا قائد القافلة بالموافقة على إنضمامهم إليها.



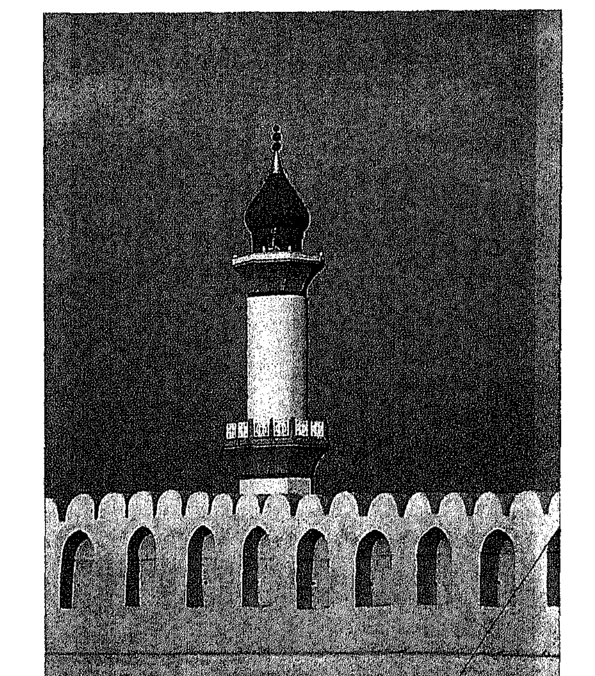
إس. كاي

بعض آثار البليد.

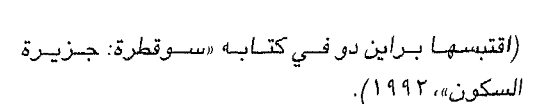
وكانـت الرحلـة إلى القـاهرة تستغـرق سبعين يومـاً، وأحيانا كـانوا يتوجهون مـن جـدة إلـى منطقـة الطـور عــبر البـحر الأحمــر لكـن ليـس دائـما لأن هـذا هــو الطريق الرئيسي المؤدي إلى القـاهرة وكانوا يتعرضون فيه دائما للسرقة.

ابـن بطـوطـة

في ٢٩ سبتمبر ١٣٢٩م وصل عالـم الجغرافيا المسلم ابن بطوطـة إلى جـزيرة الحلانيـات بالقرب مـن ساحـل ظفار العماني (وكـانت هذه الجزر ـــ المعروفة حتى وقـت قريب كما رأينا آنفا بـاسم جزر كوريا موريا ـ معـروفة للرومان باسـم جزر زنجبـار). وكان ابـن بطوطـة يقطع جـزءاً من رحلته الطـويلة في هذه المـرحلة بين ظفار وميـنـاء قلهات القديم. وبعـد وصوله إلى الجـزيرة ارتقى تلها لـزيارة أحد النسّاك الروحانيين.



... فـي أعلـى التل يـوجـد سكـن مبني مــن الحجـــارة بسقـف مـن عظام السمك، وأمـامه بـركة من مـاء المطر المتجمع. وعندمـا ألقينا رحالنا عند أسفـل التل صعدنـا إلى هـذا السكن حيث وجدنا رجلا كهلا نائماً. ألقينا عليه بالتحيـة فاستيقظ من نـومه ورد علينا التحية بـالاشارة وتحدثنـا إليـه لكنه لم يتحـدث إلينا وواصل هـز رأسه. وعرض عليـه مـلاحو السفينة بعض الطعـام لكنه رفض قبوله. ثم استعطفناه أن يصلـي مـن أجلنا فواصل تحريك شفتيه لكننـا لم نعرف مـا كان يقول. كـان يرتدي ثـوباً مرقعاً وقلنسوة من اللباد ولم يكن معه كيس من الجلد أو أبـريـق أو عكـاز أو صندل. أمضينـا هـذه الليلـة عـند الشـاطـــىء فـوق التـل وأدينـا فـرائض صـلاة العصـر والمغرب معـه وعرضنا عليـه بعض الطعام لكنـه واصل الصلاة حتـى حان موعد صــلاة العشاء حيث صلينـاها معه عندما أذن إلى الصلاة. كـان صوته جميلاً في تلاوة القرآن الكريم وتـرتيله. وعندما انتهى من تـأدية فرائض صلاة العشاء أشـار إلينا بالانسحاب والقـاء التحية عليه ففعلنا مندهشين مما رأيناه».



(اقتبسـهـا بـراين دو فــي كتـابـه «ســوقطرة: جـزيـرة السكون»، ١٩٩٢).

السيطـرة البرتغاليـة



وزارة الاعلام

قلعة الحزم من الداخل حيث يوجد المدفع البرتغالي.

هجمات البوكيرك

أرسل ملك البرتغال ثلاثة أساطيل من السفن البحرية إلى المناطق الأجنبية في عام ١٥٠٦م.، ورحل أحد هذه الأساطيل المكّون من ١٦ سفينة من ميناء تاجوس البرتغالي في السادس من شهر مارس وطاف حول رأس الرجاء الصالح متجهاً إلى جنوب الجزيرة العربية. وقد حمل هذا الاسطول بقيادة القائد البحري تريستان دي كونها الفاتح ألفونسو دي البوكيرك. ووصلت السفن إلى سوقطرة في شهر ابريل ١٥٠٧م.

وبعد معركة مع الحامية (قتل فيها ٨٠ عربياً وأحد البرتغاليين وجرح فيها ٥٠ شخصاً) استولى البرتغاليون على القاعدة العسكرية. إن وجود المسيحين في سوقطرة قد جعلها مكاناً مفضلا للبرتغاليين لأنهم اعتقدوا بأنهم سوف يزودون قاعدة البوكيرك الجديدة بالطعام والماء العذب. وعين البوكيرك ابن أخيه ألفونسو دي نورونها قائداً لحامية قوامها ١٠٠ شخص ثم رحل مع الاسطول بعد ذلك إلى الجزيرة العربية حيث سرعان ما ارتبط اسمه بالأعمال الوحشيه تجاه أهل جنوب الجزيرة العربية المسلمين.

وقد ذكر توم بيرس محاولات البوكيرك للاستيلاء على عدن في كتاباته التي دوّنها بعد انقضاء بضع سنوات على محاولات الاستيلاء هذه، جاء فيها:

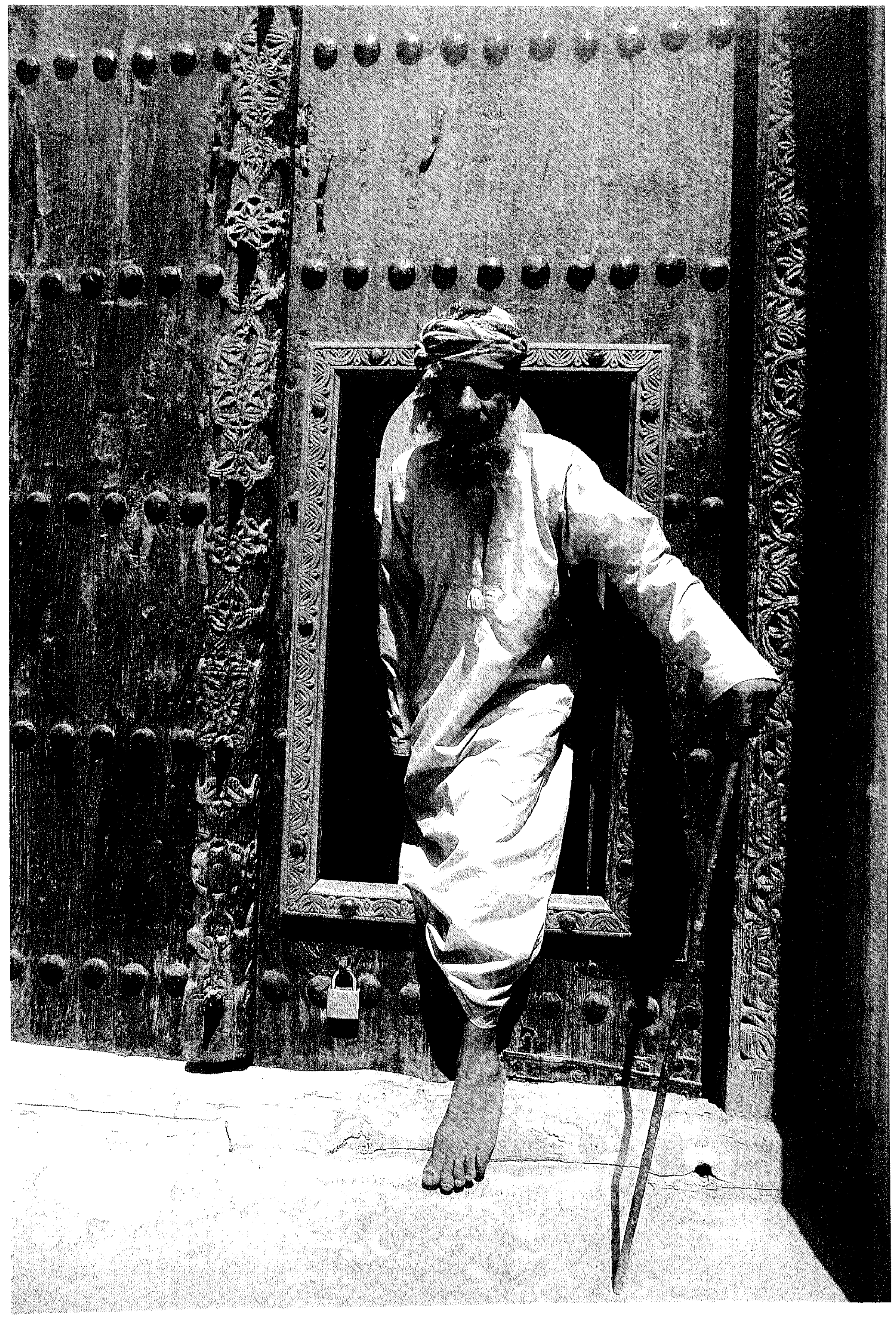
توجد في داخل المدينة قلعة كبيرة فيها قائد يقف على أهبة الاستعداد دائما ـ كما يقضي عليه الواجب ـ لأنه كان طوال السنوات العشر الماضية يخشى حملاتنا. وقد ساعد جميع المسلمين هذه المدينة حتى لا يتم الاستيلاء عليها. فقد كانوا يخشون في حال الاستيلاء على هذه المدينة أن تكون النهاية قريبة لأنها المدينة الوحيدة التي بقيت لهم. وقد شهدت هذه المدينة بالفعل معركة كبرى وكانت على وشك أن يتم اقتحامها لولا كارثة تحطم السلاسل لثقل وزن الأفراد الذين كانوا يتسلقون الجدران. وكانت معركة شهيرة لأنه للاستيلاء على هذه المدينة كان يجب أولاً السيطرة على مقر المعسكر وإذا تم ذلك يفقد المسلمون هذه المدينة. وكانت هذه المعركة مأثرة شهيرة فبالرغم من عدم التمكن من الاستيلاء على المدينة إلا أن الأمور لم تسر بعدها على مايرام وقد شعر شيوخها بأن تدمير مدينتهم بات وشيك الوقوع.

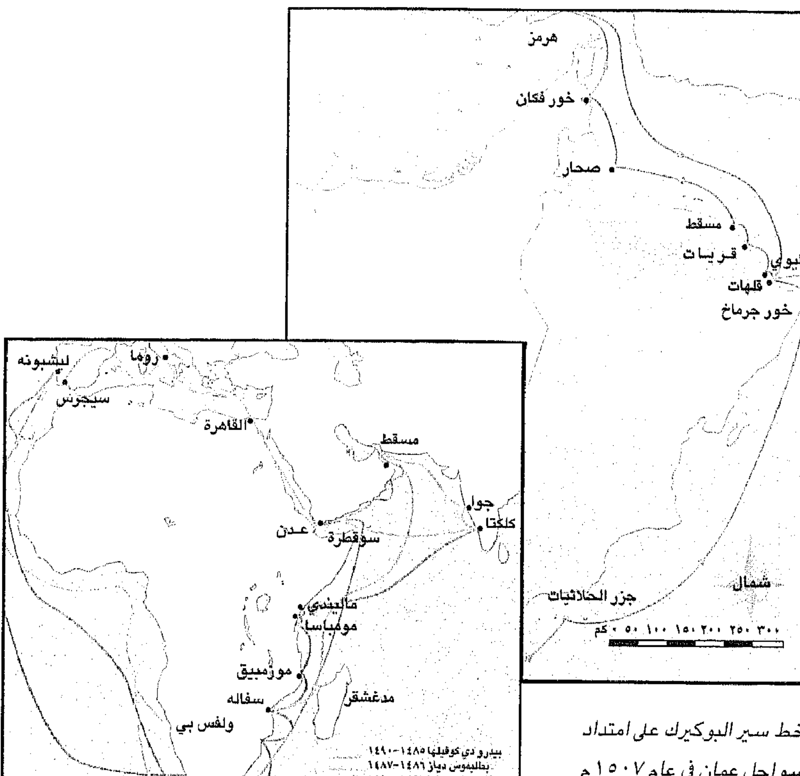
لقد اشتهر العمانيون بين البرتغاليين بأنهم مقاتلون مهرة وشجعان. ويعلق توم بيرس على جنوب الجزيرة العربية بأكمله حيث كتب:

بعد عدن جاء الدور على جزر كوريا موريا ومصيرة، وكان أهلها جميعا من البدو التجار والمحاربين البارعين. وكان العديد منهم يذهب من فرتاك إلى سوقطرة وزيلا وبربرا كقادة للحاميات. ويعيش هؤلاء الناس على التجارة وإن لم تكن كثيرة. وتقع البلاد الممتدة من رأس الحد تحت سيطرة هرمز ولدى أهل فرتاك سيوف جميلة ولديهم أيضاً جميع أنواع الأسلحة. إنهم رجال باسلون.

وفي أعقاب هجومه الأول على خور جرماح قاد البوكيرك قواته إلى قلهات حيث لم يكن أمام حاكمها سوى خيار واحد هو الترحيب بالبرتغاليين.

وبعد انقضاء عدة أيام وعقب مرورهم على طيوي وصلوا إلى قريات وارتكبوا أول أعمالهم الوحشية العديدة ضد أهل عمان. فقد هاجموا أولاً تحصينات المدينة وقاموا بذبح الرجال والنساء والأطفال دون تمييز أثناء فرارهم للنجاة من المذبحة. وأخيرا نهب البرتغاليون المدينة وأشعلوا النار في منازلها وحرقوا السفن في الميناء. وانتشرت قصة الهجوم في أنحاء الساحل كالنار في الهشيم ووصلت إلى مسقط قبل أن يصل الاسطول البرتغالي بفترة طويلة والذي وصل إليها بعد أربعة أيام من مذبحة قريات.





خط سير البوكيرك على امتداد سواحل عمان في عام ١٥٠٧م

أعلى جهة اليسار: صورة الفونسو دي البوكيرك كما ظهرت في كتاب بي. بارتو دي ريسنده «دولة الهند».

جهة اليسار: كان المر والبخور من مصادر الثروة في عمان منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة.

في الصفحة المواجهة: مدخل سوق نزوى.

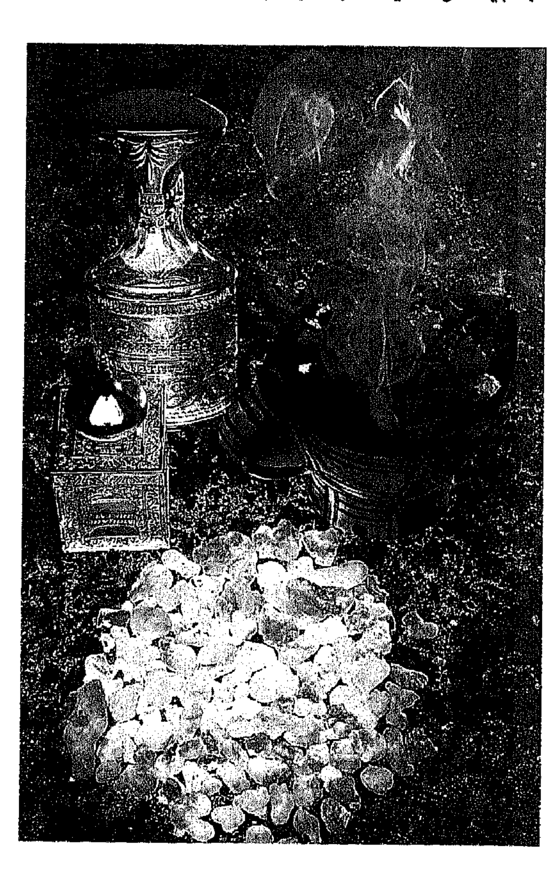
وقد قام أهل مسقط بتحصين المدينة والاستعداد للدفاع عنها ضد هجوم البوكيرك الوشيك الوقوع.

وفي البداية وهنت عزيمة البرتغاليين إلى حد ما نتيجة لحالة الاستعداد في مسقط، لكن البوكيرك لم يكن اطلاقاً ذلك الشخص الذي يتراجع.

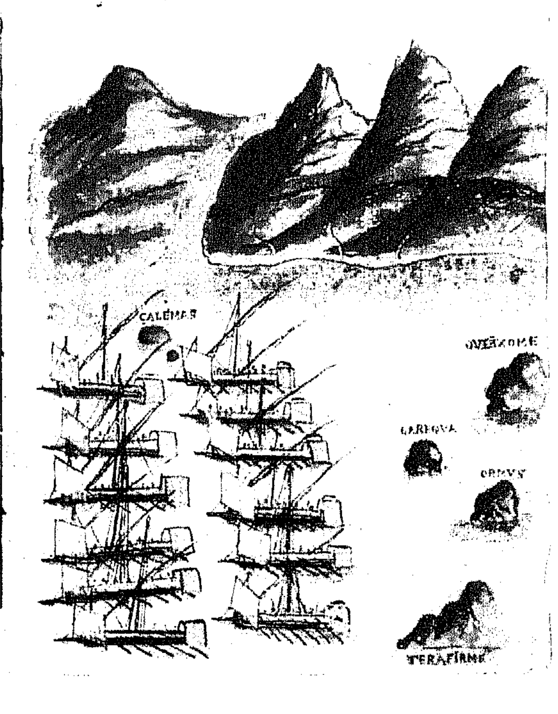
وقد سيطر الرعب على أولئك الموجودين عند الشاطىء بانتشار الأنباء عن وحشية البرتغاليين في أعقاب المذابح الدامية التي وقعت في قريات وباتوا معها يخشون على أرواحهم. ولذلك اتجه اثنان من قادة المدينة إلى الاسطول البرتغالي الذي كان يرسو في الخليج في محاولة لعقد اتفاقية سلام. وبمجرد أن بدأت المفاوضات شعر البوكيرك بأن هذين القائدين لا يحملان تفويضا مطلقا من كافة الناس الموجودين عند الشاطىء للموافقة على شروطه فأمرهما بالعودة إلى اليابسة والحضور إليه في اليوم التالي.

وعندما عادا في اليوم التالي عرض عليهما شروطه التي تضمنت دفع جزية أو اتاوة للأسطول البرتغالي كل عام وتزويده بالامدادات والتموين بما في ذلك الطعام والماء اللازم لهجومة المزمع على هرمز. وافق المتفاوضون العمانيون على هذه الشروط وحين عادا إلى الشاطىء وجدوا الناس يتحدثون عن مقاومة البرتغاليين. وفي تلك الليلة وصلت التعزيزات والتجهيزات إلى مسقط عن طريق البر وشجع أحد الشيوخ المدينة على المقاومة.

وبمجرد أن أصبح ذلك واضحاً بدأ البوكيرك هجومه على مسقط وقصف سواحلها والمدينة بالمدافع الثقيلة. غير أن السفن كانت بعيدة عن الشاطىء ولذلك لم يكن للقنابل تأثير كبير. وأوقف البوكيرك عملية القصف وعقد اجتماعاً لقادته لوضع استراتيجية جديدة. وأعرب الضباط عن استعدادهم لتنفيذ أوامر البوكيرك خشية من غضبه وبطشه وعند ئذ أمرهم البوكيرك بالقيام بهجوم تطويقي التفافي من الجانبين على المدينة، وتولى بنفسه قيادة قوات الجبهة







في شهر أغسطس ١٥٠٧م رسا الاسطول البحري البرتغالي بقيادة فرناندو دي مينزس بالقرب من مسقط قبل أن يواصل رحلته إلى مسندم حيث واجه اسطول السفن الشراعية التركي الذي أبحر حول الجزيرة العربية من قاعدته في السويس. تم أخذ اللوحة المصورة هنا من كتاب «تاريخ ليزورت» المجهول مؤلفه والذي نشر في حوالي عام ١٥٦٤م.

اليسرى بينما تولى الكابتن دي تافورا والكابتن دي كوستا قيادة الجبهة اليمنى التي ستقوم باختراق الخط أو الحاجز الدفاعي.

وهبطت القوات أسفل التحصينات مباشرة واستطاعت بالرغم من بسالة وعزيمة القوات المدافعة أن تخترق كلتا الجبهتين. والتقت فرقتا الهجوم عند اقتحامها للمدنية وقامت بطرد سكان المدينة وقتل أو تشويه أهلها كلما أتيحت لهم الفرصة. وكانت هذه المعركة صورة من مذبحة قريات.

وبعد أن تمكن كل من استطاع الهرب من الهروب وتم القبض على النساء والأطفال والكهلة أمر البوكيرك شخصياً بقتلهم. وقام كل من الكابتن أنتاو دي كامبو وخواو دي نوفا على وجه الخصوص بدور شنيع في قتل النساء وتمردا على البوكيرك فيما بعد. وبعد انتهاء المذبحة بدأت عملية السلب والنهب وتم الاستيلاء على كل ما يمكن حمله وعادوا به إلى السفن البرتغالية. وقد تضمنت غنائم الحرب هذه ٣٠ مدفعاً واقوساً وسهاماً ورماحاً وغير ذلك من الأسلحة.

وواصل الاسطول رسوه لمدة ثمانية أيام قام خلالها بتزويد السفن بالفواكه الطازجة والماء العذب وغير ذلك من الامدادات. وكان البوكيرك على وشك اشعال النار فيما بقي من المدينة. لكن وقبل أن يصدر أوامره بذلك وصله رسول يستعطفه ليعفو عن المدينة مدافعا عنها بقوله «ألا يكفي أنه قد تم قتل العديد من الأبرياء من النساء والأطفال على حد سواء؟» ورد عليه البوكيرك مستعينا بكل ما لديه من مبررات قائلا: «كان يجب على أهل المدينة عدم نقض وعدهم له عندما توصلوا معه إلى اتفاق مبدئي». وبدلا من أن يحرق المدينة في الحال قال أنه سيوافق على التخلي عن خططه إذا حصل على ١٠٠٠٠ أشرفية من الذهب بحلول ظهر اليوم التالي. ونظراً لأن البرتغاليين كانوا قد سلبوا بالفعل كل الغنائم التي وصلت إليها أيديهم فقد كان أهل المدينة في موقف لا يحسدون عليه ولم يستطيعوا بالطبع تلبية هذا الطلب. وأخيراً تم حرق مساكنهم ومنازلهم (حوالي ٣٥ مسكناً على الأقل). ولحقت بالعديد من الانشاءات أضرار لا يمكن إصلاحها وتم بصورة خاصة تدمير أحد المساجد المقامة من الخشب المنقوش تدميراً تاماً.

وبعد تدمير مسقط اتجه الفاتح البوكيرك بإسطوله الجبّار إلى صحار. وأمكن مؤقتاً تفادي مذبحة أخرى عندما سافر وفد من المدينة إلى بارجة البوكيرك لتقديم فروض الولاء لملك البرتغال ولدفع أي مبلغ يطلبه هذا الطاغية البرتغالي مهما كان كبيراً.

وقبل وصول الاسطول البرتغالي طلب أهل صحار المساعدة العسكرية من هرمز، لكنهم لم يتلقوا أي استجابة لطلبهم وكان ذلك هو السبب في اذعانهم للبرتغاليين.

وبعد أن اتفق البوكيرك مع حاكم المدينة على الضرائب التي ستتم جبايتها ودفعها له عند زيارته القادمة للمدينة واصل رحلته شمالاً في اتجاه هرمز.

وكانت المستوطنة الرئيسية التالية على امتداد الساحل هي خور فكان حيث تم تكرار نفس العمليات التي شهدتها الموانيء العمانية الأخرى، وفي هذه المرة

حاول أهل المـدينة المقاومة غير أن قـوة البطش الجبارة للقـوات البرتغـاليـة كانـت أقـوى منهـم واضطروا إلـى الاستسلام وتحولت المدينة إلى رماد.

ومن هناك أبحر االبرتغاليون إلى هرمز حيث واجهتهم تحصينات دفاعيـة أقوى، ومنها أبحروا إلى سـوقطرة حيث تركـوا حاميتهـم قبل ثمانيـة أشهر. وعنـدما وصلـوا هناك وجدوا الحامية البرتغالية الصغيرة فـي حالة يرثى لها، فقد كان رجالهـا يموتون من الجوع لأن المسيحييـن أخفقوا في العنايـة بهم خشية عقاب جيـرانهم المسلمين. وفي طـريق عودته إلى هرمز في عام ١٥٠٨م هجم البوكيرك بقواته على قلهات مرة أخرى وسلبوا ما تبقى منها وأحرقوا المسجد.

وقد جاء فـي كتاب «رحلات عبر الشـرق» لتوم بيرس الـذي يتضمن وصفـاً لرحـلاتـه عبر الشـرق من البحـر الأحمر إلى اليابان والذي كتبـه أثناء وجوده في الهند في الفترة بين عامي ١٥١٢ و١٥١٥م ذكـر الساحل العماني كجزء من المقاطعة التي كانت تسمى الجزيرة العربية.

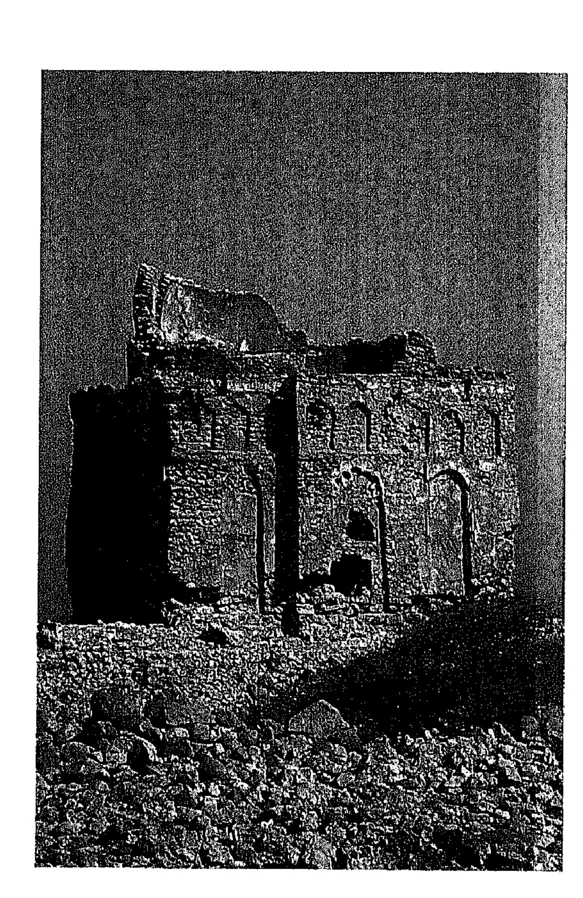
يوجـد في هذه المقاطعـة بعض المدن الواقعـة على امتداد الساحل فهي تضم جدة وعدن وفرتاك ومصيرة ورأس الحد. وعلى امتـداد سواحل هرمز تـوجد قلهات ومسقط وقريات وغيرها مـن المدن. وعند الاتجاه عبر الجبال إلـى المناطق الداخليـة توجد بعض المـدن التي تقطنها مجمـوعة كبيرة مـن السكان وبعـض الأراضي الجميلة التي يعيش فيها العديد من الناس.

إن أهل هذه الجـزيرة العربية يشبهـون المحاربين، يحـاربـون وهـم يمتطـون الخيـول بنفـس طـريقتنـا ويستعملـون المهاميـز. ويقبضون علـى سير اللجـام بإحدى اليدين وعلى الرمح باليد الأخرى. ولديهم أعداد كبيرة من الرجال. والخيول الموجودة في هذه الجزيرة العربيـة أفضل من الخيـول الأخرى الموجـودة في أي منطقة من المناطق الأخرى، ولديهم أيضاً عدد كبير من الجمال والثيران التي يستعملونها والحيوانات الأخرى. إنهـم رجـال صيـادون يعملـون دون كلـل وهـم متغطرسون وغاية في البسالة.

وقـد سيطـر البـرتغـاليـون علـى عمـان وبعـض المستوطنـات الساحلية الأخـرى منذ عـام ١٥٠٧م حتى قام بطـردهم *الإمام* سيف بـن سلطان اليعربي فـي عام ١٦٥٠م. وتنحصر معظـم آثارهـم في ثـلاثة مـن أعظـم القـلاع العمانيـة وهما قلعتـا الميـراني والجـلالي فـي مسقط وقلعة مطـرح.وهذه هي القلاع البرتغاليـة الوحيدة التي لا تزال شامخة في عمان حتى اليوم.

وتتضمـن الآثـار الأخـرى التي تـرجـع إلـى العصـر البرتغالي بعـض المدافع المصنوعة من البـرونز. وتوجد أفضل مجموعة من هذه المـدافع والتي تتكون من خمسة مدافع في ميناء الحزم اليعربي. وأخيراً فقد أثرث التقنيات البرتغـالية لبناء السفن علـى تلك التقنيات الموجـودة في جنوب الجزيرة العربية. وقد ابتكـر البرتغاليون على وجه الخصوص طريقة التثبيت بالمسامير الحديدية التي حلت محل طريقة الخيـاطة بالحبال والتي كان يتـم استعمالها في عمان منذ عدة آلاف من السنين.

وقد وجه البـرتغاليون اهتمامهم للسيطـرة على المدن الـرئيسية فـي المحيـط الهندي حتـى يمكنهـم بـالتالـي الاستفادة من التجارة المربحة للتـوابل والحرير التي تمر عبر هذه الموانيء. وقد أقـاموا ٢٣ مستوطنة محصنة في أنحاء المحيط الهندي من ملقا في الشرق إلى ساحل كينيا فـي الغـرب. وكـان طلـب الأوربييـن علـى الفلفـل (مـن سومطرة) والقـرفة (من سيلان) والكافور (مـن بورنيو)



تعتبر آثار ضريح بيبي مريم أشهر آثار المباني الأثرية في قلهات المدينة الساحلية التي سلبها البرتغاليون.

وجوز الطيب (من جزر باندا) والقـرنفل (من ملوقا) يذكر بالرغبـة المبكرة الملحة للحضارات الكلاسيكية اليـونانية والرومانية للحصول على اللبان والمر.

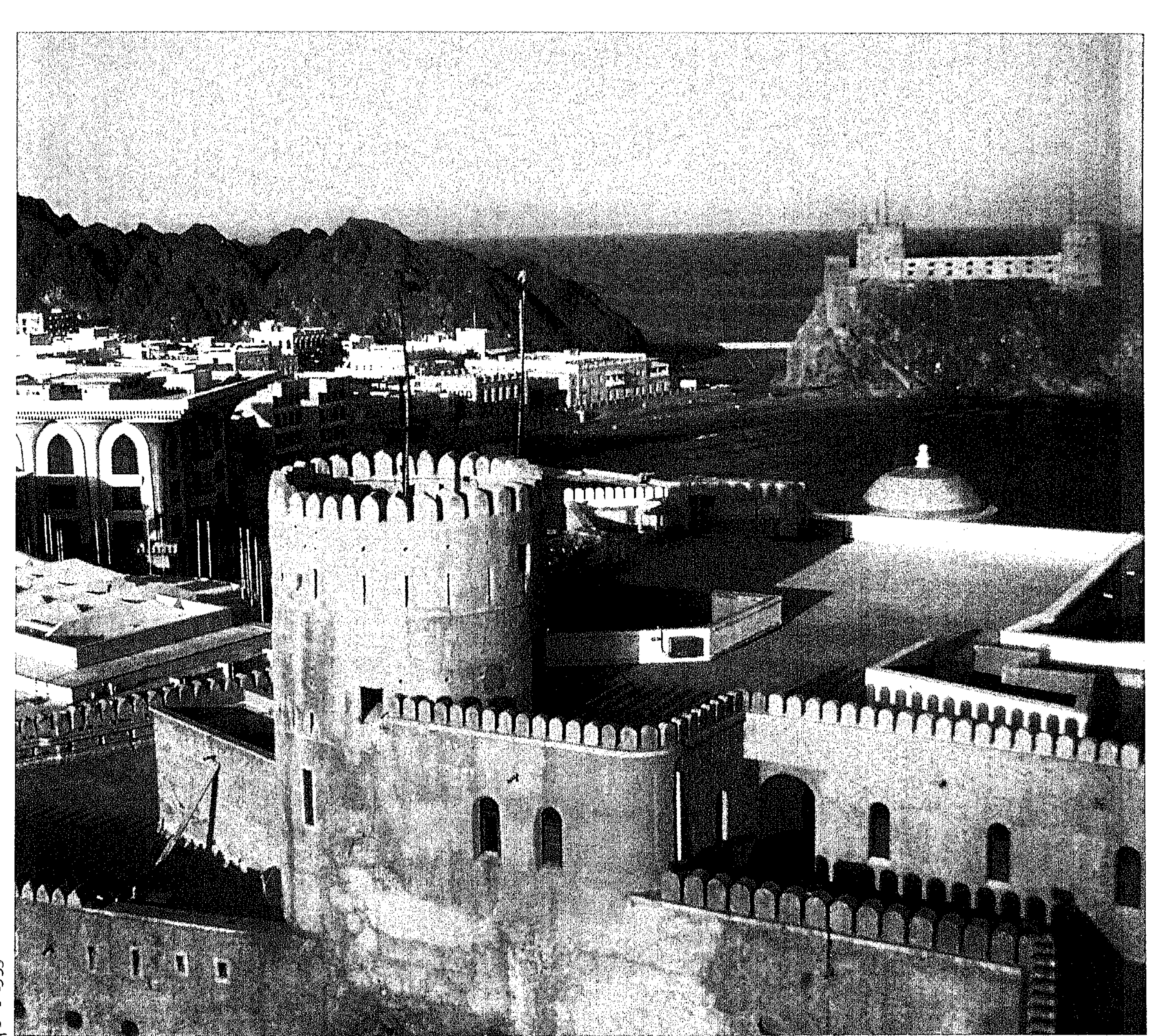
ومـرة أخـرى تـم جـذب القــوات الأجنبية إلــى عمان وإلى الدول الساحلية الأخـرى لتحصل على حصتها من التجارة المـربحة. وفرض البـرتغاليـون في نفس الـوقت الضرائب علـى الأعمال التجـارية الاقليميـة الأخرى مثـل صـادرات عـمان مـن الخيول العـربية الأصيلــة إلـى الهند وصادرات الهند من القطن إلى افريقيا.

تركيا ضد البرتغال

في عام ١٥٤٦م قـام الاسطول التركي الذي كـان يرسو بالقرب من الساحل بقصف مسقط بالقنابل، لكنه لم يتبع ذلك بالنزول إلى الشاطىء لمـواجهة المدينة التي يحتلها البرتغاليون والمزودة بتحصينات دفاعية قوية.

ومع ذلـك، ففي عـام ١٥٥٠م أحضر القـائد التركـي

قلعتا الجلالي والميراني في مسقط.



وزارة الإعلام



بيري باشا قوة أكبر إلى مسقط لمعاقبة البرتغاليين على تأييدهم للثوار العرب في البصرة ضد تركيا.

واستعدادا لهذا الهجوم بدأ القائد البرتغالي لحامية مسقط ببناء قلعة ضخمة.

وفي وقت الهجوم التركي لم تكن البناية قد اكتملت بعد لكنها مع ذلك وفرت موقعاً جيداً للمدافعين البرتغاليين.

وظل البرتغاليون لمدة ١٨ يوماً مختبئين في القلعة والأتراك يحاصرونهم. وأخيراً اضطروا إلى الاستسلام طالبين تأمين طريق لانسحابهم. وتم توقيع معاهدة على عجل سرعان ما تم نقضها عندما نكث القائد التركي بوعده وقتل بعض البرتغاليين المحاصرين وقبض على بعضهم الآخر بما في ذلك القائد المحلي البرتغالي. ونهب الأتراك القلعة واستولوا على كل ما وصلت إليه أيديهم من غنائم يستطيعون العودة بها إلى سفنهم.

وقد شجع هذا النجاح الأولي ضد البرتغاليين الأمير سلطان بأن يأمر بالقيام بهجمات أخرى ضد الأوروبيين، في البحر الأحمر أولاً ثم في جنوب الجزيرة العربية بعد ذلك. وغادر الاسطول التركي البصرة في أغسطس ١٥٥٣م، لكن الهزيمة لحقت به بالقرب من مسندم وأبحر ما تبقى من الاسطول مرة أخرى في العام التالي في شهر يوليو ١٥٥٤م. وفي هذه المرة واجه البرتغاليون عند خور فكان. وانسحب البرتغاليون إلى مأمنهم في مسقط، لكنهم أجبروا في النهاية على الخروج إلى البحر مرة أخرى لمواجهة سفن الاسطول التركي.

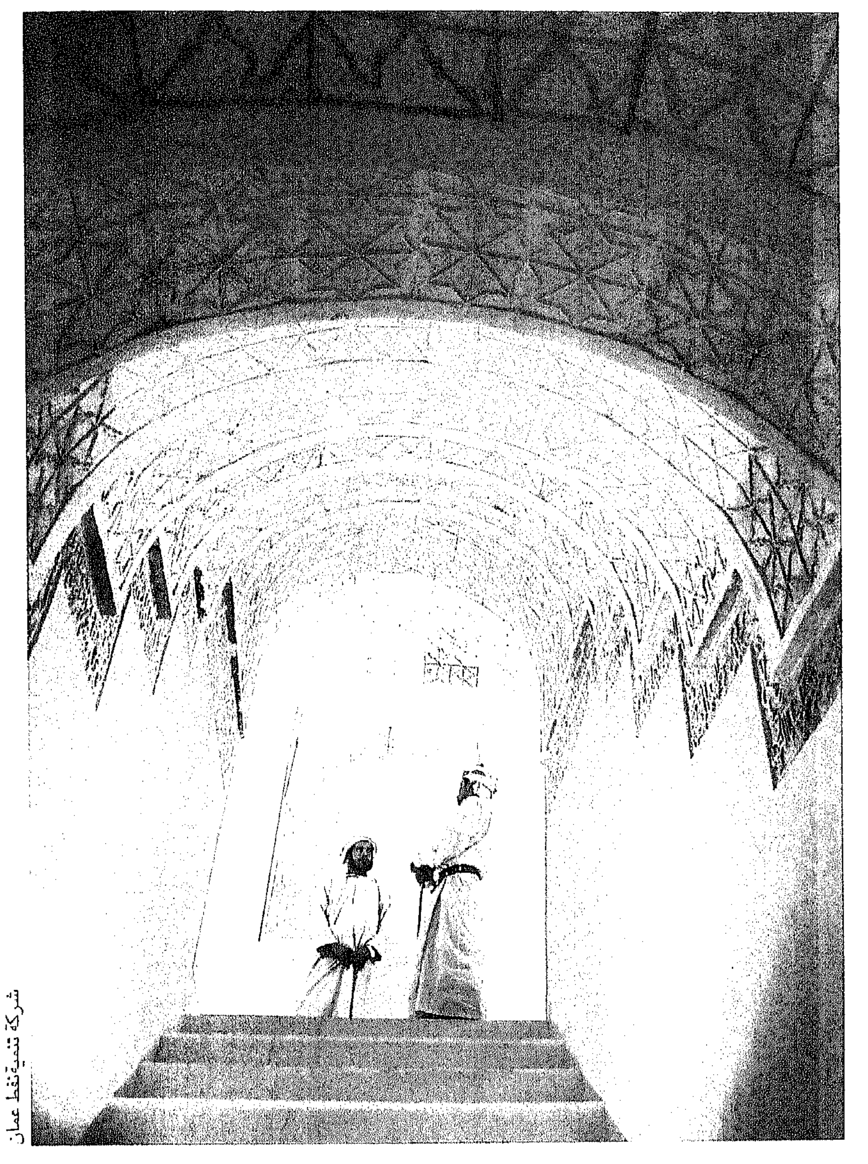
وفي هذه المرة لم يكن البحارة البرتغاليون وهم على متن سفنهم متيقنين من النصر، حيث كان لدى الأتراك قوة يعتد بها وكانوا يضارعونهم من الناحية الفنية ومن ناحية مهارات الحرب البحرية. وقد سجل المراقبون البرتغاليون حادثتين في شهر أغسطس من ذلك العام كنذيرين بسوء الطالع، الأولى هي حوم أحد الحيتان الضخمة حول السفن البرتغالية، وهو مشهد ليس غريباً على مسقط حتى في هذه الأيام. وقد أوقع فضول هذا الحوت وجرأته الرعب في قلوب البحارة البرتغاليين. أما الحادثة الثانية فهي سقوط نيزك صغير في البحر بالقرب من مسقط في ذلك اليوم. ونستطيع تصور مدى الرعب الذي سببه سقوط هذا النيزك بين الرجال الذين كانوا على وشك الدخول في معركة دفاعاً عن أرواحهم.

وأخيراً نشبت المعركة البحرية على مسافة قصيرة من جزيرة الفحل التي سماها البرتغاليون بعد ذلك جزيرة النصر لأنهم هم وليس الأتراك الذين حالفهم النصر في ذلك اليوم.

وقد تركت هذه المعركة البرتغاليين ولديهم ٤٦ مدفعاً آخراً وكمية ضخمة من الأسلحة.

لكن مع مرور الوقت، تم بذل بعض المحاولات لطرد البرتغاليين من عمان. فقد قام القائد التركي مير علي بك بهجوم على مسقط في عام ١٥٨١م ترك البرتغاليين «مرتجفين ولكن غير مزعزعين» وجعل مير علي متلهفا لتكرار محاولته المحدودة النجاح هذه في أماكن أخرى.

وأخيرا تم القبض عليه وارساله إلى لشبونه حيث توفى كما يقال من تأثير التعذيب. وكانت مثل



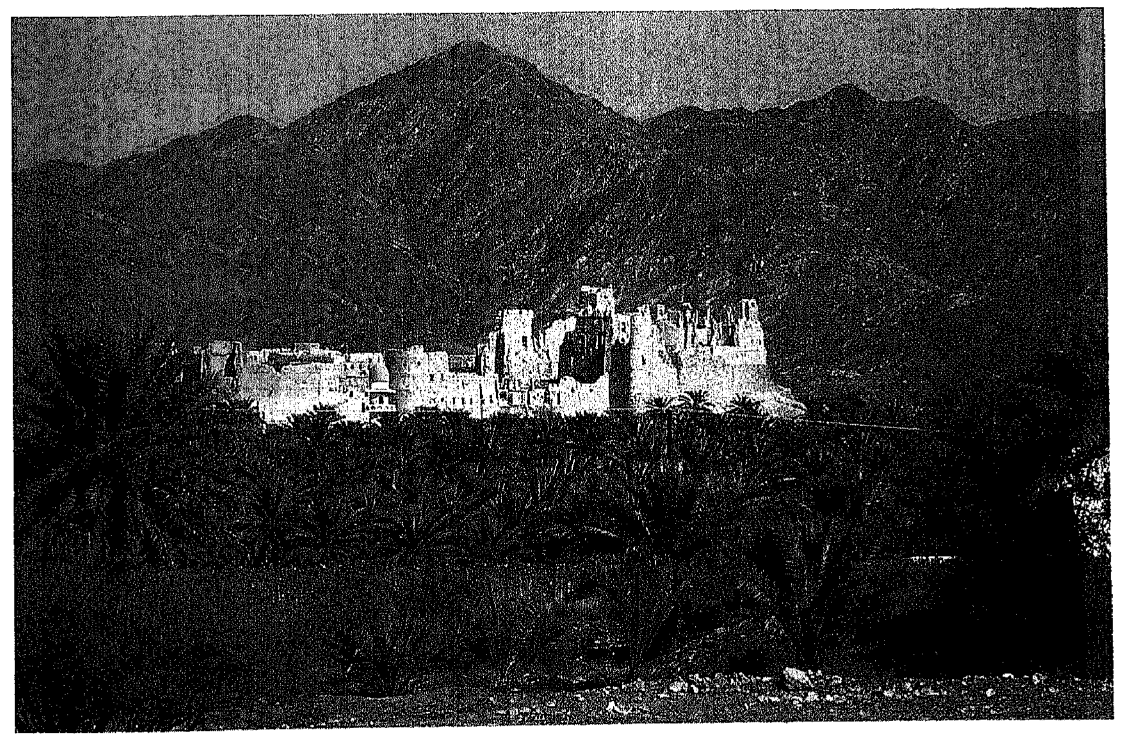
شركة تنمية نفط عمان

هذه الهجمات الخاطفــة هي التـــي أدت إلــى اقامــة قلعتين ضخمتين في مسقط هما قلعة الجلالي التي اقيمت في عام ١٩٨٧م وقلعة الميراني التي اقميت في عام ١٥٨٨م.

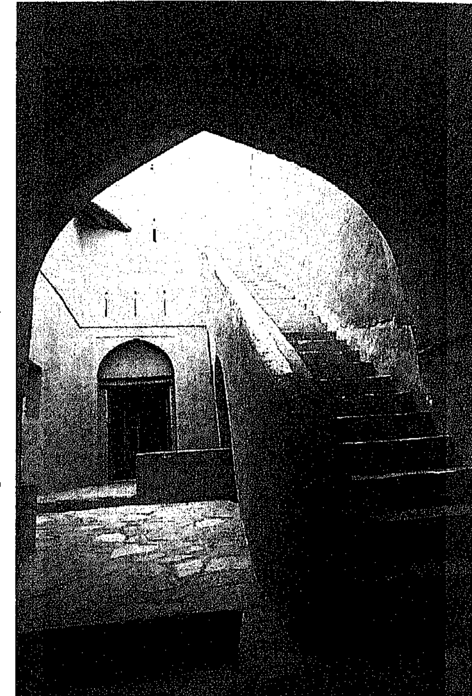
الأعمال المشتركة لطرد البرتغاليين

بحلول أوائل القرن السابع عشر كــانت السيطرة البرتغالية فــي المحيط الهنــدي تواجــه تحــديات متزايــدة من قبــل القوات المحليــة، فقد سقطــت هرمز فــي أيدي الفــرس في عــام ١٦٢٢م، بينما استــولت القــوات العمانية على جلفار. واعتمد البرتغــاليون على قاعــدتهم شديدة التحصيــن في مسقط وواصلــوا منها تطبيــق نظامهم بــاصدار تصــاريح «سلامة المرور» للسفن التجاريــة العابرة مقابل الحصول على مبالغ كبيرة من المال.

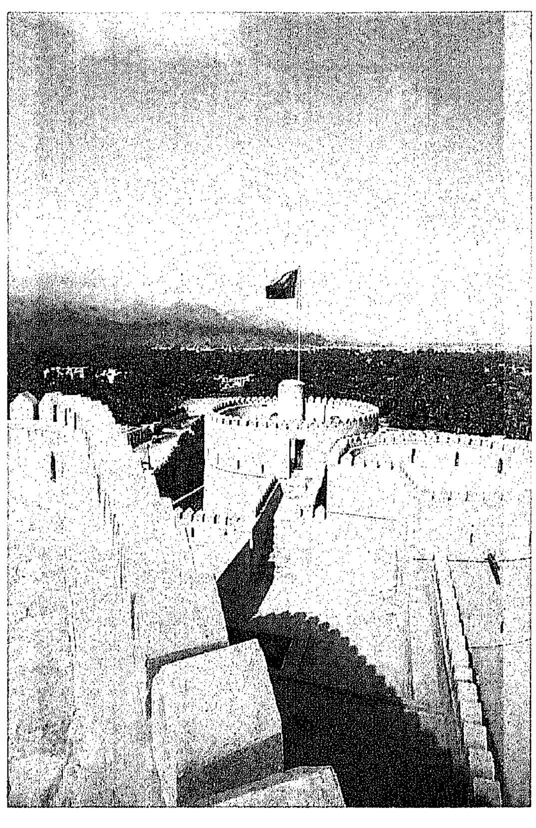
وقد تلت ذلك فترة توتر شديد بين البرتغاليين والسكان المحليين. (كــان ذلك هو الــوقت الــذي تم فيه بنــاء الجدار الرئيســي لمدينــة مسقط). وحــاول الفرس، بتشجيــع من النجــاح الذي أحــرزوه في هــرمز، الحصــول على بعــض المكاسب واستطــاعوا السيطرة على صحــار لكنهم أخفقوا في طــرد القوة الأوروبيــة من مسقــط. وقد قــام الأدميرال روي فرايــر دي أندراد الذي قاد قــواته للدفاع عــن مسقط بالزحف على صحار لاستعــادة الميناء. وعندما لــم يتمكن



قلعة بهلا.



قلعة الرستاق.



أندراد مـن شن هجـوم على هـرمز من الجبهـة الأمامية، اكتفى بتعـزيز احـدى القواعـد فـي خصب بشبـه جــزيـرة مسنـدم، وقـام منهـا بمحاصـرة هرمـز انتظاراً لـوصول التعزيزات من جوا.

وبحلـول عام ١٦٢٤م ضعفـت مكانة الفرس إلى حد أنهم طلبوا من القوات البحرية الأوروبية المنافسة التابعة لهولندا وانجلترا مساعدتهم فـي طـرد البـرتغـاليين. ونشبـت معركة بحرية كبرى فـي شهر فبراير ١٦٢٥م دامت لمدة يوميـن وتحدى فيها اسطول فـارسي هولنـدي انجليزي مشترك القوات البحرية البرتغالية.

وكانت خسائر الطرفين كبيرة لكن الاسطول الانجليزي الهولندي الفـارسي كانت لـه اليد العليا لأنه كـان يستطيع اصـلاح سفنه وتمـوينهـا في مينـاء جـو مبارون (بنـدر عباس) القريب بينمـا لم يكن أمام البرتغاليين سوى ميناء مسقـط البعيد يستطيعـون الـرجـوع إليه. وبـدلاً مـن أن ينسحب الأسطول البرتغـالي بقيادة نونو الفاريـز بوتيلهو مـن المنطقة مكـث عند مـدخـل الخليج فـي انتظار عـودة الاسطـول المشترك. وفـي ٢٣ فبـرايـر اشتبك جـزء مـن اسطول الحلفـاء في معـركة مع البـرتغاليين في محـاولة يـائسة لاغـراق بارجـة الأدميـرال. ومع ذلـك فقد نقصـت الذخيرة لدى الطرفين ولم تكن النتيجة حاسمة.

الإمام ناصر بن مرشد

(إمام من عام ١٦٢٤ إلى عام ١٦٤٩م)

انقسم الاسطـول البرتغـالي بعـد المعركـة، حيث عـادت العديد من السفن إلى قاعـدتها الحصينة في جوا بالمحيط الهنـدي، بينما ظلـت بارجـة الأدميرال وعـدد صغير مـن



قلعة مرباط المطلة على البحر.

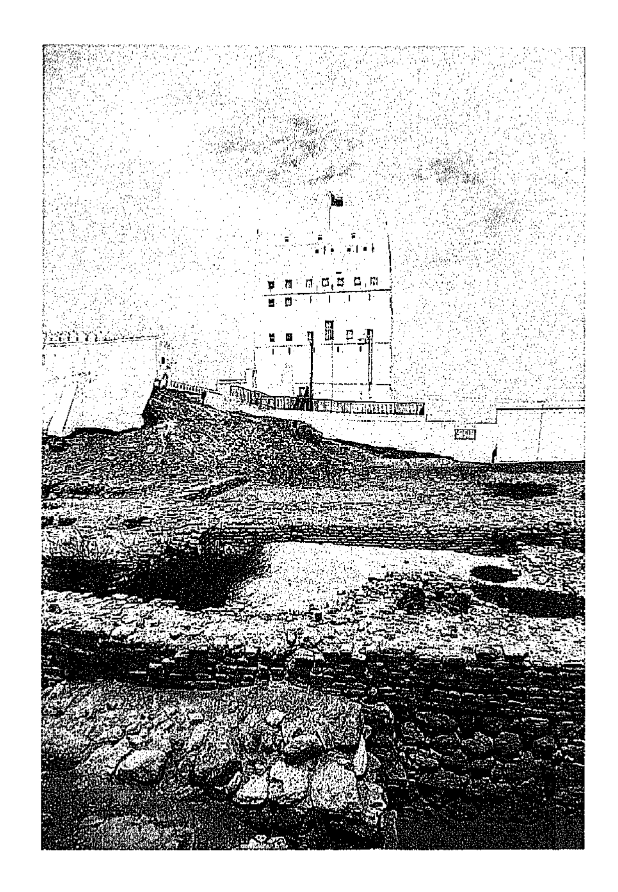
السفن للدفاع عن مصالحهم في الجزيرة العربية. وفي هذا الوقت كانت تتعرض للهجوم من البر والبحر ونجح القائد العمـاني الإمام ناصر بن رشيد (الذي تم انتخابه حاكماً لعمان في عام ١٦٢٤م) في شن عدة هجمات برية ضد المعاقل البرتغالية. وفي عام ١٦٣٣م استولى على القلعة الموجودة في جلفار (في رأس الخيمة) والتي تم انشاؤها منذ ثلاثة أعوام فقط بناءاً على أوامر الأدميرال روي فرير دي أندراد. وفي العام التالي استولت قواته على صحار، وتمكن بعد مضي عشر سنوات أي في عام ١٦٤٤م من طرد البرتغاليين من قلعة رأس مسندم في خصب. وكادت احدى محاولات طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٤٨م أن تنجح فقد تمت محاصرة المدينة بأكملها من ١٦ أغسطس إلى ١١ سبتمبر وأجبر البرتغاليون على قبول شروط السلام التي قدمها الإمام، ووافقوا على تدمير تحصيناتهم في صور وقريات والغاء الضرائب المفروضة على العمانيين وتدمير الحصون الخارجية في مسقط ودفع تعويض مالي قدره ٢٠٠٠٠٠ باردوس.

وقد بدا من المؤكد أن النهاية وشيكة الوقوع، ولكن البرتغاليين بعد أن وافقوا في البداية على شروط السلام أعادوا التفكير مرة أخرى، ومن ثم تمت محاصرتهم مرة أخرى ولم يتم اجبارهم على الحضور إلى خيمة المفاوضات حتى ٣١ اكتوبر ١٦٤٨م. وقد تمخضت الشروط الجديدة عن طرد القوات البرتغالية من قلعتهم في مطرح والغاء الضرائب وعقد اتفاقية للتجارة الحرة والتعهد بعدم قيام البرتغاليين ببناء أية تحصينات جديدة خارج مسقط. ولم يدم انتصار الإمام ناصر فترة طويلة، فبمجرد وصول الاسطول البرتغالي من جاو في نوفمبر ١٦٤٨م نقض البرتغاليون نصوص المعاهدة في محاولة منهم للاحتفاظ بسيطرتهم على مسقط وتعزيز قاعدتهم في خصب بشبه جزيرة مسندم. وقد توفى الإمام ناصر في عام ١٦٤٩م قبل أن ينجح ابن عمه وخليفته سلطان بن سيف اليعربي بفترة قصيرة في طرد البرتغاليين من مسقط وتدعيم حكم أسرة اليعاربة في مسقط.

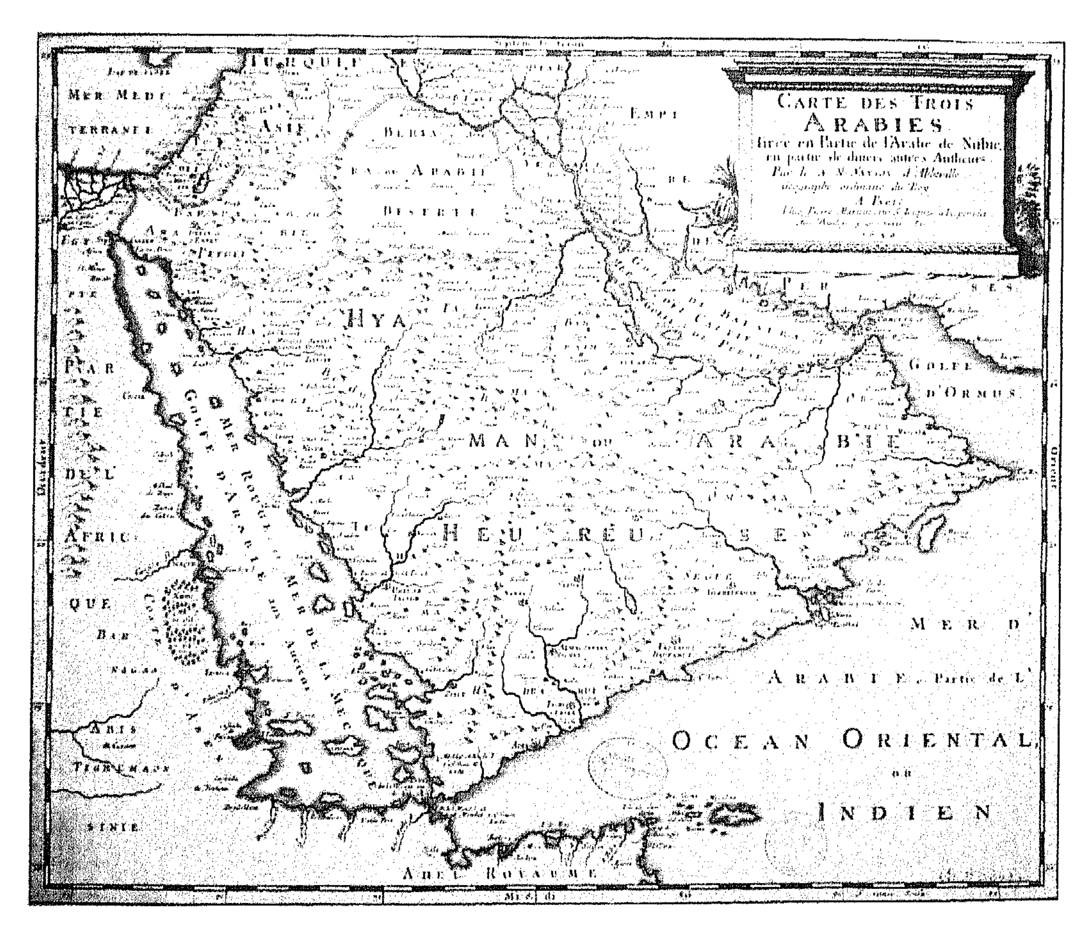
الأمام سلطان بن سيف اليعربي

(من حوالي عام ١٦٤٩م إلى عام ١٦٦٨م)

يصف حميد بن محمد بن رزيق في كتاب «الفتح المبين» هذا الانتصار العماني الشهير على البرتغاليين كما يلي:

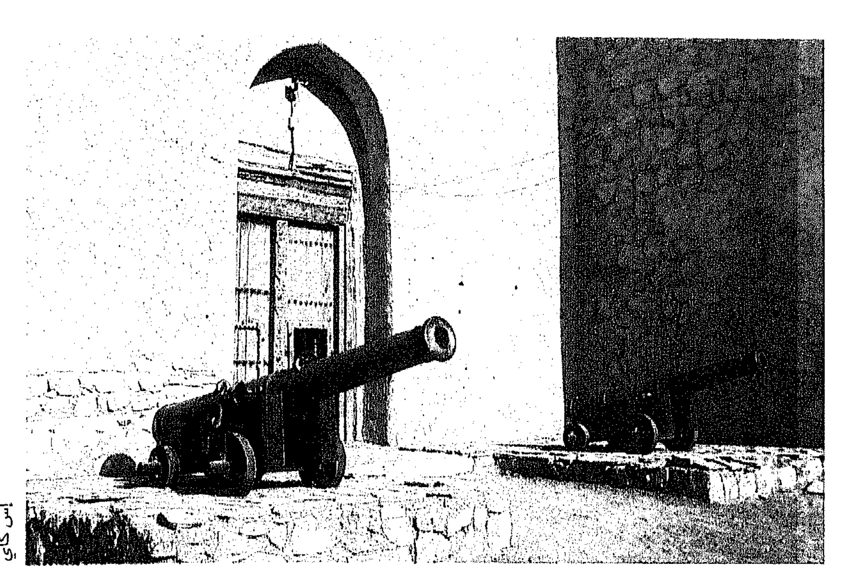


قال المصنف السائل ربه عنه وعن المسلمين، أهل الاستقامة في الدين دفع كل ضير وضيق، حميد بن محمد بن رزيق، أخبرني غير واحد من الثقات المسنين، الذين نشأوا في زمان سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، رحمه الله. فاتفقوا في الرواية معنى، واختلفوا لفظاً، فكان معنى كلامهم اللفظي والمعنوي، أن الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي المذكور لما توفى إبن عمه الإمام ناصر بن مرشد لم يمكث بعمان بعدما خلصت له الإمامة إلا أياماً معدودة إلى أن أسرع الوثبة لحرب النصارى الذين بيدهم زمام بلدة مسقط، ومطرح، وهم المسمون البرتكيس (البرتغاليون)، وولاتهم، من الهندجوة (الهنود)، وهم يومئذ أشد النصارى قوة في المملكة والسلطان، وإليهم سائر النصارى عضداً وأعواناً، ولكن لكل زمان دولة ورجال، فكان معسكر الإمام سلطان بن سيف، لما عزم على حربهم، بطوى الرولة



بالقرب من مطرح إلى سد روى، ومعه من الجند خلق كثير، فطفق جنده يغزون البرتكيس صباحاً ورواحاً، وهم مستعدون لحربه، لم يظهروا له الجبن ولا الاذعان، وقد أفعموا حصني مسقط وبروجها وسورها وجبالها برجالهم الشهيرة بالصبر على القتال، وحدّ غزوات عسكر الإمام سلطان بن سيف عليهم إلى بير الراوية من مسقط، إذ هم قد بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجاً، وأكمنوا فيها رجالهم، أهل التفق (البنادق)، فكل من اقترب منهم من عسكر الإمام رموه برصاص التفق، وقد نصبوا في الهواء سلسلة من حديد، عليها سور من حديد من البرج المسمى الآن برج والدى محمد بن رزيق إلى البرج المسمى الآن المربع، فلم يزل من كمنوا في سرر تلك السلسلة المذكورة يرمون من اقترب منهم من عسكر الإمام برصاص التفق، وقد قبضوا الجبل المسمى السعالّى، من أوله إلى آخره، وقبضوا جبل المكّلا من أوله إلى آخره، وصوت التفق من الكامنين في الجبال وسائر المقابض لا يفتر لا سيما إذا جنّ الليل، وحراسهم وجواسيسهم يترددون عليهم بالأخبار بالليل والنهار، قد أخذوا من حزمهم الغاية، وبلغوا من الحذر النهاية، وقد أفعموا الصيرتين برجالهم المتقنين ضرب التفق والمدفع، فما تركوا للدخول عليهم سبيلاً.

فكانت الحرب يومئذ بينهم وبين الإمام وعسكره سجالا، لا قدرة للبرتكيس أن يخرجوا الإمام وعسكره من مطرح، ولا قدرة للإمام وعسكره أن يدخلوا مسقط على النصارى، بل كانت عسكر الإمام تدلف لهم، فيقتلون من يرونه حذاء الراوية في الأرض، ويقتلون من يرونه سائحاً في المكان الذي يسمى حلة العجم، والبحارنة، ونحوهم، ويرفعون أصواتهم إلى من بالسور من البرتكيس، ناجزونا، بارزونا، فإن الشجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلاع والنيران، ويعيرونهم طويلاً، فلم يخرج إليهم منهم أحد لعلمهم أنهم ليسوا كفئاً لهم على المبارزة بالسيف ولا الرمح، ولا يمنعهم عن الدخول عليهم غير التفق والمدفع، فطالت الحرب بينهم على تلك الحال حتى كاد الإمام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم لعدم القدرة على الدخول عليهم، حتى جرى بين البرتكيس وعابد البقر (طائفة من الهنود)، وهو المشرك المسمى «نروتم البانياني»



مدخل قلعة نزوى.

الشقاق في المصاهرة والتزويج.

وذلك أن نروتم المذكور كانت له بنت جميلة الصورة، قد خطبها من أمير البرتكيس على لسان رجل من شماستهم (من قسس النصارى) وطموسهم الملازم لكنيستهم التي بالحصن الغربي، وكان اسم أميرهم المذكور فرفرة، وقيل الفريرة، فما رضي نروتم أن يزوجه بابنته، وقد بذل الفريرة البرتكيسي مالا عظيماً، فأبى عن ذلك، فكان جوابه لرسول الفريرة، ان هذا الشأن الذي يريده مني السلطان لا يليق به ولا يليق بي، إذ هو نصراني المذهب، ومذهبي غير مذهبه، فهو وأهل مذهبه يحللون شرب الخمر، وأكل لحم البقر وسائر الحيوان غير الناطق، فما في القديم ولا في الجديد زوجنا نصرانياً، ولا زوجنا نصراني.

فقال له رسول فريره، لا ينبغي لك أن تخالف الأمير، وهو قد أحسن إليك غاية الاحسان، وأعطاك مفاتيح حوانيت الحصن، وغيرها ووكلك المال والبلاد، وفوض إليك الحل والعقد، فهو يقول، إن لم تزوجه طوعاً زوجته بها غصباً، وفعل بك ما لم يفعل بأحد قبلك من التعزير والغرامة وسائر العقوبة المهلكة لك ولأهلك فأطعه ولا تخالفه، فإن من خالف الملوك العظام أسلمته مخالفته للحمام.

وأكثر عليه رسول الفريرة بمثل هذا الكلام.

فلما رأى نروتم، لا تنقذه من شر الفريرة إلا الحيلة لين للرسول الجانب وموه له الطاعة وقال له، أمض أمامي إليه، فإنني جعلت في هذا الشأن، وإن شان معولي عليه، فليطلب من قبلي نفساً، وأنت كذلك، فلما سارا إليه وجداه بارزاً برزة عظيمة بقومه في الجزيرة.

فلما سلم عليه تسليم رعايا النصارى لملوك النصارى أخذ بيدهما، وفسح بعسكره المحدقين به، فصعد بهما إلى غرفة الجزيرة، فقال، ما خطبكما في الخطبة، فقال له نروتم، اعلم أيها الأمير، أن الأمر الذي جاءني رسولك به فهو عليّ يشق، لأجل المباينة في المذهب بيننا وبينكم، وعدم العادة، فإذا كان ولابد من ذلك فامهلني إلى سنة حتى أحلي ابنتي الحلى التي تلبسها نساؤها اللواتي لم يمسسهن بعل وهذه الصيغة المحكمة لا يقدر على نظمها إلا بعض صوّاغ بلدة ناجنة، وقبل خروج هذه السنة، ودخول الثانية لا يسهل نظم الصيغة المحكمة، وكلّ ما هو آت قريب، وإني لك لمن الناصحين العارفين بعواقب أمور الحرب، وما فيها من الراحة واللغوب، فإن ملك عمان، سلطان بن سيف، ما رفع عنك السيف، فهو كامن لك برجال كالصلال، وعساكره تترى إليه من عمان، يرجوك أن تبارزه، وأنت متقهقر عنه، لا قدرة لك على مبارزته، فصرت كالذليل، وصار كالعزيز القوي، فعلى هذا الشأن أخشى أن يهجم عليك هو ومن معه من العساكر، فيقتحمون سور البلاد كالآساد، فهو الآن على ما يرجحه ظني ينتهز الفرصة للهجوم على البلاد، والدخول من أبواب السور قسراً، فإنهم إذا أقلوا عليه السلالم، فلا أشك أنهم يبلغون فيك مرادهم، فلا يبقى معك إلا الحصنان، الغربي والشرقي، فيحصرونك حينئذ أشد حصار، وتنقطع عنك مادة الانتصار، لا سيما من قبل الماء العذب، فإنه ليمنعه عنك، فتبقى أنت وأصحابك في أشد عطش، وهيهات أن يصبر محصور على عدم الماء، وبه حياة النفس، فإن الماء الذي هو في برك الحصنين والصيرتين ماء قديم، تسبح فيه الديدان المضرة بالأحشاء، فعلى طول مدة الحصار لا يسلم من شرها المحصور الشارب من مياه هذه البرك، والثانية أن البارود والزاد الذي في الحصنين والصيرتين صارا قديمين، فالأولى أن تنزف الماء منهن، وتغسل البرك قبل الحصار بماء جديد عذب، وتخرج البارود منهن، فتصلحه بالدق، وتخرج منهن الطعام القديم، فتدخل فيهن طعاماً جديداً، فإننا إن أدخلنا الطعام الجديد مع الطعام القديم دخل دود الطعام القديم في الطعام الجديد فيفسده، وتحصل منه الاسقام المفضية إلى الحمام، وأكثر عليه مثل هذا الخطاب في هذا الباب.

فلما سمع الفريرة منه ذلك قلده في جميع ما قال له من الأمر، وتخيلت له هذه الخديعة منه نصيحة خالصة، فأمهله التزويج كما طلب إلى سنة.

فلما أخرج نروتم ما في الحصنين والصيرتين من

الماء والزاد والبارود قاطبة كتب إلى الإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة إلى مسقط، وأنفذ الكتاب بيد رجل من أصحابه سراً، ومعنى كتابه له، أنك يا إمام عمان، طالما حاصرت البرتكيس، وأنت في مطرح، وهم في مسقط، فما أجدتك المحاصرة شيئاً، إذ هي لا شيء، فالرأي السديد، إذا كان يوم الأحد من هذا الشهر أسرع الوثبة إلى مسقط، فإني صنعت بهم كذا وكذا لما أرادوا أن يصنعوا بي كذا وكذا من قبل الصهرية، فالآن لا ماء ولا زاد، ولا بارود في الحصنين والصيرتين، وإنما القوم في يوم الأحد، وهو يوم عيدهم لا يحملون فيه السلاح، لاشتغالهم بشرب الخمر والنفخ في الزمر، فإنك إذا دخلت رقعة مسقط بلغت منهم المطلوب، وفي حال دخولك، اركض أنت وقومك على الكوتين والحصنين، فاحرق أبوابها المغلقة بالنار، فإن البارود الذي فيهما قد أخرجته، وأدخلت عوضه باروداً صبّ عليه الخل فلا يجديهم بشيء، وإياك والمهلة بعد اليوم الذي ذكرته لك، فإنك إن نبذت كلامي وأخذت بكلام غيري، وكلامه ضد كلامي، لم تبلغ المطلوب، ولو حاصرتهم سنين.

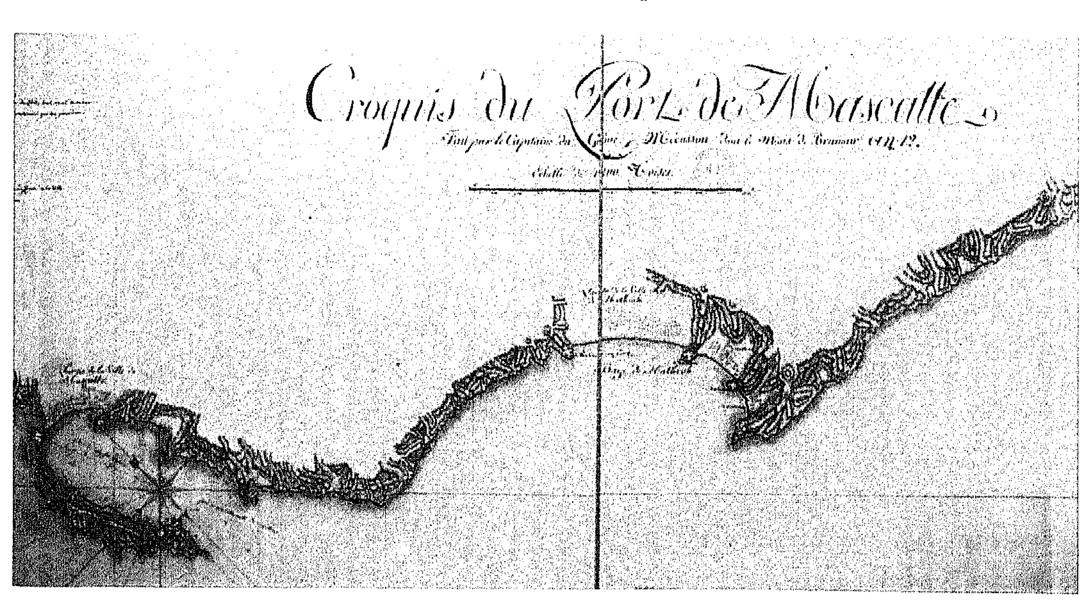
فلما قرأ الإمام الكتاب وأسمعه الآتي بنصيحة نروتم، وما صنعه في البرتكيس من الحيلة بعد ما كان فيه منهم من قسرية التزويج والتكليف على المصاهرة، وحلف له بالله العظيم، أنهما في قولهما له من الصادقين، أجاب الآتي بالكتاب بامتثال الأمر، وأخفى الخبر عن الخاصة والعامة، فرجع الآتي بالكتاب إلى صاحبه مسرور القلب، قريراً.

فلما أخبر نروتم عن امتثال الإمام إليه، وأنه عوّل على ما عول عليه انشرح صدره، وكاد من السرور المستلاح أن يطير إلى الإمام بلا جناح.

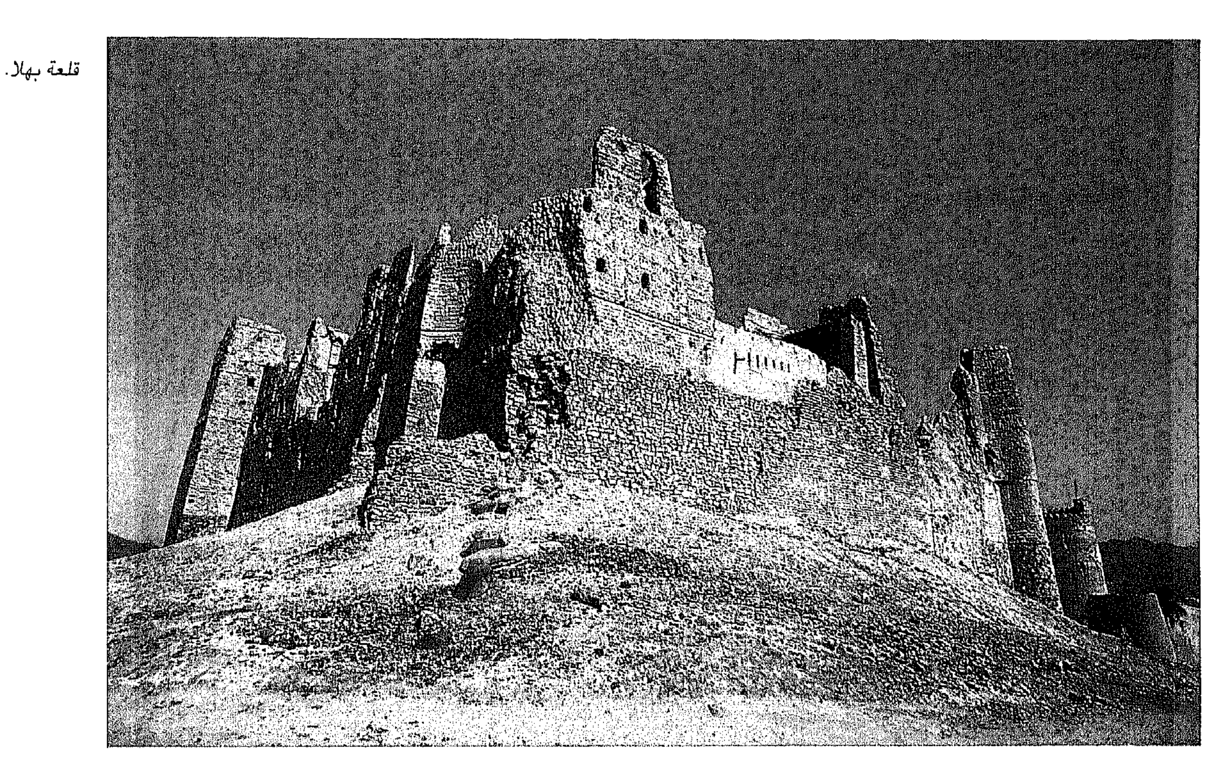
فلما كان يوم الأحد من الميعاد صلى الإمام بالقوم صلاة الضحى، وصلاة الحرب بعد صلاة الضحى، وسأل الله له وللمسلمين بعد الفراغ من الصلاتين النصر والفتح المبين على المشركين، فنهض بقومه جميعاً، وأسرع بهم الوثبة.

فلما بلغوا إلى رأس عقبة الوادي الكبير من جبال مسقط أخذ منهم البيعة على التسور للسور والركضة على الكوتين الحصنين، وسائر المقابض التي بيد البرتكيس من حد مسقط إلى مطرح، فبايعوه على التفصيل والجملة.

فلما أخذ البيعة منهم مشى أمامهم، وهم يكررون، الله أكبر، اللهم انصر المسلمين الاستقامية، على البرتكيس أهل الحرلحيه، حتى إذا كانوا تحت السلسلة المنصوبة جعلوا يضربون من في سورها برصاص التفق والحجارة، فلم يلتفت إليهم أحد بضرب تفق ولا برمي حجارة، قد أغل الله أيديهم عنهم فانصرفوا عنهم، فلما وصلوا إلى السور أقلوا عليه السلالم، فملكوا أبواب السور كلها، ولم يكن من البرتكيس غير العربدة بالسكر، لا تصل أيديهم لقبض السلاح، فضلاً عن الضرب والطعن به، فوضع المسلمون فيهم السيف وطعن الرماح،



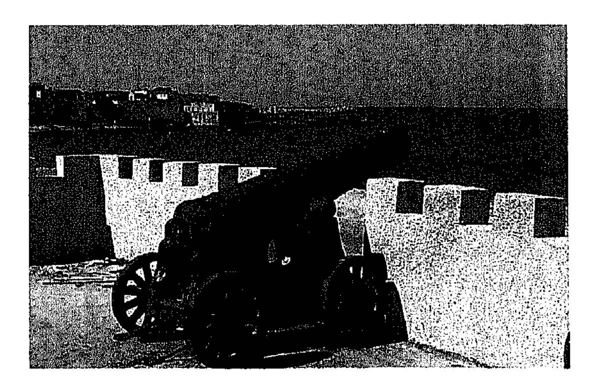




قلعة بهلا.

فتركوهم صرعى، كأعجاز نخل منقعر، ثم انقسموا قسمين، قسم ركض على الحصن الغربي، وقسم ركض على الحصن الشرقي، فأقلوا عليهما السلالم، فلما شرع من فيهما إلى ضرب المدافع خانهم البارود، فما شعروا إلا والسيوف تقد جماجمهم وحناجرهم والرماح والخناجر في صدورهم.

فملك الإمام وقومه السور والحصنين والصيرتين وسائر المقابض إلا البرج المسمى بإسم أميره، كبريته، وكان كبريته من شجعان البرتكيس، فظل يحارب الإمام وقومه، ويركض عليهم إذا وجد

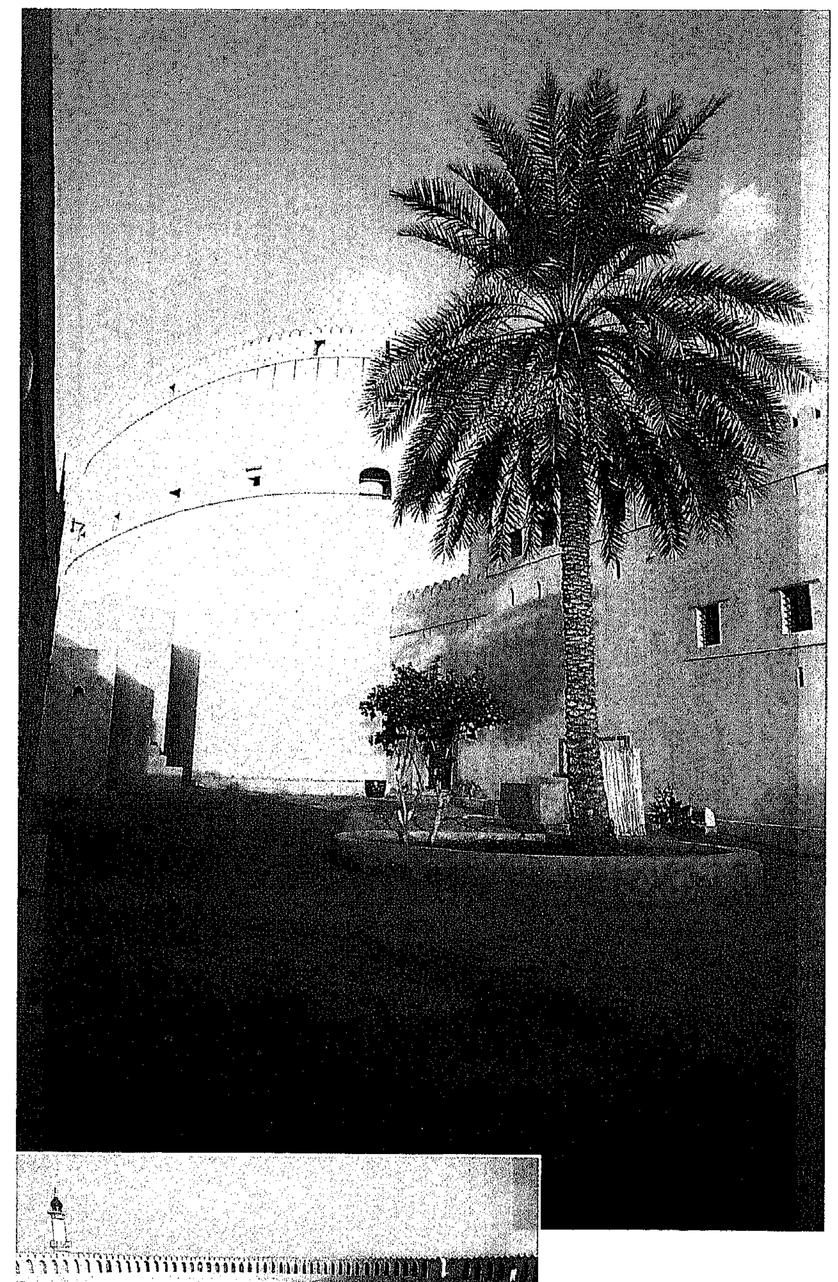


أحد المدافع في مرباط.

الفرصة للركضة ومعه من أصحابه رجال عدة، فهجم ذات يوم على المسلمين القابضين بالجزيرة فخرجوا إليه، فانكسر عنهم، فتبعوه حتى إذا كان بسوق البز وقف وقفة شديدة، فأشرعوا فيه وفي أصحابه الشرع الرماح، والبيض الصفاح، فقتلوه ومن معه جميعاً، وأراح الله المسلمين منه ومن أصحابه المشركين.

ثم إن الإمام أمر بعض أصحابه الركضة على القابضين حصن مطرح من فئة البرتكيس، فما استتم كلامه إلا وأميرهم قد أقبل إلى الإمام يريد منه الأمان، فأمنه الإمام على قبض الحصن منه، فسلمه إلى الإمام، ونهى عن قتله وقتل أصحابه، وما بقي للإمام منازع من البرتكيس إلا أهل مركبين عظيمين من مراكبهم، فمضى أحدهما إلى مطرح، فطرح أناجره (مرساه السفينة) بعيداً من الحصن، وجعل يضرب البلاد بالمدافع، والحصن يضربه، فلم يصبه رصاص مدفعه لابتعاده منه، والثاني جعل يضرب الرقعة الداخلية من مسقط، فبلغ رصاص مدافعه إلى أقصى سداب.

فلما أكثر من الأذى أمر الإمام المسلمين بالركضة عليهم، فاعتذروا له وقالوا، لا يركض على



قلعة نزوى، وفي الصورة الصغيرة، سقف القلعة.

على المركبين المذكورين على سفن صغار فنصرهم الله على الكفار فاستأصلوا المركبين، وقتلوا من فيهما من المشركين.

ثم إن الإمام ولى على مسقط سيف بن بلعرب اليعربي، وترك معه عساكر جمة، وأمره بالحزم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونزول الرعيّة في الحكم بالسويق، ورفع الجزية عن نروتم وأهل بيته جزاء إعانته إليه وإلى سائر المسلمين.

وبعد نجاح الإمام سلطان بن سيف في طرد البرتغاليين من عمان، شرع في ملاحقتهم في المواقع الأخرى من المحيط الهندي معلناً الحرب المقدسة عليهم وقام بتعزيز التحصينات الرئيسية وكان مسؤولاً عن بناء أول قلعة برجية دائرية في نزوى وهي القلعة التي استغرق بناؤها ١٢ عاماً.

وسرعان ما أدرك حكام عمان اليعاربة، وعبرة ودروس تجربة القوات البحرية البرتغالية لا تزال في ذاكرتهم، مدى أهمية الاحتفاظ باسطول بحري حديث يضم سفناً بحرية تستطيع حماية مصالحهم في المحيط الهندي وفي الخليج. وقد ساعدهم في ذلك استيلاؤهم على السفن البرتغالية والأسلحة في مسقط وحقيقة أن البرتغاليين لم يعد لهم ملجأ مأمون على امتداد سواحل عمان. وبينما تم الانتصار في المعركة البرية فإن المعركة البحرية لم تنته بعد فقد كانت لدى البرتغاليين قواعد هامة في المحيط الهندي وكانوا لا يزالوا يغيرون على السفن العربية أثناء قيامها بالتجارة بين الهند وأفريقيا والجزيرة العربية ومصر ودول الخليج.

ومع ذلك تزايد تعرض البرتغاليين للهجوم من جانب السفن العمانية التي قامت بمهاجمة الحاميات الموجودة في بومباي في عام ١٦٦١/١٦٦٢م وفي ديو في عامي ١٦٦٨ و١٦٧٦م وفي باسين في عام ١٦٧٤م وفي كونج (على الساحل الفارسي) في عام ١٦٧٠م.

وفي أفريقيا تعرض المعقل البرتغالي في موزمبيق للهجوم في عام ١٦٧٠م.

وبعد ضغوط متواصلة من البحرية العربية دامت ٢٨ عاماً تم في عام ١٦٩٧م الاستيلاء على قلعة المسيح في مومباسا. وبالرغم من هذا النجاح فقد عانت السفن العمانية الكثير على يد البرتغاليين وذلك خلال فترة

المركب العظيم إلا مركب مثله، فقال له صاحب المغيوث، أيها الإمام، إن الأرواح نفيسة، لا تباع إلا بالمال الجزيل فعليك المال وعلي الرجال، فأجابه الإمام على ذلك.

فمضى صاحب المغيوث إلى عمان، فانتخب منها مائة رجل في فمهم الحمام ألذ من المدام في أهل المدام، فلما أقبل بهم إليه، وأجزل لهم المال ركضوا


Milliaria Germanica Communia.
10 20 30 40 50 60
PERSIÆ PARS.
Basora
Gamarou
Ormus
MARE ELCATIF
SINVS PERSICVS olim
Elcatif Desertum.
ORMVS
Mascate
Mascalat
MASCALAT
Cancri.
BESCHARIN.
MAFFA.
Maffa
AMANZIRIFDIN.
Amanzirifdin
ALIBINALI.
Alibinali
Deserta Vasta.
GVBELHAMAN.
Gubelhaman
Chenna
FARTACH.
Fartach
MARE
ARABICVM
et INDICVM.
Zocotora Insula, Hinc optima Aloe, ad nos vehitur.
As duas Irmaõ
Bay Nassau
C. Fartaque
I. de Mazira
Fretum

خريطة تبين عمان والجزيرة العربية والمحيط الهندي الذي يسيطر عليه البرتغاليون مأخوذة من كتاب الأطلس لبلاو، ١٦٦٢م.

القلاقـل البحرية الطـويلة هذه وتم وصــف الوضـع بــأنه «متجمد ومكلف وضار للطرفين» (بوكسر، ١٩٦٩).

وعلى الرغـم من أن المعركة ضـد البرتغاليين لـم تنته بعـد، فـإن الفـوز السـاحق فـي مسقـط وطـرد القـوات البرتغاليـة من الموانيء السـاحلية العمانية قـد ترك هذه الموانيء تحـت السيطرة التامة للـوكلاء التابعين لـلأئمة اليعاربة الذين ظلوا في المدن الداخلية مثل نزوى وبهلا.

وهكـذا أصبح مـن الممكـن الآن أن تفرض السلطـات المحلية الرسوم الجمركيـة وأن تسيطر سيطرة أعظم على التطور والتقدم الذي يحدث في مناطقها.

وقد كتـب المـؤرخ العمانـي حميد بن محمد بن رزيق ما يلي عن هذه الفترة:

أن عمان اعتمرت فـي أيام دولته وزهرت، واستـراحت في عصـره رعيتـه، ورخصت الأسعـار، وصلحـت الأسفـار، وربحــت التجـار، وسـدت الأثمار، وكـان متـواضعـاً لله الواحـد القهار، رؤوفـاً بالرعيـة صفوحـاً عنهم عمـا جاز الصفح فيـه شرعـاً، ولم يكـن متحجباً عـن رعيته، وكـان يخـرج إلى الطـريـق بغير عسكـر ، ويجلـس مع النـاس ويحدثهم، ويسلم على الصغير والكبير، والحر والعبد.



من منتصف القرن السابع عشر حتى القرن العشرين

الإمام بلعرب بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٦٨م إلى عام ١٦٩٢م)

عند وفـاة الإمام سلطـان تم اختيـار أبنه بلعـرب امامـاً، ومرت الأمـور سلسة لبعـض الوقت وقـام بلعرب بـدعم هيكل الاصلاحـات الاجتماعية وحركـة النمو الاقتصادي وهي من العلامـات التي كانت تميز فترة حكـم أبيه وقام بتأسيس وتمـويل كلية في نزوى ووفر التعليـم المجاني للطلاب المسجلين بالكلية.

وفي النصـف الثاني من فتـرة حكمه نشأ شقـاق بينه وبين أخيه سيف بن سلطان تسبـب في وقوع اضطرابات خطيرة. وفـي النهاية هيمـن سيف وتم اعـلان تنصيبـه إمامـــاً على عمـان بينما كـان بلعرب لايـزال يحمل هـذا اللقـب. وأخيـراً حاصـر سيـــف بلعـرب عنـد جبريـن حيث قتل الأخير.

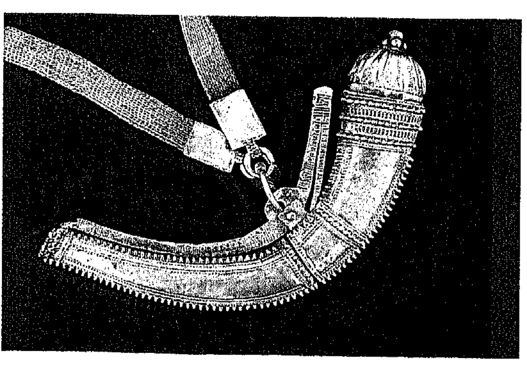
سيف بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٩٢ إلى عام ١٧١١)

إن أحد المعـايير التـي تعبر عـن كيفية نجـاح عمان فـي تجارتهـا الدوليـة تتضـح من حقيقـة أن الإمام سيـف بن سلطـان، الذي امتـد حكمة عبـر القـرنين السـابع عشـر والثامن عشر (١٦٩٢-١٧١١م)، كـان يمتلك ٢٨ سفينة مختلفة تتضمـن سفينة حـربية واحـدة مجهزة بثمـانية مدافع هي سفينة «الفلك» و ٧٠٠ شخصاً.

وقد قام العاملون لديـه بغرس حوالي ٣٠٠٠٠ شجرة نخيل فـي عمان في ذلـك الوقـت بالاضافـة إلى ٦٠٠٠ شجرة من أشجار جوز الهند.

ويوجد تقريركتبـه أحـد الزائريـن الانجليز لمسقـط في عام ١٧٠٥م يتحـدث فيه عن ١٤ سفينة حربيـــة في ميناء مسقط و١٥ أو ١٦ سفينة أخـرى في عرض البحر. وطبقا لما جـاء في كتاب ألكسندر هاملتـــون عـن جـزر الهنـد الشـرقيـة والذي نشـر فـــي عـــام ١٧٢٧م فـإن الاسطول البحـري العمانـي فـي عصـر خامـس الأئمـة اليعاربة، وهو الإمام سلطان بن سيف الثاني، كان يتألف مـــن سفـــن بتصميمـــات أوروبيـة تتضمـــن سفينـة حـربيـــة واحـدة مجهـــزة بـاثنيـن وسبعيـن مـدفعـاً وبارجتين مجهـزتين بستين مـدفعاً وبـارجة واحـــدة مجهزة بخمسيـن مدفعـاً و١٨ بارجـة مجهزة بمـا يتراوح بيـن ١٢ و٣١ مدفعـاً وبعض السفن الصغيرة المجهزة بأربعة إلى ثمانية مدافع.



لكن ما كان يعتبر في عيون حكـام عمان نشاطاً بحرياً شرعياً كان يعتبره الذيـن يحاولون السيطرة عليهم أعمال قـرصنة. ولـم يلتفـت أحد إلـى الرعـب والحـرمان الـذي فرضته القوات البرتغالية علـى العمانيين أو إلى جهودهم المفهومة للانتقام لما أصابهم.

وبينمـا أصر الأوربيـون على آرائهـم المنحازة حـول العـرب، فإنهـم لـم يروا أي خطـأ فـي مهـاجمة سفنهـم وارهـاب أهلهـا. وقد تنحصـر النظرة الأكثـر موضوعيـة في هـذا الخصوص فـي أن العمانييـن كانـوا في الـواقع أكثـر تحفظاً فـي ردهـم وكانـوا مهتمين فعـلاً بـإقامـة علاقـات دولية جيـدة مبنية علـى المعاملـة العادلـة. وقد أصروا عـن حق على الـدفاع عـن تراب عمان وعـن أهلها وثقافتهم ودينهم ضد التدخل الأجنبي.

ومن الغريب تماماً أن يكون نجاح العمانيين في القيام بذلك هو الـذي جعل من بلادهم اليوم مكـاناً مثيراً يغري الأوربيين بزيارته.

الامام سلطان بن سيف الثاني

(من حوالي عام ١٧١١م إلى عام ١٧١٨م)

تـوفـى الإمـام سيف فـي الرستـــاق فـي عـام ١٧١١م، وخلفـه إبنه سلطـان بن سيف الثاني الـذي نـقل قاعدتـه العسكريـــة مـــن الرستـــاق إلـــى الحـــزم. إن القلعـــة الموجـودة هناك هي تـذكار له حيـث يقال أنه أنفـق كـل ثـروته علـى بنائهـا. وقـــد اتســـم عـصره باستمـــرار الســـلام والازدهار الـــذي كانـت عمان تتمتـع به خـــلال معظم سنوات القـرن الماضي. وقد حـاز الإمـام سلطـان على احتـرام الجميع بصفته حاكمـاً قوياً وعادلاً، وتـوفي في القلعة حيث دفن هناك.

الصراعات في الإمامة

الامام سيف بن سلطان

(حوالي عام ١٧٠٨-١٧١٩م، ١٧٢٣-١٧٢٤م، ١٧٢٨-١٧٤٣م)

الامام مهنا بن سلطان

(من حوالي عام ١٧١٩-١٧٢٠م)

الإمام سلطان بن مرشد

(من حوالي عام ١٧٤١-١٧٤٢م)

في أعقاب وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني في عام ١٧١٨م شهدت عمان فترة من الصراعات نتيجة للتنازع على السلطة بين الطوائف اليعربية المتنافسة. فقد اعتبر البعض أن سيف بن سلطان، الذي كان لا يزال صبياً، أصغر من أن يتولي مقاليد السلطة وكانت هناك اتجاهات قوية لتنصيب مهنا بن سلطان إماماً.

وقد تمخضت مقاومة هذا الاتجاه عن مصرع مهنا وعندئذ ازداد التباس الأمر مع ظهور عدة مرشحين جدد. وشهدت عمان صراعاً دام عدة سنين وانتهى أخيرا في عام ١٧٢٤بانتصار محمد بن ناصر الغافري الذي كانت قبيلته في تنافس شديد مع قبيلة الهناويين التي كان يتزعمها خلف بن مبارك. ومع ذلك، فلم يدم هذا الانتصار طويلاً لأن خلف بن مبارك تمكن من اقناع أتباعه بمقاومة الغافريين، ووقعت معركة حامية في صحار لقي فيها خلف بن مبارك مصرعه وأصيب فيها نصيره محمد بن ناصر بجرح مميت. وفي أعقاب وفاة ابن ناصر في مارس ١٧٢٨م إعيد انتخاب سيف بن سلطان إماماً بتأييد من الطائفتين المتنافستين.

وبرغم ذلك لم تستتب الأمور فقد قاد أحد أخوال سيف وهو بلعرب بن حمير المقيم في نزوى ثورة ضده. وحققت هذه الثورة نجاحاً جزئياً واستولت على السلطة في نزوى وسمائل وإزكي ونخل والشرقية والظاهرة. وبينما تم اعلان تنصيب بلعرب إماماً في المناطق الداخلية، كان سيف يسيطر على المناطق الساحلية. وهكذا تمت تجزئة السلطنة في عمان.

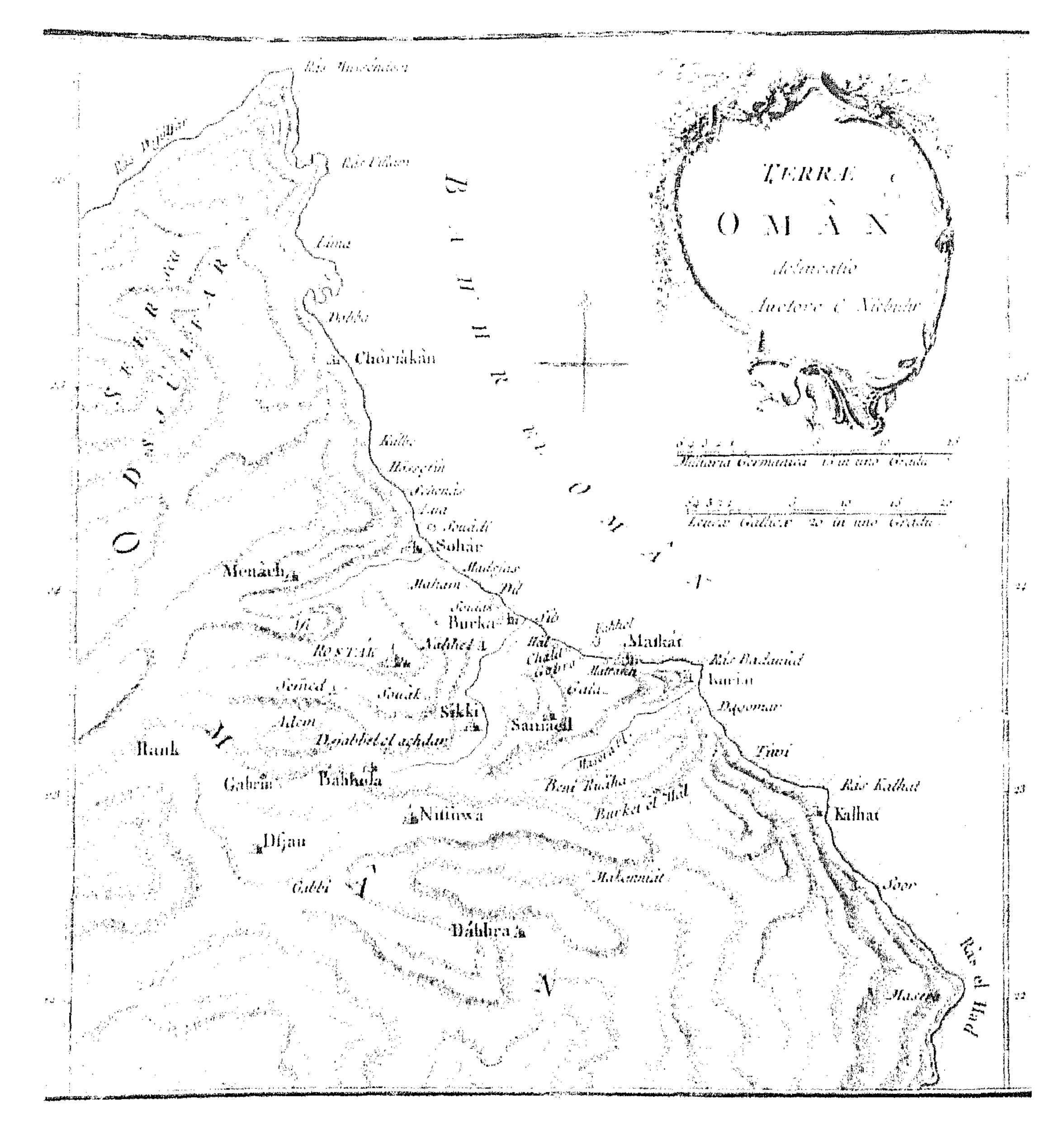
وقد أدت الحرب الداخلية (الأهلية) إلى إضعاف الأوضاع الدفاعية في عمان وهي حقيقة لم تكن لتغيب عن عيون الفرس الذين لم يغفلوا مطلقاً عن مصالحهم في عمان. وكانت ايران تحت حكم نادر شاه قد أصبحت مرة أخرى قوة محلية لا يستهان بها حيث استولت على البصرة في عام ١٧٣٥م وعلى البحرين في عام ١٧٣٦م. وقد طلب الإمام سيف بن سلطان المساعدة من نادر شاه ليستعيد سيطرته على عمان بأكملها ودعاه ليجلب جيشه إلى البلاد. وانتصر الجيش الفارسي في خور فكان في ابريل عام ١٧٣٧م، لكن هذا الانتصار أفسدته في الحال تصرفات القائد الفارسي لطيف خان وانسحبت قوات نادر. وقد أدى الاحتجاج على قيام الإمام سيف بن سلطان بدعوة الفرس لمهاجمة العمانيين إلى اندلاع بعض الاحتجاجات الأخرى على حكمه أسهمت بدورها في معاودة الإمام سيف طلب المساعدة مرة أخرى من نادر شاه.

وفي هذه المرة أرسل الحاكم الفارسي جيشاً قوياً إلى عمان قوامه ٦٠٠٠ رجلاً بقيادة تقي خان ولطيف خان. وكان هذا الجيش قوياً وكاملاً بالتجهيزات والمعدات ولم تستطع القوات العمانية المنشقة أن تقف في وجهه.

وبحلول الوقت الذي سيطرت فيه قوات الجيش الفارسي على مدينتي نزوى وبهلا ومدينة مسقط (دون أن تفلح في الاستيلاء على قلعتيها المحصنتين جيداً) كان الإمام سيف قد ندم على هذه الدعوة. فقد قتل العديد من المدنيين أثناء تقدم القوات الفارسية وانتشر النفور

الساحة المركزية لحصن جبرين.





خريطة لعمان رسمها كارستين نيبوهر.

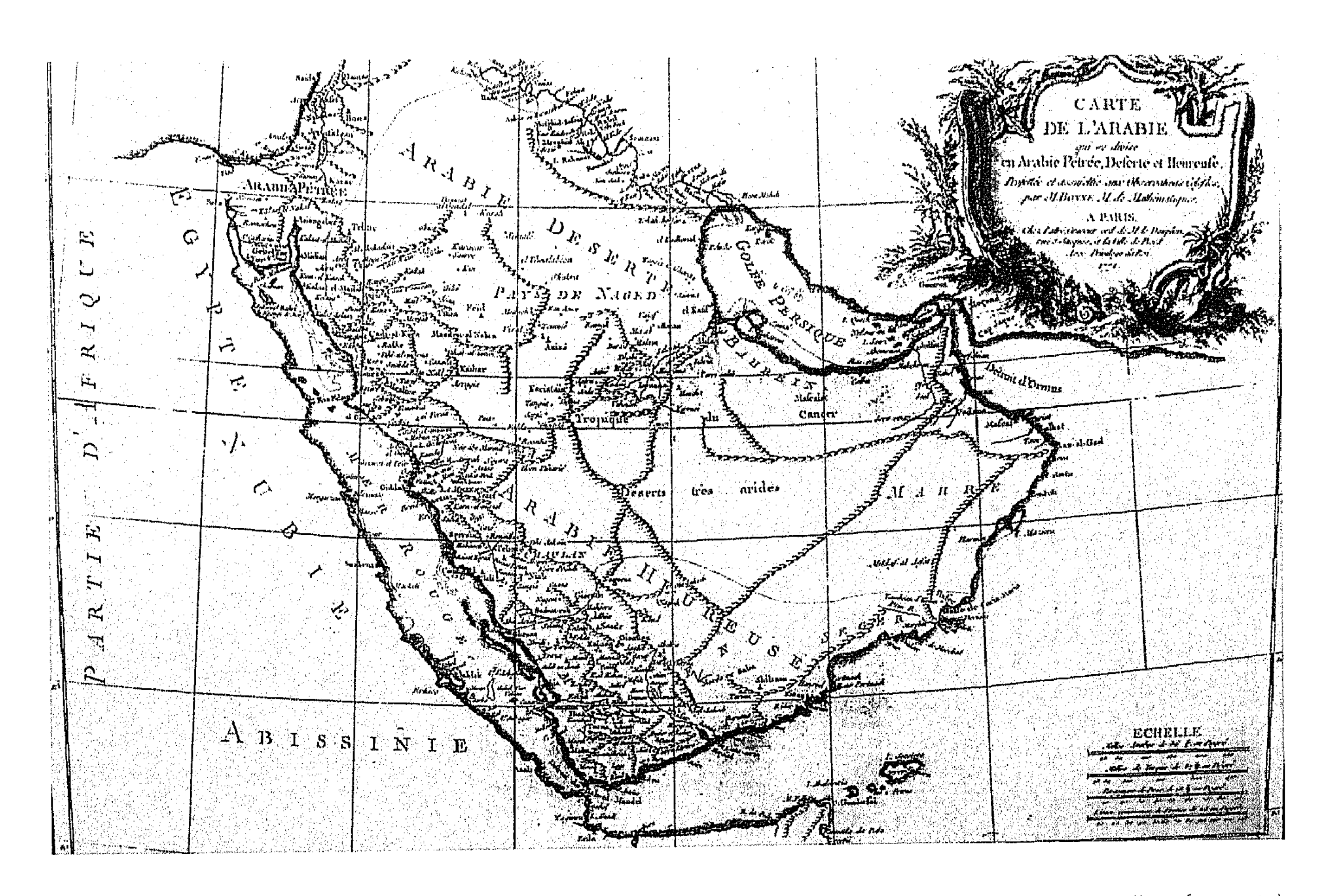
مما حدث. وهرب الإمام سيف بسفنه إلى أحضان الأمان النسبي في بركاء وقام بتشكيل فريق من الحلفاء المتآلفين قادر على طرد الفرس. ولتحقيق هذا الهدف إضطر إلى الالتجاء إلى عدوه الأسبق بلعرب بن حمير الذي استطاع أن يصل معه إلى اتفاق لتوحيد قواتهما تحت راية واحدة لمواجهة العدو المشترك.

وبينما كان الأعداء يتحدون كان الرفاق على وشك الانفصال. فقد وصل النزاع بين القائدين الفارسيين ذروته لدرجة أن تقي خان دس السم لرفيقه السابق لطيف المتعجرف.

ومرة أخرى أصبحت عمان المتحدة عسكرياً في وضع أفضل كثيرا لمجابهة الغزو الفارسي، وتم استرداد سمائل وإنهاء حصار صحار وتقهقر الجيش الأجنبي إلى جلفار في مسندم. وفي نفس الوقت كان نادر شاه يواجه بعض الصعوبات في بلاده أولها ثورة شعب Gombroon، واضطر إلى إستدعاء قواته. وأخيراً وفي عام ١٧٤٢م استقر الرأي على أن الإمام سيف بن سلطان قد أصبح ضعيفاً ولا يصلح كحاكم وطلب مجلس من القضاة والشيوخ من سلطان بن مرشد اليعربي أن يتولى مقاليد الحكم. وأيدت المدن الداخلية، سمائل وإزكي ونزوى وبهلا قرار التنصيب الجديد وهجم جيش ابن مرشد على مقر الإمام سيف في قلعة الرستاق وتم اجباره على الانسحاب إلى مسقط.

وفي نفس الوقت وصل الجيش الفارسي إلى مسندم حيث قابله الإمام سيف بعد أن طلب العون مرة أخرى من نادر شاه. وفي مسقط قررت القوات البحرية العمانية تأييد الإمام الجديد سلطان بن مرشد الذي يحظى بشعبية أكبر. ووافق المخططون العسكريون في مسندم على أن تقوم سفن الاسطول الفارسي بهجمتين طويلتين بقيادة كلب علي خان لمحاصرة صحار على أن يعود مرزا تقي خان مع الإمام سيف إلى مسقط.

وكان ذلك هو الحصار الثالث لمدينة صحار حيث تم الحصار الثاني في عام ١٧٣٨م عندما قاد أحمد بن سعيد



(مؤسس أسرة البوسعيد) مقاومة حاسمة. وفي تلك المرة حاصر الفرس صحار عن طريق قطع طرقها البرية ومحاصرة مينائها لمدة سبعة أشهر.

وكانت معركة مسقط دامية وتصدت القوات الموالية لسيف بن حمير في البداية للقوات الفارسية عند نزولها بالقرب من سيح الحرمل ودفعوهم نحو روي. وفي اليوم التالي عاد الفرس لمهاجمة مطرح حيث قابلهم المدافعون العمانيون.

وبعد معركة عنيفة اشتبكوا فيها بالأيدي انتصر الفرس وتم قتل سيف بن حمير والعديد من أتباعه. وبعد هذه المعركة امتطى العديد من الفرس خيولهم واتجهوا إلى مدينة قريات الساحلية غير الحصينة حيث قاموا بأسر النساء والأطفال. وقامت مجموعة أخرى من جنود الفرس بمهاجمة قرية مسلمات.

وبعد محاولتين مضنيتين للاستيلاء على قلعتي الجلالي والميراني نجحت القوات الفارسية في المحاولة الثالثة، وجمع الإمام سلطان بن مرشد قواته من المدن الداخلية واتجه إلى صحار لمساعدة الوالي أحمد بن سعيد الذي كان يقود مرة أخرى مقاومة المدينة ضد القوات الفارسية. ووقعت معركة خارج المدينة انتهت بمصرع القائد الفارسي كلب علي خان وإصابة الإمام سلطان بن مرشد إصابة مميتة.

الإمام أحمد بن سعيد البوسعيد

(مؤسس إسرة البوسعيد)

(من حوالي عام ١٧٤٤-١٧٨٣م)

فقد الإمام سيف بن سلطان، الذي أصبح ضعيفاً الآن، تأييد شعبه، وكان من الواضح أمامه إنه حتى ولو انتصر الفرس فإنهم لن يعيدوا إليه كل شيء. فقد تم الاستيلاء على قلعتي مطرح ومسقط بالدم الفارسي ولو كان الأمر في يد نادر شاه إذن لظلت القلعتان في أيدي الفرس. وكان سيف بن سلطان معرضاً للخطر من قبل شعبه بنفس درجة تعرضة للخطر من قبل الفرس أنفسهم.

وأصابت الإمام سيف نوبة من الكآبة الحادة واليأس وغادر صحار واتجه إلى قلعة الحزم حيث يقال أنه أبلغ أحد رفاقه القدامى «تلك هي قلعتي وقبري لأن راحة الموت أفضل من أي سعادة جلبها علي حكمي. إن طلعتي تزعج عيون الجميع». وقد توفى بالفعل بعد وصوله إلى قلعة الحزم بفترة قصيرة وتم دفنه هناك.

وكـان مـن الطبيعـي الآن أن تنتقل قيـادة المقـاومـة العمانيـة للغزاة الأجانب إلـى أحمد بن سعيد الـذي أبدى بالفعل بسالة كبيرة. وأصبـح الأختبار الذي يواجهه الآن اختباراً قـاسياً. فقد كان الجنـود العمانيون غير قـادرين ببساطة على فك الحصار الفارسي لمدينة صحار بالرغم من بذل عدة محاولات باسلة لتـزويد المدينة بالتعزيزات والمؤن والامدادات.

ورغم استشهـاد ثلاثـة آلاف عمانـي في القتـال فقد رفضت صحار أن تذعن للضغوط الفارسية.

وسعـى القائد الفـارسي للقـوات المحـاصرة والـذي أدرك مـدى العـزيمة الجبـارة للـوالـي أحمد بـن سعيـد وأتباعـه، إلى طلـب موافقة نـادر شاه علـى عقد اتفـاقية سـلام يتم بمـوجبها إنهـاء الحصـار وانسحاب القـوات الفارسية من عمان مـع الاحتفاظ بمسقط واحتفاظ أحمد بن سعيـد بمدينتي صحـار وبركـاء ودفع اتاوة للحـاكم الفارسـي. ووافق نـادر شاه على شـروط الاتفاقيـة وتم عقدها مع أحمد بن سعيد.

وبمجرد إنسحـاب القوات الفـارسية لـم يجد الإمـام أحمد مـا يدعوه إلى إحتـرام شروط المعتدي وامتنـع في الحال عن دفـع الاتاوة واتخذ في نفس الوقـت الترتيبات لتحويل جميع خطوط التجارة البحرية عبر بركاء بدلا من مسقط المحتلة.

وعندما أدرك تجـار مسقط ما يحدث هجـروا المدينة التي تحـولت إلى شبح تعيـش فيها القوات الفارسيـة في عزلة داخل القلاع العمانية.

وقد تلى ذلك سلسلة من الأحداث السعيدة التي مكنت أحمد بـن سعيد مـن استرداد قلعتـي مسقط دون إراقـة قطرة دم. فقد هبـت عاصفة قوية سببـت انحراف إحدى السفن التي كـانت تحمل ماجـد بن سلطان، أحد أقـرباء الإمام سيف بن سلطـان الذي توفى مؤخراً، عـن مسارها وطلبت اللجوء إلى صحار.

كان ماجد في طريق عودته من شيراز حيث سلم نادر شاه حـاكم ايـران رسالة مـن قائد حـامية قـلاع مسقط يطلـب فيهـا تسليم القـلاع إلـى مـاجد بصفتـه الخلـف المباشر لسيف بن سلطان الذي تـوفى مؤخراً. وقد وافق نادر شاه على هـذا الطلب وكتب رسالة إلى القـائد يأمره فيها بتسليم القلاع.

وعندما لجأت السفينة بتأثيـر العاصفة إلى صحار تم إحضار ماجد إلى الوالي أحمد بن سعيد الذي أخذ رسالة نادر شاه وإطلع عليها بعد أن استجـوب ماجد عن رحلته.

وشعوراً منه بـأن الفرصة التي كـان ينتظرها قد حـانت، قام بتجهيـز قوة قـوامها ٤٠٠ رجل بقيـادة والي بـركاء خميس بن سالم البوسعيد الـذي حمل رسالة نادر وأمره بالذهاب إلـى قلاع مطرح ومسقط وتسليم الرسـالة إلى القائد الفارسـي الذي قام بتسليمهم القلاع مقتنعـاً بأنهم الممثلون الشرعيون لماجد بن سلطان.

وبوقـوع هذه القـلاع الدفـاعية الحصينـة في أيـدي العمانييـن، أصبحت لهـم أخيراً اليـد العليا علـى القوات الفارسيـة، لكن جيـش نادر شـاه كان لا يـزال موجـودا ويجب القيام بطرده.

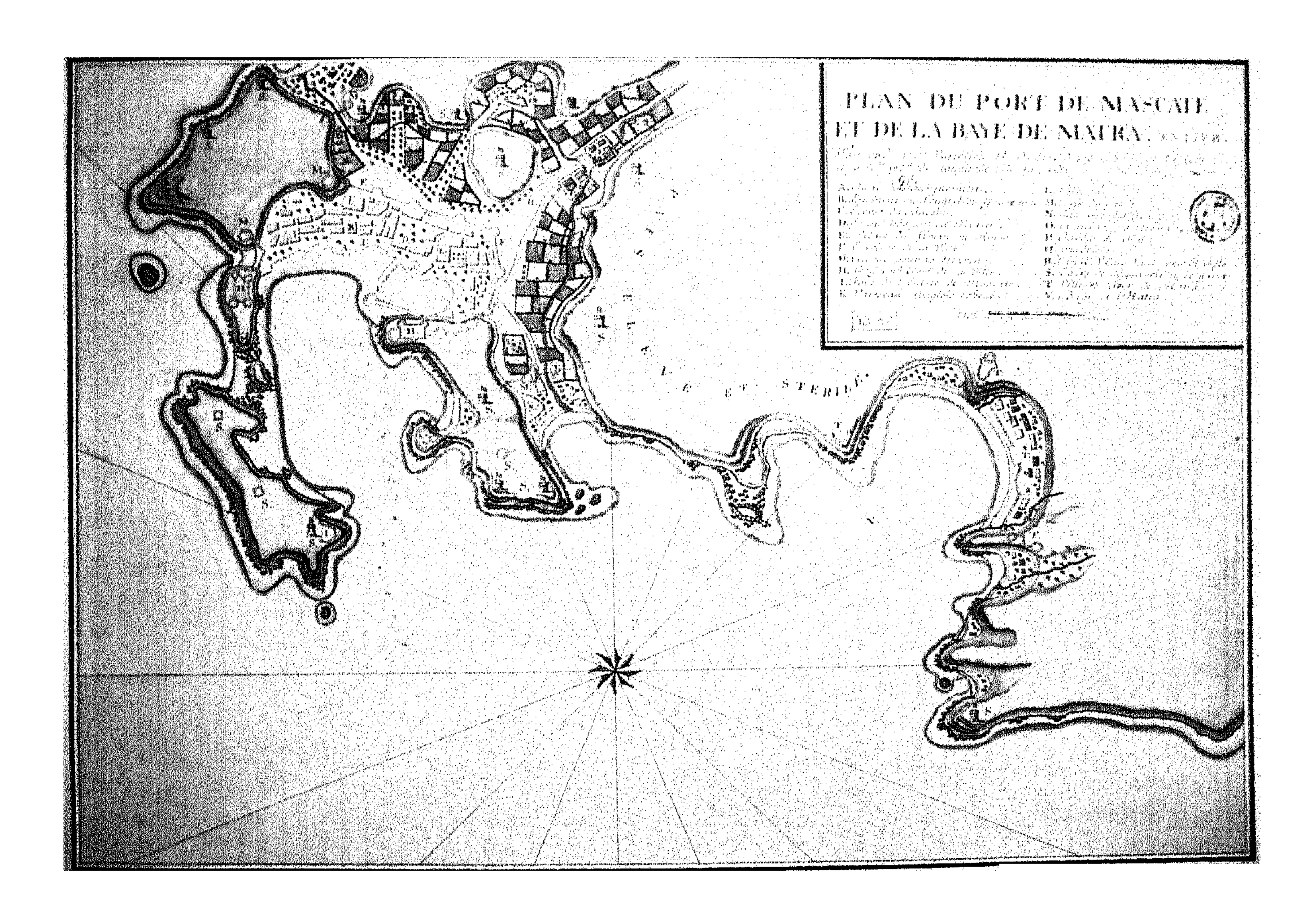
واستمراراً في تطبيـق سياسة الخداع طلـب أحمد بن سعيد مـن قائده في القلاع، خميـس بن سليم، أن يـدعو الفـرس إلـى قلعته فـي بـركـاء. وعنـدما وصلـوا تمـت استضافتهـم وتكريمهم واقامـة الولائم لهم لبضعـة أيام حتي أصبحوا علـى سجيتهم وشعروا بالـراحة كضيوف مكرمين عند الوالي.

وفي اليـوم الثالث دعى أحمـد بن سعيد قـادة القوات الفارسيـة إلى حفل إستقبال خـاص في قلعته، حضـرها حوالي ٥٠ منهم. وعندما أصبحـوا داخل القلعة قام أحمد بـدعوة أتبـاعة للثـأر من الفـرس في داخـل القلعة وفـي المنطقة المحيطة بها.

وبـاغت العمـانيـون الفرس وتفـوقـوا عليهم عـدداً وبراعة، وأخيراً نفّسوا عـن غيظهم المكظوم بشكل واضح وتام. وبنهـاية اليوم لم يبـق على قيد الحياة مـن الفرس سوى ٢٠٠ شخصـاً فقط.

وتتضح أحـد مظاهر الامتعـاض الأخرى ضـد الفرس بجـلاء في الحـادثة التـي وقعـت أثناء تـرحيل الأسـرى الأحياء. فعند نقلهم بالسفينة مـن صحار إلى بندر عباس أشعـل البحارة العمـانيـون النار فـي السفينـة وتركـوا الأسرى يموتون في البحر.

وفي أعقاب هذه الواقعة الدامية بدأ أحمد بن سعيد في بث جو من الهـدوء في البلاد، وعاد خميس بن سـالم إلى مسقط بصحبة العديد من سكانها وأهلها السابقين الذين فقدوا منـازلهم عندما احتلـت القوات الفارسية المـدينة. وقد حدث إلتبـاس كبير من جراء تأثير الاحتـلال، فقد تم تدميـر الأسوار والجـدران وتحويـل بعض المنـازل إلى اسطبلات وحـرق بعضها الآخر تمـاماً. ولم تعـد الحدود القائمة بين الممتلكات المختلفة واضحة ووقعت مشادات حاميـة حول تحديد الملكيـة أدت إلى حدوث مصـادمات وإلى اندلاع العنف الداخلي من جديد.



وأخيرا وبعد وساطة خميس بن سالم تم حل هذه النزاعات.

وكان أحمد بن سعيد لا يزال يواجه معارضة من الجماعات القبلية المختلفة الموجودة في المدن الداخلية في عمان وخاصة القوات الموالية لبلعرب بن حمير الذي تم اختياره إماماً للرستاق والذي كان يحظى بتأييد قبيلة الغافري.

وإصراراً منه على توحيد البلاد تحت راية واحدة، قام أحمد بن سعيد بمواجهة بلعرب وغيره من الذين يعارضون حكمه. ووقعت عدة مناوشات ومعارك انتهت بمقتل بلعرب بن حمير وموافقة والي سمد على إطاعة أحمد بن سعيد.

وأخيراً تم توحيد البلاد، وتنصيب أحمد بن سعيد باجماع العلماء إماماً لعمان. ومع ذلك فقد كان للتطاحن الطويل والقلاقل الكثيرة تأثير كبير على عمان، فأصبحت مكانتها في شرق أفريقيا ضعيفة للغاية. وتمخضت الحادثة العنيفة لموت نادر شاه باجماع العلماء عن فترة راحة قصيرة للامام أحمد بن سعيد لأن الحاكم الفارسي الجديد كريم خان الزند الذي تولى مقاليد السلطة في عام ١٧٥٦م كان يمثل تهديداً متجدداً.

ومع ذلك فقد حقق الإمام أحمد بن سعيد، بصفة عامة، انجازات ضخمة وكان زعيماً محبوباً من شعبه. ولأنه أمضى أحلى سنوات عمره في مكافحة الطغاة وأبدى شخصياً بسالة كبيرة في حالات عديدة فقد جلب لشعبه الاحترام والاخلاص.

وقد جلب السلام معه فرصة إصلاح الأضرار التي نجمت عن الصراعات وبناء مستقبل أكثر طمأنينة.

وقد علق حميد بن محمد بـن رزيق في كتابـه التاريخي المعنون «الفتح المبين» على الزيـارة التـــي قام بها الإمام أحمد بـن سعيد إلى مسقط مـن قلعته في الرستـاق. وقال في صدد تعليقه مركزاً على شعبية الحاكم ما يلي:

«... مضى إلى مسقط على الماشوّات والرايـات منشورة عليه، فإذا وصـل إلـى مسقـط ودخـل الجـزيرة ترادف ضرب المـدافع مـن الصيرتيـن والمراكـب والحصنين، فيبرز الناس فـي أعلى الجزيرة فتـأتيه الرعية أفـواجاً أفواجاً على ترتيب، فيسلمـون عليه، فيرد عليهم السلام، ثم يسألهم عن حوائجهم فيقضيها لهم».

أصبحت الأخطار التي تهدد أمـن عمان الآن تكمن في المصـادمات والمنـاوشـات الداخليـة (الأهليـة) وتزايـد تعرض السفن العمانية لهجوم سفـن القواسم التي توجد قـواعدهـا فـي رأس الخيمة. وقـام القواسـم بمـا كانـوا يعتبـرونه غـارات مشـروعة علـى سفـن شـركة الهنـد الشرقية التي تستخدم ميناء بندر عباس في الخليج.

وقد طلب زعيم الفـرس الجديد كريم خان، مـزهواً بما حققه من نجاح في إيران، أن تدفع عمان أتاوة سنوية عن طريـق مكتب أحمـد بن سعيـد. وتم رفـض هذا المطلـب تماماً، مما أعطى الفرس الحجـة لتجديد الأعمال العدوانية ضد السفن العمانية.

وفـــي هـذا الوقــت لـم تـــعد البحـرية العمانيـــة موضـع سخرية ولو بسيطة فقد توجهت في عام ١٧٧٥م لمساعدة الامبراطوريـة العثمانيـة وسـاعـدت في الدفـاع عـــن البـصرة ضــد هجمات الفـرس. وكـان أسطـول أحمد بن سعيـد في هـذه المهمـة وحـدها يتكـون مـن عشـر سفن حـربية ضخمـة و٧٠ سفينة صغيـرة و٥٠ قارباً تحمل المقاتلين.

البحرية العمانية

إن مفهوم إقـامة قوة بحـرية عمانية منظمـة ليس مفهومـاً جديداً، فقـد تبنـاه غسان بـن عبداللـه الفجحي الأحمدي فـي عام ٨١٤م عندمـا أمر ببنـاء سفن خاصة لاستعمـالها كأسطول للحمـاية البحرية. وفـي خلال القرنين السـابع عشر والثـامن عشر الميلاديـين حافظت عمـان على القيام بدور رئيســي في الخليج وعززت نفوذهـا متجاوزة السواحل العربية إلى ساحـل شرق أفريقيا. وبنهاية القرن السابـع عشر كانت البحرية العمانية هي أقـوى قوة بحرية في المحيط الهندي بأكمله وكان لديها سفن ضخمة تم بناؤها في الهند وتجهيزها بعدد كبير من المدافع مثل السفن الأوروبية.



وبرغم غضـب كريم خان فقد نجحت هـذه السفن في فك حصار الفرس لمدينة البصرة وأعادت تموين المدينة. وكـان من نتـائج هذا العمـل أن أمر السلطـان العثمانـي مصطفى الثالـث أن تدفع خزينة المال فـي البصرة مبلغاً سنـوياً إلـى عمان. (وقـد استمـر دفع هـذا المبلغ حتـى منتصف القرن التاسع عشـر الميلادي وطوال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان).

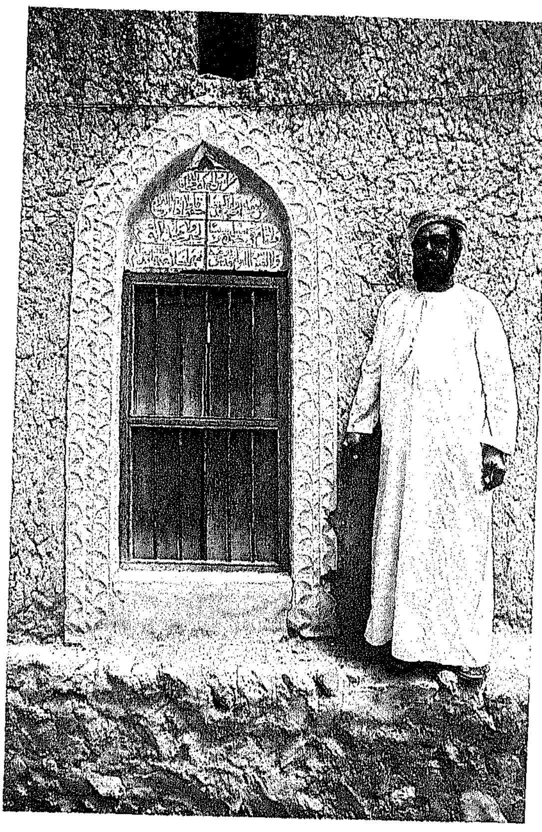
وفي العـام التالـي وفي أعقـاب استيلاء الفـرس على بعض السفن الحربية، أرسل الأمـام أحمد بن سعيد الجزء الرئيسي من أسطول سفنه الحربيـة إلى بوشاهر لمعاقبة الفـرس على ذلـك. واشتـرك القواسـم فـي هذه الحملـة وأغرقوا عدة سفن فارسية.

وعندما انخفضـت امدادات الأرز إلى عمان تـم إرسال السفينة العمانية «رحماني» إلـى ساحل ملبار لاستقصاء الأمر ولوضــع حد لأعمال القرصنة التي تسببـت في قطع طريق التجارة.

ومما يـدل على مـدى الاحترام الذي كـانت تحظـى به القـوات البحريـة العمانيـة فـي ذلك الـوقت أن حاكـم ميسور قد أرسـل في الحال مبعوثـاً إلى الرستاق ليـؤكد للإمـام أحمد بـن سعيد أن بـلاده ترغـب في العيش في سلام مـع عمان. وعقب ذلك تـم تعيين ممثل دائم لحـاكم ميسور في مسقط.

وكانـت حرب السنوات السبع بيـن بريطانيا وفـرنسا (١٧٥٦-١٧٦٣م) فتـرة عصيبة فـي تـاريـخ البحريـة العمانية في عصر الإمام أحمد بـن سعيد فقد كانت عمان تربطها علاقات وثيقة بكـلا الطرفين، ووقعت عدة حوادث أثناء مطـاردة السفن الفـرنسية للسفن البـريطانيـة فقد دخلت سفن كليهما المياه الاقليمية العمانية، مخالفة بذلك القوانيـن المحلية وطلـب حاكـم مسقط مـن سفنه طـرد السفن الفرنسية من المنطقة بإطلاق النار عند مقدمتها.

وبعد مضـي عشـرين سنة تقريبـاً وفي عام ١٧٨١م حـدث صـدام آخـر مـع إحـدى السفن البريطانـية (وهي السفينة «بيجلربرج» التي كـانت ترسو هـذه المرة فـي ميناء مسقـط) أثناء ثـورة إبنـي الإمام أحمـد وردت السفن البحرية الفرنسية على ذلك بالاستيلاء على إحدى البوارج العمانيـة المجهزة بخمسين مدفعاً وهـي البارجة «الصالح» التي تعرضت للهجـوم بالقرب من صحار أثناء رحلتها مـن الهند إلـى زباره والقطيـف والبصرة محملـة بحمولة ثمينـة. وقد تم قتل معظم البحارة العمـانيين في معركـة الاستيلاء على السفينـة وأرسل القائد الفـرنسي



مدخل المسجد القديم.

«ديستشينز» السفينة «الصالح» إلـى موريشيوس. وفي طريقها إلـى هناك توقفت السفينـة في ميناء مارثـا حيث إدعى الحاكـم المحلي أن بلاده في حرب مـع عمان وقام بمصادرة السفينة.

وتؤكد إحـدى الرسائل المحررة فـي ١٧ سبتمبر عام ١٧٨١م مـدى الأضرار التـي لحقت بتجـار الخليج مـن وراء أعمال القرصنة الفرنسية:

لقد أفلس جميـع تجار زباره والقطيف تقـريباً نتيجة لـلاستيلاء علـى سفينـة مسقـط والتي تقدر قيمـة حمـولتها بثمـانمـائة ألف روبيـة، كمـا خسر تجـار البصرة أيضاً مبالغ كبيرة وعانى الباشا من الخسائر في الايرادات الجمركية نتيجة لتوقف حركة التجارة.

واحساساً بـالاساءة والاهانة التي لحقت بـالعمانيين من جراء الأفعـال الفرنسية طلب الإمام أحمـد بن سعيد ـ الذي بات كهـلا ـ من الفرنسيين أن يعتـذروا عن فعلتهم وأن يدفعـوا تعويضاً لعمـان عن الخسائر. ولـم يستجب

الفرنسيـون لذلـك، وسرعـان ما اكتشفـوا أنهم يلعبـون بالنـار. فقد قام إبنـا الإمام أحمد اللذان كـانا في معـركة حامية مـع والدهم بشأن قلعتي مسقط (إنظـر التفاصيل أدناه) بمصـادرة إحدى السفـن الفرنسيـة التي وصلـت لتوهـا من البحـر الأحمر ووجهـا مدافعهـا تجاه رجـال الإمام أحمد.

وأخيراً قـدم الفرنسيـون اعتذاراً فاتـراً (أتى متـأخراً ليهدىء من غضب الإمام أحمد الـذي توفى قبل أن تصله الـرسالـة) مصحوبـاً «بهديـة» هي السفينـة الفرنسيـة «إيسكـوريل» كتعـويض عـن الخسـائر بالـرغم مـن أن قيمتها كـانت أقل من قيمـة السفينة العمانية «الصـالح» وحمولتها الثمينة.

ويجب ألا نغفـل حقيقة أنه بالـرغم من أن الصـراعات المختلفة علـى السلطة قـد لازمت فتـرة غير قصيـرة من فترة حكم الإمـام أحمد فإن التجارة البحريـة قد ازدهرت في عهده. وبصـورة خاصة إنغمسـت السفن العمانية في أعمال التجـارة المربحـة للبن المتجـه إلى البصـرة وفي أعمال التجـارة مع الصيـن وكانت تحتـل بصورة عـامة مكانة رائدة في تجارة الخليج.

وللأسف كانت السنوات الأخيرة من حكم الإمام أحمد يشوبها أعمال العنف واراقة الدماء التي أثارها هذه المره بعض أعضاء إسرته. فقد ثـار إثنان من أبنائه، هما سيف وسلطان على والدهما العجوز، ربما بتحريض من الوالي محمد بـن سليمان اليعـربي والي نخـل، واستوليـا على قلعة بركاء.

لقد كان ذلك في الواقع مجـرد خلاف عائلي أكثر منه ثورة علـى الإمام لأن تحرك سيـف وسلطان كان بـدوافع الـرغبة فـي الحصول علـى قسط مـن السلطة والثـروة اللتين كـان والدهما بصدد تـوزيعهما على أبنائه. وكـانا مستائين من حقيقة أن أخيهم غير الشقيق في طريقه إلى أن يصبـح خليفـة للحاكـم وأنـه أصبـح بالفعـل قـائداً للرستاق ونزوى و إزكي وسمائل.

وأمر الإمام أحمـد باسترداد قلعة بركـاء وباستسلام إبنيه. وبـالرغم مـن أن الإمام أحمـد عفا عن إبنيـه إلا أنه أضمر عـدم الارتياح لليعربي الـذي كان يلومه علـى هذه الواقعة.

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن وفي عام ١٧٨١م ثار إبنـا الإمام أحمـد مرة أخرى وتسلـلا هذه المـرة إلى قلعتي الميراني والجلالي، ممـا أدى إلى حضور والدهما من الرستـاق إلى مسقط وأصدر أوامـره شخصياً إليهما


وزارة الإعلام

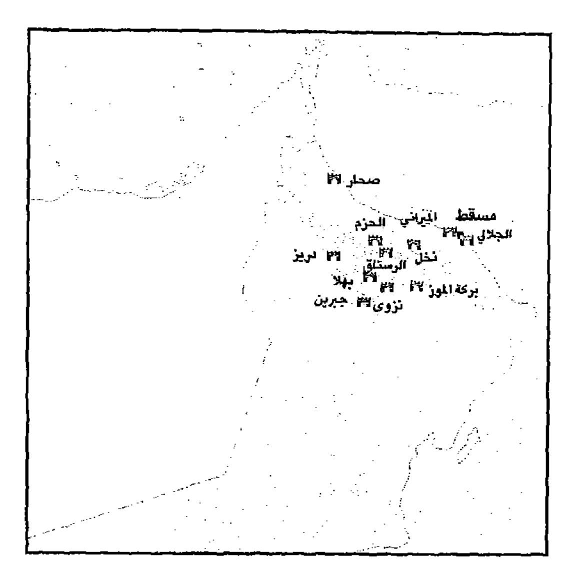
بالاستســـلام. وعندمـــا رفضـــا الاستسـلام أمـــر بقصـف القلعتيـن بالقنابـــل فـوراً، لكنـــه في النهايـــة أوقف عمليـة القصف بموجب الاتفـاق الذي تم التـوصل إليه فـي شهر يـونيو والـذي يقضي بـأن تسيطر قـوات الإمام أحمد بقيـادة إبنه الوفي سعيد على قلعـة الميراني بينما يسيطر إبناه ا لعاصيـان سيف وسلطان على قلعتي الجلالي وبركاء.

ولم تدم هذه الهدنة طـويلاً حيث خدع سيف وسلطان أخيهمـا غير الشقيـق سعيـد في شهـر ديسمبـر وقامـا بسجنـه في قلعـة الجـلالـي. واستطاع سعيـد الهـروب بمعاونة أحـد العبيد. وفي أوائل عام ١٧٨٢م لجـأ سيف وسعيد إلى سـاحل مكران حيث استقبلها البلـوشستاني نصر خـان الذي أعطـاهما جزءاً مـن المنطقة السـاحلية ليستعملاه كقاعدة لهم.

الإمام سعيد بن أحمد

(من حوالي عام ١٩٨٤-١٧٩٣م)

عند وفاة الإمام أحمد بـن سعيد في ١٤ ديسمبر ١٧٨٣م عم الحـداد أنحاء عمـان لأنه كـان زعيماً قـوياً فـي فترة عصيبة من تاريخ عمان. وتـم انتخاب سعيد الأبن الأكبر للإمام أحمد إماماً على الـرستاق في شهر يناير ١٧٨٤م، لكنه لـم يعقد أي صلـح مع أخـويه وتـم الشك فـي مدى شرعية انتخابه.



مواقع القلاع الرئيسية.

وحصر سيف، الذي كان هـائماً الآن في المحيـط الهندي، إهتمامه في طلـب العون والتأييـد لطرد قـوات سعيـد مـن قلعتـي مسقـط. وبالقـرب مـن ساحـل شرق أفريقيا وجد سيف حليفاً لـه في كلـوه وضـم قواته إلى قوات حـاكم كلوه والتمـس مساعـدة الفرنسيـين ووعد الأوروبيين بحـرية استعمال الموانـــيء العمانيـة كـمـا وعـد الفرنسييـــن بمنحهـم مكتـباً للمحاسبـة وعقـد الصفقـات في مسقـط يستطيعون رفع الراية الفرنسية فوقه.

ومـع ذلـك لم يتمخض ذلك عـن شيء لأنه بعـد محاولة صغيرة مجهضـة لعـزل حـاكم زنجبـار (أحبطتهـا قـوة النجـدة التي رأسهـا سلطان، أخـوه ورفيقـه السابـق في السـلاح، وأحد أبنـاء الإمـام سعيـد) إعتزل سيـف عنـد ساحل لامو حيث وافته المنية.

وفي عـام ١٧٨٦م علـق الزائر الانجليـزي «يـوليـوس جريفث» على ذلك قائلا: «لقد قـام الفرنسيون، وخاصـة في فترة الحـرب، بـرحـلات متكـررة مـن جـزيـرة فـرنسـا (مـوريشيوس) إلى مسقـط حيـث كـانوا يحصلـون على شحنات من القمـح وعدد من الحمير التي لها نفـس قيمة ممتلكاتهم في موريشيوس».

وكـان ذلـك في نفـس الـوقت الـذي تخلـص فيـــه السلطان تيبو من أمير (راجا) ميسور وشرع فـي السعي لتـوثيق العـلاقـات التجـارية مـع عمان. وقامـت عمان بـاستيراد الأرز وحب الهال والخشـب والأقمشة وخشـب الصنـدل والفلفل بينما كـانـت السفـن تعود إلى ميسـور محملة بـالتمر والبغال والخيـول من عمان بالاضـافة إلى اللؤلـؤ ودودة القز (دودة الحريـر) والكبريت القـادم من موانيء الخليج.

السيد سلطان بن أحمد

(من حوالي عام ١٧٩٣-١٨٠٤م)

كانـت فترة حكم سعيـد في أعقاب وفـاة والـده مباشـرة فترة سادهـا الشك والاضطرابات في البـلاد وانتهت أخيراً بتبـؤ السيـد سلطـان بن أحمد مقـاليـد السلطـة في عـام ١٧٩٣م.

وبنهـاية القـرن الثامـن عشر، كـان مـن الواضـح حـدوث إنشقاق خطير بـين القاعـدة العسكـرية التـي تتطلـع إلى مسقـــط والمناطـق الداخليـــة لعمان التـي شكلـت على نحـو تقليـدي مـركـز السلطـة والمركـز الروحي لعمان.

كما إتسـم حكـم السيـد سلطـان بـن أحمد (١٧٩٣-١٨٠٤م) الـذي إمتد مـن نهايـة القرن الثامـن عشر إلى مطلـع القـرن التـاســع عشر بـالعـداء بين الفـرنسيين والبريطـانيين في المحيط الهنـدي كما يتضـح من حـروب نابليون (١٧٩٢- ١٨١٥م).

لقد حافظـت عـمان في الماضـي عـلى علاقـات جيـدة إلـى حـد مـا بكلتا الدولتين، لكـن البريطانييـــن كانـوا متحمسين للتأكـد مـن عدم حصول الفرنسييـن علـى أيـة امتـيازات في عـمـان. وأدت سلسلـــة مـــن الحـوادث التي وقعـت للسفـن الـزائرة والحديث عـن إقامـة مصنـع فرنسي في مسقـط إلـى شعـور البريطانيين بـأنهم في مـوقـف الضعــيف. وكـان أقـرب ممثـل بـريطاني دائم تحت رعايـة شركـة الهنـد الشرقيـة في ذلك الـوقت موجوداً في البصرة، وكـانت مهمة الابـلاغ من هـذا المكـان البعيد عما يحدث في عمان ــ مـن بين البـلاد العربية الأخـرى ـ هي مهمة عسيرة. وقد كتـب «صمويل مانيستي الـذي كان يشغل هذا المنصـب في عام ١٧٩١م إلى أمـانة السر التـابعة للشركـة في لنـدن مايلي: «لا نـزال نجهل مدى نجاح المفاوضات الفـرنسية لاقامة مصنـع في مسقط، لكن لـدينا أسباباً قـوية تدعونـا إلى الاعتقاد بأن الإمام ـ بدافع من المصالح وبدافع من الصداقة ـ سوف يبدي ميـولاً قوية لتلبية رغبات الحكـومة البريطـانية في جميع المناسبات».

غير أن مسـألـة تـأسيس المصنـع الفرنسي لم تنتـه وقـام الحاكـم العـام البريطانـي في كلكـتا باتبـاع إسلوب التهديد وكتـب إلى سلطان بن أحمد مباشرة محذراً أيـاه من الانخـداع بفتـنة الفرنسيـين لأنهـم «بعـد أن قتلوا ملكهـم وألغـوا الديـن حاولـوا بـث الاضطـرابات في أنحـاء العـالم وخلـق نفـس الفوضـى والقلاقـل في الممالك الأخرى..».

وأكـد سلطان للبريطـانيين أنـه لا يعتزم الانحيـاز إلى

جانب الفرنسيين أو منحهم قاعدة دائمة في مسقط. وفي نفس الوقت تم إبلاغ ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة أن عليه التركيز على الجانب التجاري. وهناك وثيقة رسمية تنتقده بالطريقة التالية: «... إن المصالح القوية للمؤسسة (في البصرة) تقتصر (حسب تعليمات مانيستي) على مراقبة تحركات بعض المبعوثين الفرنسيين المشكوك في أمرهم والمتاح لهم دخول الهند عن طريق قنوات مختلفة تخرج عن نطاق سيطرة مستر مانيستي، وعلى توفير مركز مناسب لمزاولة أعمالنا مع الأوروبيين».

وقد أدى غزو نابليون لمصر في شهر يوليو عام ١٧٩٨م إلى تجدد خشية البريطانيين من سياسة التوسع الفرنسية في المحيط الهندي وإلى اهتمامها بالاحتفاظ بعلاقات خاصة مع عمان.

وقام الأمير مهدي علي خان الممثل الجديد لشركة الهند الشرقية في البصرة بزيارة خاصة إلى السيد سلطان بن أحمد بناءاً على تعليمات الحاكم العام البريطاني في بومباي. ويبدو أن حجة مهدي بخصوص سياسة «إخراج الفرنسيين» لقيت ترحيباً من سلطان (الذي لم يبلغ البريطانيين بأنه وافق بالفعل على إقامة مصنع فرنسي في مسقط) وتم إجراء مفاوضات حول مسألة إقامة مصنع بريطاني في مسقط. وقد خدمت هذه الزيارة أيضاً في توضيح مدى نفوذ سلطان (وبالتالي مسقط) وسيطرته السياسية. ورفع مهدي تقريراً فحواه أن هناك علاقات تجارية ودبلوماسية وثيقة مع مدن سواحل شرق أفريقيا ومكران وهرمز وبندر عباس. وبينما كان سلطان يناور كلا الطرفين فقد عقد صفقة جديدة مع الفرنسيين في زنجبار ومع البريطانيين في الهند حيث أدرك أن باستطاعته جعل البريطانيين يتراجعون عن تهديدهم بغلق الموانيء الهندية في وجه السفن العمانية وهو إجراء قد يكون له تأثير مدمر على التجارة العمانية.

ومع ذلك ظلت حالة التوتر قائمة ووقعت عدة حوادث تدل على مدى إصرار عمان على الاحتفاظ

أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد
من حوالي عام ١٧٤٤م إلى عام ١٧٨٣م

هلال — قيس — سعيد (من حوالي ١٧٨٣ إلى حوالي ١٧٨٤م تولى الإمامة حتى وفاته في ١٨١١م) — سيف — سلطان (١٧٩٣–١٨٠٤م) — طالب — محمد

عزان — حمد (من حوالي ١٧٨٤ إلى ١٧٩٢م) — بدر (١٨٠٤–١٨٠٧م حاكم) — حمد — سعيد (١٨٠٤–١٨٥٦م)

حمد — قيس — خالد — هلال — ثويني (١٨٥٦–١٨٦٦م) — ماجد — علي — تركي (١٨٧١–١٨٨٨م) — عبد العزيز — برغاش

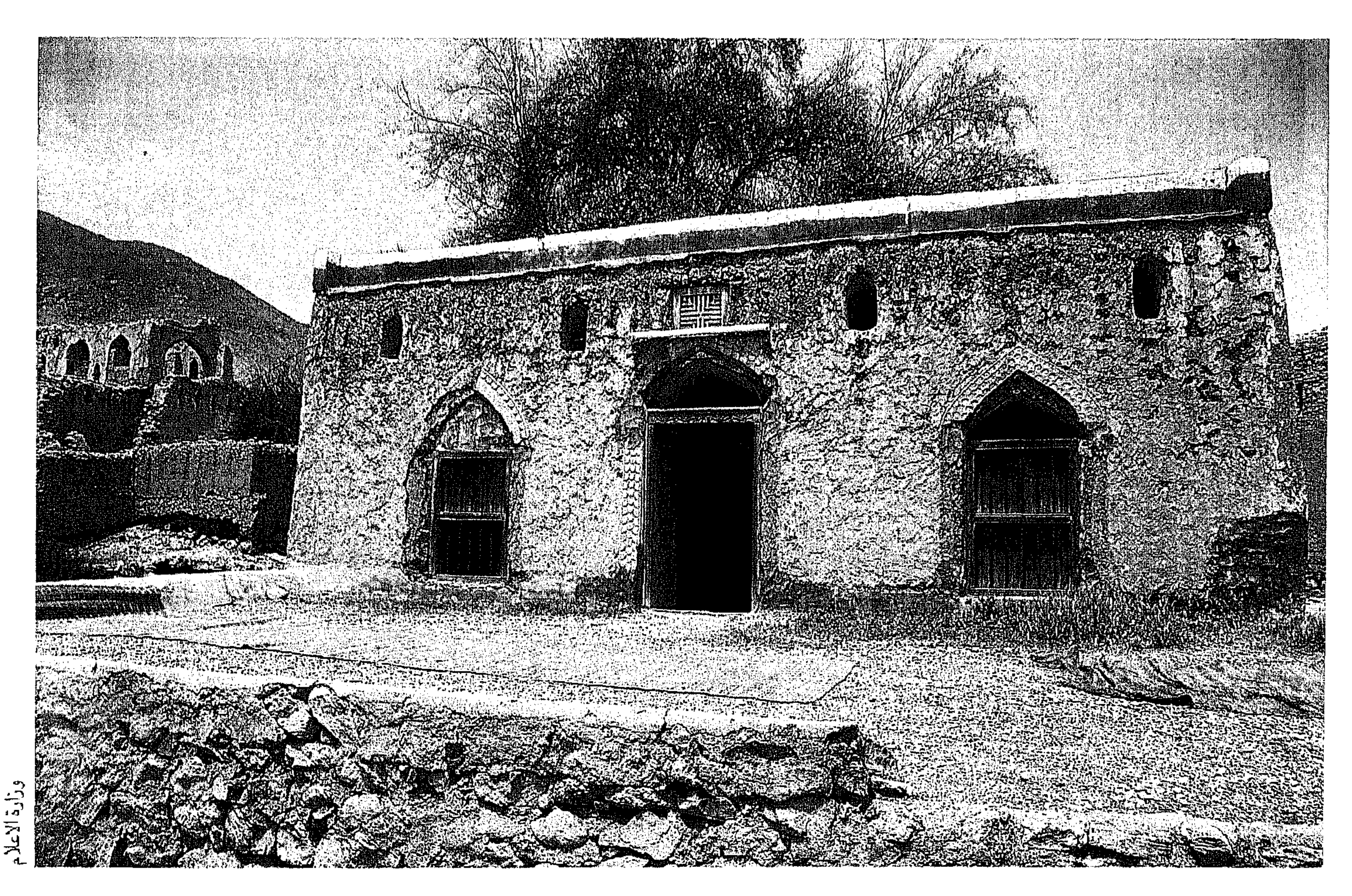
فيصل — عزان (١٨٦٨–١٨٦١م) — ابراهيم — سالم (١٨٦٦–١٨٦٨م) — حمد — حريب — محمد — فيصل (١٨٨٨–١٩١٣) — فهد — محمد — خليفة

خليفة — تيمور (١٩١٣–١٩٣١م) — حمد

عبدالله — سعيد (١٩٣٢–١٩٧٠م) — علي

جمشيد (عزل في ١٩٦٤، نهاية حكم الأسرة في زنجبار) — قابوس (تولى العرش في ١٩٧٠م)

شجرة عائلة أسرة البوسعيد
سلاطين عمان
سلاطين زنجبار


وزارة الاعلام

بعلاقـات طيبة مـع كـلا القوتين الأوروبيتـين. وتـم فـي عـام ١٧٩٨ التوقيـع عـلى اتفاقيــة تمويـن متبـادل يتم بموجبهـا تمويـن السفـن البريطانيـة التـي تـزور مسقط والسفـن العمانية التـي تزور الموانـيء الهندية، لكن هـذا الاتفاق تعـرض لاختبار قـاس في العام التالـي عنـدما وقعـت حـادثة اشتركـت فيهـا قـوارب القرصنـة الفـرنسيـة التـي استولـت على سفينـة بريطانيـة، هـي السفينـة «بيرل» التي تـم تفـريـغ بعض حمـولتهـا في مسقـط. وقد أدى ذلـك إلى عقـد اتفـاقية جديـدة بيـن سلطـان بـن أحمد والبريطـانيين وتعيين أول منـدوب سـامي سيـاسي بـريطـاني في عمان في سنة ١٨٠٠م هـو «أرشيبالـد بوجل» الذي كـان يعمل أيضاً كطبيـب خاص للسيد سلطان.

وقد توفى بوجـل بعد بضعة شهـور مـن وصولـه إلى مسقـط ولم تسنـح لـه الفرصـة مطلقـاً ليعـزز الأوضاع. وقـد سجلت الـرسائل القليلـة التـي استطاع «بوجـل» أن يكتبها عـن الحمـلات التي شنهـا سلطـان علي القواسـم (والتي من أجلهـا طلب العـون البريطاني) ضد الوهابيين.

وكما رأينا كان سلطان بـن أحمد يسيطـر مـن مقـره في مسقـط على إمبراطـوريـة كبيرة تتجـاوز حدودهـا سواحـل جنوب الجزيـرة العربيـة، ومع ذلـك فلم يكـن يسيطـر سيطرة تـامة على عمان المتحـدة. فعنـدما تـولى مقـاليـد السلطـة في عام ١٧٨٣م كـان حكمـه شخصيـاً يقتصر على مسقط وبـركاء وعلى تلك المنـاطق التي كـانت تحت سيطـرة إخـوته وهـي صـور التي كانـت تحـت سيطـرة طالـب والسويـق التي كانـت تحـت سيطـرة محمد وصحار ومطـرح اللتان كانتا تحت سيطـرة قيس. أمـا بقيـة عمان فكانـت تحت سيطـرة الشيـوخ المحليين زعماء القبائل المهيمنة.

وهكذا كانـت نزوى وابرا وجبرين تحـت سيطرة بني غافر، وبهلا تحت سيطرة البـوسعيد، ونخل تحت سيطرة اليعاربة.

وحتى فـي مسقط نفسها، واجـه مقر سلطـة سلطان تحدياً مـن قبل النفوذ الكبير لخلفان الذي كـان والياً على مسقط منذ أن عينه أحمد بن سعيـد في هذا المنصب منذ أربعين سنـة مضت. وقـد حافظ خلفـان بمساعـدة إبنه محمد بن خلفـان على مسقط كمركز للتجـارة طوال فترة الاضطرابات السياسية التي شهدتها عمان.

وبحلول عـام ١٨٠٢م كان سلطان يسيطر علـى جيش قـوامه ٢٤٠٠٠ رجـلاً و ٣٠٠ عبداً و ١٧٠٠ مـرتـزقاً مـن السند وبلوشستان. وفي البحر كـان لديه إسطول كبير من السفن الضخمـة يضم السفينـة «جنجاوا» وهـي سفينة مـربعة ذات إزاحـة قـدرها ١٠٠٠ طـن ومجهـزة باثنيـن وثلاثين مدفعـاً وثلاث سفن مربعة أصغرهـا حجماً مجهز بخمسـة عشـر مدفعـاً و١٥ بارجـة تتـراوح حمولتها بين ٤٠٠ و٧٠٠ طناً وثـلاث سفن شـراعية بصـاريين ومـا لا يقل عن ١٥ قارباً كبيراً لنقل الرجال والمؤن.

وفـي عـــام ١٧٩٩م حـدث صـراع مـع البحـــريـن بخصـوص الضريبـة الجمـركية، أي ضـريبـة سلامـة المرور التي كان سلطان يفرضهـا على السفن التي تمر في الخليـج. وكان يتم فـرض هذه الضريبـة بمعدل ٢,٥ في المـائة من قيمة جميـع البضائع التي تحملهـا السفن التي تبحر في الخليج من الموانيء الهندية.

وإذا أخفقت السفن في شراء ترخيص سلامة المرور فقد تتعرض لهجوم القوات المـوالية لسلطان والموجودة في هرمـز. وتحدى العتوب هذه الترتيبات لعـدم رضاهم عنها وحاولوا فرض ضرائب خاصة بهم.

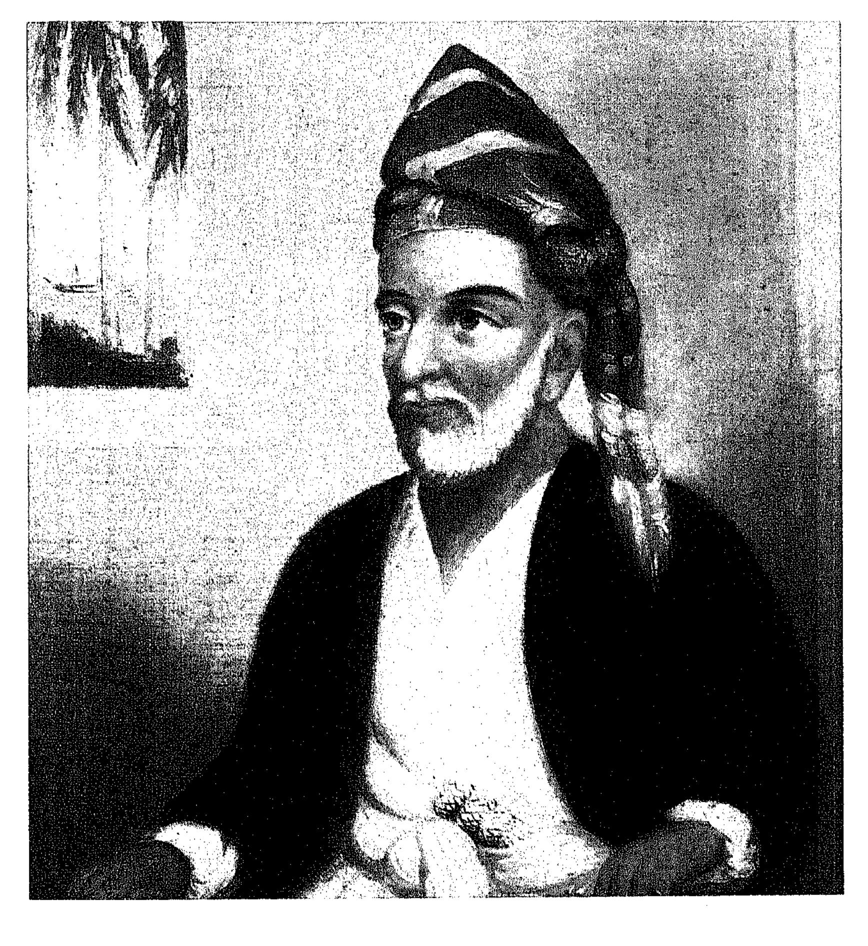
وعنـدما هـاجمت القـوات البحريـة لسلطـان ثـلاث سفن أثناء عـودتها من الهند إلـى البحرين في ربيـع عام ١٧٩٩م طلب البحرينيون العون مـن حاكم إيران الشيخ نصر بن نصر الذي قام في مقابل الحصول على فرائض الولاء والاتاوة، بإرسال قوة كبيـرة إلى البحرين مما أجبر سفـن سلطان علـى الانسحاب. وقـد استمرت المعـارك البحرية والمناوشات بين العمانيين والعتوب طوال فصل الصيف وسيطـر سلطان مؤقتاً فـي إحدى المراحـل على جزيرة الخرج.

وفي عام ١٨٠٠م اتخذ التهديـد الوهابـي لعمـان بعداً أكثر خطورة وقام أحـد لواءات عبد العزيز، سالـم بن هلال الحريـق (وهو عبـد نوبـي) بمحاولـة لغزو عمـان بهدف الاستيلاء علـى صحار، غير أن التصـرف الذكـي لسلطان وأخيه قيـس الذي كان واليـاً لصحار حال دون ذلـك لكنه أدى إلى فقـدان أرواح كثيـرة ولم تنتــه المعركة إلاّ بهدنـة تـركت الـوهابييـن يسيطـرون علـى واحـة توام (التـي أصبحب قاعدة لهجمات الوهابيين في عام ١٨٠٣م).

وقد أدت إحـدى الغارات الوهـابية الأخرى التـي تمت في العام التالي على مدينـة أخرى من المدن الداخلية فـي عمان إلـى مقتل أو أسـر حوالـي ١٥٠ رجلاً. وانتشـرت إشاعة تقول بـأن الوهابيين سيقومون بغـزو كامل بقوة تعدادها ٢٥٠٠٠ رجلاً.

ومن الأمـور الأخرى التـي أدت إلى اختـلال موازيـن المعركـة هو التجاء السويـديين إلى معسكـر الوهابييـن بعد أن اضطر سلطـان إلى طردهم من هرمـز (في أعقاب قيامهم بهجـوم أحمق على السفن البريطانيـة التي كـان مـن المفـروض أنهـا معفاة مـن الجمـــارك أو ضريبـــة سلامة المرور).

وكـانت الهجمـة الثانيـة التـي قام بهـا سلطان علـى البحرين فـي عام ١٨٠١م أكثر تنظيما من سـابقتها، فقد أدت سلسلة مـن الأحداث إلى إنحيـاز الفرس إلى جـانبه وبذلـك بلغت قـوته ٢٤٥٠ رجلاً وأصبـح لديـه اسطول بحـري يضم السفينـة العمـلاقـة «جنجاوا» التـي تبلـغ حمولتهـا ١٠٠ طن والمجهـزة بإثنيـن وثلاثيـن مدفعـاً وبارجتين ومـا لا يقل عن عشرة قـوارب. ونجحت القوات



نسخة من صورة معاصرة للسيد سعيد بن سلطان من رسم هنري بلوس لينش

العمانيـة في النـزول عند شاطـيء البحريـن وتنصـيب سـالم بـن سلطـان واليـاً. وفي عـام ١٨٠٢م تجمعـت القوات المشتـركة للخليفـة والوهابييـن في زبـره لتقوم بهجـوم مضاد ونجحـت هذه القـوات فـي الاستيـلاء علـى البحريـن. وفي صيـف عـام ١٨٠٢م قام سلطـان بهجـوم آخر علـى اسطول العتـوب فـي الخليج غيـر أن الأحداث التي وقعت فـي الجزيرة العربية جذبت اهتمامه للدفـاع عن عمـان ضد الـوهابييـن. وقد تمخـض قيامـه بتأديـة فرائض الحج في مكـة المكرمة فـي عام ١٨٠٣م عن تـرك فراغ مؤقت فـي مسقط أدى إلى قيام إبـن أخيه بدر بمحاولة للسيطـرة على الحكم، وأدت إلى غضب عبد العزيز زعيم الـوهابيين الذي كان ساخطـاً سخطاً شديداً من دخول سلطان الحجاز بقواته المسلحة.

وقد أدى ذلك إلـى إندلاع معركة خطيرة مع الـوهـابيين تم خلالهـا مطالبة القواسـم والعتوب بترك موسـم صيد اللؤلؤ وفرض الحصار على عمان.

وأدت الضغـوط المستمـرة فـي النهايـة إلـى عقـد هدنة وافق سلطان بمـوجبها على دفع ١٢٠٠٠ دولاراً من نوع دولارات ماريا تريزا سنـويا ولمدة ثلاث سنوات إلى عبد العزيز.

ولـم يدم هـذا الاتفاق طـويلًا حيث قام الـوهابيـون بهجـوم آخر تصـدت له قـوات سلطان بقيـادة إبن أخيـه محمد بـن حميد على مسـافة قصيرة خـارج الرستـاق على سـاحل البـاطنة. وقد قتـل محمد فـي هذه المعـركة وانتصرت القوات الوهابية.

وقد أدى إنتشار نبأ مقتل عبد العزيـز مصحوباً بإشاعة أن سلطان قد أعـد جيشاً قوياً لـلاغارة على الوهـابيين إلى انسحابهم بسرعة والقضاء على هذا التهديد.

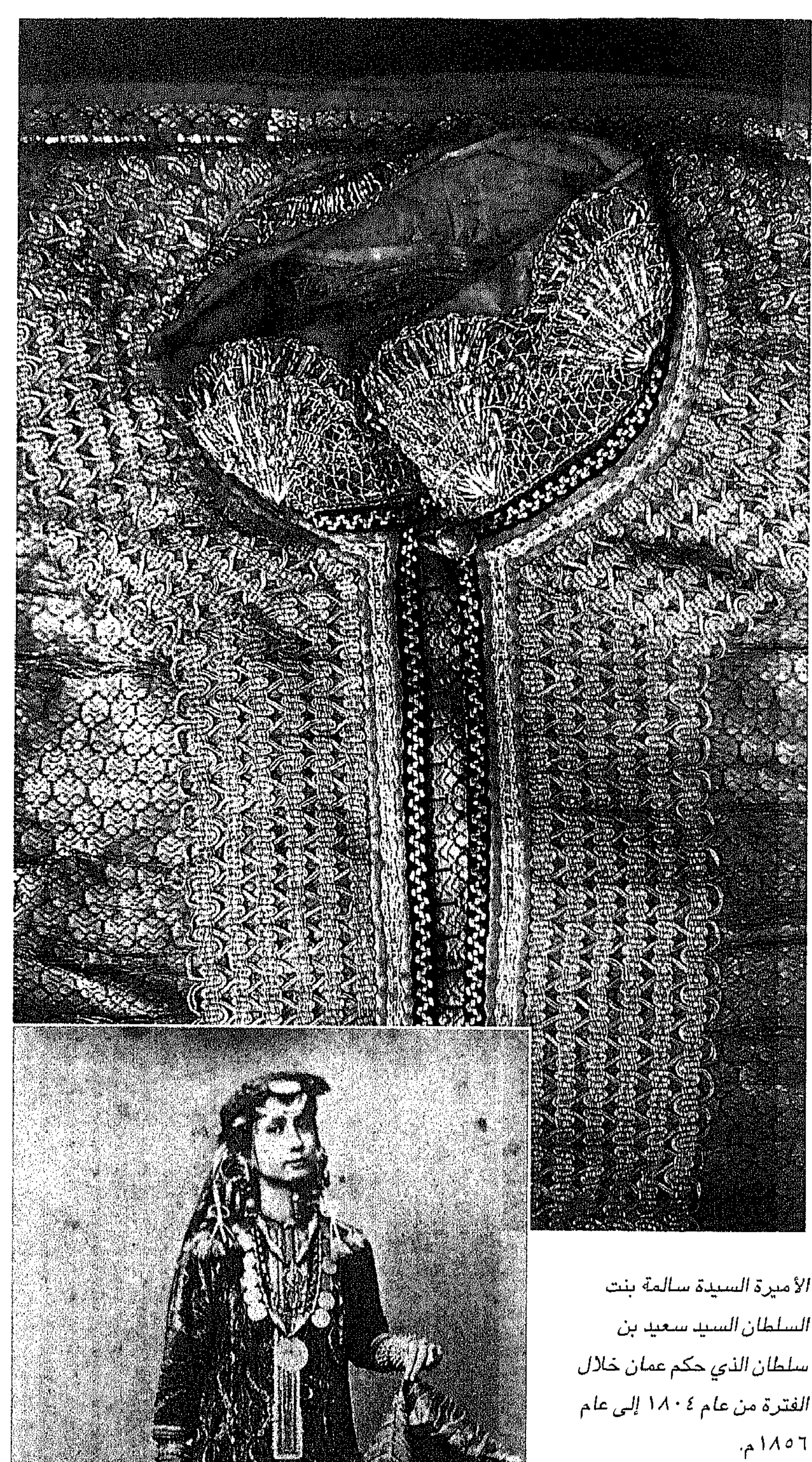
أدت أخبـار مقـاومـة العثمانييـــن لحركـــة الوهابييـــن إلى ذهاب سلطـان إلى البصرة علـى متـن سفينتـة الحـربيـة الضخمـة «جنجـاوا» فــي شهـر سبتمبـر ١٨٠٤م. وكـان سلطان يأمـل من هذه الـزيارة تأميـن مساعـدة العثمانيين لمقاومـة الوهابيـين فـي شـرق الجـزيرة العـربية، لكنـه وجدهـم غير مستعـدين لتقديم مثل هذه المساعدات.

وفــي طريــق عودتــه إلـى عمـان تـرك سفينتـه الضخمة «جنجـاوا» واستقل قـارباً صغيـراً ليهبـط فـي جزيـرة قشم، لكن القـارب الصغير تعرض للهجـوم من قبـل القراصنـة أثنـاء إبحـاره ممـا أدى إلـى مقتـل السيد سلطان.

السلطان السيد سعيد بن سلطان البوسعيد

(من حوالي عام ١٨٠٤-١٨٥٦م)

تركت وفاة السيـد سلطان عمان في حالة مـن التخبط وفي حرب داخلية (أهلية) مؤقتة. وحدث نزاع شديد على السلطة بين الأجنحة المختلفة لأسرة سلطـان الكبيـرة. وفي النهاية تولى ابنـه السيد سعيد بن سلطـان مقاليد الحكم مـن عام ١٨٠٤م حتى عـام ١٨٥٦م. وواجـه السيـد سعيد مجموعة جديدة من المشاكل لم يكن أهمها تزايد درجة منافسة تجار العاج والمـلابس الهنـود الذيـن هددوا السيطـرة التجاريـة العمانية فـي المنطقة. وفي نفس الـوقت كانت تجـارة الرق تتعرض لضغـوط كبيرة من قبل البـريطانيين. ولمجابهة ذلك أمـرالسيد سعيـد بن سلطـان بغـرس العديـد من أشجـار القرنفل في زنجبـار. وكانت الحاجة إلى الاشـراف عن كثب على عمليـات غرس هذه الأشجـار هي أحـد الأسبـاب التي جعلـت سعيد ينقـل مقره إلـى زنجبار في عام ١٨٣٢م مما شجع العديـد من العمانيين على الاستقـرار هناك. وبعد أن تولى مقـاليد الحكم بفترة قصيـرة وفـي عام ١٨٠٧م وقـع السـيد سعيد بـن سلطـان اتفاقيـة صـداقـة وتجارة مـع الفرنسيين، غير أن البريطانيين وضعوا حداً لنهايتها بالفعل عندما هزموا الفرنسيين فـي جزيرة فرنسـا (موريشيوس). ومنـذ ذلك الحيـن أقـام السيد سعيـد عـلاقـات وثيقة مـع انجلترا. وكان سعيد قد حاز طـوال فترة عدائـه الطويلـة مع القواسـم علـى تأييـد البريطانييـن الكامـل الذيـن اعتبروا هؤلاء الناس كالقراصنة.



ويعتقد البريطانيـون أن تأييدهم لعمان كان — من بين أمور أخـرى ـ أحد عـوامل الموازنة الهـامة ضد القـواسم. وفي أعقاب فترة طويلة من الصراع، تم توقيع اتفاقية سلام في عـام ١٨٢٠م مهدت الطريق لاقـامة اتحاد دول الهـدنة الذي وضـع حجـر الأساس لتأسيس دولة الامـارات العربية المتحدة في القرن العشرين انفصالاً عن عمان الأم.

وقـد دام حكم السيـد سعيد فتـرة طويلـة، وكان عهـداً ناجحاً. وقد كتب عنه ابن رزيق الذي أرخ حياته ما يلي:

الحمد لله الذي نال به سعيـد الملوك حظاً رضيّاً، ومجداً عد ملياً، وسلطاناً قوياً، وقضى بالسعد له، فكان مركزه في أفـق المجد والجد مكـاناً علياً، فـانقادت بإعـانة الله ونصره لـه ملوك عصره، فشـرّف بضربه وطعنـه في الأعداء سمهرياً ومشرفياً (السمهري هو الرمح السلب والمشرفي هو السيف) ففتح مغـاليق البلاد بالسيوف الحداد، وسلك في قطع وصل أجيـاد أهل العناد صراطاً سوياً، والصــلاة والسـلام على رسوله المؤيـد، سيدنا محمد المذلـل بعزته الأعداء تذليلاً. وعلـى آله وصحبه المعطين بحد القرضاب (السيف القاطع) حق الضّراب، وما بذلوا عن العز عزائمهم تبذيلا.

لقد كان رجـلاً عظيم الشـخصية بشوش الوجـه كما شـهد

الأميرة السيدة سالمة بنت السلطان السيد سعيد بن سلطان الذي حكم عمان خلال الفترة من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨٥٦م.



أقصى اليسار: صورة أحمد بن نعمان، المبعوث الخاص إلى نيويورك. تم رسم الصورة في عام ١٨٤٠م.



بـذلـك المـلازم جيـه. آر. ويلستد الذي وصفه في عام ١٨٣٥م بـالعبارة التـاليـة: «كان ذا قـامة طويلـة مهيبة وذا مـلامـح بشـوشـة لكنهامؤثرة وكـان لبقاً لطيفاً دمثاً وجليلاً».

وبالرغم من أن مصالح السيد سعيد كانـت تنتشـر في منطقة واسعة تمتد من أرض الفرس إلـى شرق أفريقيا فإن تركيـزه الأعظم كـان على زنجبار التـي أصبحت عـاصمته الثانيـة. وقد سـافر كثيراً عـن طريـق البحر وكـان يفتخر ببحريته وكثيراً ما كـان يتولـى بنفسه قيادة بارجته «شاه علم». وكانـت علاقاتـه الوثيقة بـالبريطانيين تتسم بتبادل الهدايا بانتظام وخاصة فـي مناسبتي تتويـج الملك وليـام الرابـع والملكة فيكتوريا.

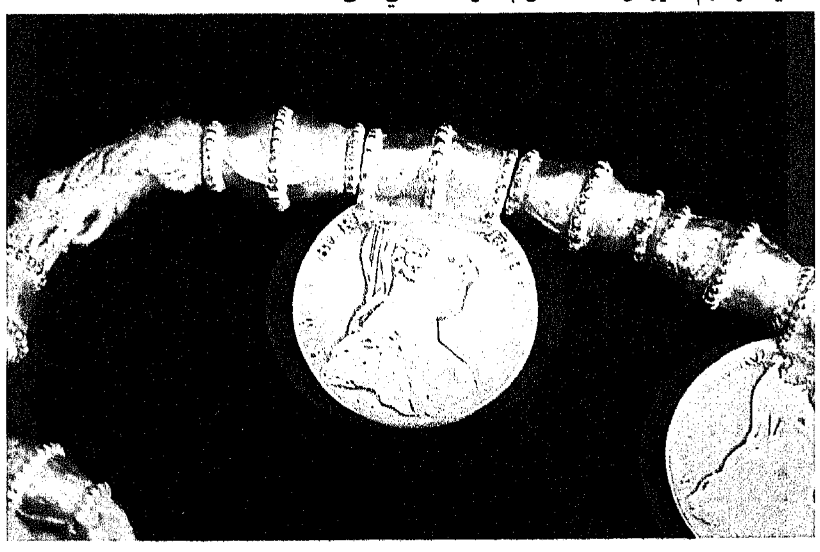
ففـي عام ١٨٣٠ أهـدى الملـك وليـام الرابـع فـرس استيـلاد عـربـي، بينمـا أهدى للملكـة فكتـوريـا فحـلاً للاستيـلاد. ولأنه كـان يفخـر ببحريتـه فقـد أهـدى للملـك وليـام الرابـع إحـدى سفنـه الحـربية التـي تـم تسميتهـا فيمـا بعد «إتـش إم إس ليفربـول»، وجاملـه الملـك فـي المقـابـل بـأن أهـداه احـدى السفـن البريطانية «برنس ريجنت».

ويعلق دونالد هولي فـي كتابه الرائع «عمان ونهضتها» على الطبيعة الغـريبة لبعض هذه الهدايـا والتي تضمنت (مـن الملكة فكتوريـا إلى سعيـد) حافلـة للمناسبـات الرسمية مع طقم للفرس ليستعملها سعيد في زنجبار التي كانـت تفتقـر إلى الطـرق المعبدة) ومن (سعيد إلى الملكة فيكتوريا) جزيـرة كوريا موريـا التي قدمها إليهـا كهدية أبدية في ١٤ يوليو عام ١٨٥٤م. وهـي إيماءة تمخضت عن هدية مـربكة هي علبة سعـوط قدمها إليه وزيـر خارجيتها لورد كلارندون. وقد تـم إعادة الجـزيرة إلى عمان في عام ١٩٦٧م (هولي، ١٩٧٧).

السلطان السيد ثويني بن سعيد

(من حوالي عام ١٨٥٦-١٨٦٦م)

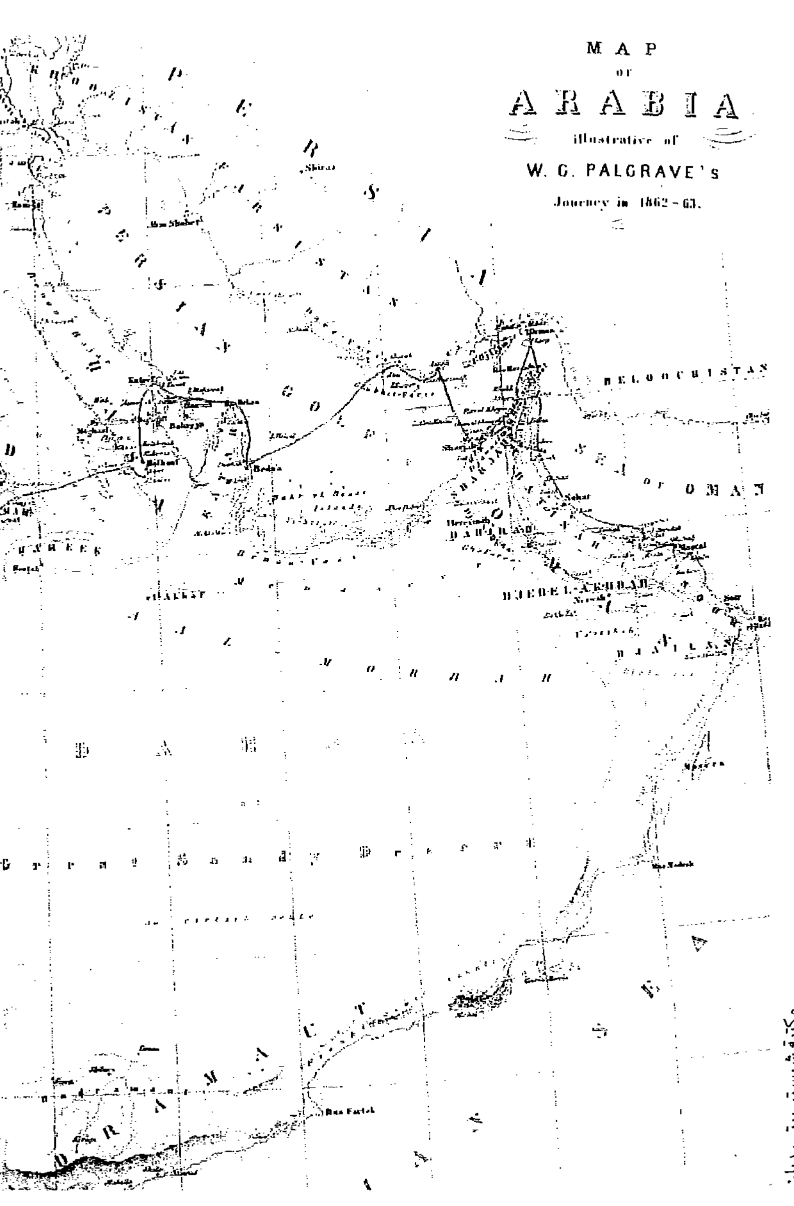
حكـم السيد سعيـد بن سلطـان عمـان وزنجبار ببصيـرة عظيمة وحزم، غير أن الاحساس بالـوحدة الذي كان سائداً



بين الجزيـرة الأفريقية وعمان العـربية قد اضمحل بـوفاة سعيـد فـي عام ١٨٥٦م. وفـي وقـت وفـاته كـان معظـم الأسطول البحري العماني في زنجبـار، ولم تتم اعادته إلى عمان بل ظل تحت سيطرة إبن سعيد، ماجد بن سعيد الذي كان موجوداً في زنجبار وقت وفاة والده.

وبينمـا استولـى مـاجد على السلطة فـي زنجبار فعل أخيـه ثوينـي نفـس الشـيء في عمـان. وبـعد سلسلـة من المشـاحنات والنـزاعات بين الأثنيـن وتهديـد ثوينـي بـالقيـام بأعمال عسكرية لاجبـار أخيـه علـى دفـع «إيجـار» سنـوي مقابـل احتـلال زنجبـار تـم التوصـل إلى تسوية بمساعـدة البريطانيين تـم بموجبهـا الاعتراف بمـاجد حـاكمـاً على زنجبـار واحتفـاظ ثوينـي بمنصبـه



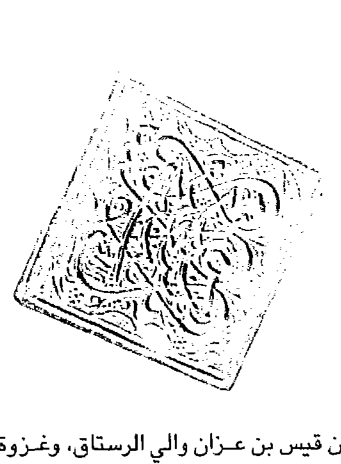


خريطة للجزيرة العربية تم رسمها اعتماداً على رحلة دبليو جي بلجراف التي قام بها خلال عامي ١٨٦٢-١٨٦٣.
(حكايات رحلة عام عبر وسط وشرق الجزيرة العربية «١٨٦٢-١٨٦٣م» للمؤلف وليام جيفورد بلجراف).

كسلطان لعمان. واعترافاً بإدعاءات عمان السابقة في زنجبار وافق ماجد على دفع رسم سنوي قدره ٤٠٠٠٠ كراون.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وقعت تغيرات سريعة عكست مكانة عمان البارزة كاحدى أقوى القوات البحرية في المحيط الهندي. فإلى جانب فقدان ثويني لجزء كبير من الأسطول البحري لأخيه في زنجبار، فقد واجه الاسطول التجاري العماني تحديات جديدة من السفن البخارية التابعة لشركة الملاحة التجارية البريطانية الهندية. فقد كانت هذه السفن الحديثة، التي لم تعد تعتمد على الرياح الموسمية في تحديد مواعيد الابحار، تنافس بشدة القوارب الشراعية العمانية التقليدية المصنوعة من الخشب والتي كانت تشكل منذ فترة طويلة العمود الفقري لاسطول سفن المحيط الهندي.

ونتيجة لذلك ولبعض العوامل الأخرى أصبحت عمان تعاني من الكساد الاقتصادي الخطير الذي كان بمثابة الوقود الذي أشعل النزاعات الداخلية. وتم القاء مسؤولية تدهور عمان على ثويني وتعرض حكمه لتحديات من عدة جهات تضمنت ثورة في صحار قادها أخوه تركي، وعصيان عدة قبائل



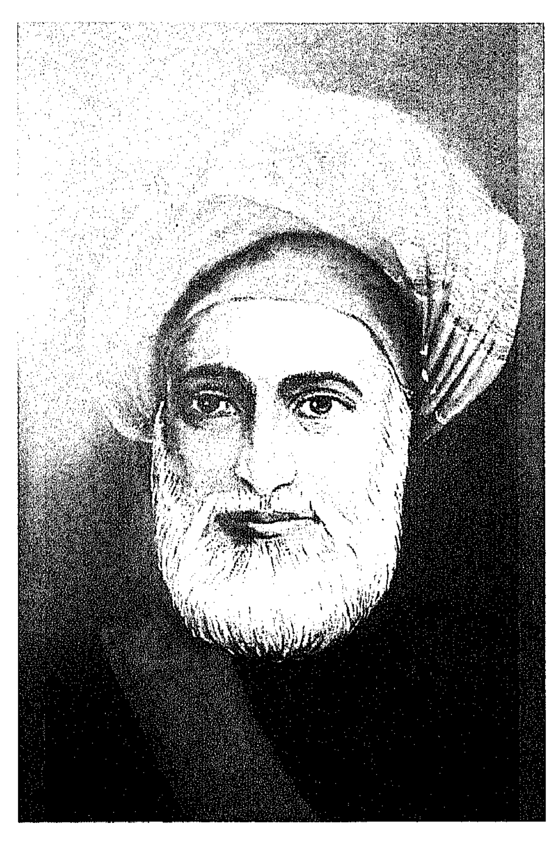
بتحريض من قيس بن عزان والي الرستاق، وغزوة قام بها الوهابيون بتأييد من قبيلتي جنبه وبني أبو علي. وأخيراً لقى حتفه أثناء نومه في القلعة في صحار حيث أطلق عليه أبنه سالم النار من بندقية ذات ماسورتين.

السلطان السيد سالم بن ثويني
(١٨٦٦-١٨٦٨م)

أخيراً تحققت طموحات سالم في حكم عمان، لكن انتصاره دام فترة قصيرة. فقد كانت الطريقة التي تولى بها مقاليد السلطة موضع اشمئزاز كبير، وانتشرت المعارضة لحكمه بسرعة. وقد أدى عدم الاستقرار هذا إلى زيادة ضعف مكانة عمان ورفض سلطان زنجبار دفع الرسوم السنوية لسالم وألغى الفرس اتفاقية استئجار عمان لبندر عباس قبل تجديدها بقيمة إيجارية أعلى. وبعد عامين من الحكم غير الناجح تم إجبار سالم على مغادرة عمان عندما قاد عزان بن قيس أتباعه للقيام بعدة هجمات ناجحة على قلاع بركاء ومطرح ومسقط. وبعد مضي عدة سنوات وفي عام ١٨٧٣م حاول سالم العودة إلى عمان أثناء حكم السلطان تركي بن سعيد. وفي هذا الوقت كان البريطانيون قد اعترفوا رسمياً بتركي كسلطان لعمان وقبضت السفينة البريطانية «إتش إم إس دافني» على سالم وأرسلته إلى حيدر أباد حيث توفي في العام التالي.

الإمام عزان بن قيس
(١٨٦٨-١٨٧٠م)

اتسم حكم عزان بفلسفة دينية أصولية قوية، وتم توحيد البلاد تحت رايته وأتاحت له هذه القوة المتجددة أن يطرد الوهابيين من واحة البريمي التي كانوا يستعملونها كقاعدة لهم منذ عام ١٨٠٠م. وقد تم عمل ترتيبات بين الإمام عزان والأسرة الحاكمة في أبو ظبي تقضي بحماية البريمي من الغزوات في المستقبل. لكن حكم عزان لم يدم طويلاً أيضاً لأنه لقي معارضة تزعمها تركي بن سعيد، أخو ثويني بتأييد من سلطان زنجبار وشيوخ دبي وعجمان ورأس الخيمة. والتقت القوات المعارضة في معركة وادي ضنك التي انتهت بهزيمة الإمام عزان الذي لجأ إلى صحار حيث قتل بعد فترة قصيرة في معركة مطرح التي انتصر فيها تركي.



السلطان السيد تركي بن سعيد
(١٨٧١-١٨٨٨)

بدأ تركي حكمه في ظل معـارضة كبيرة من قبل عدد كبير من الجمـاعات بما فـي ذلك معـارضة أخيه الصغيـر عبد العزيز بن سعيد (الذي كان مثل تركي، أخاً للحاكم ثويني المقتـول) وصـالح بـن علـي (أحـد أبناء قبيلـة حـرث) وابراهيم بن قيس (أخو الإمام عزان الذي قتل مؤخراً).

وعقـب عـدة سنوات عصيبـة نجـح تـركي فـي عـام ١٨٧٥م في اكتساب ولاء ابـراهيم بن قيس. وكـان ذلك علامـة بارزة لبداية تعاون وثيق طويل بين اسرة ابراهيم وسلطان عمـان حيث خـدم أحمد نجـل ابراهيـم كـوزير للداخلية في حكومـة السلطـان سعيـد بن تيمـور حتى عام ١٩٧٠.

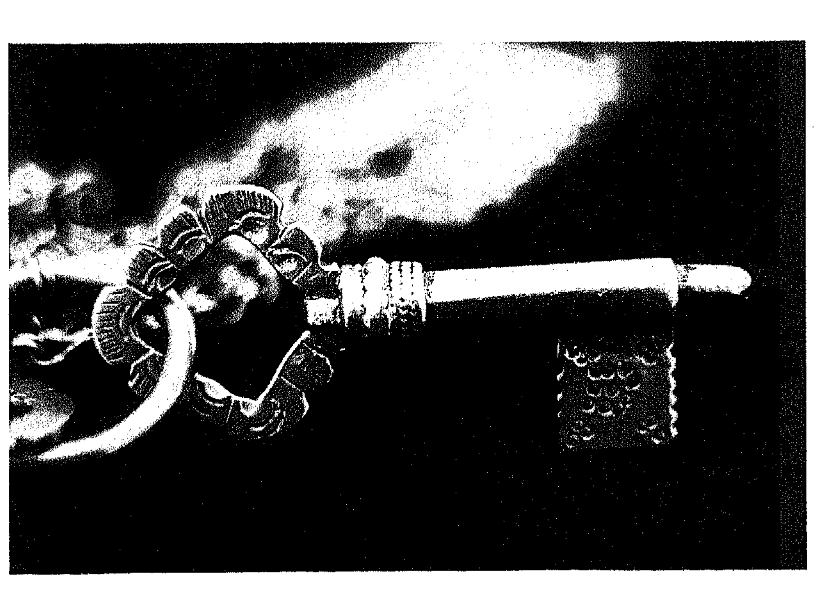
ومع ذلك لـم تخمد معارضة صالح بـن علي وتسببت في اضعاف مكـانة تركي نتيجة للهجمات التـي تم شنها على مطرح ومسقط والتي أدت إلى تخلـي أتباع تركي عنه مما اضطره في عـام ١٨٧٥م إلى التقاعـد والاقامـة في جوادور تاركاً أخاه عبد العزيز يحكم عمان.

على أية حـال، لم تكن تلك هـي نهاية حكم تـركي لأنه بعد أن أمضى عـدة شهور معتكفاً نال خلالهـا قسطاً من الراحـة وتجديـد النشاط عاد فجـأة إلى مطـرح ومسقط أثناء وجود عبد العزيز في زيارة إلى وادي سمائل.

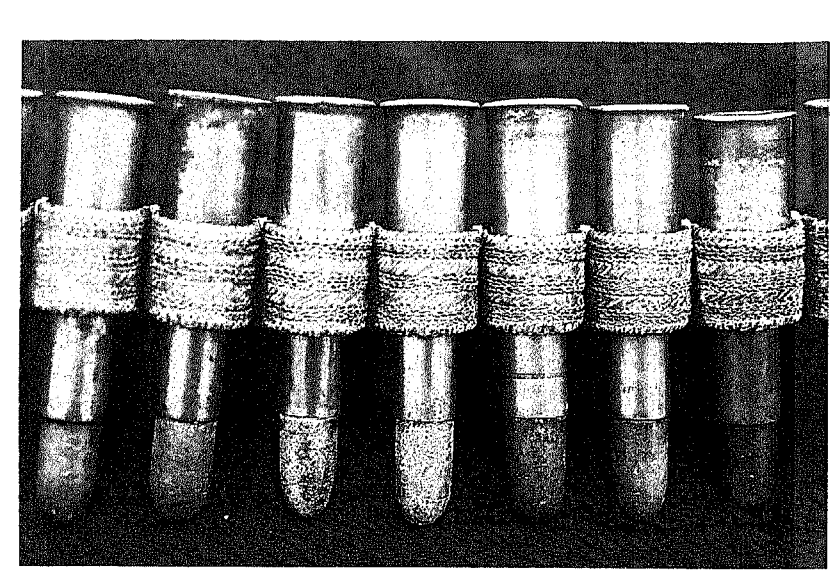
وبعد مضـي عاميـن وفي سنـة ١٨٧٧م شن صـالح هجومـاً آخراً عـلى حكـم تركـي مدعيـاً بأنـه لا يحتـرم القيـم الدينيـة. وفـي هـذه المـرة تـم رده بمساعـدة السفينـــة البريطانـــيـة «إتـش إم إس تايـزر» التـي قصفت مخيـم صـالح بـالقنابـل. وفي عـام ١٨٨٣م جـرت محاولـة جديـدة لعزل تركـي عنـدما انضـم سالـم إلى عبـد العزيز شقيـق تركي الـذي ذاق طعـم الحكـم مرة قبل ثمانيـة أعـوام. ومـرة أخـرى تلقـى تركـي المساعـدات البريطانيـة التي قدمتهـا هــذه المـرة السفينـــة البريطانيـــة «إتش إم إس فيلومـل» الـتي قـامت بقصـف القوات المهـاجمة بالقنابـل. كمـا تلقـى تركي المساعدة من حلفائـه فـي قبيلتـي الحـرث والمساكره الذين هبوا لمساعـدته ومن إبنه فيصل الـذي قـاد القوات التـي تعقبت المتمـرديـن وأخضعتهم مـرة أخرى لحكم أبيه.

وبالـرغم مـن هـذه النزاعـات عـلى السلطـة وهـي أحد المعالم الطـويلة للسياسات الداخلية العمـانية، فـقد كـان حكـم تركـي بـنـاءاً وايجابيـاً فـي تأثيره عـلى الحياة العمـانية. فقـد كان حكيـماً وجاهـد فـي سبيـل تسويـة الخلافـات بيـن القبائـل فـي عمـان وطبـق في نفس الوقت سياسة خارجية عملية.

وعـرفـانـاً منـه بـالمسـاعـدات التـي قدمـهـا لـه البريطـانيون ولقلقه مـن جراء تجارة الرقيـق الظالمـة وقـع السلطـان تركـي معـاهدة مـع ممثـل بريطانيـا «سير بـارتل فرير» فـي عـام ١٨٧٣ تهـدف إلـى انهـاء تجارة الرق.

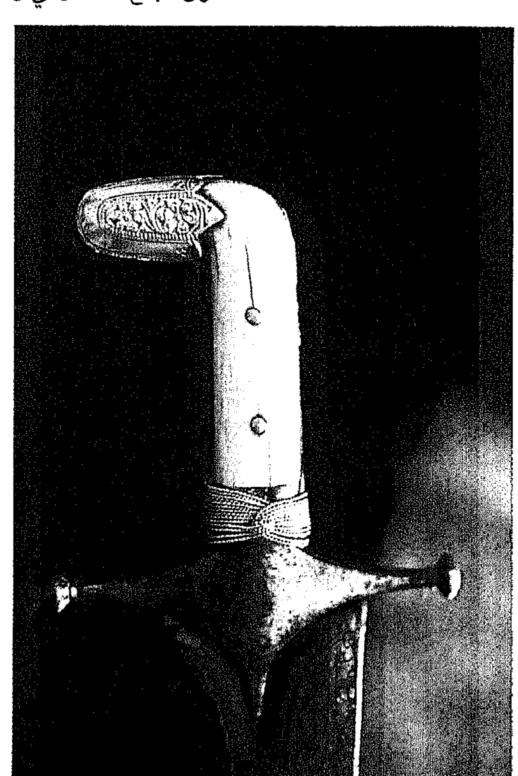






السلطان السيد فيصل بن تركي
(١٨٨٨-١٩١٣م)

استطاع فيصــل أن يحصل علــى ولاء أهم زعمـاء القبائل العمانيــة. وقد تولــى مقاليـد الحكم في السلطنـة وهو لا يزال في عنفوان شبابه حيث كان يبلغ من العمر ٢٣ سنة فقط وكـان عليه أن يـواجه بعـض الخصوم الأكبـر سناً والأكثر خبـرة وعلي رأسـهم عمه عبـد العزيز الذي كـافح دون نجاح ضد تركي والد فيصل.



وفــي عام ١٨٩٣م حــدثــت تغيـرات فــي سلطنــة زنجبـار تمخضـت عن إحـلال علي بـن سعيد محـل حمـد بـن ثوينـي ممـــا أدى إلـــى تأييـــد محـاولــة تتصـدرهـا زنجبـار للسيطـــرة عــلى عمـــان. وقد استطـاع فيصـــل بمسـاعــدة البـريطانييــن رد الهجـوم علــى مسقـط ومطــرح لــكــن بعد أن استطاعـت القوات المتمـردة السيطـرة علـى مسقـط لفتـرة وجيـزة. وقـد تعلــم فيصـل دروسـاً وعبـراً مـن هـــذه المحـــاولـة واعتبـر نفســه محظـوظاً لنجـاتــه بحياتـــه، وقــام بتعــزيــز تحصينـــاتــه الدفـاعية وسيطر سيطرة قـوية علـى الـزعامة وظل فــي منصبه كسلطان لعمان حتى وفاته في عام ١٩١٣م.

وفي مطلـع القرن العشريــن وجدت عمان نفسهـا في حيرة تتنـازعها المحاولات القويـةالتي تبذلها المصــالح الفرنسية والبريطانية لكسب تأييدها.

وحـاولــت فـرنســا وروسيـا إضعــاف السيطـرة البـريطانيــة علــى المحيـط الهندي، وشكلـت الجهــود الفرنسية لتعزيز التواجد الفـرنسي في عـمان جـزءاً من هذه المحاولات.

وأدى بزوغ عصـر السفن البخاريـــة إلى ضــرورة تــوفيـر مرافــيء استراتيجية تستطيــع فيهــا هـــذه السفـن إعــادة تزويـد مستودعاتهـا بالفحــم كـــي تتمكــن مــن القيـام برحلاتها الطويلــــة. وكـــانت مطــرح توفـر مثـــل هـــذا الموقــع فهـــي تعتبــر مركـزاً نموذجيـــاً للسفـن المبحـرة مـن الشـرق إلـى الغرب عبر البحر الأحمـر وقـــناة السويـس والمتجهـــة إلى أوروبا والخليـج أو الهند وما بعدها. وقد حـــاولـــت كـل مـن فرنســـا وبريطانيــا الحصــــول عـلى قواعـــد للتمويـــن. واتبـــع السلطـــــان فيصـــل الاسلــوب الدبلوماســـي ومنـــح كـــلا البلديــن قطعـــة مـــن الأرض متسـاوية فـي المساحـة وسمح لهمـا بإقامـــة مبانـي مطابقـة علـى سواحـل خليـج مسقـط. وقـد ظلــت هــذه المبـاني قائمـة حتـى عـــام ١٩٧٢م حيث تـــم هدمهــا لتوفير الأراضي اللازمــة لاقامـــة القاعـــدة البحرية الجديدة.

وفي عام ١٩٠١م تم ربط عمان بخط هاتفي، وواصل فيصل تعزيز مكانته خـلال فتـرة مـن الاستقرار والسلام النسبيين حتى وفاته في عام ١٩١٣م.



صورة للسلطان السيد تيمور مأخوذة من كتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» (جورج ألن ويونيون، ١٩١٣م).

السلطان السيد تيمور بن فيصل (١٩١٣-١٩٣٢م)

خلف تيمور والده فيصل في عام ١٩١٣م وواجه على الفور تقريباً عصياناً يتزعمه الإمام المنتخب راشد الخروصي الذي كسب تأييد بعض القبائل. وقد تتوج هذا النزاع بهجوم على مسقط في عام ١٩١٥م بقيادة سالم بن راشد تصدت لهم عند السيب قوة قوامها ٧٠٠ جندي ونجحت في ردهم. وبعد عدة محاولات زائفة لبدء الهجوم تم التوصل إلى حل وسط جلب السلام بين قبائل المحافظات الداخلية والمحافظات الساحلية مع الاعتراف بدور السلطان بصورة عامة. واستمرت هذه الاتفاقية سارية بصورة مرضية طوال فترة إمامة سالم بن راشد الخروصي وخليفته الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، لكن إنفرط عقدها في أعقاب وفاة الإمام محمد في عام ١٩٥٤م.

وقد كتب برتران توماس الذي عمل لدى السلطان السيد تيمور عن بعض خبراته في كتابه «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» والذي تم نشره لأول مرة في عام ١٩٣٢.

وقد تضمن الكتاب إهداءاً نصه: «إلى سمو سلطان مسقط وعمان السيد تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد، حامل وسام الامبراطورية الهندية ووسام نجمة الهند، مع الشكر والتقدير لأفضاله العديدة التي شملني بها تحت رعايته وتذكاراً للسنوات الخمس السعيدة التي أمضيتها في خدمة سموه». وفي هذا الكتاب يقص برترام خبراته في مسندم حيث كان الشيخ حسن والي خصب يتزعم قبيلة الشحوح القوية التي رفضت السماح لفريق المساحة التابع للسفينة البريطانية «إتش إم إس أورماند» بالنزول إلى الشاطيء ورفع راية المساحة فوق قمة أحد التلال، وتجاهلت رسالة من حكومة مسقط وتسببت بذلك في احباط عزيمة فريق برترام للمساحة مؤقتاً.

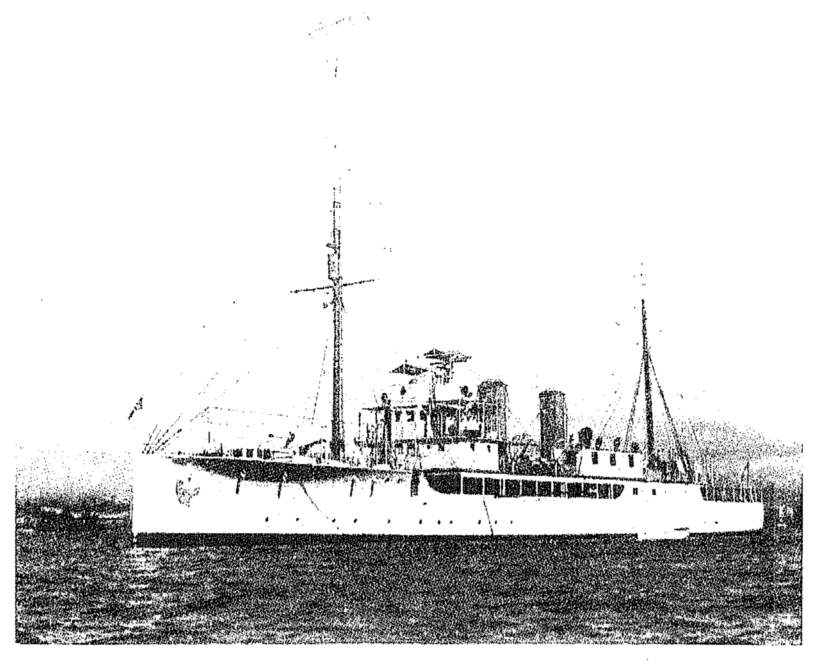
ويعلق توماس على ذلك بقوله لقد بدأ هذا التحدي في عام ١٩٣٠م قرب نهاية حكم السلطان تيمور وفي وقت كانت فيه قبيلة الشحوح في مسندم تعرض عضلاتها. ولم ينتهي الأمر عند هذا الحد فقد عادت السفينة «السعيدي» بقيادة الكابتن رشيد إلى مسندم في أبريل من ذلك العام وأحضرت برترام توماس للتفاوض على تسوية سلمية للنزاع.

وبعد محادثات تمهيدية شعر توماس بأنهم يجهزون قوة دفاعية لمقاومة أي محاولة للنزول إلى الشاطيء. وظهرت إحدى السفن الحربية البريطانية في الأفق ووصف توماس هذه الواقعة كما يلي:

قرع الجرس أربع مرات حضر بعدها الكابتن رشيد للابلاغ عن اقتراب احدى السفن البريطانية قائلاً تأتي من أعماق البحر بارجة ذات هيكل طويل ومنخفض وذات صارية طويلة عليها قمعين (رايتين) خفيضين. إنها نموذج رائد جميل ووقور وأنها لتبدو أنيقة تحت أشعة الشمس. إنها زيارة غير متوقعة بالنسبة لي لأن السفينة السعيدي غير مجهزة بجهاز لاسلكي. لكن سرعان ما تبادلنا الاتصال بالرايات وتوجهت لاستقصاء الأمر، فوجدتها السفينة «إتش إم إس



بارترام توماس على ظهر جمله المفضل «خوره» كما يظهر على صفحة الغلاف الداخلي لكتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية»، ١٩١٣م.



صورة للسفينة الحربية البريطانية «سلوب الخليج العربي، سيكلمين» تم التقاطها في حوالي عام ١٩٣٠ وهي تبحر بالقرب من ساحل عمان. وقد ظهرت هذه الصورة في كتاب برترام توماس «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» الذي نشر في عام ١٩٣١. كان قد تم ارسال هذه السفينة لحسم الخلاف القائم بين حكومة مسقط وشيوخ مسندم.

لوبيـن»، سفينة نائب القـائد البحري الأعلى الـذي عن طريقه كان علي الابلاغ عن الوضـع .....».

وقد نظرت مسقط إلى الحالـة في مسنـدم بجديـة، لكـن كمـا يتـذكـر تومـاس، فـإن ثمانـية أسابيـع مـن المفاوضـات الصبـورة للحصـول علـى الموافقـة المحلية بوضـع راية على الجبل تمخضت عـن رفض هذا المطلب تماماً في رسالـة كتبها الشيخ محمد بن سليمان وأنهاها بتحـذير حازم نصه «نطلب منكم اتقـاء هذا الأمر وعدم التدخل في أراضينـا وممتلكاتنا. إن حكمكم المطلق ينطبق عليكم أنتـم والخطر يقع عليكم أنتم ولا تلـومونا.. والسـلام عليكم.».

وفي النهاية وقـع إختيـار فريـق المساحة علـى تـل آخر وحقق الشيـخ محمـد نـصرا مؤقـتا. وأخـيرا وفي ١٨ أبريـل تم إعطاء الناس المـوجودين علـى الشاطـيء إنـذارا نهائيـا «بـالاستسـلام لحكومتكـم دون قيـد أو شرط.. حكـومة البوسعيد الممثلـة في السفينة الحـربية المـدفعية «السعيـدي» وذلك فـي خلال ٤٨ سـاعة مـن استـلامكم لهـذا الانـذار. وإذا لـم تستسلمـوا فسـوف تقـوم قوات مسقـط بقصـف ممتلكـاتكم ...». ولـم تتـم الاستجابة لهذا الانذار وبدأت السفينـة بالفعل في قصف قـذائفها التـي وصفها تـوماس مستعينـاً بالـرسومـات. ونجحت عملية القصـف في الحصول على التنـازل الذي تمت كتـابته باللغة العـربية الفصحى. وهـو يستحق أن نكره هنا حتى ولـو من باب المعرفة بأسـاليب الاتصال في ذلك الزمان والمكان:

إلـى السيد تيمـور بن فيصـل سلطـان مسقط وعمـان حماد الله وأبقـاه ومجده وصانه وجعل جنـاته ومثواه ومأواه. أما بعد، فإننا نبلـغ معاليكم أننا شعبك وعبيدك من قبل قدى. يا أيها السيـد نحن شعبك وعبيدك وتراب قدميـك من أيـام أبائنا وأجـدادنا والآن وكمـا لا يخفى عليكم أصبح حسـن هو حاكمنا. واليوم نـحن لا نريده شيخاً أو حاكماً علينا على الاطـلاق ونتوسل إليك اليوم





أن تعفو عنا وتسامحنا ونحـن تحت أمرك وقيادتك ولا نستطيع مخالفتك. إنك إمامنـا وسلطاننا ونود أن نتلقى منك رداً في الحال مع حامل هـذه الراسلة. ومهما كانت أوامركم فنحن تحت أمركـم ونتلمس عفوكم. رحمة بنا يا سيدنـا وإشملنا برعايتك فـأنتم أهل الرعـاية ومهما أمرتنا به فسننفذه.

من جميع أهل شحوح قدى .... الشيخ.

وأصر تومـاس على أن يتراجع الشيـخ حسن بنفسه، وتمت معاودة القصـف مرة أخرى وأصيب منـزل الشيخ حسن. وأخيـراً وفي ٧ مـايو وعقـب تدخـل أحد وسطـاء السلام وهو الشيخ سعيد من دبي استسلم الشيخ حسن وتم ارساله إلى مسقط كسجين. وكانت هذه هي الأحداث التي وقعت أثنـاء حكم السلطان السيد تيمـور بن فيصل. وقد عكـرت المشاكل الماليـة معظم هذه الفترة وفـي عام ١٩٣٢ سلم مقـاليد الحكم لأبنـه السيد سعيد بـن تيمور وتقاعد في بومباي حيث توفي في عام ١٩٦٥.

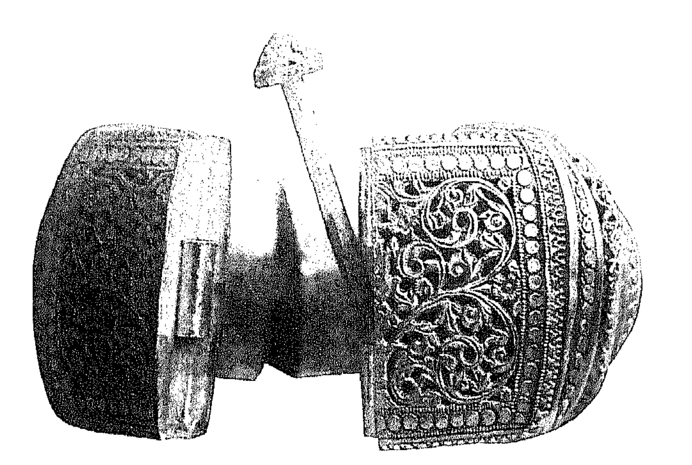
السلطان السيد سعيد بن تيمور

(١٩٣٢-١٩٧٠م)

السلطان السيد سعيـد هو والد السلطان قـابوس سلطان عمان منذ عـام ١٩٧٠م. لقد ورث البلاد وهي تعـاني من مشاكل مالية خطيرة وقام بتطبيـق سياسة مـالية حكيمة أتـاحت لـه إعادة الأوضـاع الماليـة للبلاد إلـى الطريـق الصحيـح. وقد واجـه بعض الأزمـات أثنـاء فترة حكمـه تركـزت أساسـاً حول تقلبـات الولاء القبلي والسيـاسات الداخلية.

وعندما تم اختيار الإمام الجديد غالب بن علي في عام ١٩٥٤م قـامت ثـورة أخمـدتها فـي البـداية الاجـراءات العسكريـة الصارمـة. لكن تجـدد هذا النشـاط في عـام ١٩٥٧م بزعامـة طالب شقيق غـالب وبتأييد مـن الشيخ سليمـان بـن حمير، مـن بيـن آخـرين، وأمكـن إخمـاده بمساعدة البريطانيين.

وكان لمجيء عصـر النفـط تأثيره أيضـاً على عمان أثنـاء حكـم السلطـان السـيد سعـيد. فعقـب



اكتشـاف النفط العـربي لأول مـرة في البحــرين فــي عـــام ١٩٣٠م وعقــب الاكتشافــات الأخــرى فــي المملكـــة العربيـــة السعــودية جذبــت المنطقـة الجنـوبية الشـرقية للجـزيرة العـربية بـأكملها اهتمـام شركـات النفط الـدولية. وتـم بالفعـل أثناء حكـم السيد تيمور اجراء أعمال مسح للنفط في العشرينات من القرن الحالـي لكنها لـم تسفر عـن اكتشاف أي نفـط وانحسر الاهتمام بالأمر.

وتم منح شـركة امتيازات البترول المحـدودة امتيازاً للتنقيب عـن النفط فـي عام ١٩٣٧م، لكـن لم يحـدث أي شيء إلا بعد انتهاء الحـرب العالمية الثانية عندمـا قامت نفس الشـركة والتي اعيـد تسميتها بـاسم شركـة تنمية نفـط عمـان باجـراء مسح جيولـوجي فـي عام ١٩٥٤م لشمـال عمان فـي فهـود. وبالـرغـم مـن أن المؤشـرات الجيولوجيـة كانت موجبة إلا أن الجهود الأوليـة لم تنجح في الكشف عن أي حقل للنفط.

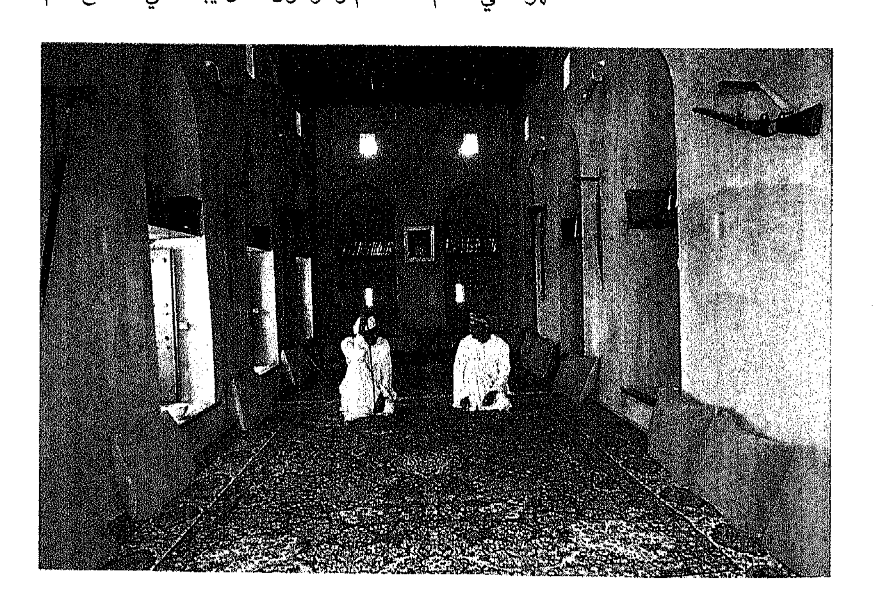
وفي عام ١٩٦٢م تم اكتشـاف أن البئر الاستكشافية قد أخطـأت في تحـديد مكان حقـل ضخم للنفـط لا يبعد عنهـا إلاّ مسـافـة بضعـة مئـات مـن الأمتـار فقـط. إن اكتشافات النفط في عمان لـم تتيسر بسهولة نسبية كما حدث فـي البحرين والمملكة العـربية السعـودية. فقـد تم انفاق ١٢ مليون جنيه استرلينـي قبل أن يتم العثور على أول بئر تجارية للنفط في يبال في عام ١٩٦٢.

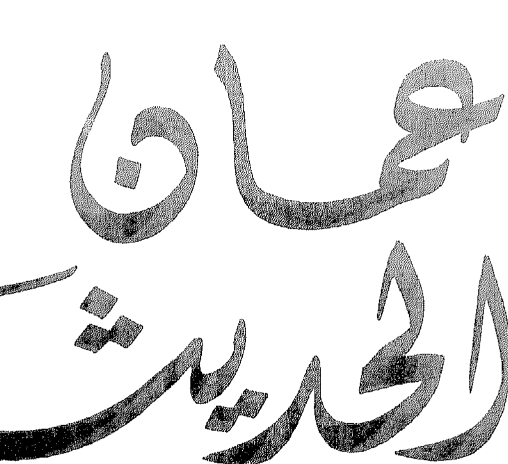
وقـد تبع تحقيـق الاكتشاف الأول حـدوث اكتشافـات أخرى. فقد تم اكتشاف حقـل بطح في عـام ١٩٦٣م وحقل فهود في عـام ١٩٦٤م وهو أول حقل يبدأ فـي الانتاج عام ١٩٦٧م. وجلبت الاكتشافــات المبكـرة للنفـط في عمـان في عصر السلطـان السيد سعيد بالاضافـة إلى الايـرادات الناتـجة عنــه طموحـات جديـدة للتنمية الاجتماعيـة في البـلاد. ومع ذلـك فإن مقـدرة السيد سعيـد على متابعـة التغيـر السريـع وتردده في مـواكبة عصر التقدم أدى في النهايـة إلى تنازله عـن الحكم في عام ١٩٧٠. وقــد ظـل خــلال الفترة مــن عام ١٩٥٨ إلــى عــام ١٩٧٠م مقيمـاً فــي ظفار حيـث يصدر المراسم من هناك ولـم يزر شمال عمـان على الاطلاق.

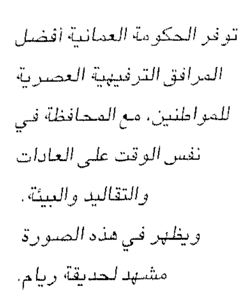
وقبل اكتشاف النفـط لم يكن لدى عمان مـا يكفي من الاعتمادات المالية لتلبية المتطلبات الاجتماعية للبلاد من ناحية اقـامة الطرق والمدارس والمستشفيـات وشبكات الاتصالات وغير ذلك. ولذلك لـم يكن من المدهش أن يتبع سلطان عمان إسلـوباً حذراً في الانفـاق العام أو أن يجد من العسير عليه تغيير نمط حكومته في أواخر عهده.

وقد أتاح تنـازله عن الحكم أن يتـولى إبنه قابـوس بن سعيد مقاليـد السلطة ويقود عمان على طريـق مسيرتها الحاليـة للتنمية الواعية والتقـدم المدروس، وعقب تـولي قابـوس بن سعيد مقاليـد الحكم بفترة قصيرة تـم قبول عمان رسمياً عضـواً في هيئة الأمم المتحدة وفــي جامعة الدول العربيـة ويمثل ذلك علامـة بارزة في تاريـخ دولة عمان.

وقد تـوفى السلطـان السيد سعيد فـي لندن فـي عام ١٩٧٢م بعد عامين من تنازله عن الحكم لابنه الذي تولى قيـادة عمان علـى طـريق التقـدم الحـالـي وهي قصـة سنتناولها في الفصل التالي.







توفر الحكومة العمانية أفضل
المرافق الترفيهية العصرية
للمواطنين، مع المحافظة في
نفس الوقت على العادات
والتقاليد والبيئة.
ويظهر في هذه الصورة
مشهد لحديقة ريام.

شركة تنمية نفط عمان



سي فيوجارد

جلالة السلطان قابوس بن سعيد

عمان الحديثة

" ولا شك أن الناحية الاقتصادية في كل أمة هي عصب حياتها ومصدر قوتها وسند سيادتها واستقرارها.

اننا نركز اهتمامنا لايجاد الوسائل والسبل والمشاريع لرفع مستوى اقتصاد بلادنا وتوفير العمل والعيش الكريم لكل مواطن" .
(جلالة السلطان قابوس بن سعيد).

إن أهم سمات عمان المحببة هي أنها استطاعت أن تحقق توازناً رائعاً بين تطورات وخصائص العصر التكنولوجي الذي نعيشه وضرورة المحافظة على التراث الثقافي القومي وعلى العادات والتقاليد العريقة وعلى القيم الروحية التي يتميز بها شعبها.

وفي الواقع، فإن التقدم الحقيقي هو أن تستطيع الأمة أن تحقق التقدم والتطور دون أن تدمر كل ما هو جميل ورائع سواء في المجتمع أو في الأمة ذاتها.

ومن الواضح أن حكومة عمان قد ركزت كل جهودها من أجل رفاهية مواطنيها ورفع مستواهم المعيشي دون أن تقضي على التراث الثقافي الفريد في البلاد أو على القيم الانسانية أو تخل باحترام البيئة.

وعندما نتطلع إلى عمان الحديثة وإلى إنجازاتها المرموقة التي تحققت في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد فعلينا أن ندرك ونعي الأولويات القومية التي أضاءت الطريق أمام اتخاذ مثل هذه القرارات الرشيدة التي كانت السبب وراء تحقيق هذا النمو والتطور الرائعين اللذين شهدتهما البلاد خلال فترة العقدين والنصف الماضيين.

وزارة الاعلام

تعطي الحكومة الحالية الأولوية لقطاع التعليم. وبينما كان في البلاد ثلاث مدارس ابتدائية فقط في عام ١٩٧١ تضم ٩٠٩ طالباً فقد زاد هذا العدد في العام الدراسي ١٩٩٥/٩٤ ليصبح ٤٧٤٨٨ طالباً.



يتم تشجيع مزاولة النشاطات الرياضية في جميع المستويات وأصبحت كرة القدم تحظى بشعبية كبيرة.

التعليـم

دعونا نبدأ باستعراض بعض الاحصائيات البسيطة، ففي عام ١٩٧١ لم يكن هناك أية مدارس اعدادية أو ثانوية في عمان، بل كان هنـاك فقط ثلاث مدارس ابتدائية فـي كافة أنحـاء البـلاد تضـم ٩٠٩ طفلاً يشـرف علـى تعليمهـم ٣٠ معلماً. وكان تعليـم البنات أمراً غير معـروف في ذلك الحيـن. وبعد مضـي عشر سنـوات فقـط، أي في العـام الدراسي ١٩٨١/١٩٨٢م، تغيرت الصورة تماماً فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ١١٩٣٤٪ ليبلغ ١٢٢١٤٣ طالباً يتـم تعليمهـم في ١٧٧ مـدرسـة ابتدائيـة و ٢١٠ مدرسـة اعداديـة و٢١ مـدرسـة ثـانويـة وسبع مـدارس اعداديـة اسلاميـة ومدرسـة ثانـوية اسـلامية ومـدرسـة تجـارية ومدرسة زراعية وأربع كليات للمعلمين ومدرسة خاصة.

كمـا زاد عـدد المعلميـن زيـادة كبيـرة خـلال عشـر سنوات فقـط من ٣٠ معلماً الـى ٦٧٤٥ معلماً أي بـزيادة هائلة نسبتها ٢٢٤٨٣٪.

إن من الصعب أن نجد دولة أخرى في العالم شهدت مثل هـذه الطفرة التعليميـة في فتـرة وجيزة. وبعـد مضي عشر سنوات أخرى، أي في عام ١٩٩١، نجـد أنه يتم تدعيم هذا النمو العارم ونشاهد حـدوث زيادة مفاجئة أخرى سواء في اعـداد الطلاب أو المعلمين، فقـد تضاعف عـدد الطلاب ثلاث مـرات من ١٢٢١٤٣ طالبـاً إلى ٣٦٠٠٦٦ طالبـاً مع زيادة مماثلـة في أعداد المراكـز التعليمية. وبالاضافـة الى ذلـك فقد حـدث انخفـاض بسيط فـي نسبـة الطلاب الـى المعلمين في المدارس الابتدائيـة حيث انخفضت النسبة من ١:٣٥ في عـام ١٩٧١ إلى ١:٢٨ في عـام ١٩٩١. ويتضـح من هذه الأرقام ان حكومة جلالـة السلطان قابوس قد أعطت الأولوية للتعليم المجاني ولاتاحـة تكافؤ الفرص أمام جميع المواطنيـن العمانيين. انهـا مهمة ضخمة لا زالـت مستمرة، لكن الانجازات كانت رائعة.

ان مثـل هذا التقـدم الرائع هـو خير مبـرر لتأكيـدات جلالة السلطـان قابوس والتي يقول فيهـا "التعليم يجب ألا يبقـى وسيلة لتثقيـف الفرد فقـط، بـل يجب أن يعنـي أيضاً بتكوين شخصيته حتـى تلعب عمان دوراً مهماً في الشؤون العـالمية". ويشـرح جلالتـه ذلك قـائلاً: "إننا نهدف إلـى نشر التعليم فـي جميع أنحاء السلطنـة، لكي ينال كـل نصيبه في التعليم وفـق قدراته، كما نعمـل على وضـع خطـة للقضاء علـى الأمية ونركـز بصورة خـاصة على التعليـم المهني والتعليم العالي حتـى نلبي حـاجة البلاد من القوى البشرية العمانية المدربة".



وزارة الاعلام

التدريب المهني عنصر هام في سياسة التعليم العمانية. وتتلقى الطالبات الممرضات تعليمهن في معهد الصحة.

إننا لا نبتعـد عن الحقيقـة عندمـا نقول بـأن قلة مـن البلدان فقط استطاعت أن تشهد مثـل هذه الطفرة الهائلة في مجـال التعليم في فترة وجيـزة، غير أنه من الـواضـح أيضاً ان اهم الخطـوات التي تثير الاعجاب والتـي خطتها عمان قد بدأت مع تقلد جلالـة السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم في ٢٣ يوليو ١٩٧٠.

وتلخيصـاً للفلسفة التـي أرشـدت سيـاسة التعليـم العمـانية فـإننا نستيعـن بالـوثيقة التـي أعدتهـا وزارة التربيـة والتعليم العمانيـة والتي تقول: «الايمـان والعلم والعمل هـي الركائز الأساسيـة لتقدم المجتمع العمـاني وتطـوره وبها يتمكـن المجتمع العمـانـي من استغـلال مـوارده وثـرواته وتنميتهـا بمـا يكفـل لأفراده الـرخـاء والعيش الكـريم. ولـذا فان العمل المـرتكز علـى الايمان والعلم يعتبـر حقاً وواجبـاً وشرفـاً لكل قـادر من أفـراد المجتمع يقوم بأدائه باتقـان وأمانة واخلاص وصدق. إن سلطنـة عمان وهـي تعي طبيعـة التحديـات الاجتماعيـة والثقافية والاقتصادية التي تجابه المجتمع العماني وهو ينهـض بعد فتـرة طـويلة مـن الـركـود لتتصدى لهـذه التحديـات بتسخير كل جهوده وتجنيـد كل طاقاتـه وفي سبيـل خلق مجتمـع حـديث البنيـان قـادر على تحمـل مسؤولياته وواجباته الوطنية والقومية الكاملة».

ان ثمـار الجهـود العمانيـة المبـذولـة في مـواجهـة التحديـات الجبارة التي واجهتهـا البلاد فـي عام ١٩٧٠ واضحة اليوم فـي وجوه الشباب المتعلم الذيـن هم نتاج سياسة التعليـم الرشيدة والنيرة التي تأخـذ في الاعتبار الكيان الكلي والدور المحتمل لكل فرد في المجتمع.

وقد انحصرت الفلسفة الأساسية فـي تطوير مجموعة كاملـة من القـدرات الانسانيـة بما فـي ذلك فهـم الأمور الاسلامية والقـدرات العقلية والبدنية والحسـاسية تجاه

الطبيعة والمجتمع والعلوم والفنون وتقديـرها حق قدرها وتجاه المهـارات الوظيفية واخـلاقيات العمـل والمهارات الاقتصـاديـة والقـدرات الاداريـة وتجـاه الشعـور بالمسـؤولية المـدنية والسيـاسية والقـدرة على تقـدير اهمية اوقـات الفراغ واستغلالهـا خير استغـلال. واخيرا ترسيخ فكـرة ان التعليم لا ينتهي بالتخرج مـن المدرسة او الجامعة بل يستمر طوال حياة الانسان.

ومن هذه الانطـلاقة فان سياسة التعليم هـي سياسة رحبة الأفق وتقـدمية. انها أساس ضـروري لتطور عمان الحديث. ان انجـازات عمان في هذا المجال تثيـر الدهشة ايضاً وخـاصة عندمـا يأخذ المرء فـي الاعتبار انه بـرغم قصر الفترة التـي تحقق فيها التقدم والتطـور فإن عمان تعتبـر اليوم «نمـوذجاً لتطـور قطاع التعليـم في الـدول النـاميـة بصورة عـامـة وفـي الـدول العربيـة بصـورة خاصة ".

وعلى أية حال، فان معيار نجـاح عمان في هذا المجال لا ينحصر فيما اذا كانت سياستها هي سياسة تقدمية او متخلفة بـل ينحصر فيمـا اذا كانـت ناجحـة في تطـوير مجموعـة كبيرة مـن القدرات الانسانيـة. ومع ذلـك فمن الخطأ الجسيم ان نعطـي الانطباع بأن عمان تعيـش على امجادها فـي مجال التعليم فقط، لأن ذلـك ليس صحيحاً على الاطلاق، اذ انها تنظر نظرة انتقـادية للانجازات التي حققتها وتبحث عما اذا كانت هنـاك اساليب اخرى يمكنها بها أن تحسن نظامها التعليمي.

ان التركيز اليوم منصب علـى الكيف لا على الكم، وقد تـم مـؤخراً اجـراء تحليـل تفصيلـي لأهداف المنـاهـج والمقررات التعليميـة بهدف جعـل التعليم فـي الفصول التعليميـة فـي مستـوى واحـد مـع الأهـداف الفلسفيـة والموضوعية لسياسة التعليم.

وقد ركزت احدى الدراسات التـي تمت مؤخراً في هذا المجـال على ثـلاث مهـارات هـي الملاحظـة والقيـاس ومعـالجة البيـانات. وتـم اعطاء امتحـانات واستمـارات استبيـان للطلاب فـي ١٥ مـدرسـة ثـانـويـة في عمـان، واستخدام نتائج هذه الدراسـة كأساس للتخطيط السليم لادخال التحسينات على نظام التعليم.

الرعاية الصحية

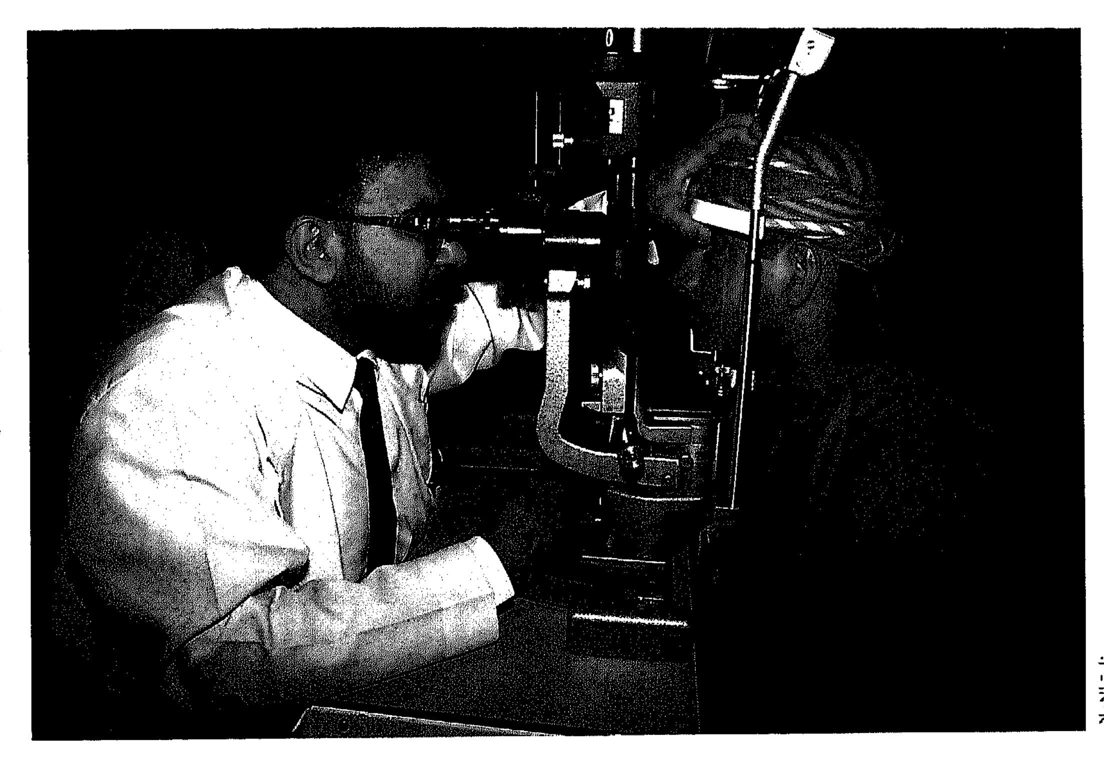
شهد قطاع الـرعاية الصحية نمواً هائلاً بنفـس درجة نمو قطـاع التعليم، وهنـا نستطيع أن نقيـس درجة النجـاح ليـس بعدد المستشفيـات والعيـادات الطبيـة التي تـم اقامتها او بعـدد المرضى الذيـن تـم علاجهـم فحسـب بل بدرجـة التحسن الهائلة في المستوى الصحـي لكافة أبناء الشعب.

ففي عام ١٩٦٠ كانت عمان تحتـل المكانة رقم ١٢٩ من



تعليم العلوم يعتمد على الخبرات العملية الواسعة لتهيئة الطلاب العمانيين لشغل الوظائف الفنية في المستقبل.

وزارة الاعلام



وزارة الإعلام

تم تحسين مستويات الرعاية الصحية تماماً كما هو الحال بالنسبة لمستويات التعليم. لقد حقق برنامج الرعاية الصحية الذي استهله جلالة السلطان قابوس نتائج رائعة ومثيرة.

بيـن ١٣١ دولة مـدرجـة فـي قوائم التصنيـف المحلـي الدوليـة لنسبة الوفيات بيـن الأطفال وهـي مكانـة تأتـي قبل المكانة التي تحتلها سيراليون وافغانستان فقط.

وفـي ذلك الحيـن كـان ٣٧٨ طفـلاً مـن بيـن كـل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل بلوغ سـن الخامسة، لكن نسبة الوفيـات بين الأطفال انخفضت إلـى ٢٣ حالة فقـط لكل ألف ولادة حية مقابل ٢٠٠ وفـاة لكل ألف ولادة حية عام ١٩٧٠م. كنتيجة لبرنامج الرعـاية الصحية القومي الذي طبقـه جلالـة السلطـان قابـوس. كمـا انخفضت نسبـة الإصابة بالأمراض المعدية بصورة كبيرة.

وينقسـم برنـامج الـرعـاية الصحـية الأوليـة إلـى برامـج مختلفة هـي قسم نشر بـرنامـج المناعـة وقسم مكافحـة مرض الاسهال وقسـم امراض التنفـس الحادة وقسم صحـة الفم وقسـم منع الإصابـة بالعمـى وقسم الرعـاية الصحيـة بالأمـومة والطفـولة وقسـم مكافحـة مرض السل. ويغطي البرنـامج ٩٠٪ من البـلاد وأمكنه تخفيض نسبـة الإصابة بمـرض السل مـن ٨٦١ حـالـة إلى ٤٨٢ حـالة خلال خمـس سنوات. ويـركز البرنـامج جهـوده على تعليـم الأمهـات وإطـلاعهم علـى أمـور النظـافة الصحيـة والـرعايـة الصحيـة. ويضمن نظـام المـراكـز الصحية الميـدانيـة تـوفير سـبل الاتصـال الممتـازة بيـن شبكـة الشـؤون الادارية المـركـزيـة والمواطنيـن الذيـن يسعى البـرنامـج الى مسـاعدتهـم وخدمتهم.

ومرة أخرى أدت هذه التحسينات الـى تحسين نوعية الحياة واطـالة العمر المتوقـع للمواطنين في عمـان. لقد كان متوسط العمر المتوقـع في عمان في عام ١٩٦٠ هو ٣٨ سنة فقط وهو رقم سببته نسبـة الوفيات العالية بين الأطفال والأطفال حديثي الـولادة. ومع حلول عام ١٩٨٨ ارتفع متـوسط العمر المتـوقع الى ٦٥,٧ وإلـى ٦٧ سنة في عـام ١٩٩٣ وهو لا يزال في ازديـاد مع تزايد تـأثير التحسينـات المـدخلـة علـى قطاع الـرعـايـة الصحيـة والإسكان والـرعاية الاجتماعيـة والتعليم. ان هذا التـأثير المفاجيء على الهيكـل الديموغرافي للبلاد ليـس له مثيل وهو خير دليل على نجاح برامج التنمية العمانية.

وتهدف الـوثيقة التـي أعدها بـرنـامـج التنمية التـابع لهيئـة الأمـم المتحـدة وعنـوانها "تقـريـر عـن التنميـة الانسانيـة ١٩٩٠" الى تقييـم مدى التطـور الاقتصادي في الـدول المختلفة وذلك مـن ناحيـة نجاحها فـي تلبية الاحتياجات الانسـانية وليس من ناحيـة تحقيق الأهداف الماليـة. وهي تتضمـن تقديـرات عـن كيفية استطـاعة ١٠٨ دولة مختلفـة خفض نسبـة الوفيـات بين الأطفـال تحـت سـن ٥ سنـوات لتصل الـى ٧٪ أو الـى النصـف بـالنسبة للـدول التي تقـل فيها هـذه النسبة عـن ١٤٪.

وكانت عمان هـي الدولة الوحيدة في القـائمة بأكملها التي استطاعـت ان تحقق الأهداف التي وضعها بـرنامج التنمية التابع لهيئة الأمم المتحـدة حتى قبل الشروع في كتابة التقرير.

وقد تم في الجدول رقم (١) ايجاز نتائج التحليل.

كما أوجز التقرير نشاط تغطية برامج المناعة في عدة دول مختلفة. ومرة أخرى كانت عمـان تحتل مكانة قريبة من القمـة حيث نجحـت في تحصيـن ٩٠ في المـائة من

في أسفل الصفحة:
بلازما الدم المحفوظة في بنك الدم في عمان.

الأطفال وتصل نسبة التحصين ضد الأمراض الأخرى، مثل شلل الأطفال إلى ٩٩٪ في عام ١٩٩٢.

وبقدر ما تشير الاحصائيات الى تطور عمان الحديث فإن الاحصائيات الخاصة بالصحة تؤكد التزاماتها تجاه رفع مستوى المعيشة لأبناء الشعب.

ففي عام ١٩٧١ كان هناك ٢١١ سريراً في مختلف المستشفيات المنتشرة في انحاء البلاد بأكملها، وارتفع هذا الرقم بعد مضي عشرين عاما فقط ليصبح ٣٤٣١ سريراً ولا يزال برنامج اقامة المستشفيات الجديدة مستمراً.

وقد تم في الجدول رقم (٢) ايجاز الاستثمارات الضخمة التي تمت في قطاع الصحة.

جدول رقم (١)

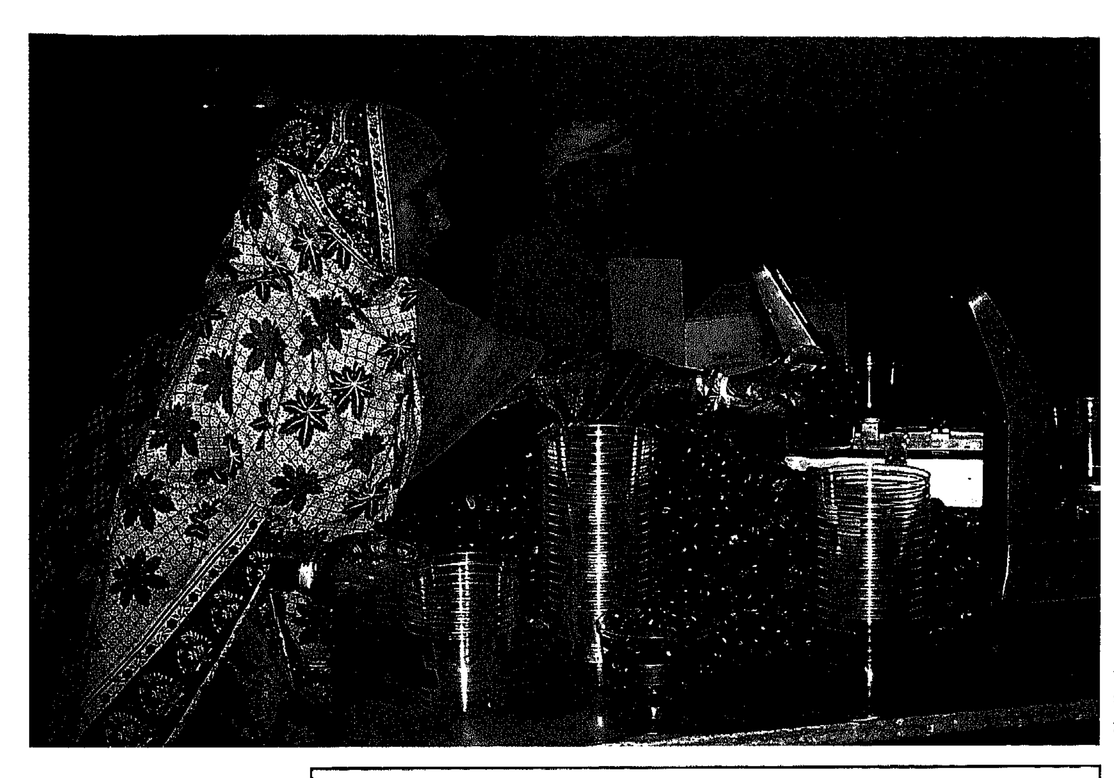
سنة تحقيق الهدف	البلد/عدد البلدان
١٩٨٨	عمان
١٩٩٠_١٩٩٥	الامارات العربية المتحدة، الكويت، كوبا، كوستاريكا، تشيلي، هونغ كونغ
١٩٩٦_١٩٩٩	١٥
٢٠٠٠_٢٠٢٥	٤٠
٢٠٢٦_٢٠٧٥	٢٢
٢٠٧٦_٢١٠٠	٥
بعد عام ٢١٠٠	٩

وفقاً لميلر، التنمية الإقتصادية والتخطيط في سلطنة عمان، يونايتد ميديا سيرفيسز، ١٩٩١

جدول رقم (٢)
تطور خدمات الرعاية الصحية

السنة	عدد المستشفيات	عدد الأسرة	عدد العيادات الطبية	عدد الأطباء	عدد هيئة التمريض
١٩٧١	٥	٢١٦	١٠	٤٦	٧٧
١٩٨١	١٤	١٨٨٦	١٧	٣٤٨	١٠٢٥
١٩٩٠	٤٧	٣٤٣١	٩١	٩٩٤	٣٥١٢
١٩٩٣	٤٦	٣٦٢٥	٨١	١٥٦٥	٤٧٢٨


وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

تعتمد الصناعات العمانية على الموارد الطبيعية المتوفرة في البلاد، ويشكل التمر جزءاً صغيراً، لكن هاماً من الناحية التقليدية، من القاعدة الزراعية العمانية.

جدول رقم (٣)
النمو الكمي للقطاعات الهامة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٠م.

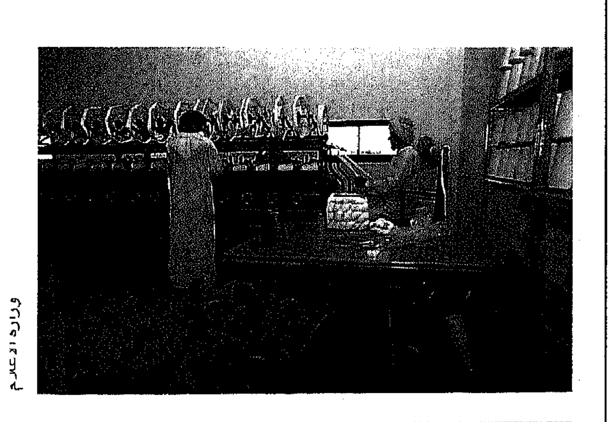
الوصف	١٩٨٠	١٩٩٠
اجمالي القطاع المحلي	٢٠٦٣,٥	٥١٥٤,٩
قطاع النفط	١٢٧٩,٥	٢٠٥٤,٢
قطاع المنتجات غير النفطية	٧٨٤,٠	٢١٠٠,٧
المدارس والمعاهد التعليمية	٣٨٨,٠	٨٠٠,٠
عدد الطلاب	١٠٨٣٢٣,٠	٣٦٠٠٦٦,٠
عدد المعلمين	٥٢٥٩,٠	١٥٥٨٧,٠
المستشفيات	١٤,٠	٤٧,٠
الصادرات العمانية (بالمليون ريال)	٤,٦	٦٨,٩
الطرق المرصوفة (بالكيلومترات)	٢١٩٢,٠	٤٩٦٠,٠
خطوط الهاتف	١٥٠٤٤,٠	١٠٧٤٠٩,٠
الميزان التجاري (بالمليون ريال)	+٦١٦,٠	+١٠٣٤,٠
إنتاج النفط	١٠٣,٧	٢٥٠,١
توليد الكهرباء (كيلو واط/ساعة)	٧٨٧,٠	٤٥٠٣,٠

المصدر: الكتاب الاحصائي السنوي لعام ١٩٩٠، يوليو ١٩٩١، مديرية الاحصاءات القومية.

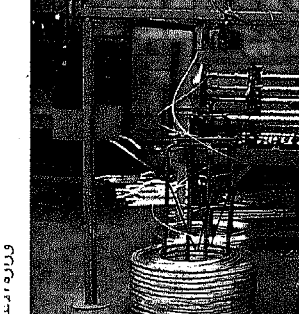
الاحصاءات الخاصة بالتنمية

يشكل قطاعا الصحة والتعليم جزءاً متواضعاً فقط من الصورة الكاملة، لكنهما من القطاعات الحيوية. وإذا نظرنا إلى المؤشرات الخاصة بقطاع الاسكان أو الطرق أو أي من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية الأخرى نجد أن هناك قصة مماثلة تستحق أن نذكرها.

إن من السهولة بمكان، بالطبع، تحقيق معدلات نمو عالية للغاية عندما تبدأ الدولة نشاطاتها التنموية من مستويات منخفضة جداً مثل تلك التي كانت سائدة في عمان في عام ١٩٧٠. لقد عملت الحكومة بجد ونشاط لمدة عشر سنوات لتستطيع بناء الانشاءات الأساسية في البلاد. وقد شهدت الفترة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠م مواصلة حركة التطوير والتدعيم كما يتضح في الجدول رقم (٣).



وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

الصورة العليا لجهة اليسار: مصنع للملابس يجمع بين المهارات التقليدية والمزايا التي تتيحها التقنيات الحديثة.

جهة اليسار: مصنع لانتاج الأسيجة ذات الوصلات السلسلية يقدم مواداً حديثة تستخدم في انجاز المهام التي كانت تؤديها يوما ما الأسيجة المصنوعة من الخشب الطبيعي.

جدول رقم (٤)
توزيع السكان في عام ١٩٩٣م

مسقط	٦٢٢٥٠٦	٣١,١٪
ظفار	١٧٤٨٨٨	٨,٧٪
الداخلية	٢٢٠٤٠٣	١,٠٪
الشرقية	٢٤٧٥٥٢	١٢,٤٪
الباطنة	٥٣٨٧٦٣	٢٦,٩٪
الظاهرة	١٦٩٧١٠	٨,٥٪
مسندم	٢٧٦٦٩	١,٤٪
المجموع	٢٠٠١٤٩٠	١٠٠,٠٪

المصدر: الأمانة العامة لمجلس التنمية. الاحصاء الرسمي الذي أجري في الفترة من ١-١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

في أعلى الصفحة جهة اليسار: مجموعة من التلاميذ يرتدون الزي الشعبي التقليدي الجميل أثناء الاحتفال بالعيد الوطني لعمان.

في أسفل الصفحة: شباب عمان هم أمل المستقبل العظيم لعمان. لقد استفادوا من خدمات التعليم والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية الحديثة، وهم في نفس الوقت يقدرون ويحترمون تقاليدهم العريقة وثقافتهم.

زيادة التعداد السكاني

إن إحدى النتائج الحتمية لحركة التنمية السريعة في عمان هي زيادة تعداد السكان، التي تقدر في الوقت الحالي بحوالي ٣,٥ في المائة سنوياً. وفي وقت اعداد هذا الكتاب (سبتمبر ١٩٩٤م) كان التعداد الكلي للسكان يتجاوز ٢ مليون نسمة بقليل. وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣م كان تعداد السكان يتألف من ٥٣٧٠٦٠ مهاجراً و٧٥٥٠٧٠ عمانياً من الذكور و٧٢٥٦٤٠ عمانياً من الاناث. وبذلك كانت نسبة المهاجرين هي ٢٦ في المائة من مجموع تعداد السكان، وهي نسبة مقبولة وتطابق احتياجات خطة التنمية الحالية. ومع ذلك تنحصر سياسة الدولة على المدى المتوسط في خفض أعداد المهاجرين عن طريق إحلال العمانيين محلهم وبالتالي المحافظة على توازن التعداد الكلي للسكان مع زيادة المواطنين العمانيين.

وتوحي حقيقة أن أكثر من ٧٠ في المائة من العمانيين هم من الأفراد تحت سن ٤٠ سنة بأن النمو السكاني سيكون من الصفات المميزة للمجتمع العماني في خلال السنوات المقبلة. وقد بات يشكل بالفعل عنصراً هاماً في تشكيل سياسة الحكومة التي تراه عنصراً ايجابياً، لكنه يحتاج إلى تخطيط واعٍ حتى يمكن تلبية الاحتياجات المتزايدة للتعداد السكاني النامي.

ويعمل معظم السكان في قطاعات الزراعة والتجارة وصيد الأسماك والصناعات التقليدية والحرف اليدوية. وهم يتركزون في مناطق محدودة نسبياً حيث تشير إحصاءات عام ١٩٩٣ إلى أن ٣١,١ في المائة من السكان يعيشون في منطقة مسقط، يليها منطقة الباطنة التي يقطنها ٢٦,٩ في المائة من السكان.

ويوضح الجدول رقم (٤) التوزيع الكلي للسكان في عمان حسب مجموعات الأعمار.

لقد تم اعداد تنبؤات النمو السكاني في عمان اعتماداً على عدة تصورات مختلفة. فإذا افترضنا حدوث زيادة في تعداد السكان الوطنيين في عمان بمعدل ٤ في المائة سنوياً ابتداءاً من رقم التعداد السكاني في نهاية عام ١٩٩٣م، وهو ١,٤٨ مليون نسمة، لوجدنا أن تعداد السكان الكلي سيزداد ليبلغ في عام ٢٠٠٠م حوالي ١,٩ مليون نسمة. وإذا تم الحفاظ على معدل النمو هذا والبالغ ٤ في المائة سنوياً فسوف يبلغ تعداد السكان الكلي في عام ٢٠٢٥م، أي في خلال فترة تقل عن ٣٠ سنة، حوالي ٥,٩ مليون نسمة. وبينما يقول البعض إن زيادة تعداد السكان هو أمر مرغوب، فإن الحكومة تميل إلى تنظيم نمو السكان. وقد أعرب جلالة السلطان قابوس عن الحاجة إلى تطبيق بعض الاجراءات المتعلقة بتحديد النسل والتخطيط الفعال للأسرة.

جدول رقم (٤)
توزيع السكان حسب مجموعات الأعمار.

مجموعات الأعمار	٦٥ فما فوق	٤٥-٦٥	١٥-٤٥	٥-١٤	٠-٤
النسبة المئوية	٢,٣٣	٩,٤٦	٣٤,٧٨	٣٣,٠٢	٢٠,٤٢

قطاع الأغذية

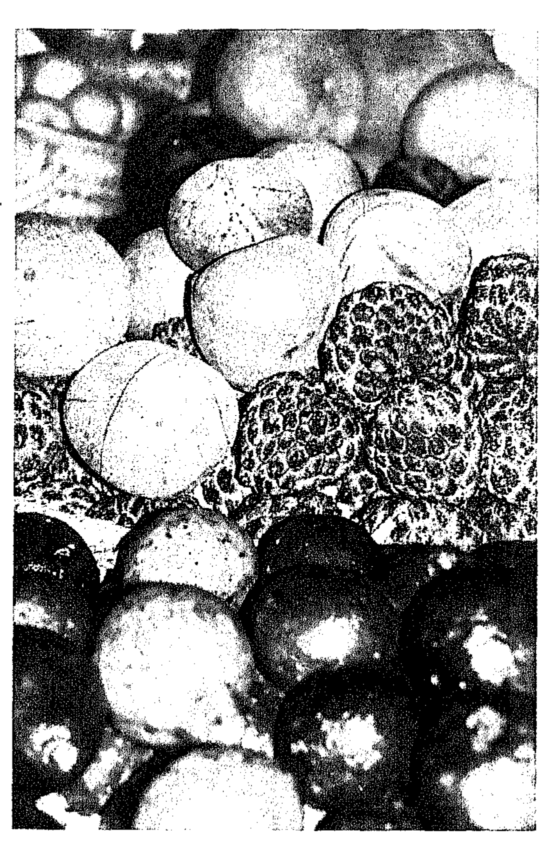
يتضح من هذه الاحصاءات أيضاً أن الأيدي العاملة في ازدياد مستمر، ومن المتوقع أن تحدث زيادة سريعة في الطلب على الوظائف. وقد انحصرت استراتيجية الحكومة في هذا الخصوص في اتاحة فرص التعليم والتدريب لمواطنيها لتمكينهم من شغل الوظائف العديدة التي توفرها القطاعات الاقتصادية المزدهرة. ولا يعني ذلك

وزارة الاعلام



وزارة الاعلام





بالطبع اهمال النشـاطات التقليدية، بل على العكس فقد تم التركيز علـى هذه النشاطات بـدرجة أكبر من التـركيز على القطاعـات الجديـدة حيث أثبتـت أنها قـادرة على مـواكبة التطور منـذ فترة طويلـة من الزمن. وهكـذا يتم في الـوقت الحـالي اعطـاء عنايـة خاصـة لقطـاع الأغذيـة الذي تقـع مسؤوليته على عاتق وزارة الزراعة والثروة السمكية.

إن قطاع الـزراعة فـي عمان يتمتع بـدعم طبيعـي كبير نتيجة لحقيقـة أن بعض مناطـق البلاد تحظى بمعـدل كبير لسقـوط الأمطار، وهنـاك حوالـي ٤٠٠٠٠ فـدان صـالحـة للزراعـة. وتتضمـن قائمـة المحاصيـل الزراعية الـرئيسية المنتجة في عمان، التمر والمـوز وجوز الهند والقمح والذرة والبرسيم وبعض أنواع الخضروات. وقـد تم تأسيس الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية، وهي هيئة حكومية، في عام ١٩٨١ بهدف تشجيـع المزارعين العمانييـن على انتاج الفـواكه والخضـروات والمحـاصيـل الزراعيـة الأخـرى، ولتعمل كهمزة وصـل فعالة بين المزارعيـن والتجار. وتقوم الهيئة حـالياً بإدارة سلسلة مـن مراكز الاستلام والتـوزيع ساعـدت كثيراً في خفـض الوقـت المستغرق في تـوصيل المنتجات من المزارع إلى المستهلك، وبالتالي زيادة درجة جودة المنتجات. كما تقوم الهيئة بتشغيل اسطول كبير من سيارات النقـل المبردة ولـديها مختبـرات لمراقبـة الجودة ومركز للتدريـب ومصـانع لتعليب الأغذية ومـراكز لاستلام وتغليـف الموز. وتتضمـن المنتجات الغـذائية المعلبـة أو المغلفة التي تقوم الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية بتشجيع انتاجهـا مجموعة متزايدة من السلـع مثل العسل، واللبـان والبخور المغلـف فـي عبوات جـذابـة كـاملة مـع المباخـر، وأوراق شجر السـدر (كان يتـم استخدام أوراق أشجار السدر المطحونة كشامبو للشعر وهي تقوي الشعر وتمنـع تكّون القشـور)، ومسـحوق الطمـاطم، ومسـحـوق الثـوم، ومسـحـوق البصل، ومسـحـوق الحنـة، والليمـون الجـاف (يعتبر مسـحـوق الليمون الجـاف أحد المشهيـات الممتازة الغنيـة بالفيتامينات والكـالسيوم والبوتـاسيوم)، والمخلـلات، ومـربـى فاكهـة الفيفـاي، والتمـر المجفـف ومسحـوق الفلفـل الأحمر الحار، ومسحوق التمـر المجفف المستعمـل كمادة غـذائية مكملـة والمستخـدم في صنـع المشـروبـات أو الهـلام والبسكويـت والكعـك والفطـائر، وأخيراً تركيبة «الخيران» وهي تركيبة طبيعية من مسـحوق الليمون اللجاف يتم إعدادها وتعبئتها خصيصاً للاستخدام في تحضير المشروبات.

كما أن طرق الري المحسنة قـد أدت إلى زيـادة الانتاج، لكنها تسببـت أيضاً فـي تعريض الميـاه الجوفيـة لضغوط متزايـدة أدت إلى انخفاض منسوبهـا في بعض المنـاطق. ويتم التركيز حـالياً على تحسين الغلة الانتاجيـة عن طريق استعمال نـوعيات أفضل مـن البذور والمبيدات الحشـرية والسماد بدلاً مـن زيادة ضخ المياه.



وزارة الإعلام



سي نيوجسال، بإذن من وزارة الاعلام

ومن ناحية تربية الحيوانات، يتم توفير الخدمات البيطرية وتقديم النصائح للمزارعين لمنع المشاكل ولحلها قبل أن تتفاقم. وقد أثبت تأسيس مراكز أبحاث الموارد الحيوانية واقامة مصنع للعلف وانشاء بعض العيادات البيطرية أنه حافز هام لتربية الأبقار والماعز والأغنام والجمال والدواجن. وانحصر التركيز في هذا الخصوص في تحسين المنتجات الخام.

وقد حقق قطاع الأسماك تطوراً كبيراً بفضل البيئة البحرية الخصبة للسواحل العمانية التي تمتد مسافة ١٧٠٠ كيلومتراً. وهو يشكل جزءاً هاماً من الموارد الطبيعية الشهيرة في عمان.

وتتضمن الثروة السمكية الغنية المتوفرة في المياه العمانية الأسماك البحرية الصغيرة مثل السردين والأنشوفة، والأسماك البحرية الضخمة مثل التونة والكنعد. وبالاضافة إلى ذلك تغل مناطق سلاسل الصخور البحرية المستوية القريبة من سطح الماء بعض أنواع الأسماك الأخرى مثل سمك الأخفس والنهاش والعديد من أنواع الأسماك الأخرى التي تعيش وتتغذى في قاع البحر وكذلك عدة أنواع من الحيوانات اللافقارية مثل الأربيان والحبار وأذن البحر.

ولا تزال طرق الصيد اليدوية هي عماد قطاع الصيد. وتتضمن الطرق المستخدمة في صيد الأسماك طريقة الصيد باستخدام شباك الغل (وهي شباك ذات عيون تجيز لرأس السمكة أن ينفذ إليها ولكنها تحجزه عندما تحاول الانسحاب) والمصائد المصنوعة من الأسلاك وشباك





سي فيوجسال. بإذن من وزارة الاعلام

الصيد العمودية (شباك السينة) التي يستخدمها الصيادون عند الشاطىء في مواسم الصيد وصنارات الصيد. ويوجد في عمان ما يربو على ١٦٠٠ زورق صيد صغير تقوم بالصيد على امتداد الساحل، بينما تقوم سفن الصيد الكبيرة بالصيد في أعماق البحر. وقد سادت في بعض الأوقات ميول الافراط في استغلال مخزون الأسماك، كما هو الحال في جميع مصائد الأسماك في العالم، لكنه تم السيطرة على هذه الميول في الوقت الحالي.

وتهدف المخططات الحالية إلى ضمان المحافظة على



معدلات ثابتة للصيد. وقد بلغت كمية الأسماك التي تم صيدها في عام ١٩٨٠م حوالي ٧٥٠٠٠ طناً، بينما بلغت كميتها في عام ١٩٨٨م حوالي ١٦٦٠٧٩ طناً. ثم انخفضت بعد ذلك كمية الأسماك التي تم صيدها لتصبح ١١٧٥٣٦ طناً في عام ١٩٨٩. و استقرت عند هذه المستويات طوال السنوات التالية.

إن تحديث أساليب الصيد قد ساعد الصيادين العمانيين كثيراً في تأدية أعمالهم المرهقة والخطيرة في الغالب. ويعتمد حوالي ١٢٠٠٠٠ من السكان في عمان اعتماداً مباشراً في معيشتهم على صيد الأسماك.

ولذلك تم تخصيص بعض الاعانات الحكومية لتوفير زوارق للصيد أكثر أماناً وسهولة في الصيانة، ولتوفير محركات وتجهيزات لهذه الزوارق يجدر الاعتماد عليها. ويتم تنظيم برامج تدريبية لاطلاع العمانيين على كيفية استغلال أحدث التقنيات المطبقة في هذا المجال. ويتم توزيع الاعانات عن طريق صندوق خاص، هو «صندوق الصيادين»، الذي أنشأته الحكومة لمساعدة الصيادين. كما يقدم مركز الدراسات والبحوث البحرية للصيادين خدمات الدعم الفني.

إن سياسة انشاء المزارع البحرية لم تحقق بعد النتائج المرجوة لها، لكن ليس هناك شك في أن هذه المزارع ستصبح من الصناعات الهامة في عمان بمجرد أن يتم التغلب على بعض العقبات البيولوجية.

وتعتبر تسهيلات ومرافق الرسو والتخزين والتسويق من المجالات الأخرى التي تحتاج إلى مساعدة، قدمتها الحكومة بالفعل بسخاء كبير. وقد تم اقامة عدة مراكز للصيد على امتداد الساحل مع تجهيز كل منها بمخازن مبردة.

كما تم تطوير قطاع الصيد التجاري بمشاركة بعض



الشركات الأجنبية وهو يعتمد على سفن الصيد ذات الأحجام المتوسطة والكبيرة وعلى مصنع التعليب الضخم.

وقد تم تصدير بعض أنواع الأسماك الممتازة إلى دول الخليج وآسيا واوروبا وأمريكا الشمالية. ومع ذلك تشير التحليلات النهائية إلى أن ازدهار قطاع الأسماك في عمان يعتمد على مهارة الصيادين العمانيين وعلى المحافظة عليهم. صحيح أن باستطاعة الحكومة أن تقدم العون والتشجيع وأن تسهل بعض النواحي المتعلقة بأعمالهم، لكن يظل الصيادون بخبراتهم بأنواع الأسماك المحلية وبالظروف البحرية هم العمود الفقري لبرنامج تنمية صيد الأسماك.

وأحد المعايير التي تدل على مدى الأهمية المعطاة لهذا القطاع الاقتصادي الحيوي هي أن صادرات الأسماك تشكل في قت تأليف هذا الكتاب ٣٠ في المائة من مجموع الصادرات العمانية غير النفطية، وهو مستوى يضمن لهذا القطاع الحيوي أن يحظى بأولوية هامة من قبل الحكومة.

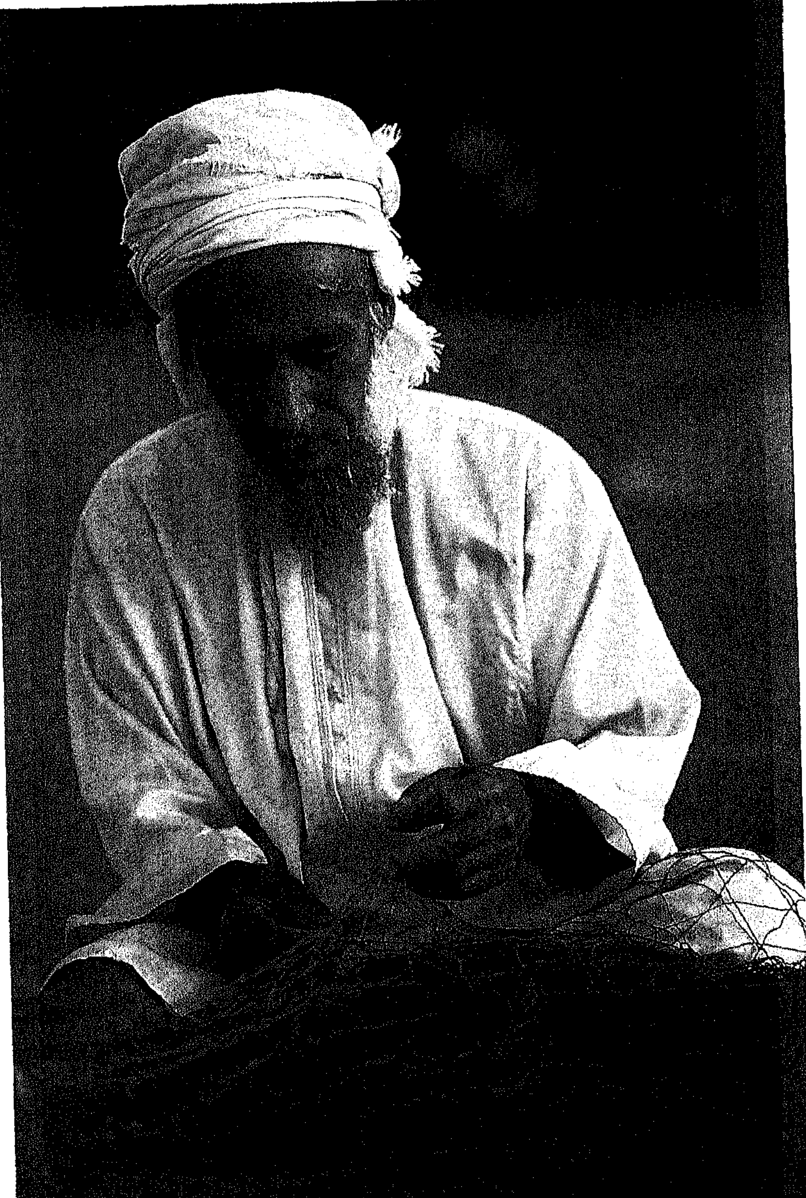
النفط والغاز

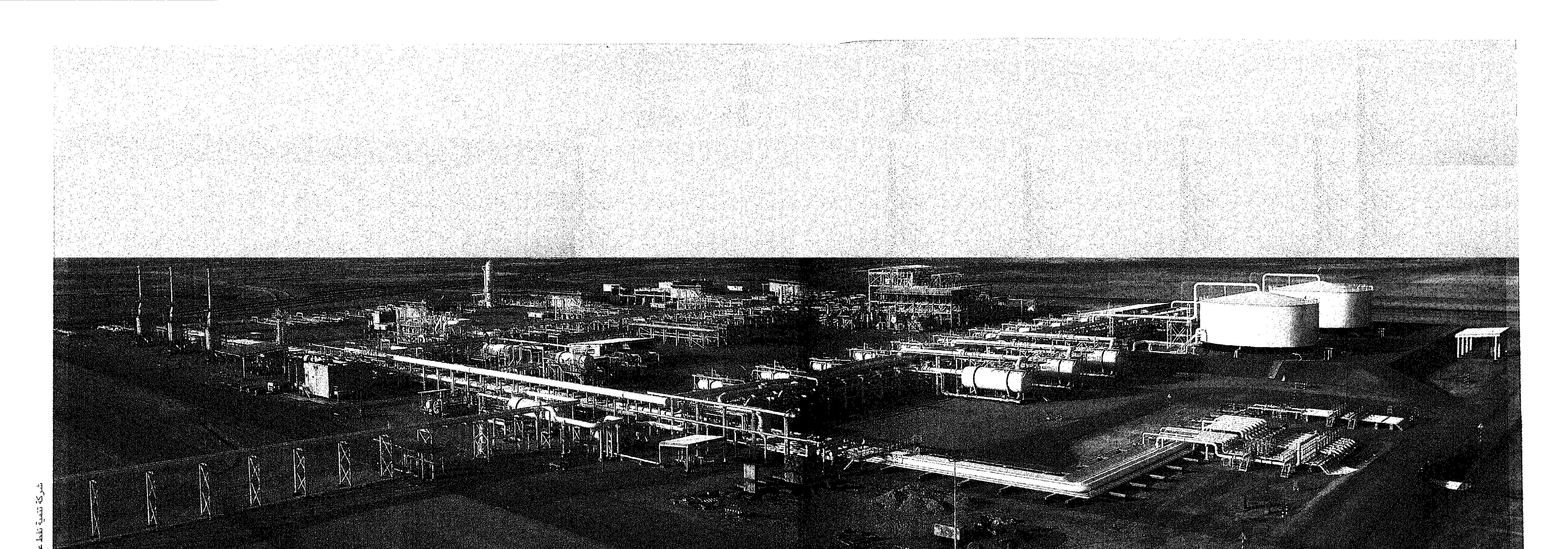
بينما وفرت النشاطات التقليدية للزراعة وصيد الأسماك احتياجات عمان على مر تاريخها، فقد أتاح التنقيب عن النفط واستخراجه في عمان اقامة صناعات جديدة في البلاد لعبت دوراً رئيسياً وهاماً في تمويل حركة التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي جاء ذكرها آنفا.

لقد بدأ التنقيب عن النفط في عمان في عام ١٩٢٤م، لكنه لم يتم اكتشاف النفط هناك إلا في عام ١٩٦٢م عندما تم اكتشاف حقل يبال وهو الاكتشاف الذي أعقبه بفترة قصيرة اكتشاف أول حقل تجاري للنفط في الفهود في عام ١٩٦٤م وهو يعتبر أضخم حقل يتم اكتشافه في السلطنة حتى الآن.

وقد بدأ تصدير النفط في شهر أغسطس ١٩٦٧م عندما تم تصدير ٢٠,٩ مليون برميل. وفي عام ١٩٧٠م







شركة تنمية نفط عمان

ازداد هذا الرقم ليصبح ١٢١,٣ مليون برميل. وبعد انسحاب شركة البترول العراقية، وهي اتحاد يمثل مجموعة من شركات النفط، من عمان بعد أن قامت بعدة محاولات فاشلة للتنقيب عن النفط تم منح امتياز التنقيب عن النفط إلى شركة تنمية نفط عمان التي كانت شركة شل هي المساهم الأكبر في رأسمالها وشركة البترول الفرنسية وشركة بارتكس المساهم الأصغر. وبحلول عام ١٩٨٠ بلغ معدل الانتاج ٢٢٩ مليون برميل، وأصبحت الحكومة العمانية هي المساهم الأكبرفي رأسمال شركة تنمية نفط عمان حيث أصبحت تمتلك ٦٠ في المائة من أسهمها مع احتفاظ شركة شل بحصة قدرها ٣٤ في المائة وشركة البترول الفرنسية بحصة قدرها ٤ في المائة وشركة بارتكس بحصة قدرها ٢ في المائة.

ويشرف على ادارة الشركة مجلس إدارة مكّون من تسعة أعضاء، خمسة يمثلون الحكومة العمانية وأربعة يمثلون الشركات التجارية الثلاث الأخرى. ويرأس مجلس الإدارة سعادة وكيل وزارة النفط والمعادن. وتنص اتفاقية تقاسم الانتاج التي وقعتها الحكومة العمانية مع شركات النفط الاخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب عن النفط في مختلف مناطق السلطنة على أن تحصل عمان ما بين ٨٠ و٨٥ في المائة من أرباح النفط.

وإذا فشلت احدى هذه الشركات في العثور على كميات تجارية من النفط والغاز، تظل هذه الشركة مسؤولة عن جميع تكاليف التنقيب وغيرها من المصروفات المتعلقة بأعمال التنقيب عن النفط. أما إذا عثرت الشركة صاحبة امتياز التنقيب على كميات تجارية من النفط فيتم السماح لها باسترداد تكاليف التنقيب والتطوير والانتاج من عائدات النفط على شرط ألاّ تتجاوز هذه التكاليف ٤٠ في المائة، ومن ثم يتم توزيع العائدات بين الحكومة وشركة الامتياز طبقاً لأحكام اتفاقية امتياز التنقيب عن النفط.

وفي وقت اعداد هذا الكتاب كان لي شرف مقابلة معالي الاستاذ سعيد بن أحمد الشنفري، وزير البترول والمعادن في عمان وطلبت من معاليه أن يعلق «بصورة عامة» على البرنامج الحالي للتنقيب عن النفط.

فأجاب معاليه: «نحن سعداء بنتائج التنقيب عن النفط التي تم تحقيقها خلال العشرين عاماً الماضية لأن احتياطياتنا المؤكدة من النفط في ازدياد دائم وبلغت الآن ٤,٥ مليار برميل. وسوف نسعى إلى أن نضيف إليها كل عام نسبة تعادل نسبة معدل انتاج النفط الخام في ذلك العام. لقد بلغ انتاجنا من النفط مستويات قياسية تبلغ ٧٥٠٠٠٠ برميل في اليوم. وإذا قارنا احتياطياتنا المؤكدة بالاحتياطيات التي كانت موجودة في عام ١٩٧١م (والتي كانت تبلغ ١,٢ مليار برميل) وبالمستويات الانتاجية في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم نجد أنه قد حدثت طفرة كبيرة. وتشير هذه الأرقام إلى مدى ما حققناه اليوم من نجاح.

عليك أن تتذكر أيضاً أنه في عام ١٩٧٠ كانت هناك شركة واحدة لانتاج النفط في عمان، وهي شركة تنمية

إن محطة الخوير للانتاج هي انجاز ضخم في مجال تنمية الصناعات البتروكيماوية في عمان. وقد بدأت هذه المحطة، الواقعة على مشارف صحراء الربع الخالي والتي بلغت تكاليفها ٤٢ مليون دولار أمريكي، الانتاج في شهر مارس عام ١٩٩٢م. لقد أعطى هذا المشروع دفعة قوية لانتاج حقل الخوير. ويساعد انتاج هذا الحقل من النفط الخفيف ذي الجودة الفائقة في المحافظة على الجودة الممتازة لمزيج النفط العماني الخفيف المصدر.

نفط عمان. أما الآن فلدينا أربع شركات، هي شركة تنمية نفط عمان وشركة أوكسيدنتال عمان (الأمريكية) وشركة جابيكس (اليابانية) وشركة إلف (الفرنسية). ومن المحتمل أن تعثر الشركات الأخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب على بعض النفط.

كما أن اكتشاف كميات ضخمة من الغاز قد شجع الحكومة على أن تقيم معملاً لاسالة الغاز لتلبية احتياجات التصدير. وتمتلك الحكومة ٥١ في المائة من رأسمال هذا المشروع بينما تمتلك شركات شل وتوتال وبارتكس ميتسوبيشي ووسيتوح وميتسيوي بقية حصة رأس المال. ومن المتوقع أن تبلغ تكاليف المشروع حوالي تسعة مليارات دولار أمريكي وأن يبدأ في تصدير باكورة إنتاجه من الغاز السائل في منتصف عام ١٩٩٩م.

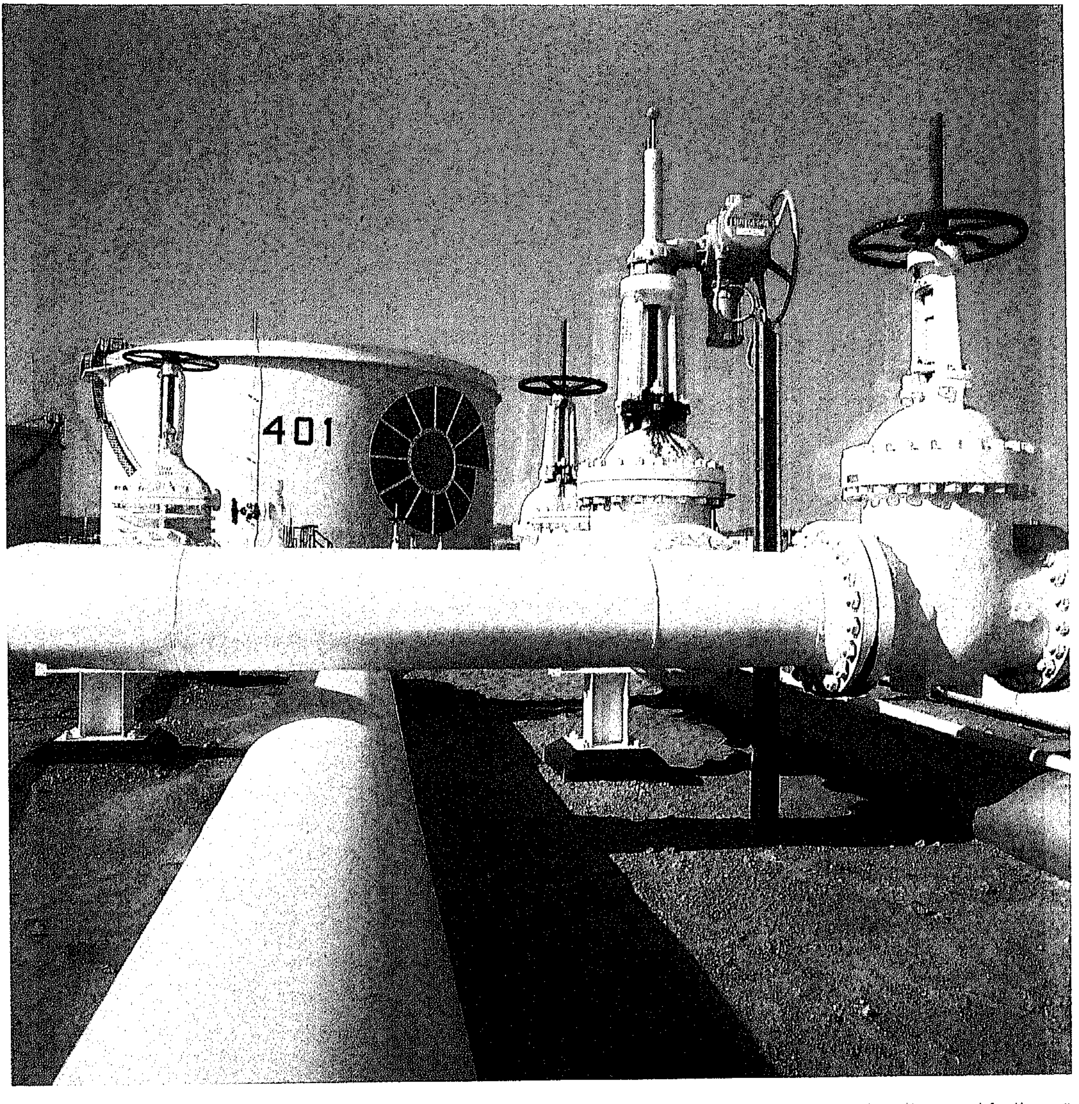
وتقوم عمان الآن بحملة مكثفة للتنقيب عن النفط والغاز وتقييم النتائج. وقد تم بالفعل اكتشاف عدة آبار للنفط والغاز في عام ١٩٩٢م، ويجري حالياً دراستها وتقييمها. ويمكن القول حالياً بأن بعض هذه الاكتشافات الجديدة تبشر بوجود آبار ضخمة للنفط والغاز، مثل آبار حقول مبارك والبحير والنور، بينما يبشر بعضها الآخر بوجود آبار متوسطة الحجم مثل آبار الواحة وحذر وطيوش ووفيق ونوال. أما بالنسبة للتنقيب عن الغاز فإن احتياطياتنا المؤكدة قد تضاعفت وبلغت ١٧ ترليون قدم مكعب. إننا متفائلون بما حققناه في مجال التنقيب عن النفط، ونأمل أن نضاعف هذه الاحتياطيات في المستقبل القريب».

إن هذه الاحصاءات مذهلة، لكن معالي الوزير لا يغفل حقيقة أن النفط والغاز هي موارد طبيعية غير متجددة. ولذلك فبالرغم من التمكن من زيادة الاحتياطيات عاماً بعد عام نتيجة للنجاح في التنقيب عن مزيد من النفط والغاز، فإن استخراج هذه الاحتياطيات في المستقبل سيؤدي في النهاية إلى استنزافها.

ولهذا السبب تطبق حكومة عمان استراتيجية تتطلع نحو المستقبل ليس فقط من ناحية كيف ستنظر أجيال الشباب الحالية إلي الأساليب التي تتبعها الحكومة لتحمي بها هذه الموارد الطبيعية القيمة بل كيف ستنظر الأجيال القادمة، بعد مئات أو ربما آلاف السنين إلى لانجازات التي حققتها الحكومة.

إنها مسؤولية خطيرة تنظر إليها الحكومة بجدية. لأنه إذا قدر أن يتم استغلال النفط والغاز في هذه المرحلة من التنمية العمانية فمن الضروري إذن أن يتم استغلال العائدات المالية لهذه الاكتشافات أفضل استغلال. وقد شاهدنا بالفعل كيف أن عائدات النفط قد ساعدت في تمويل برامج التعليم والرعاية الصحية وبناء شبكات الطرق وغير ذلك من مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد سألت معالي الوزير عن السياسات التي تطبقها الحكومة فيما يختص بمسالة التوظيف والعمالة لأنه من الواضح أنه يجب أن يستفيد المواطنون العمانيون على



شركة تنمية نفط عمان

تظهر في الصورة محطة فهود الرئيسية للضخ التي تقوم بتشغيلها شركة تنمية نفط عمان. تتيح هذه المحطة تعزيز كميات النفط القادمة من حقولها عبر خط التصدير الرئيسي في ميناء الفحل.

قـدر الامكان مـن النشاطـات الاقتصـادية النـامية حـول صناعة النفط والغاز.

فأجـاب معالي الـوزير: «في أعقـاب توجيهات جـلالة السلطـان أصبـح تدريـب العمـانييـن وإحلالهـم محـل الوافـدين هدفـاً قوميـاً فـي القطاعيـن العـام والخـاص. ويتم تدريبهم في داخل عمان وخارجها.

ويشغل العمانيون في شركة تنمية نفط عمـان ٦٣,١٣ في المائة من مجموع الوظائف في جميع المستويات. وقد بلغت نسبة العمانيين الذين يشغلون المناصب القيادية في شركـة تنمية نفـط عمان ٤٣,٨٩ فـي المائة، بينمـا بلغت نسبتهم في المستـويات الأدنى ٧٢,٨٢ في المـائة. وطبقاً لخطة التـدريب واحلال العمانييـن محل الوافديـن فسوف تصل نسبـة العمانيين الذيـن يشغلون المناصب القيـادية إلـى ٤٨,٧٢ في المـائة ونسبتهـم فـي المستوى الأدنـى إلى٧٨,٣٥ فـي المائة. ويبلغ المستـوى الكلي للعمـانيين العامليـن بشركة تنمية نفـط عمان في نهايـة عام ١٩٩٤م ٣٠٥٤ موظفاً وهـذا يمثل نسبة ٦٨ في المـائة من مجموع العاملين لديها ومن المتوقع أن يصل إلى ٧١ في المائة في عام ١٩٩٥م و٩٤ في المائة في عام ٢٠٠٠م».

ويواصـل معالي الـوزير حديثه شـارحاً كيف أنـه يتم تطبيق برامج ممـاثلة لاحلال العمانيين محل الـوافدين في الشـركات الأخـرى مثـل شركـة عمان للتكـريـر وشركـة جابكس وشركة أوكسيدنتال عمان وشركة إلف عمان.

وقبـل أن أغـادر مكتـب معالـي الـوزير سـألته عـن توقعـاته بالنسبة للتحـديات التي يواجههـا قطـاع النفط والغاز وعن انجازات هذا القطاع.

فأجـاب معالـي الوزير: «مـن ناحيـة التحديـات. فإن هدفنا هو اكتشاف كميات مـن النفط أكبر من الكميات التي نستخرجها كل عام حتى يمكننا زيادة احتياطياتنا المؤكدة من النفـط. وينطبق نفـس الشيء علـى الغـاز الـذي يتم استعماله محلياً في الوقت الحالي ولم يتم تصديره بعد.

وفي مجال تنمية الغاز هناك عدة مشاريع مثل مشروع الخويـر ويبال وبربع والتـي يجري تنفيذها بهـدف زيادة طاقة تسهيـلاتنا لتتطابق مـع الزيادة في انتـاج النفط. إن مشروع الخويـر يعتبر أكبر هذه المشاريع وأعـلاها تكلفة حيث بلغت تكاليفه ٥٠٠ مليون دولار أمريكي».

إن مشروع الخوير الواقع على حـافة الربع الخـالي هو مشروع جبار حقـاً، فقد تم اكتشاف حقل الخويـر في عام ١٩٦٨م، وبدأ فـي الانتاج في عـام ١٩٧٦. وقد تـم خلال الفترة بين عامي ١٩٧٦ و١٩٨٢ زيـادة عدد الآبار المنتجة

فــي الحقــل إلــى ٤٢ بئراً. وتبلــغ معــدلات الانتــاج اليــوم ٢٥٠٠٠ برميل في اليوم.

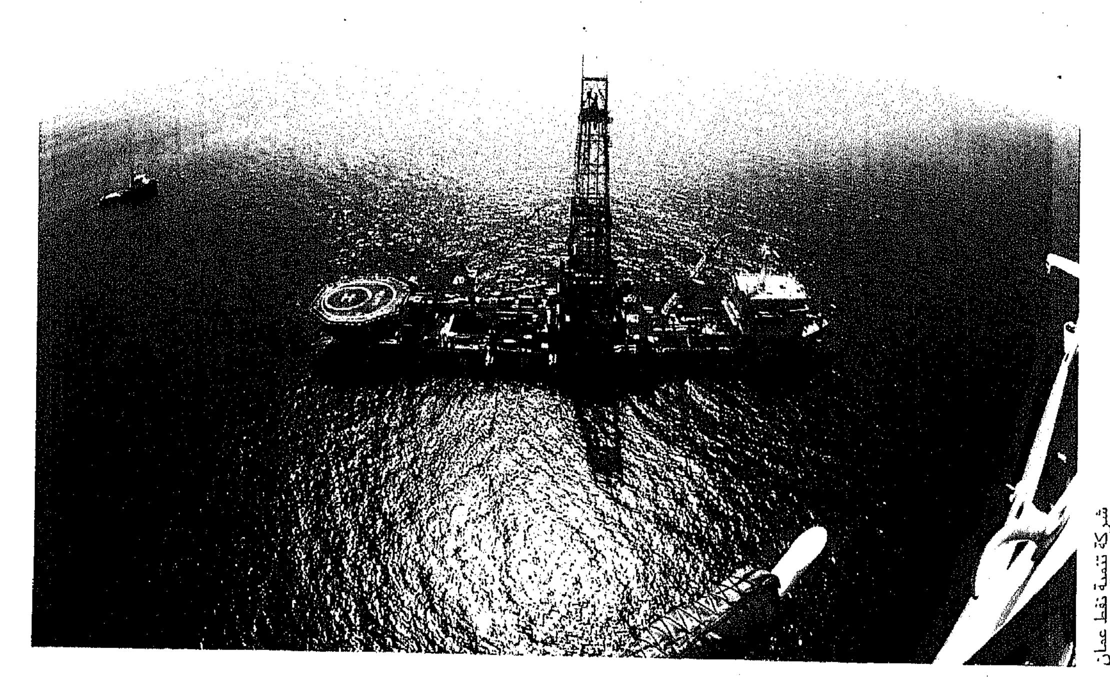
وكانت تجارب الحقن بالماء التي تم اجراؤها في الحقل بهدف المحــافظة علــى الضغط فــي مكمن النفــط وزيادة معدلات الاستخــلاص إلى أقصى حــد تبشر بالخيــر، و تم وضــع بعــض الخطط لتــركيب نظام للحقــن بالمــاء. غير أن انهيار أسعار النفط في عــام ١٩٨٦م أدى إلى تأخير تنفيذ خطط التنميــة. وأخيراً اعتمــد المساهمــون خطة مشــروع الخوير للغمــر بالماء ووصفوه بــأنه «أكثر مشاريــع تنمية النفط والغاز تعقيداً في تاريخ شركة تنمية نفط عمان».

ويتضمن هذا المشروع، المنفذ في ظروف بيئية معادية للغاية، إقامة مدينة صغيرة معزولة في الصحراء بين كثبان الرمل. ويوفــر المشروع للعاملين به والبالــغ عددهم ١٧٠ موظفاً مرافق مكيفة الهواء ومجمــوعة كاملة من التسهيلات. ويجري تــوفير الطاقــة الكهربائيــة اللازمة للمشــروع عن طريق محطة كهرباء خاصة به تبلغ طاقتها ٥٠ ميجا واط.

لقد أتاح هذا المشروع مضاعفــة انتاج الحقل أربع مرات ليبلغ ١٠٠٠٠٠ برميل في اليوم وبــذلك فهو يسهم بحوالي ١٣ في المائة من اجمالــي صادرات السلطنة من النفط. إن النفط المستخرج مــن هذاالحقل هو نفط خفيــف نقي جداً، مما يساعد في المحافظة على النوعية الممتازة لخليط النفط العماني الخفيف المصدر.

وبالاضافة إلى ذلك يتضمن المشــروع اقامة خط جديد لنقل الغاز بتكاليف قدرها ١٥ مليو ن دولار أمريكي لنقل ما يصل إلى ١,٥ مليون متر مكعب فــي اليوم من غاز الخوير إلى معمل الغاز الحكومي ومنه إلى شبكة الغاز الوطنية.

ويمثل هذا المشــروع سبقاً هندسياً رائداً فــي أكثر من مجال، فهــو يمثل أول استخدام لشــركة تنمية نفــط عمان لأحــدث تقنيات أنظمــة التحكــم في التــوزيــع التي تعمــل بالكمبيوتر مما يعزز مــن كفاءة التشغيل، ويمثل كذلك أول استخدام فــي عمان لأنــابيب الايبــوكسي عــديمة الصــدأ والمقواة بــالزجــاج في نقل النفــط الخام ممــا يتيح إطــالة العمر التشغيلي للشبكــة وخفض تكاليف الصيانــة، وكذلك أول استخدام فــي عمان لأحدى التقنيــات الحديثــة التي لا تضر بالبيئة وهي تقنية «السيولفيروكس» الخاصة بتحلية الغاز (معالجــة النفط الخام لازالة المركبــات الكبريتية أو كبت رائحتها) والتي طورتها شــركة شل مما أدى إلى عدم توليــد أي تلوث بيئــي على الاطــلاق مع خفــض التكاليــف الرأسمــالية وتكــاليف التشغيل. كمــا أنها تمثــل أيضاً أول استخــدام فــي عمان لــوصلات الادارة بــالسوائل متعــددة



كان التنقيب البحري عن النفط والغاز أحد المعالم الحديثة لصناعة البتروكيماويات في عمان.

شركة تنمية نفط عمان



شركة تنمية نفط عمان

تشكل سيارات التنقيب بالطريقة الزلزالية و التي تعمل في منطقة البهجة جزءاً من برامج التنقيب المستمرة في عمان.

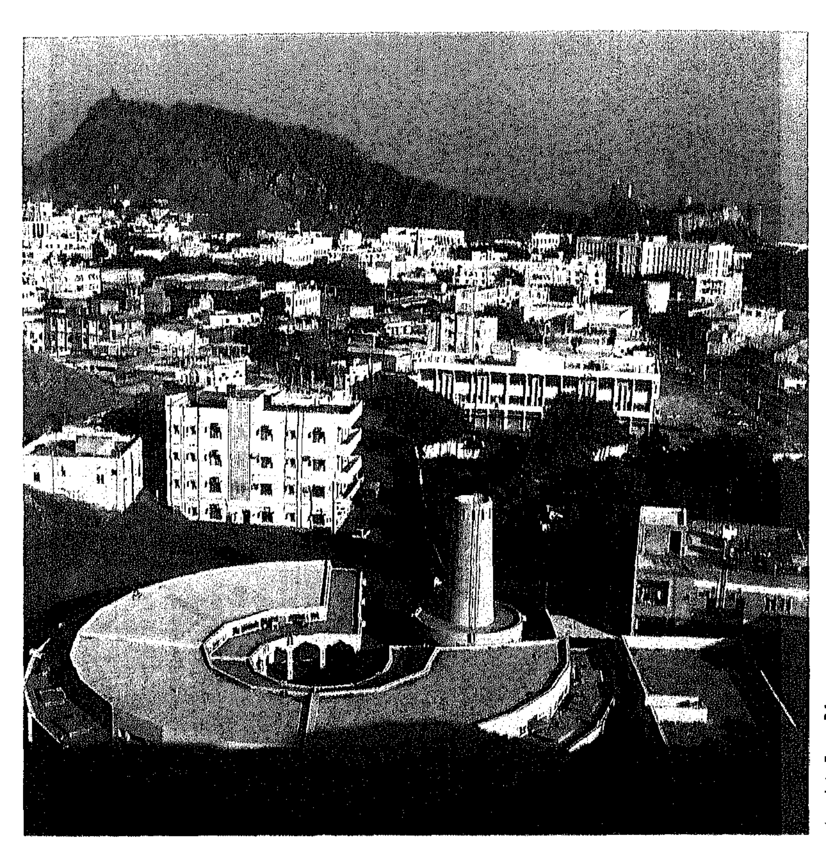
السرعات والمركبة على ضاغطات الـرفع بالغاز مما ساعد في زيـادة درجة الاعتمادية وخفـض التكاليف الرأسمـالية وتكاليف التشغيل في آن واحـد، وأول استخدام في العالم لأضخم وصلـة (جلبة) اسطـوانية مصنـوعة مـن البولـي ايثيلين ومـركبة على دائرة أنابيـب مقفلة لحقن المـاء يبلغ قطرها ١٦ بوصة تؤدي إلـى منع تسلل المنتجات المسببة للتآكل إلى الخزان، وأضخم غمر مـائي في العالم بالضغط العالـي لاحدى تكـوينات الحجـر الجيري المغلقـة، وأول مشروع للحفر فـي عمان يتم انجازه بموجـب عقد «تسليم المفتاح» وأضخـم عقد في العالـم يفوز به مقاول عمـاني، وأخيراً تركيب أول مشعب (سيفون) يستخدم في مشروع ضخم للنفط والغاز ويتم تصنيعه محليـاً في عمان من قبل مقاولين عمانييـن ١٠٠ في المـائة. وعندمـا نقارن هـذه الانجازات الرائعة بالأوضاع التي كانت سائدة منذ عشرين عاماً فقط عندما كانت عمان في مستهل الطريق وتفتقر إلى أي مهارات وخبرات ودرايـات فنية لحفر أحدث آبـار النفط ناهيك عـن إقامة واحدة من أحـدث المرافق من نـوعها في العالم تظهر لنا الانجازات الكاملـة الرائعة التي تم تحقيقها في الخوير واضحة كالشمس.

برامج التنمية

أسـهمت صنـاعة النفط والغاز العمـانية اسهاماً رائعـاً في حركـة التنمية الاقتصادية الـوطنية، لكن يـدرك الجميع أن النفط لن يدوم إلى الأبد.

ويتم كل خمس سنوات طرح خطـة جديدة للتنمية تحدد برنـامج الاستثمارات والمشاريـع التي سيتم تنفيذهـا في السنوات الخمس المقبلة. وتعتمد هـذه الخطة على مجموعة من أهـداف التنمية المحددة بـوضوح وهـي تنميـة مصادر جديدة للدخل القومي تقلـل من الاعتماد على عائدات النفط وتحل محلها في النهاية وزيـادة نسبة الاستثمارات الوطنية المخصصة لتنفيـذ المشاريـع المدرة للدخـل وخاصـة في قطـاعات التصنيـع والتعـدين والـزراعـة وصيد الأسمـاك وتوزيـع الاستثمارات القـومية علـى المناطـق الجغرافيـة المختلفة مع الأخذ في الاعتبـار تعميم الازدهار والتطور في جميع منـاطق السلطنـة ودعم صيـانة المـراكز السكـانية والمجتمعية الحاليـة بهدف حماية هـذه المجتمعات ومنعها من الهجرة المحتملـة إلى المدن الكثيفة بالسكـان ولحماية البيئـة ومنح الأولـوية القصـوى لتنمية المصـادر المائيـة القـومية ولتنميـة الموارد البشـرية أيضـاً ورفع طـاقاتهـا للاسهام فـي الاقتصاد القومي وتلبيـة متطلبات الانشاءات الأساسية ودعم النشاطات التجارية عن طريق التخلص من النقص الذي تعاني منه الأسـواق وخاصة في مجالات النقل والاتصالات والتخـزين وغيـر ذلك مـن القيود التـي تعوق حركة المنافسـةالتجارية مـع الأخذ في الاعتبار دعم ازدهار الأسـواق المتنـافسـة واتخاذ الاجـراءات الـلازمـة لخلـق اقتصاد قـومي يعتمد على نشـاطات القطاع الخـاص ومنع الاحتكار وتعزيز كفاءة الأجهزة الادارية الحكومية.

وقد تم حتـى الآن تطبيق خمس خطط مـرحلية للتنمية



شركة تنمية نفط عمان

مسقط.

مقطع طريق الخويه يكشف عن جزء من التاريخ الجيولوجي لعمان.

شركة تنمية نفط عمان

لتحقيق هـذه الأهداف بـدأت عندما تسلـم جلالـة السلطان قابـوس مقاليد الحكـم حيث قامـت الدولـة بتنفيذ برنـامج سـريـع للتعليـم والخـدمـات الصحيـة والطـرق لتلبيـة الاحتياجات الضرورية للمواطـن والتي افتقدها تمامـاً. وقد أعقب هذا البـرنامج، أربع خطـط أخـرى للتنميـة آخرهـا هي خطـة التنمية الرابعـة للسنوات من عـام ١٩٩١م إلـى عـام ١٩٩٥م. ويلـزم أن نتناول خطـط التنميـة الخمسيـة السـابقـة بايجـاز حتـى يمكننـا أن نقارن خطـة التنميـة الخمسية الحالية.

إن خطة التنمية الخمسيـة الأولى (١٩٧٦-١٩٨٠م) قد وضعـت استراتيجيـة تطـوير البـلاد فـي المستقبل. وقـد شهدت هذه الفترة ازدهار عائدات النفـط، وتم منح الأولوية القصوى لأعمال التنقيب عن الموارد الطبيعية وجرى وضع برامـج للتنمية تهدف إلـى توفيـر انشاءات أساسيـة جيدة وإلـى تشجيع القطـاع الخاص، وبـالتـالي تـرويج فكـرة الاقتصاد القومـي الحر. أما خطة التنمية الخمسيـة الثانية (١٩٨١-١٩٨٥م) فقد شهدت زيادة ملحوظة في العائدات النفطية مرتبطة بارتفاع أسعار النفط العالمية.

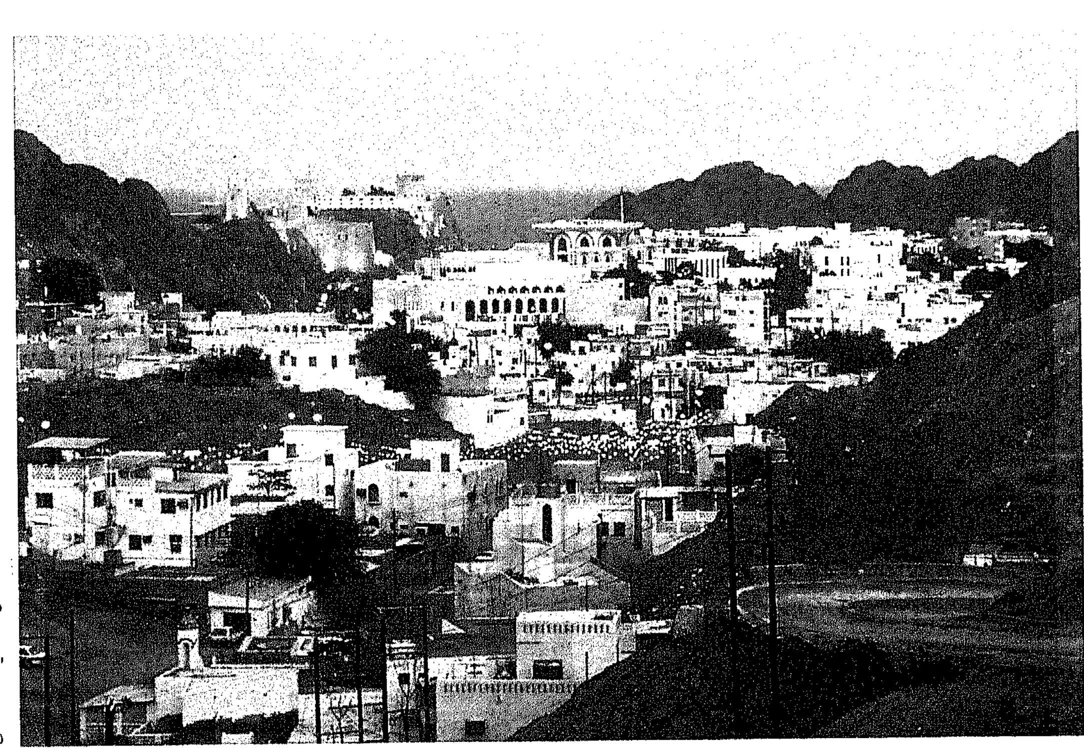
وقد تم مرة أخرى تأكيد التـركيز على تطوير الانشاءات الأساسية وخاصة فيما يتعلق بموارد المياه وتوزيع المياه. أمـا خطة التنميـة الخمسية الثـالثة (١٩٨٦-١٩٩٠) فقـد شهدت فتـرة انهارت فيهـا أسعار النفـط واختبرت بـرامج التنمية السـابقة مدى قدرة البـلاد على مواصلة مسيـرتها التنمويـة اعتماداً على عائدات نفطيـة أقل مما كان متـوقعاً. وقـامت الحكـومة بتخفيـض برامـج التنمية وأوضحـت أن الهيكل الاقتصادي العماني مستقر بدرجة كبيرة.

أما خطة التنمية الخمسية الرابعـة فهي تعتمد كسابقتها على الـدروس والعبـر المستفـادة، وتتطلـع إلـى تعزيـز المكاسب التي تحققت حتى اليوم. ونتناول فيما يلي بايجاز الملامح الأساسية لخطة التنمية الخمسية هذه.

أولاً، تتطلع خطة التنميـة الخمسية الحالية إلـى توسيع القـاعـدة الاقتصـاديـة العمـانيـة وتنـويـع النشـاطـات الاقتصادية. وعلـى الرغم من الزيادة الكبيـرة في العائدات النفطيـة التي شهـدتها الفتـرة من عـام ١٩٧٥م إلى عـام ١٩٨٩م، فقد زاد اسهام المنتجات غيـر النفطية في معدلات الانتاج القومي في خلال نفـس الفترة من ٣٣ في المائة في عام ١٩٧٥م إلـى ٥٥ في المائة فـي عام ١٩٨٩م. وقـد تم تحقيـق ذلـك فـي فتـرة انخفضـت فيهـا نسبـة الاسهـام الحكـومي فـي النشـاطـات الاقتصـاديـة وزاد فيها اسهـام القطاع الخاص.

ثانيـا، تذليل العقبات والصعـوبات المرتبطة بتـأثيرات التنمية وخاصة في مجالات الحد من الاعتماد على العائدات النفطية والأيدي العاملة المهاجرة.

ثالثـا، وضعـت الخطـة حركة التنميـة العمانيـة وخطط التنميـة في المستقبـل فـي اطار عـالمـي، وأدركت مـدى التغيرات التي تحدث على النطاق الدولي وخاصة مـع قيام



شركة تنمية نفط عمان

مجموعـات اقتصاديــة جديدة مثـل مجموعــة دول الاتحاد الأوروبي كمراكز قوة اقتصادية جديدة. كما أدركت الخطة أن المنافسة الاقتصادية بين القوى العالمية في ازدياد وأن التطور السريع في تقنيات الاتصــالات والاعــلام يتطلــب وضــع استراتيجيـات مرنة للتنمية.

لقـد زاد الانتاج القـومي الاجمــالـي العمانـي زيـــادة كبيرة خــلال الفترة بين عام ١٩٧٠م و١٩٨٥م حيث بلغ ١٠٦,٨ مليون ريال عماني، ثم انخفض قليلاً بعد ذلك قبل أن يزداد مرة أخرى ليبلغ ٣٥٢١,٩ مليون ريال عماني في عام ١٩٩٠م.

وقد بلغ اسهـــام قطـاع النفط والغاز ٤٥,١ فــي المائة من اجمالي الانتاج القومي في عام ١٩٩٠م. وكان متوسط انتاج النفط خـلال الفترة بين عامـي ١٩٧١ و١٩٧٦م هو ٣٠٠٠٠٠ برميـل في اليـوم، بينما بلـغ خلال فتـرة خطة التنمية الخمسية الثالثة مـن عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٩٠م حــوالي ٦١٤٠٠٠ بـرميلاً فــي اليـوم. وتشير احصـاءات الخطة الحالية إلى تحقيق زيادة أخرى.

كمــا حققت اسهـامات القطـاعات غيـر النفطية زيـادة كبيرة أيضـاً خلال هــذه الفترة حيث أسهــم قطاع الـزراعة وصيد الأسماك بمقدار ١٨,٣ مليون ريال في عام ١٩٧٦م و١٢٥ مليون ريال في عام ١٩٩٠م، بينما زاد دخل القطاع الصناعي فــي نفس الفترة من ٤,٣ مليـون ريال إلى ١٥١ مليون ريال.

الموارد الأخرى

بالاضافة إلــى النفط والغاز، تتوفر في عمـان موارد أخرى مدفـونة تحت الأرض تتضمــن النحاس والكروم والحـديد والمنجنيز والنيكل والمغنسيوم.

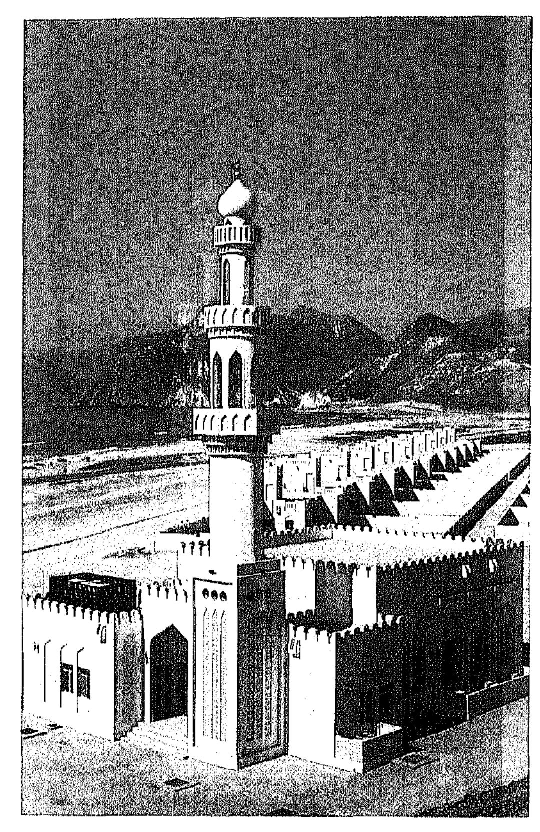
إن نشاط التعدين في عمان، كما شـاهدنا في صدر هذا الكتاب، هـو نشاط يرجع إلــى أوائل فترة ما قبل التــاريخ. وقـد تم فــي عــام ١٩٨٣م العـودة بنجاح إلـى استخـراج النحاس على نطـاق تجاري. وقد أتاحت التقنيـات الحديثة للمساحـة الجيوفيزيـائية واعـداد الخرائط توفيـر صـورة أوضح للتراكمات المعدنية الموجودة في البلاد.

ويتولـى المشروع التجاري الـذي تشرف علـى ادارته شركة التعدين العمانية، وهـي احدى شركات القطاع العام العمانـي في وادي الجـزي بالقـرب من صحــار استخراج المــادة الخـام التي يتـم تحـويلهـا إلـى كاثـود النحــاس بالاستعانة باحدى الكسارات وبمعمـل للتكرير. وقد تم في عام ١٩٩٠م انتاج ١٢٠٠٠ طن من كاثود النحاس. كما تم اكتشاف عروق غنية بالنحاس في ركعا وحيل السافل على بعد ٢٠٠ كيلـومتر تقريبـا من معمل التكـرير بالقـرب من صحار. ويتـم الآن تعدين هــذه المواقــع بطريقة التعـدين السطحي ونقـل المواد الخام المستخرجـة منها إلى مـوقـع الكسارة الحالي بالقرب من حائل السفيل قبل أن يتم نقلها إلى معمل التكرير. ويتم مـواصلة بذل الجهود للكشـف عن مصادر أخرى للنحاس.

وتتوفر مادة الكروميت، التي تم اكتشافها بالصدفة في عام ١٩٧١م، بكميات تجارية وتقدر احتياطياتها بحوالي ٢ مليون طـن. ولذلـك فقد تـم تأسيـس شركـة الكرومـيت العمــانيــة فــي عام ١٩٩١ لتتخصــص فــي التنقيـب عـن الكروميت واستخراجه وتصديره.

كما يتـوفر الفحـم أيضاً بكميات ضخمـة بالقـرب من صور حيـث تقدر الاحتيـاطيات بحـوالي ٣٦ مليـون طناً. ويجري حاليـاً دراسة خطط لاقامة محطة للكهـرباء تعمل بالطاقة الفحمية لاستغلال مصــادر الوقود هذه.

ويعتبر الـذهب من المنتجات الفـرعية القيمة لصنــاعة تعدين النحاس، حيث من المتوقع أن يتم إنتاج ٢٤٠٠ كيلو



جراماً من الـذهب فـي خلال سنـوات التشغيـل الثمـان لموقع استخـراج وتصنيع الذهب في حيل السـافل. ويتم حالياً تطبيق بـرنامج لتقييم احتياطيات الـذهب في عمان. ومن المتوقـع أن يستمر هذا البرنامج لعـدة سنـوات قبل أن يمكـن وضع خطـة شاملـة لاستــخراج الذهـب علــى نطاق تجاري.

التنمية الصناعية

انحصـرت الصناعـات العمـانية قبـل عصـر النفط فـي الصنـاعات التـي تخدم الاحتيـاجات التقليـدية للشعـب العماني.

وكان يتـم منذ قـرون عديـدة مزاولـة صناعـات بناء الـزوارق وممارسـة الحـرف الفنيـة المختلفة ومـزاولـة صناعة النسيـج والمشغولات الفضية. وكان هنـاك اقبال شديد على هذه المنتجات العمـانية الصنع سواء محلياً أو من قبل الـدول الأخرى في أنحاء المنطقـة. غير أن مجيء العصـر الحـديـث بتـأثير مـن اكتشـاف النفـط والغـاز واستخراجهمـا قد فتح الباب علـى مصراعيه أمام قـاعدة صناعيـة جديدة لا تزال تنمـو بمعدلات مرضيـة. ويعود الفضل فـي معظم النمـو الذي حـدث للاستثمـارات التي قدمها القطاع الخاص والتي تشجعها وتدعمها الحكومة.

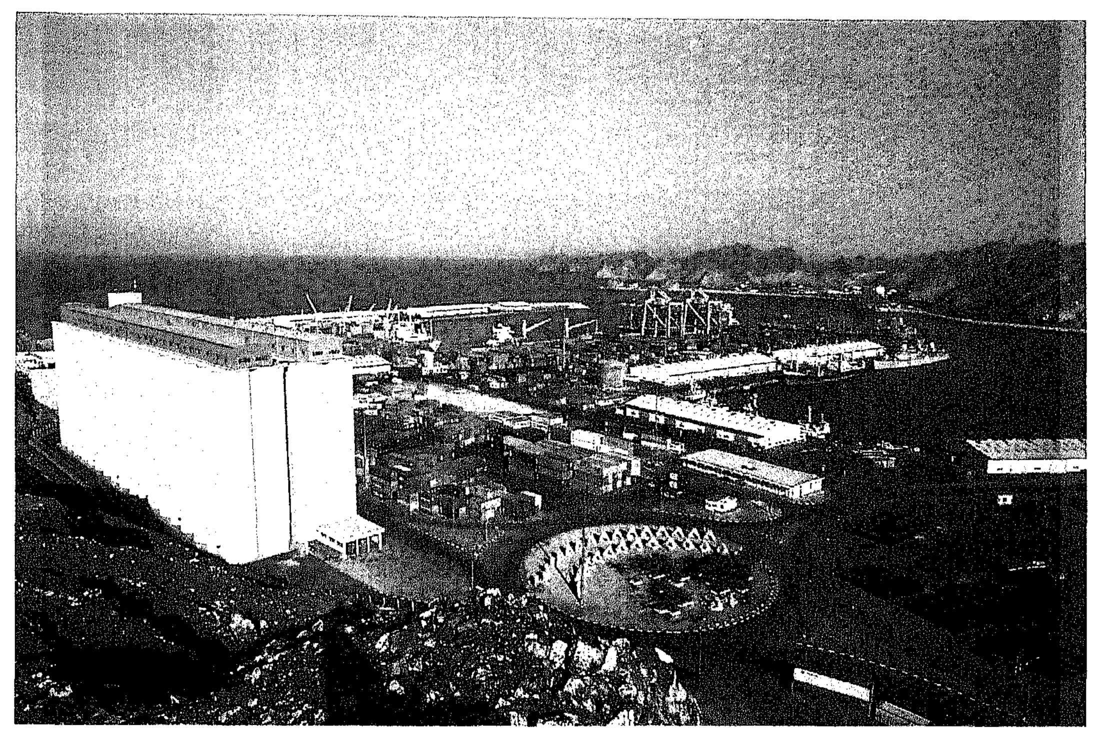
إن الثراء المحلي المتـزايد قد أدى إلى تشجيـع الطلب علـى المنتجات المستـوردة، وكلمـا أمكـن تصنيع هـذه المنتجـات محلياً تـم تشجيـع المستثمـرين مـن القطـاع الخاص علـى القيام بـانتاجهـا. وليس مـن المدهـش أن ترتبط صناعة البناء بهذا القطاع الهام للتنمية الصناعية.

وتشكل القطـاعات غيـر النفطية لـلاقتصاد العمـاني حالياً ٥٠ في المائة من اجمالـي الانتاج القومي وتواصل صادرات جميـع أقسام هذه القطاعـات في الزيـادة. وكما ذكرنا آنفاً، فقد نجم هذا الازدهـار الصناعي جزئياً نتيجة لاكتشـاف النفـط والغاز في عمـان لكنه نتج أيضـاً نتيجة لعدة عـوامل هامـة تتضمن المـوقع الاستراتيجـي الهام لعمـان كمدخـل إلـى الخليج العـربـي ووفـرة مواردهـا الطبيعية والسياسـات المتنورة التي تتبعها الحكـومة في تقديـم الحوافز الصناعيـة والبحث دائماً عن الكيـف قبل الكم والـذي أعطى الصنـاعة العمـانية شهـرة طيبة علـى المستويين الاقليمي والدولي.

ويكمن في قلـب النجاح العماني اقامة عـدد من المدن الصناعية، أهمهـا وأكبرها هي مـدينة الرسيل الصنـاعية التي تبعـد مسافة ٤٥ كيلـومتراً تقريبـاً عن وسط مـدينة مسقط. لقد تـم تأسيس هذه المـدينة الصناعية فـي عام ١٩٨٤م بهدف تشجيـع تنمية القاعـدة الاقتصاديـة غير النفطيـة ويوجـد بها حـاليـاً أكثر مـن ٦٠ مصنعاً تقـوم بتصنيع مجموعة كبيرة مـن المنتجات تتراوح بين الشاي والاطارات والبسكويت والمفروشات.

ويقـدم المجمع الصنـاعي بـالمـدينة مجمـوعة مـن المزايـا للشركـات الموجـودة فيه تتضمـن شبكة طـرق ممتازة وامدادات وافرة من المياه والكهرباء والغاز وشبكة اتصالات حديثة غاية فـي الكفاءة وتسهيلات للتخلص من النفايات وذلـك إلى جانب مجمـوعة كاملـة من الخـدمات التي يتوقع المرء أن يجدها في المدن العصرية.




وزارة الاعلام

ويتم مساعدة الشركات الراغبة في اقامة تسهيلات لها بالمنطقة الصناعية من خلا ل تزويدها بالمستندات التجارية شاملة المستندات المتعلقة بالاجراءات الجمركية والمستندات التي تطلبها وزارات العمل والشؤون الخارجية والتجارة والصناعة. كما تتضمن مجموعة الحوافز العملية المقدمة تسهيلات مغرية في أسعار ايجارات المباني وأسعار خاصة للطاقة.

إن برنامج الحوافز هو برنامج شامل يسعى إلى تشجيع حركة التنمية الصناعية في عمان. ويتم اعفاء المؤسسات التي تقوم بتأسيس فروع أو شركات جديدة لها في عمان من دفع جميع الضرائب لفترة السنوات الخمس الأولى من بدء نشاطها.

ويمكن في بعض الحالات مد فترة الاعفاء الضريبي هذه. كما يتم اعفاء المعدات والأجهزة الصناعية بصفة دائمة من رسوم الاستيراد، بينما يتم اعفاء المواد الخام والمواد نصف المصنعة من هذه الرسوم لفترة السنوات الخمس الأولى مع امكانية تجديد فترة الاعفاء هذه. وإذا كانت المنتجات المصنوعة في عمان تتعرض لمنافسة من المنتجات المستوردة، فقد يتم في بعض الأحيان فرض الحماية الجمركية عليها بهدف تمكين الشركات الوطنية الشابة من أن ترسخ أقدامها في الأسواق المفتوحة.

كما تقدم وزارة التجارة والصناعة قروضاً معفاة من الفوائد، بينما يقدم بنك التنمية العماني قروضاً بفوائد مخفضة. ويتم تقديم مجموعة من الحوافز إلى العمانيين من خريجي المرحلة الثانوية بهدف تشجيعهم على تأسيس المشاريع التجارية في عمان. وتتضمن هذه الحوافز منحاً تصل قيمتها إلى ٤٠ في المائة من كلفة المشروع بالاضافة إلى بعض القروض المعفاة من الضرائب بما يعادل ٤٠ في المائة من تكاليف المشروع. ويلزم على الخريج في هذه الحالة توفير ٢٠ في المائة من تكاليف المشروع من موارده الخاصة.

كما تقوم وزارة التجارة والصناعة بتقديم مجموعة من المزايا المتعلقة باستهلال المشاريع وذلك بالنسبة للمستثمرين الآخرين من غير الخريجين الذين يتلقون ٣٠ في المائة من تكاليف المشاريع المقامة في مسقط وما يصل إلى ٥٠ في المائة من تكاليف المشاريع التي تقام في خارج مسقط.

السياحة

تعتبر السياحة أحد مجالات الاستثمار والتنمية التي ستزدهر في عمان. ويتوفر في البلاد بالفعل مجموعة لا بأس بها من فنادق الدرجة الأولى وبعض المشاهد البرية الرائعة.

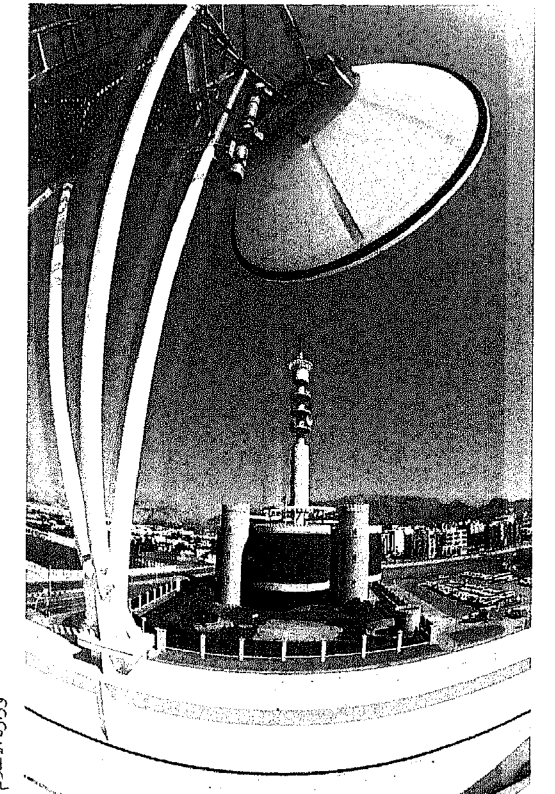
وعندما يضيف المرء إلى ذلك المحافظة الجذابة على الثقافة والتراث القومي والمحافظة الواعية على الحياة البرية وكذلك اعتدال المناخ الذي يعد بشمس مشرقة طوال العام، فإننا نجد من الواضح أن جميع العناصر الرئيسية لازدهار السياحة متوفرة بكثرة.

وقد ركزت حركة التعمير خلال الخطتين الخمسيتين الأولى والثانية على اقامة الانشاءات الأساسية التي تستطيع استيعاب حركة السياحة بما في ذلك انشاء مجموعة من الفنادق والاستراحات ومرافق النقل الأخرى.

كما تم تطبيق بعض البرامج لترميم وتجديد القلاع التاريخية والمعالم التراثية الأخرى. ولا يزال تطبيق مثل هذه البرامج مستمراً. وبالرغم من أنه لم يتم تنفيذ هذه البرامج أساساً بهدف جذب السياح بل كجزء من البرنامج القومي للمحافظة على التراث الثقافي، إلاّ أنها ساعدت في اقامة مراكز جذابة للسياح والزائرين على حد سواء.

وقد تم اعداد دراسة شاملة عن السواحل العمانية بأكملها وتم تحديد المواقع المناسبة لاقامة الفنادق في المستقبل. كما تم توسيع مطار السيب الدولي ليستوعب الأعداد المتزايدة من الطائرات والركاب. وتم كذلك تحسين مرافق المطارات الموجودة بالمدن الأخرى.

ويعتبر توفر إمدادات مناسبة من الماء العذب



وزارة الاعلام

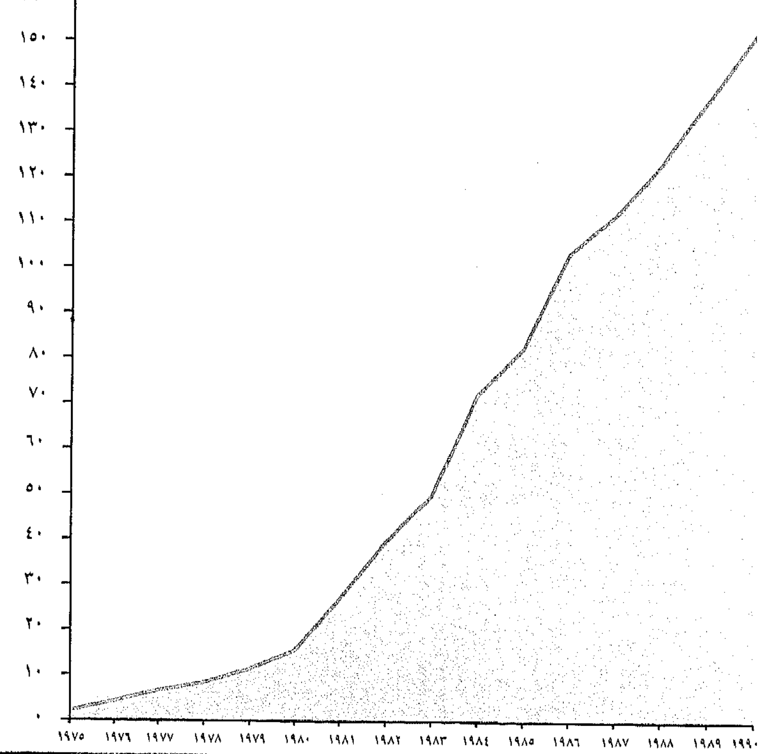
أمـراً ضروريـاً لجميــع نشاطــات التنمية المذكــورة آنفـا، ولـذلك فـإن الانجـازات التي حققتها عمـان فـي هـذا المجـال تثير الاعجـاب. ففي عـام ١٩٧٠م كـان يتـم في مسقط انتــاج ١٥٦ مليون جالـون مـن المـاء العـذب فقـط، يتـم ضخها جميعـاً من الأبـار العميقــة. وفي عام ١٩٧٧ وصل إنتـاج الماء العذب إلى ١٠٠٢ مليـون جالـون معظمهـا كـان نتيجة لانشــاء أول محطـة ضخمة لتحلية الميـاه في عمان. وبحلـول عـام ١٩٩٤م تجاوز انتـاج الماء العــذب فـي مسقـط ١٣٠٠ مليـون جالون. كمـا حدث نمو مشابه في انتاج الماء في صلالة.

إن تزايـد الطلب على التنميـة الحديثة يجب ألا يطغـي على الحاجـة إلى حماية البيئـة التـي هــي أحد السمــات الثـابتـة في التخطيـط العماني تحـت رعايـة جلالـة السلطـان قـابـوس بن سعيـد. وفي منـاسبـة الذكــرى الخامسة للعيـد الوطنـي للسلطنة ذكّـر جلالـة السلطان شعبـه بهـذه الحقيقة حين قال:

إن اهتمامــــنا الكبيــر بـالمحـافظـة علـى البيئـة الطبيعيـة وانجازاتنـا في هذه المجـال جعلت عمـان تتمتـع باحترام شـديـد بين الأمـم المهتمـة بحمايـة البيئـة، ومــع ذلـك لا يـزال يتعيـن علينا بـذل المزيد مـن الجهود ودراسـة الاعتبـارات الخاصة المرتبطـة بهذه المسألـة عندما نقـوم بتخطيط وتنفيذ مشـاريع التنميـة. وعلينــا أن نبـدأ في الاتصـــال بالهيئـات

تطور اسهام قطاع التصنيع
في إجمالي الانتاج القومي العماني طبقاً للأسعار الحالية
بالمليون ريال عماني

السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠
قطاع التصنيع	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٩,٧	٧٢,١	٨٢,٣	١٠٣,١	١١١,٥	١٢٢,٧	١٣٧,١	١٥١,١
قطاع تكرير النفط	-	-	-	-	-	-	-	-	٤,١	١٣,٠	٩,٩	٨,٦	١٠,١	١٠,٣	١٣,٤	١٤,٤
القطاعات الأخرى	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٥,٦	٥٩,١	٧٢,٤	٩٤,٥	١١٠,٤	١١٢,٤	١٢٣,٧	١٣٦,٧





وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

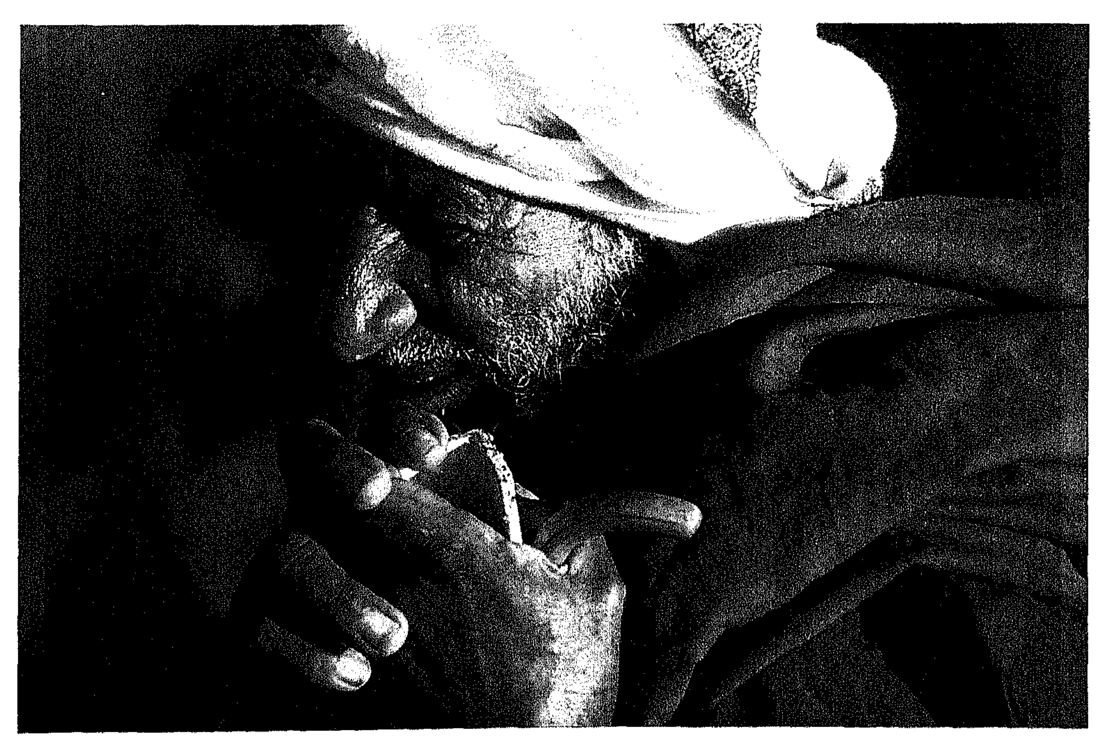
الاقليمية والدوليـة المعنيـة. ان القيام بذلـك واجـب على كـل موطـن لضمان حمـاية مـواردنا الطبيعيـة والمحافظـة على الصحـة العامـة من الآثـار الضارة وحماية الطبيعة الجميلة والجذابـة التي خص الله بها عمان الحبيبة.

ويمكـن استشفاف الالتـزامات العمـانيـة تجاه هـذه المسائل البيئية من خلال سياسة الحكومة التي تستلزم، على سبيل المثال اصدار «شهـادة عدم التعارض البيئي» بالنسبة لجميـع المشاريع الخاصة والحكوميـة خاضعة للوائح التخطيط. والغـرض من اصدار هذه الشهـادة هو منع الآثار السلبية للتنمية.

وتلخيصاً لسياسة الحكومـة في هذا الخصوص نص تقريـر عام ١٩٩٢م المقدم إلـى مؤتمر الأمـم المتحـدة للبيئة والتنمية على ما يلي: «هنـاك تكاليف بيئية مرتبطة بالصناعـة، يمكن دفعها إما فـي شكل قيمة مضافـة إلى السلع يمكـن التحكم فيها أو كتكلفة يتعـذر تقديرهـا في شكل الاعتـلال الصحي وعدم الـراحة وفقـدان المـوارد الناتـج عن التلوث والأضـرار بالبيئـة المرتبط بـالتنمية الصناعية غيـر الخاضعة للسيطرة. وقد اختـارت حكومة عمان القيمة المضـافة وهو قرار أعتقد أنـه نافـع للدولـة على المدى الطويل». إنه مثـال يجب أن تحتذي به العديد من الدول الأخرى.

الشؤون الخارجية

تنفرد عمان عـن سائر دول المنطقة بتاريخ طويـل وحافل حيث لم يكـن النفوذ العماني قاصراً علـى المنطقة فحسب

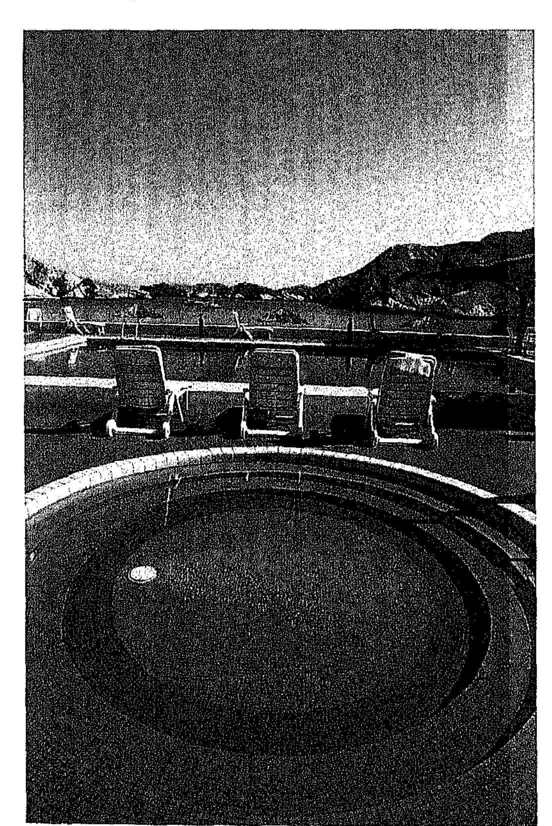


وزارة الاعلام

بل إمتـد إلى افـريقيا والشرق الأدنـى وذلك رغـم الغارات التـي كـانت تشنهـا بيـن الحيـن والآخـر قوى فـارسيـة وبـرتغاليـة. ولم تعـرف عمان فـي كـل مراحـل تاريخهـا الطـويل الخضـوع الاستعمـاري لقـوى أجنبية حـاكمـة، والاحتلال البرتغـالي للمدن الساحلية العمانيـة في القرن السادس عشر ما لبث أن تخلص منه العمانيون.

وانطـلاقاً مـن هذا الـواقع اكتسـب شعب عمـان روح الاعتزاز القومي وظل يدافع بجسارة عن سيادة الوطن ضد أي قـوى أجنبية تحـاول اخضاعـه. وشهـدت عمان فتـرة ركود خلال الفتـرة الأخيرة من القرن التاسـع عشر بسبب الصراعات الـداخلية ولكساد التجارة الدوليـة نظراً لظهور سفن البـواخر بديـلاً عن المـراكب الخشبية الشـراعية ... واستمـرت حالـة الركـود حتـى بعد اكتشـاف النفط بعـد النصف الثاني من عقد الستينات لهذا القرن.

وكان مجـيء جلالـة السلطان قابـوس بن سعيـد على رأس السلطة عام ١٩٧٠م، إيذانا بنهوض عمان من كبوتها وفاتحة لعهـد انفتاح خارجي ونهضـة شاملة. ومنذ تـولي جلالته مقـاليد الحكم، أرسى مبـادىء ثابتة في السيـاسة الخارجية ظلت المـوجهة لنهج البلاد الخارجي حتـى يومنا هذا ... وتتلخـص تلك المبادىء فـي اقامـة علاقة صـداقة وتعاون مـع جميع دول العـالم بغـض النظر عـن الأنظمة الاجتماعيـة والسياسيـة السائدة فيهـا تقوم علـى أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.



ولم تكن لعمان قبل عام ١٩٧٠م علاقـة تذكر مع العالم الخـارجي سـوى علاقـة ضعيفة مـع كـل من بـريطانيـا والولايـات المتحدة الأمريكية، ولهـذا قرر جلالـة السلطان قابـوس بن سعيد قيادة سيـاسة السلطنة الخارجيـة على هـدى تلك المبـادىء التـي أرساهـا حتـى تستعيد عمـان مكانتها بين الأسرة الدولية.

وحالـف النجاح سياسة جـلالته إذ صارت عمـان على علاقـة ودية مع جميع دول العـالم على اختـلاف أنظمتها السياسية ... وصـارت عضواً في هيئة الأمـم المتحدة وفي المنظمات الاقليميـة مثل جـامعة الـدول العربيـة ومنظمة المؤتمر الاسـلامي، وتعمل حكومـة جلالته بهمة مـن أجل ارساء أركان السلام في ربوع العالم.

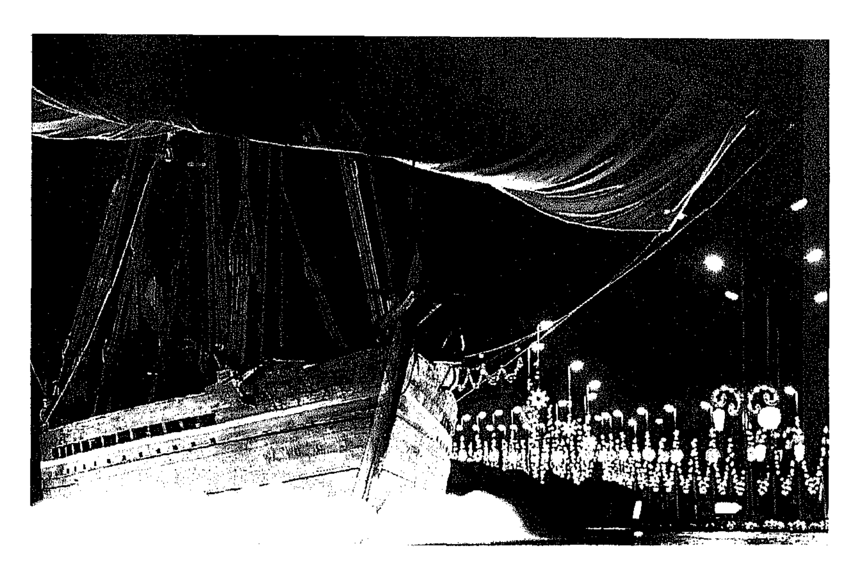
وقـد انضمت عمـان إلى جـامعـة الدول العـربية عـام ١٩٧١م ... وفي وقـت لاحق من نفـس العام انضمـت إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة ... ثم انضمت في عام ١٩٧٢م إلى عضـوية منظمـة المؤتمـر الاسلامـي وإلى عضـوية مجموعـة دول عدم الانحياز عام ١٩٧٣م ... وتـم انتخاب السلطنة عضواً في مجلس الأمـن الدولي عام ١٩٩٤م لمدة عامين اعترافـاً من المجتمع الدولي بمركـز عمان المرموق بين أمم العالم.

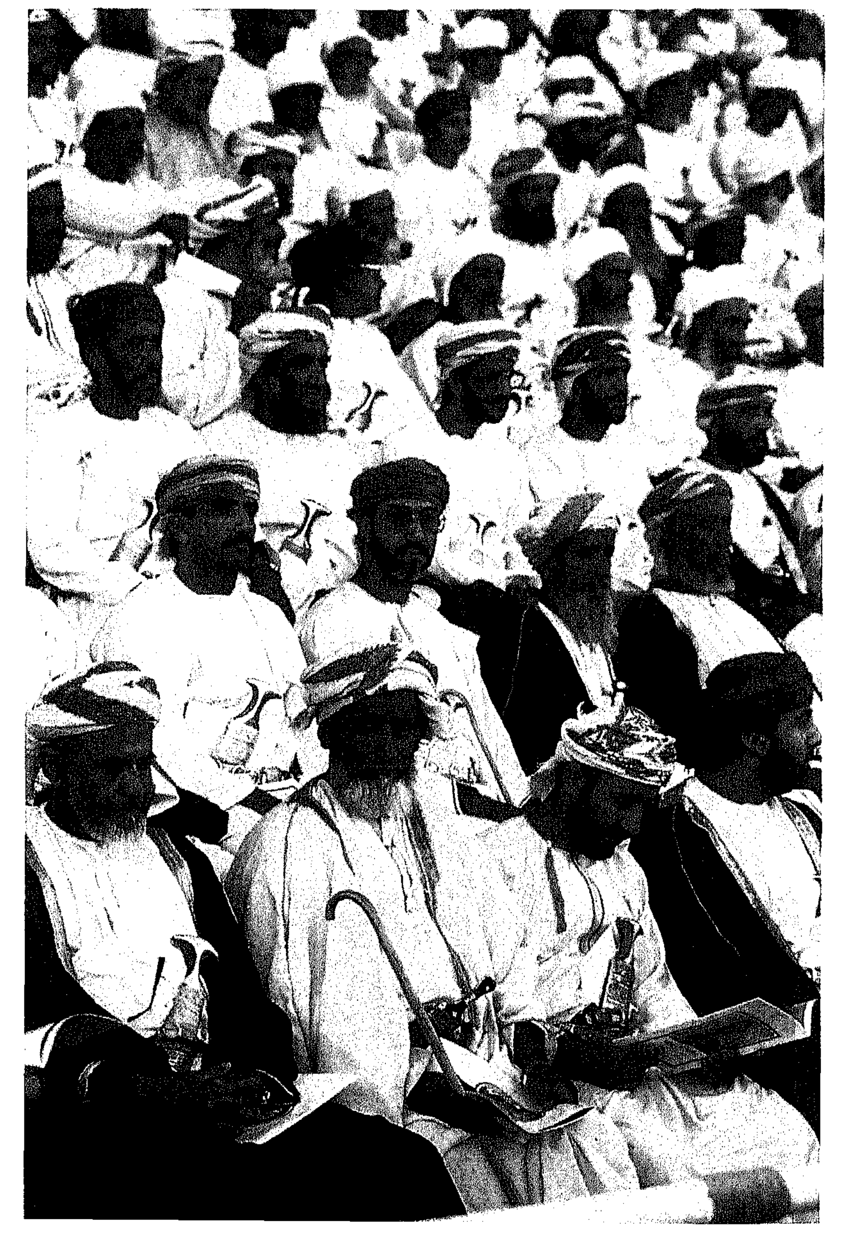
وكانت السلطنـة في ظل قيادة جلالة السلطـان قابوس بن سعيـد من الدول الرائدة فـي تأسيس مجلـس التعاون الخليجـي عـام ١٩٨١م وهـو المجلس الـذي يضـم فـي عضويتـه أيضاً دول البحريـن والامارات العربيـة المتحدة والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية.

يهدف المجلس إلى تنسيق التعاون بين الدول الأعضاء لخدمة مـواطنيهم ولتحسين مستوى معيشتهـم كما يعمل على المحافظـة على سيادة الدول الأعضـاء وتثبيت أسس السلام في المنطقة.

وقد أشاد العالم بجهود جلالة السلطان قابوس بن سعيد كوسيط أمين وعادل في العمـل من أجل ازالة التوتر بين دول المنطقـة واحلال روح التعاون واشاعـة السلام، وكداعية لازالـة التوتر بين جميع أمم العـالم عن طريق حل النزاعات بالحوار وبالوسائل السلمية.

وقد أثمـرت جهود جلالته فـي استعادة العلاقـات بين المملكة العـربية السعوديـة وايران ... وبين قـادة شطري





اليمن سـابقاً ... كمـا اتخذ جـلالته مـوقف الحيـاد خلال الحرب العـراقية / الايرانيـة مما ساعـد على احتواء اثـارها وحـال دون انتشار ذيـولهـا بيـن دول المنطقة ... وبـذل جـلالته الجهـود المكثفة لاقنـاع العراق بـالانسحاب مـن الكويت ... ولما لم يتحقق ذلـك اشتركت السلطنة مع قوات التحـالف الدولي من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

وقبل ذلـك سجلت القيادة العمانيـة بعد نظر عميـق في قراءة الأحداث حين كـانت الدولة العربية الـوحيدة التي لم تقطع علاقتها الدبلوماسية مـع مصر عندما ابرمت اتفاقية كامـب ديفيد للسـلام مع اسرائيـل عام ١٩٧٩م وبـاركت السلطنة الاتفاقية كخطوة من أجل اقرار السـلام العادل في المنطقة ... ولقـد أثبتت الأحداث الـلاحقة عمق تلـك النظرة ومـوضوعيتهـا وها نحـن نشهـد اليوم مسيـرة التسويـة السلمية في المنطقة بين الفلسطينيين واسرائيل.

وانتهج جلالته نفس السياسة من أجل تطوير العلاقات مع الدول الأوروبيـة ونتيجة لمبادرته، اجتمـع ممثلون عن الـدول العربيـة المصـدرة للنفط مـع نظـرائهم مـن دول المجمـوعة الأوروبيـة وكـان ذلـك أول اجتماع يعقـد بيـن الجانبين فـي العاصمة ـ مسقط ــ عام ١٩٩٠م ... وحقق المؤتمر تفاهماً بين الطرفين من أجل التوصل إلى اتفاقيات بشأن التعرفة الجمركية والاتجـاه نحو حل الخلاف المعلق بين السعودية والمانيا بخصوص الصناعة البتروكيماوية.

وأبرز جـلالة السلطان قـابوس بـن سعيد في خطـابه لشعبه بمناسبة ذكرى العيد الوطنـي الرابع والعشرين عام ١٩٩٤م، الأخطار المدمـرة للنشاط الذي يتخذ مـن العنف وسيلة والـذي يستغل المشـاعر الـدينية لتحقيـق أغراض سياسية ... ودعـا في نفس الخطاب إلى ضـرورة التوصل إلى مصـالحة وتفـاهم مـع المجموعـات المتناحـرة داخل الوطن الواحد.

عمان اليـوم غيرهـا بالأمـس فقد تبـدل وجههـا الشـاحـب ونفضـت عنهـا غبـار العزلـة والجمود، وانطلقت تفتح أبـوابها ونوافذهـا للنور الجديد تعلن للعـالم عن اتصـال مباشـر تتفاعل مع تطـوره وتتأثر بمجرياته.

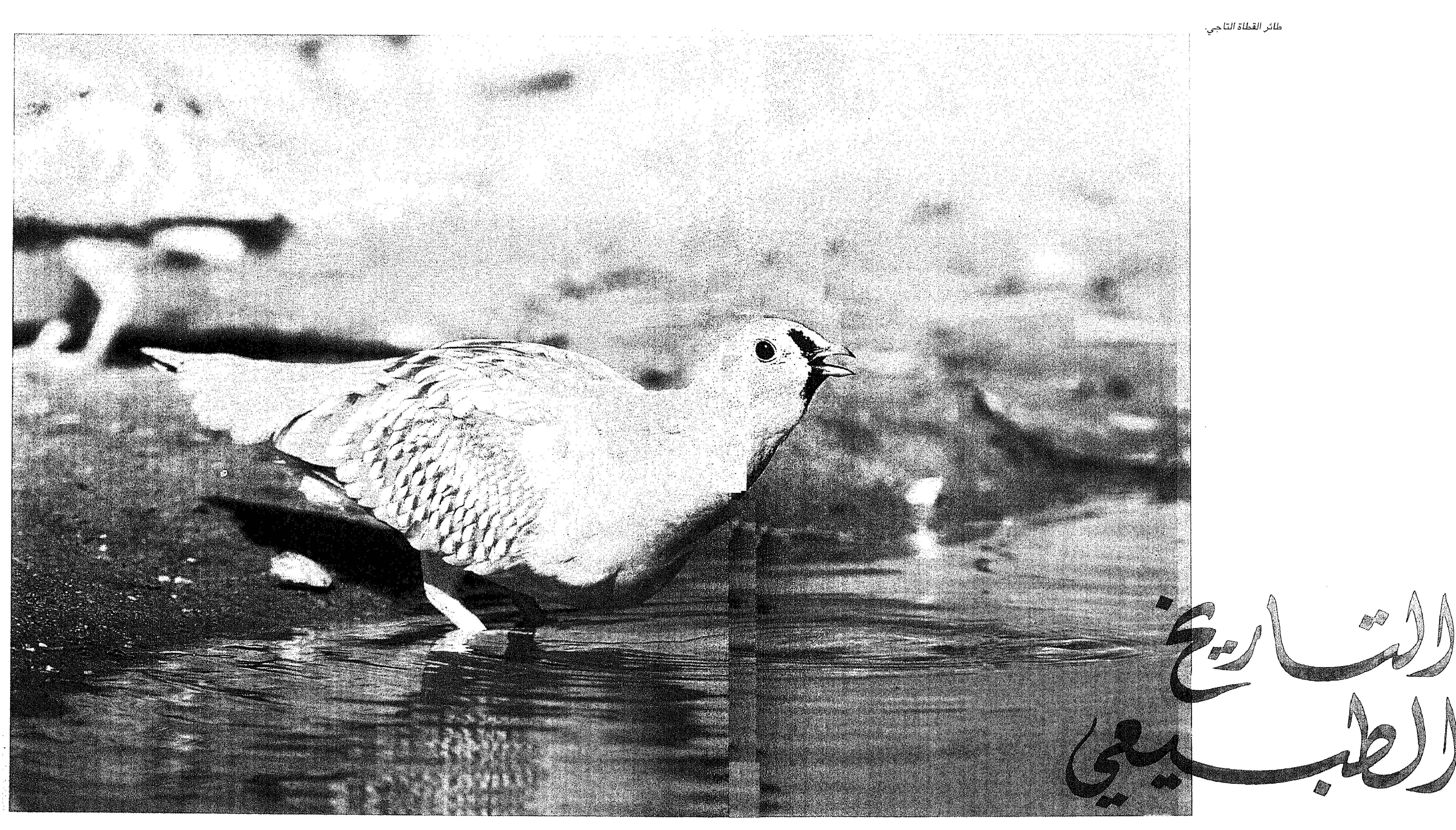
[جلالة السلطان قابوس بن سعيد].



جلالة السلطان قابوس بن سعيد

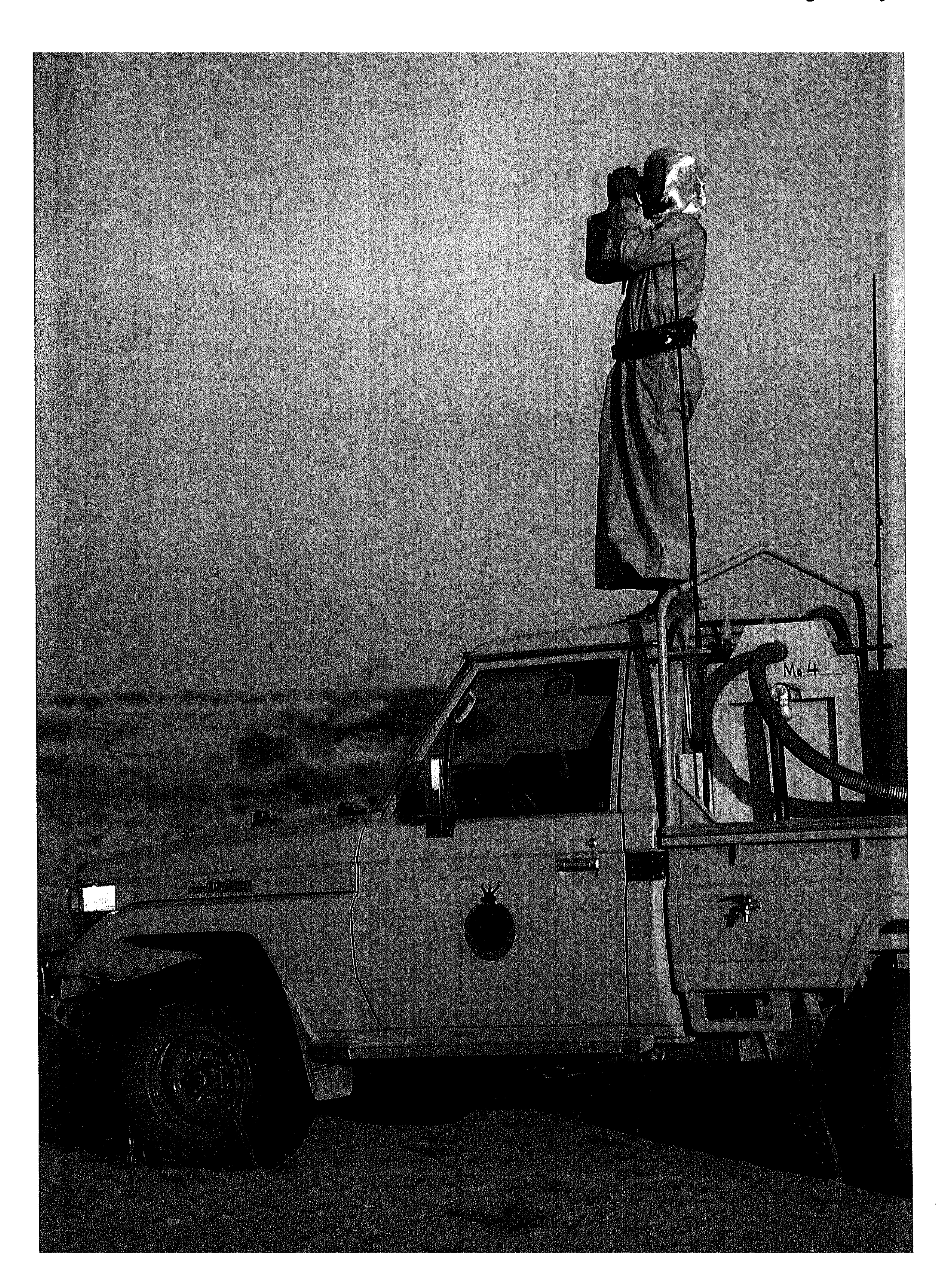
تـراث عمـان

التاريخ الطبيعي



طائر القطاة التاجي.

هان وجينز إريكسين



انطباعات شخصية

جدة الحراسيس

لمحت الغـزلان سيارتنا من علـى مسافة كيلو متـر واحد تقريبـاً قبل أن يستشف بصـر قصيري النظر مـلامحها الجميلة، ولكن ليـس قبل أن يلحظ المشرف الحـاد النظر محمود وجـودهم في سكون. ولكنـه لم يحد عـن مساره المختار عبر الصحراء الصخرية ومررنا بمحض الصدفة علـى مسافة ٥٠ متراً بـالقطيـع الذي إستمـر لدهشتـي يمضغ بصوت طاحن ويرعـى فوق طبقة الأعشاب الرقيقة التي تفرش هـذه الأرض الجرداء. ولم يظهر علـى محمود ما يدل علـى اندهاشه أو اهتمـامه بوجودهـا ولم يلفظ أي كلمة إثارة أو تعجب أو سرور لمشاهدة هذا القطيع الكبير مـن الغزلان المهـددة بخطر الانقـراض تعيـش في مـرح وسعـادة في هـذه المنطقة البـرية النـائية مـن الجزيـرة العربيـة. ولم أستطع أن أرفـع عيني عنها أو أقـاوم إغراء الايمـاء أو الصياح بـأعلى صـوتـي دون داع ... ها هـي الغزلان!.

وواصـل محمود قيـادة السيـارة وهو لا يستطيـع أن يخفي ابتسامته السـاخرة.

وبعد فترة قصيـرة من الوقت ونحن مـا زلنا منطلقين بالسيارة في جدة الحراسيس التـي تبدو وكأنها تمتد بلا نهاية تحت قبة السماء الزرقاء التي تزخرفها قطع متفرقة من السحب الشبيهة بندف القطن أشار البدوي ذو القامة المستقيمة إلـى الأرض المنبسطة أمامنـا وقال هـل ترى؟ نظرت أمامـي وركزت بصري محاولا رؤية مـا يشير إليه غير أن كـل ما استطعـت أن أراه هو أكـوام من الحجـارة والـرمـل وبعـض الجنبات والشجيـرات المنتشـرة هنـا وهناك. هززت كتفي وقلت له لا أرى شيئاً. لكنه أشار مرة أخرى وقال هناك في هذا المكـان !!. ثم فسر لي ما يقصد وهنـا فقط أدركـت مـا كان يجـب علـي أن أراه في المـرة الأولى وأمعنت النظر في الاتجاه الذي أشار إليه لكن دون جدوى. وأخيراً وبعد أن تقدمنا بـالسيارة شاهدت دجاجة حباري جميلـة تنهض علـى ساقيهـا الطويلتيـن وتجري مبتعدة عنا. وهنـا صرخت دون داع «.. آه ... إنها دجـاجة حباري!!».

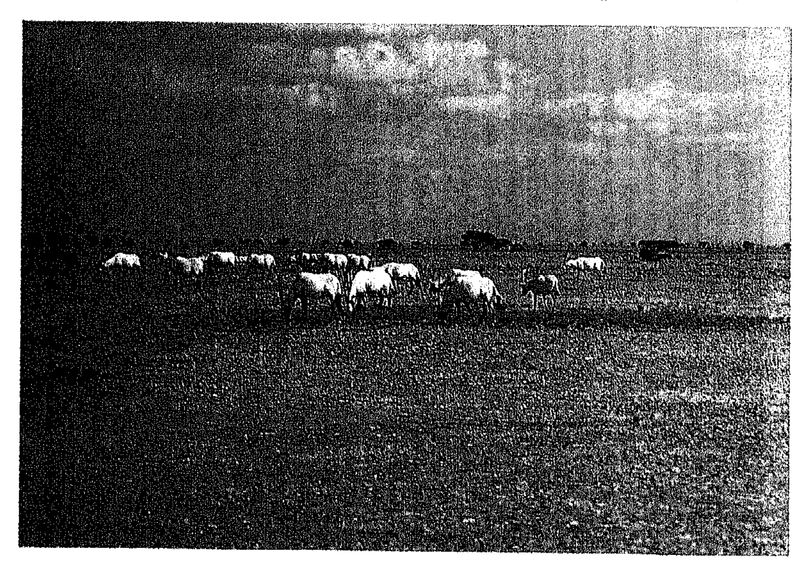
وبعد أن تركنا الدجاجـة الحباري ببضع دقائق سمعنا صوت جهاز الـلاسلكي «يعلوني إثنين ... يعلـوني إثنين» .. مد محمـود يده إلـى ميكروفـون الجهاز وأجـاب النداء «يعلـوني إثنيـن ... يعلونـي إثنيـن» وشرعـا في تجـاذب أطراف الحديث بســرعة حول موقعنا وعن طـرائدنا. وكان حديثـه مجرد دردشة عـادية روتينية لا تخـدم أي غرض بعينه. ولم يتطرق الشك إليّ مطلقـاً في أن مرشدي يعرف تماماً أين نحن متجهون بالرغم من عدم وجود أي طرقات أو لافتـات أو أي علامـات مسـاعـدة أخرى. صحيـح ان السيارة كان بهـا بوصلة، لكنني لم أر محمـود ينظر إليها ولو مرة واحدة. لقد قطعنا حتـى الآن مسافة ٢٥ كيلومترا من قاعدة المعسكر في يعلوني.

وشـاهـدت بـالاضـافـة إلـى قطيـع الغـزلان الأول، قطعاناًأخرى غيـرها لم أستطع تذكر أعـدادها على إنفراد حين حـاولت إحصاءها وهـي تسرح وتمرح أمـام أعيننا. وكانت أحيـاناً تنطلق عبر الصحراء فتبدو وكـأنها تجري وتطير في آن واحد. لكنها كانـت تتوقف في أحيان أخرى لمراقبتنا. وفي الظـروف العادية فإني ربما كنـت سأطلب التوقف لتأمل هذه الغـزلان الجميلة وربما كنت سأحاول أن ألتقـط بعض الصـور لها، ولكـن ذلك لـم يكن ضمـن مخطط محمود لهذه الرحلة.

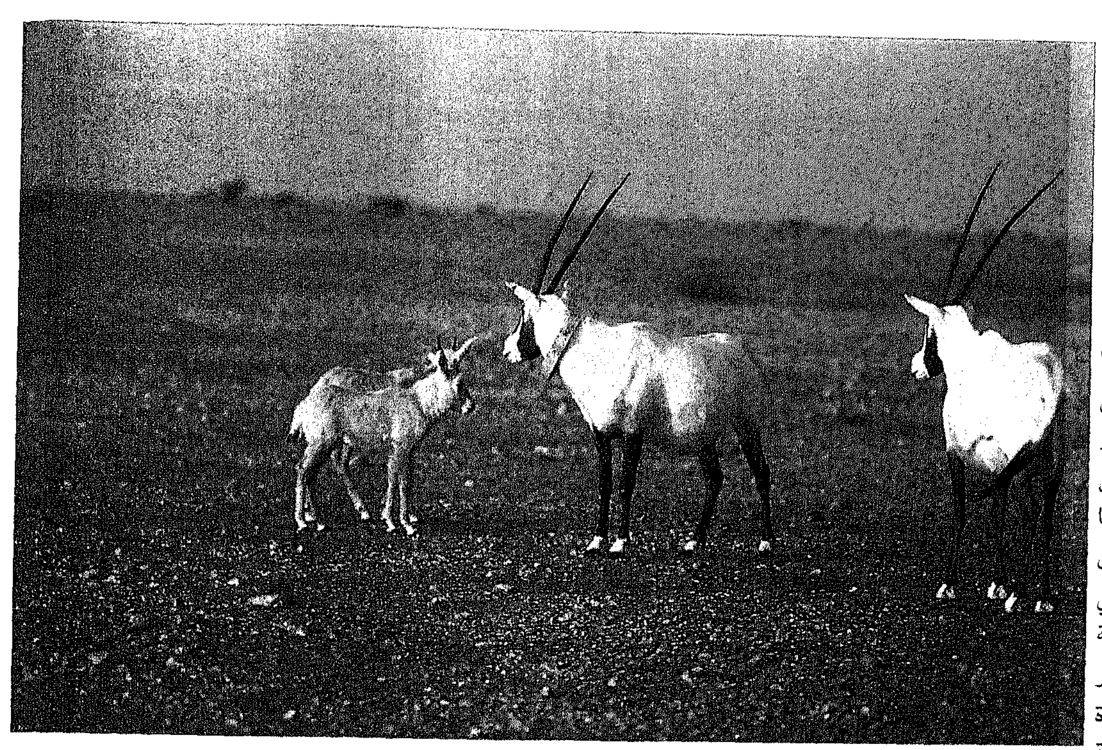
وفجأة تغير مسـارنا بزاوية قدرهـا ١٥ درجة واتجهنا كالنحلة نحـو الأفق المتوهج وسألني محمـود مرة أخرى هل تـرى ذلك؟. ولـم يكن بـامكانـي رؤية أي شـيء غير عادي بـالرغم مـن أن مجال الرؤية أمـامنا كان لا يعـوقه عائق لمسافة ستة كيلومترات أو أكثر.

إن الوصـول إلى «خط الأفـق» يستغرق حوالـي سبع دقائق عنـدما نسير بالسيـارة بسرعة ٤٠ كيلومتـرا ومع ذلك وبعـد مضـي دقيقتين وجدتنـي غير قادر علـى رؤية الطـريدة. وأخيـراً أدركت أن البقـع البيضـاء المعلقة فـي الأفـق في غيـوم السراب لـم تكـن سوى أبقـار الماريـة (المها) العـربية. وفي هذه المـرة كتمت صوتي وقـاومت

مشروع جدة الحراسيس للمحافظة على الحياة البرية يتولاه موظفون محليون يتم استغلال مهاراتهم التقليدية بصورة مفيدة للمحافظة على أبقار المارية (المها) العربية والغزلان ووعل الجبل وغيرها من الحيوانات البرية.



قطيع من أبقار المارية (المها) العربية البرية يرعى في رقعة خضراء في جدة الحراسيس.



تحتفظ أبقار المارية (المها) بعجولها قريبة منها بهدف حمايتها من المقتنصين.

إغـراءات إبـلاغ السـائق بمـا كان يعرفه منـذ دقيقتين على الأقل. ولـم تخيب أملـي أبقار المارية (المها) العـربية التي أحضـرنـي محمـود هنـا لمشـاهـدتهـا، فبعـد أن شاهدتها وهـي في الأسر في الأردن وفي المملكـة العربيـة السعوديـة والبحريـن وقطر والامـارات العربيـة المتحـدة كان وقع رؤيتي لهـا في حالة جيدة في المحميـات البرية مرضياً للغـاية. ولا يمكن لأي قدر من التقارير العلميـة أو الأفلام التسجيلية أن تعوض عن متعـة رؤية هـذه الحيوانـات على الطبيعـة. وأوقفنا السيارة على مسـافة ٥٠ متراً من قطيع المـارية المكون من ١٦ بقـرة وشاهـدناهـم بهدوء عبـر عدسـات النظارة المكبـرة. وكـان القطيـع يضم عجليـن حـديثـي الـولادة وإثنتي عشرة بقـرة وثورين أحدهما صغيـر والأخر كبير يهيمن على القطيع.

وفـي أثناء مشـاهـدتنا للقطيـع شـردت بقـرة مـع عجلها الصغير بعيداً عن القطيع وهنا أحـاط بهـا الثـور وأعادها بهدوء إلى بقية القطيـع. إن مثل هذا السلوك غير مـوجود بيـن الغـزلان أو الثدييـات الأخـرى وهو الـذي يسـاعد أبقـار الماريـة علـى البقاء فـي البيئات التـي لا تستيطع الحيوانات الأخرى أن تعيش فيها.

بدأ محمود يشير إلى حيوانـات القطيع كل على إنفراد، وكـان الثور الضخـم يقـف مع ثـلاث أبقـار عند إحـدى أشجار الأكاسيـا (السمر) وهو يقول: هـؤلاء هم «خليفة وكتيبـه وحبيبة» ثـم أضـاف لقد ولـد الثـور خليفة فـي الأردن في شهر يناير عـام ١٩٨٣م وتم نقله، مثل حبيبه التـي ولدت فـي شهـر أبريـل عـام ١٩٨٢م بـالولايـات المتحدة الأمـريكية، إلى عمـان كجزء مـن برنامـج إعادة توطين سلالات أبقار المارية. أمـا كتيبة فهي بقرة عمانية الأصل ولدت في عام ١٩٨٣م فـي المستوطنة المسورة الخاصة بأبقار المارية. وعلـى مسافة قصيرة منها وقفت إثنتان من أحـدث الولادات التي إضيفت إلـى هذا القطيع وهما صبحة وسميرة اللتان لم تبلغـا من العمر بعد شهراً واحداً، وقد وُلدتـا في المستوطنة البرية. وكـان تعداد هذا النوع من الأبقار وقت زيـارتي لعمان في ديسمبر ١٩٩٢ يبلـغ ١٣١ بقـرة تعيش فـي المحميـة البـرية فـي جـدة الحـراسيس، وتتـألـف من ٦٣ بقـرة و٦٥ ثـوراً وثلاثـة عجول صغيـرة السن بـدرجة لا يمكن معهـا بعد تحـديد جنسها بصـورة مؤكـدة من خـلال مراقبتهـا بعدسـات النظارة المكبـرة. إن الاحصاءات الخاصة بهـذا المشروع تثيـر الاعجـاب حقاً فقـد ولـدت ١٦٥ مـارية فـي جـدة الحراسيس منـذ عام ١٩٨٠ لا تزال ١١٣ بقرة منهـاعلى قيد الحياة.

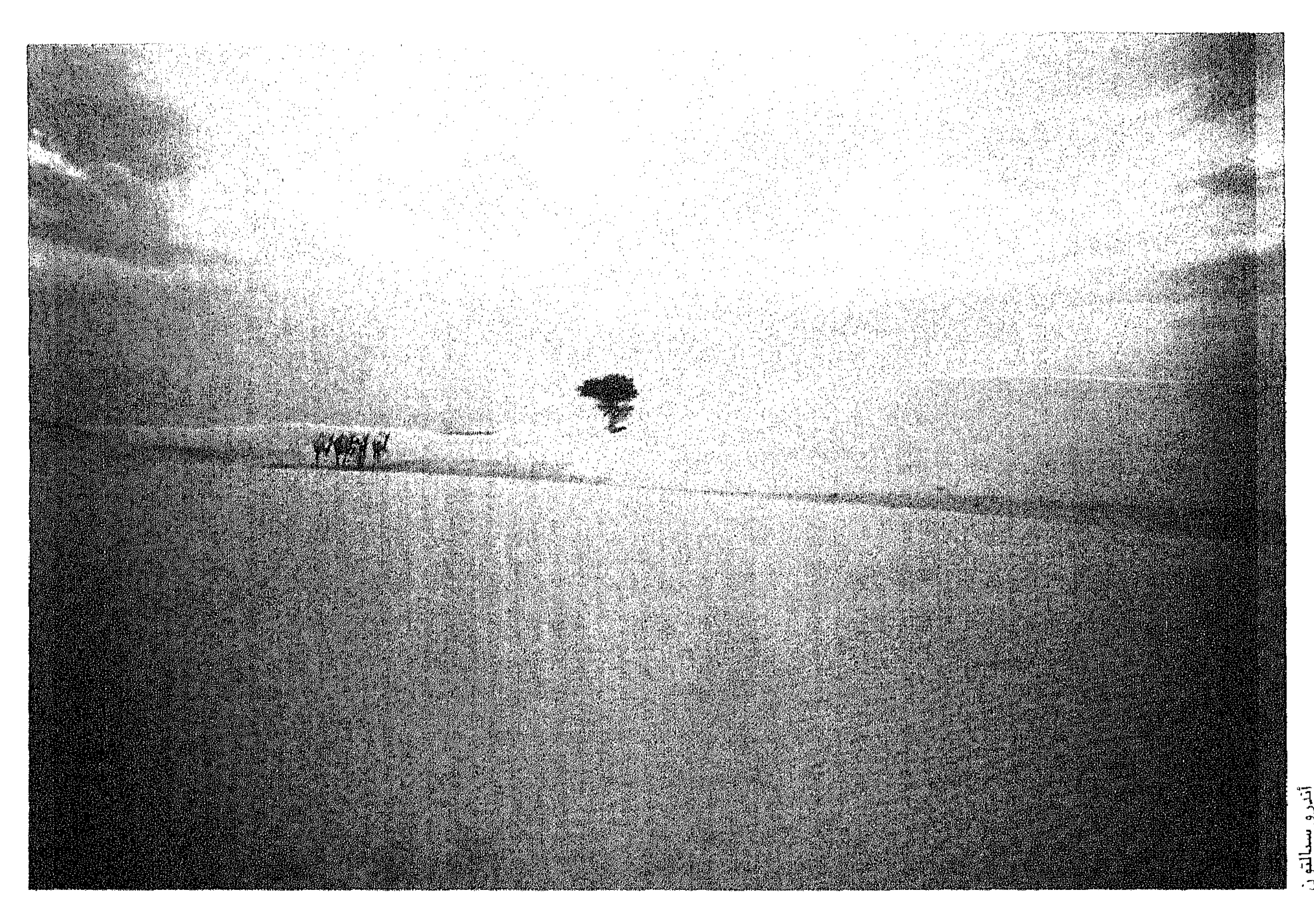
وفي خـلال نفس الفتـرة تم جلـب ٤١ بقرة إلـى جدة الحـراسيس منها ٢٩ بقرة من الـولايات المتحدة الأمريكية وخمسة من الأردن وسبعة من مركز الاستيلاد في الأسر في عمـان. غير أن الاحصاءات وحـدهـا لا تعبر عـن مدى النجاح الحقيقي الـذي حققه مشروع إعادة تـوطين أبقار المارية البيضاء لأنه أكثر من مجـرد برنامج لاعادة أبقار المارية إلى موطنها في المناطق البرية.

وبالرغم من أن هذا التحدي كان في الأصل السبب وراء استهـلال هـذا البـرنـامـج ولا زال يشكـل البـؤرة الرئيسية له فإن المشرفين على إدارة المشروع لا يزالون مهتمين برعـاية أهل جدة الحـراسيس تماماً كمـا يعتنون بأبقار المارية (وفي الواقـع فإن الاسم الرسمي للمشروع هو «مشروع تنمية جدة الحراسيس ـ المرحلة ب»).



أندرو سيالتون

يشتهر لوتي، أحد أفراد أهالي جدة الحراسيس، الذي يعمل مشرفاً بالمشروع بمهارته في اقتفاء آثار الحيوانات.



أندرو سبالتون

إلتقط أندرو سبالتون أخصائي بيولوجيا الحياة البرية هذه الصورة أثناء قيامه برحلة على ظهر الجمل مع بعض أهالي جدة الحراسيس.

إن الهدفين الرئيسيين للمشروع يتداخلان مع بعضهما بصورة أكبر مما يتخيل المرء لأن المهارات الفريدة لأهل جدة الحراسيس ومعرفتهم بالتقاليد الصحراوية وشعورهم العميق تجاه المحافظة على الحياة البرية هو الذي يضمن نجاح المشروع.

ويواجه أهل جدة الحراسيس، مثلهم مثل المارية (المها) العربية عواقب التحديث الذي لا مفر منه والذي يهدد بتدمير الطبيعة التي تؤازر تواجدهم الطويل في جدة الحراسيس. إنهم يفخرون كما تفخر قبائل البدو الأخرى في عمان، بأجدادهم ويحافظون على القيم التقليدية لقبيلتهم وعلى عاداتهم العريقة. ويرتبط عشقهم للمنطقة الحجرية الواسعة لجدة الحراسيس بالجمال الطبيعي الرائع للمنطقة وبحقيقة أن الله قد أنعم عليهم بالضباب الرطب الذي يأتي من البحر ويوفر لهم الرطوبة حتى إذا لم تسقط الأمطار.

وتعتمد النباتات والحيوانات الموجودة في جدة الحراسيس على الضباب البحري الموجود في هذه الهضبة المرتفعة، وقد تمكّن أهالي جدة الحراسيس من تربية الجمال والماعز خلال فترات القحط الطويلة التي قد لاتسقط فيها الأمطار فوق معظم إن لم يكن كل جدة الحراسيس التي تبلغ مساحتها ٢٥٠٠٠٠ كيلومتراً مربعاً تقريباً.

وقد إعتمد أهالي جدة الحراسيس منذ قرون طويلة على الجمال في التنقل، غير أن لدى العديد منهم الآن سيارات مدفوعة بالعجلات الأربع. ومع استخدام هذه الآلات نشأت الحاجة إلى البترول وظهرت حول جراج شل الموجود في هيماء على الطريق الرئيسي بين مسقط وصلالة مدينة جديدة تماماً.

وتضم هذه المدينة بالاضافة إلى المركز الاداري لمدينة هيماء، مدرسة جديدة ومسجداً جديداً ومتجراً (سوبر ماركت) حديثاً ومصرفاً ومجموعة من مراكز الخدمة الصغيرة ومجموعة من المساكن الاجتماعية. وبينما يرحب أهالي جدة الحراسيس بالجهود المبذولة

أندرو سبالتون

للحياة في الصحراء ايقاع لطيف يحكمه شروق الشمس وغروبها وحلول مواعيد الصلاة وأوقات تناول القهوة العربية والتمر.


أندرو سبالتون

«لـرفع» مستـواهم المعيشـي فـإنهم قلقـون من جـراء العواقـب الاجتماعيـة والاقتصادية لمثـل هذا التحـديث السريع.

لقد كان محمود في هذه المرحلـة يواجه بالفعل بعض الصعوبات العملية المرتبطة بهـذا التغيرات. فقد كان إبنه مقيداً بالمـدرسة الداخلية في هيماء بينمـا إلتحقت إبنتاه مؤخـراً بمدرسة البنات المحليـة التي لا يوجد فيهـا قسم داخلي. وقد خلـق ذلك مشكلة له فهو لا يستطيـع بالطبع أن ينقـل قطيع المـاعـز الخاص بـه مـن منطقـة الرعـي التقليدية في قلب جدة الحراسيس حيث يعيش عادة. لكنه إضطر إلـى توفير مسكـن لأبنتيه بـالقرب من المـدرسة. ورغبة منه في حل المشكلة اضطـر إلى تجزئة إسرته إلى قسمين الأول يـرعى الماعز بـالقرب من يعلونـي والآخر يقيم فـي خيمة نصبهـا في الصحـراء على مسـافة ميـل واحد تقريباً من هيماء.

وهـو يعانـي بالفعـل من بعـض المشاكـل، لأنه مـن الصعب عليه أن يلبـي متطلبات تـأسيس منـزلين له أو أن يضمن سلامـة وأمن إسرته المجزأة. ومـع ترعرع أولاده وهم يتمتعون بمـزايا التعليم الحديث فإن فـرصة رغبتهم في العودة إلى بيئتهم الصحراوية التقليدية تكاد أن تكون معدومة. ومن المتوقع أن يواجه محمود خياراً صعباً بين أن يتنازل عن حبه للصحراء أو يخـاطر بتجـزئة أسرتـه بدرجة أكبر. لكـن لعل بعض الضوء قد بدأ يلوح في نهاية النفـق المعتم. فمثلمـا كـان الانسـان مسؤولاً عـن دفـع أبقار المارية (المها)العربية إلى الانقـراض وعن انقـاذها في النهاية، فـربما تقدم هذه الأبقـار الحل لانقـاذ أهـالـي جدة الحـراسيس وتهيئتهـم لـلاقامـة هناك. فمـع تزايـد أعـداد المـاريـة وجـذبهـا للاهتمام المتزايد سواء على النطـاق المحلي أو الـدولـي سيصبح من الأهميـة بمكان أن يـواصـل أهـالـي جـدة الحـراسيس رعـايتهـم الخـاصة بـالبيئة الطبيعـة.

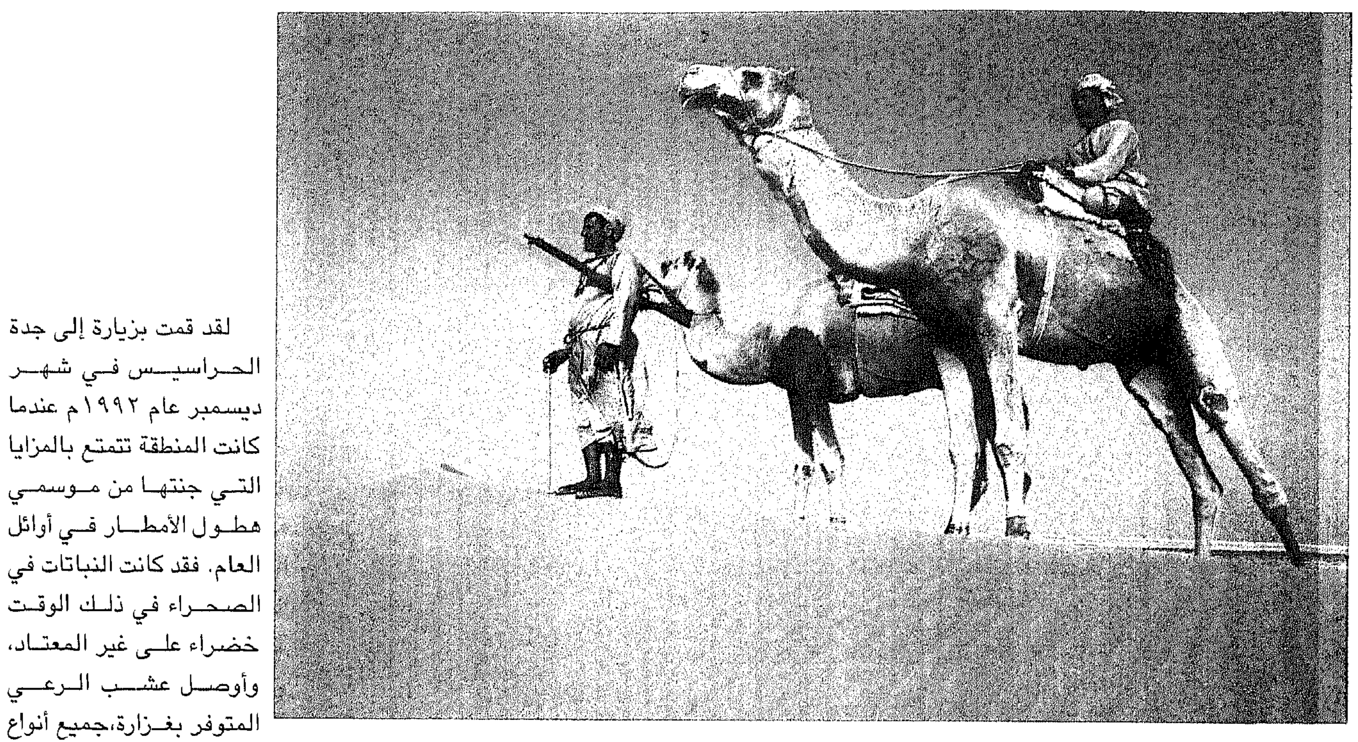
وهم بحمـاية أبقار المـارية يضمنـون أن حياتهم البـرية مأمـونة من أن يفتـرسها الانسـان. لقد أصبحت منـاطق المحميات الطبيعية البـرية التي تخضع لاشـرافهم والتي تغطي مساحة قدرها ١٥٠٠٠٠ كيلـومتراً مربعاً من جدة الحراسيس تعـج بالغزلان وتوفر المأوى لأكبـر مجموعة في العـالم مـن حيوانات الـوعل (تيـوس الجبل) النـوبية بالاضـافة إلى مجمـوعة من الحيـوانات والطيور البـرية الأخـرى مثل الـوشق (مـن فصيلة السنـانير) والصقـر الذهبي وثعلب الصحراء.

إن مشاريع تـوفير البيئة الطبيعية هذه تحظـى بأهمية

يتعرض أطفال أهالي جدة الحراسيس للتأثيرات المتناقضة لدورة حياتهم التقليدية من جهة ومزايا التطور العصري التي تجذبهم نحو مجتمعات مدنية من جهة أخرى.

أمرأتان من أهالي جدة الحراسيس مع طفل.


أندرو سبالتون



أندرو سبالتون

المشرفون الحراسيس يتنقلون بالجمال وبالسيارات الحديثة المدفوعة بالعجلات الأربع أيضا.

لقد قمت بزيارة إلى جدة الحراسيس في شهر ديسمبر عام ١٩٩٢م عندما كانت المنطقة تتمتع بالمزايا التي جنتها من موسمي هطول الأمطار في أوائل العام. فقد كانت النباتات في الصحراء في ذلك الوقت خضراء على غير المعتاد، وأوصل عشب الرعي المتوفر بغزارة،جميع أنواع الاحياء البرية إلى أفضل حالاتها . وتحسساً منها لهذه الوفرة الطبيعية تزاوجت أبقار المارية بعد سقوط الأمطار ووضعت العديدمنها بالفعل صغارها أو أصبحت على وشك الولادة.

وكانت القصة مختلفة تماماً منذ عام واحد فقط حين استطاعت أبقار المارية (المها العربية) بالكاد أن تنجو بحياتها من عواقب فترة القحط الطويلة، فقد كان العشب نادراً لدرجة لم تستطع معها الأمهات سوى الحصول على الغذاء الذي يكفيها للبقاء هي نفسهاعلى قيد الحياة، وماتت عجولها نتيجة لعدم توفر اللبن. وهي قصة تكررت في أنحاء المنطقة، وأثرت ليس على أبقار المارية فحسب بل على أنواع الثدييات الضخمة الأخرى مثل الغزلان والوعول.

وبعد انقضاء عام واحد تمتع من استطاع النجاة منها بالمزايا التي جلبها هطول الأمطار الأخيرة وأصبح من بين أصح سلالات أبقار المارية العربية والغزلان و الوعول الموجودة في أي مكان آخر في العالم.

أن أهالي جدة الحراسيس يتمتعون بشهرة كبيرة كمشرفين ممتازين على الحياة البرية، وتتعرض مهاراتهم للاختبار كل يوم لأن عليهم أن يقتفوا تحركات المارية البرية في منطقة شاسعة في حجم منطقة إيست أنجليا بالمملكة المتحدة على الأقل.

وتتمتع أبقار المارية (المها) العربية هذه، على عكس تلك الموجودة في المحميات الطبيعية المسورة، بحرية الحركة الكاملة وتستطيع الذهاب أينما ترغب فلا توجد أية أسوار أو قيود على تحركاتها.

وفي النهاية فإن الأمل معقود على أن تغزو أبقار المارية (المها العربية) من جديد منطقة رملة الوهيبة في الشمال. لكنها كما يبدو راضية في الوقت الحالي عن خاصة وتستحق العناء المبذول من أجلها حتى إذا لم تتح لقطاعات واسعة من الناس فرصة مشاهدة الحياة البرية في المنطقة. وبرغم ذلك وبالأخذ في الاعتبار الضغوط العالمية للمحافظة على المناطق البرية وانتشار الاهتمام بأبقار المارية (المها) العربية فإنه من غير الممكن على ما يبدو مواصلة مقاومة الضغوط التي تطلب فتح المنطقة أمام الزوار.وتخطط إحدى شركات السياحة العمانية بالفعل لجلب السياح المهتمين بالطبيعة لمشاهدة أبقار المارية وغيرها من الحيوانات والطيور البرية. ومن المحتمل أن ينمو هذا الاتجاه ويوفر قوة دافعة جديدة لتعزيز الجهود المبذولة في المستقبل للمحافظة على الطبيعة. وربما قد يتم تأمين مستقبل محمود وإسرته من خلال مشروع المحافظة على أبقار المارية البيضاء (المها العربية) والذي قد يدر على أهل جدة الحراسيس ثمار جهودهم.

تتوفر الغزلان بكثرة في عمان وذلك بفضل إتباع سياسة المحافظة على الحياة البرية في أنحاء البلاد.



أندرو سبالتون



أندرو سبالتون

الحراسيس يعبرون سبخة منخفض الحقف خلال شهر مايو.

وجودها في محميتها المفتوحة في منطقة جدة الحراسيس وهي المنطقة التي تم اختيارها على نحو جيد لاعادة توطين هذه الأبقار في المناطق البرية. وفي كل يوم يخرج المشرفون من أهالي جدة الحراسيس من قاعدة المشروع في يعلوني لتتبع أبقار المارية ومراقبة أحوالها.

وهم يخرجون في مجموعات تتكون كل منها من رجلين يمضيان ثلاثة أيام في الصحراء قبل أن يعودا إلى قواعدهما في مركز المشروع لرفع التقارير عن اكتشافاتهم. وبهذه الطريقة يقوم المشرفون على أبقار المارية بحراسة ودائعهم الثمينة دون أن يستعينوا بأجهزة النداء اللاسلكية أو أنظمة الاقتفاء التي تعمل عن طريق القمر الصناعي أو أية أجهزة مراقبة أخرى.

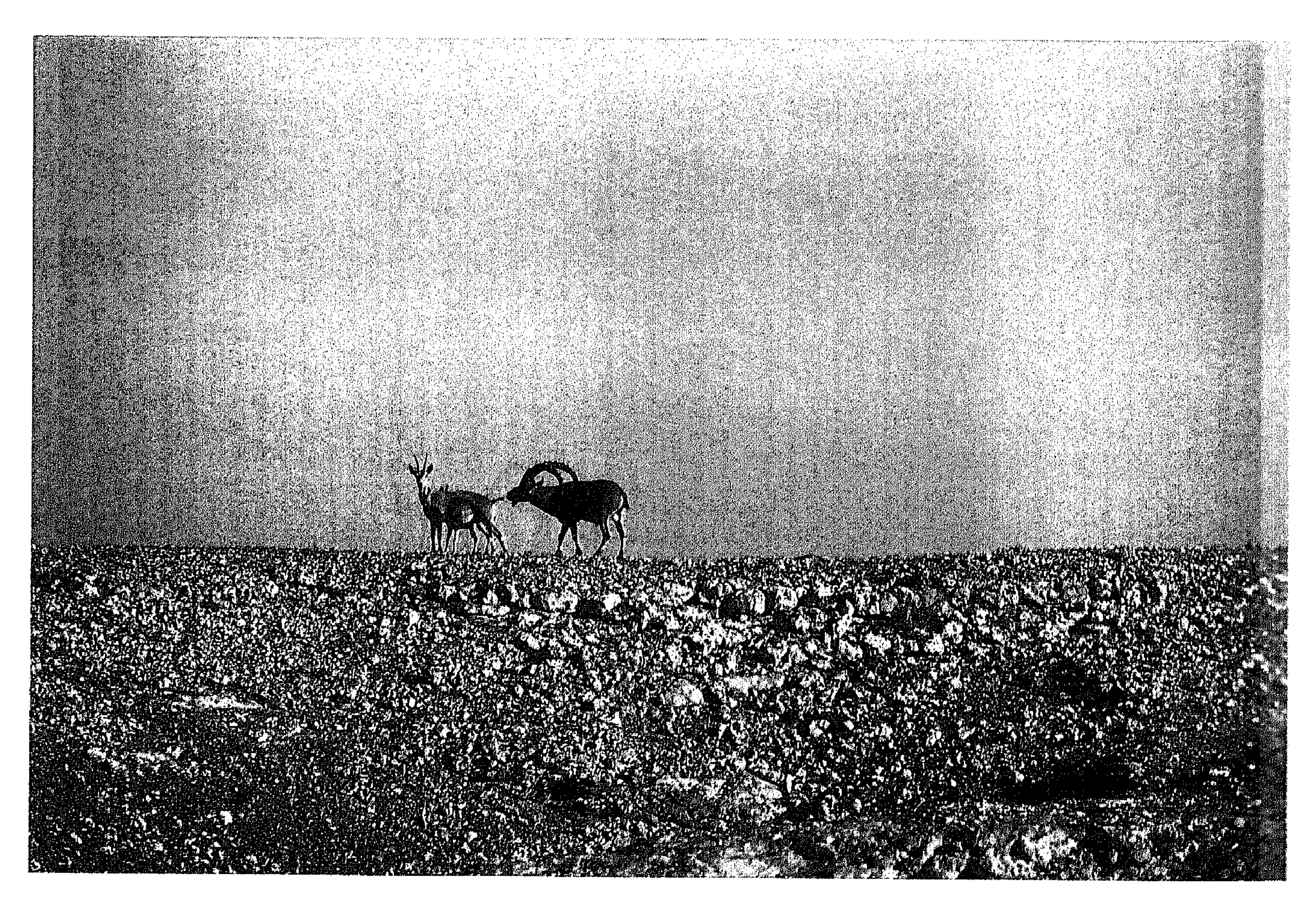
ويقوم أحد أهالي جدة الحراسيس بمهمة مختلفة تماماً، فهو يعمل بمفرده في بقعة من أجمل المناطق الصحراوية المثيرة في كل أنحاء الجزيرة العربية ويقوم بمتابعة حيوانات الوعل النوبية التي تتميز بالجبن والمراوغة. وقد حقق لوتي لنفسه شهرة فريدة كمشرف على الحيوانات البرية ويستطيع معرفة مغزى أتفه الاشارات التي يخلفها حيوان الوعل النادر الذي يعيش على حافة جرف الحقف.

وبعد أن سمعت عن مهاراته كخبير في اقتفاء هذه الحيوانات تحمست لمقابلته ومشاهدته وهو يؤدي مهام عمله. وصحبني روري جونس مدير موقع مشروع توطين أبقار المارية البيضاء في يعلوني لمقابلة لوتي في معسكره بالصحراء.

ووجدناه يعد القهوة فوق نار مكشوفة بالقرب من غيضة شجيرات صغيرة على مسافة ١٥ كيلومتراً من يعلوني. وبعد مقاسمته التمر والقهوة توجهنا معه في اتجاه الحقف بسيارة كان يقودها بنفسه.

إنه رجل يبلغ من العمر ٤٠ عاماً، دمث الخلق وواثق من نفسه، متواضع ورقيق الصوت، ولديه ذخيرة خفيةمن الصبر والجلد. وطلب منه روري أن يريني الوعل (تيس الجبل).

لوتي المشرف على الحيوانات البرية يبحث عن حيوان الوعل عند حافة جرف الحقف.



... في منطقة الحقف.

كان روري متـأكداً مـن أنه سينجـز هذه المهمـة على أكمل وجه بالرغم من صعوبة توفير هذه الحيوانات حسب الطلب وأقـر بأن بعض الشك قـد ساورني في امكـانية أن يحقق لي هذا المطلب.

عنـد اقترابنـا لأول مـرة من حـافـة الحقف انحبسـت أنفـاسي مـن روعة المنظـر غير المتـوقع. لقـد كنا نعبـر بالسيارة أحـد السهول الحجرية المرتفعة تـدريجيا والتي تتقاطع مع قاع الوديان التي خددتها مياه الفيضانات التي جفت. أوقف لـوتي السيارة في منطقة تبدو وكـأنها تشكل جزءاً غـريباً من هذا السطـح الشبيه بسطح القمـر وتبعته حيث كان يسيـر من السيارة إلى حافـة المنحدر العمودي الشاهـق. كانـت هناك بلاطات ضخمة مكسورة وجلاميد مـن الحجر الجيـري سقطت علـى امتـداد سطح الجـرف وحطمتها ميـاه فيضـانـات الأمطار التي تسقط بين الحين والآخر وتتسبـب في تعرية الـوادي الذي يبدو كـالاخدود والذي يمتـد أمام أبصارنا بعـرض ميل واحد تقريبـاً. وقد حجب سطـح الجرف ذو الحزوز العميقـة وضوح الـرؤية على طـول المنحدر. كما حجبـت رعون الجبل المـوجودة على جانبينـا مجال رؤية المنطقة الـواقعة أمامنا مبـاشرة ولمسافة ٥٠ متراً على كلا الجانبين.

وفي هذا الصحـن الحجري بدأ لوتـي يمسح الصخور بعينيه بحثاً عن أي علامات تكشف عن وجود الوعل. وفي نفس الـوقت استعان روري بنظـارته المكبرة فـي فحص السهـل الـواسـع المـوجود أسفلنـا والنـاتـج عـن مياه الفيضـانـات. وبعد خمسة عشر دقيقـة تقريباً دار لـوتي على عقبيـه وعاد إلـى السيارة. لم يكـن هناك بـالطبع أي وعل على مدى الرؤية.

وبالقـرب من السيارة تـوقف والتقط وريقـة صغيرة جداً كـانت مـوجودة علـى الأرض بجوار إحـدى نباتـات الحسـك (نبات مـن الفصيلـة القـديسية) ذات الـزهـور الصفراء اللـون. وكانـت هذه الوريقـة هي دليـل على أن الوعل كان يرعى هنا في الصبـاح الباكر. وبالقرب من هذا المكان أرانـي لوتي منخفضاً فـي رقعة رملية تحيـط بها الحجارة وقال تلك هي آثار قدم الوعل.

وخشيت أن يكون ذلـك هو كل ما سوف أشـاهده من معالم هـذا الحيوان النادر وحاولت أن ألتقـط لها صورة، لكنه لم يكن سوى منخفض بسيط. ولم يكن هناك أي أثر واضح لحـافر الحيوان أو أي معـالم واضحة تشيـر إلى أنها من صنع أحد الحيوانات.

واستسلمـت للـواقـع وتبعت لـوتـي إلـى السيـارة وانطلقنا بها مبتعدين عن حـافة الجرف لبضعة مئات من الأمتـار بحثـاً عن مخبـأ محتمـل آخر للوعـل. وأوقفنـا السيارة وتسللنـا زحفاً فـي هذه المـرة في اتجـاه حافـة الجرف يتصـدرنا لوتـي الذي جثم علـى الأرض واختلس النظر من فوق الجرف، وتبعنـاه أنا وروري لكننا لم نعثر على أثر للوعل.

ومع ذلـك فقد كنـا على الطريـق الصحيح فقـد أشار لوتي إلى تجويف بعرض متـر واحد موجود في رقعة من



حيوان الطهر العربي يستريح في الظل.

أندرو سبالتون

الرمل بين جلمـودتين ضخمتين وقال لقد نام الـوعل هنا ليلة الأمـس لكنه مضـى في طـريقه. وأثنـاء عودتنـا إلى السيارة كانـت عيناه تحدقان في الأرض وفـي هذه المرة كانت آثار أقـدام الوعل أكثر وضوحاً. وقال لقـد كانت هنا ثلاثـة وعول ذهبـت في اتجـاه الجنوب. وركبنـا السيارة التي قادها لوتي دون أن يتحدث.

وبعد أن قطعنـا مسافـة كيلومتـرين تقـريباً، اقتـربنا بالسيارة من سطح الجرف ثم تـوقفنا وحرصنا على عدم اغلاق بـاب السيارة واتجهنا إلـى الحافة. وقبـل أن نصل إليها إنحنى لوتي والتقط حـوالي إثنتي عشرة كرة سوداء صغيرة جداً كانت مختفية بيـن الحصى. وقال لي هامساً إنها خـاصة بأحد عجـول الوعل. وبمجرد أن وصلنـا إلى الحافة وثبت أم مع عجليها وطفـروا على إمتداد قمة حافة الجرف مبتعدين عنا وقمت سـريعاً بتجهيز آلة التصوير، لكنني أدركـت في الحـال إن الصور التـي سألتقطهـا لن تكون سوى صـوراً لوعول هاربة.

لقد كنا نبحث عمـا هو أكثر من ذلك،لكنها كـانت بداية مشجعة على أيـة حال. وعند هذه النقطة كنت متـأكداً من أن لوتـي سوف يـريني بعض الـوعول تمامـاً كالسـاحر الذي يخرج الأرنب من القبعة. وفـي خلال نصف الساعة التـالية أثبـت لـوتي أننـي كنت علـى حـق وأظهر كيـف يستطيع اقتفاء الحيـوانات وهو يقود السيـارة وكيف أنه يعرف الفرق بين أنثى الوعـل والتيس من خلال النظر إلى آثار أقـدامهما وكيف يستطيع أن يخمـن مكان الوعـل في أي وقت من أوقات النهار.

وقمنا بـزيارة لاحـدى برك ميـاه الأمطار التـي يعيش فيها سمك الروبيان الصحراوي سـريع الزوال، وشاهدنا ستة وعول أخرى في طريق عودتها إلى قواعدها.

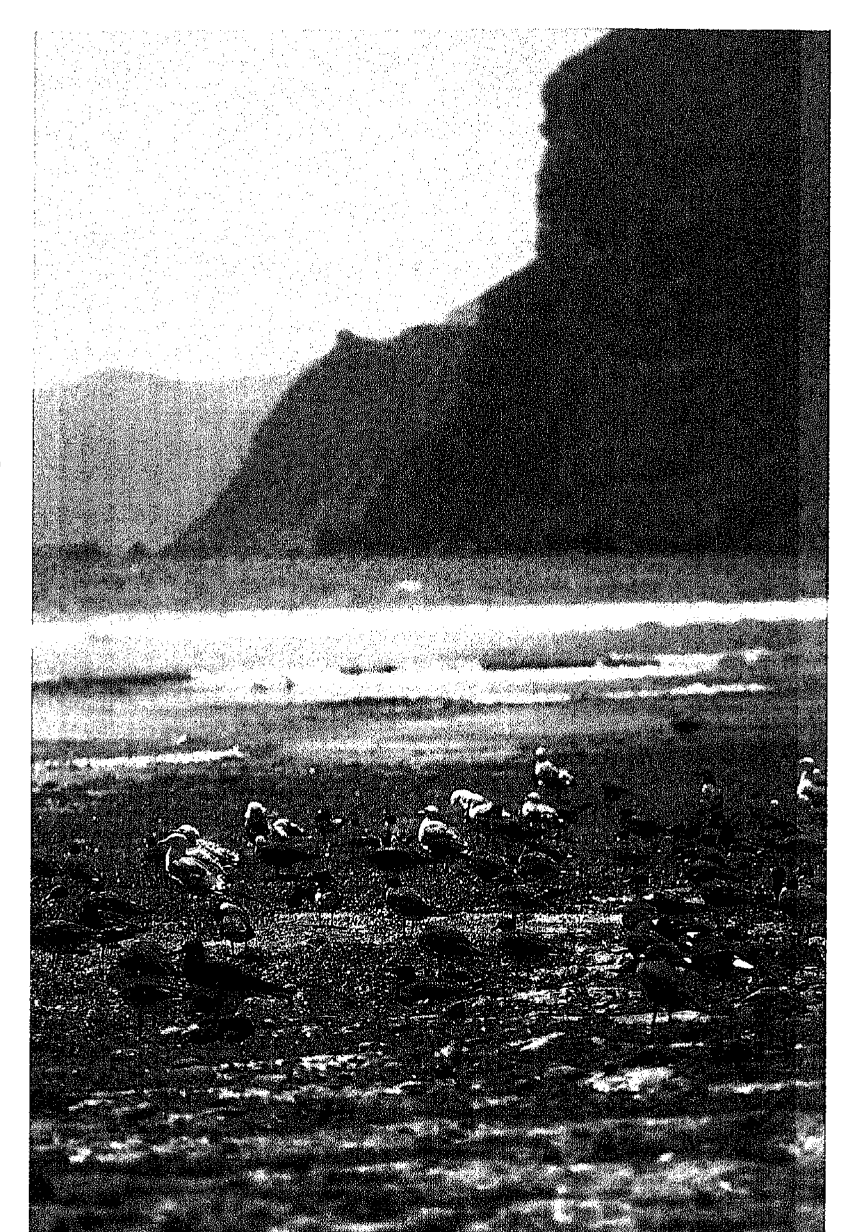
وبعد فترة من الوقت وبعد أن عـدنا إلى يعلوني فكرت في التجربة التـي مررت بها وتوصلت إلى أننـي في هذين اليومين فقط شاهدت عدداً مـن الحيوانات والطيور البرية الصحراوية أكثر بكثيـر مما شاهدته خلال عشـرين سنة من حياة السفر والتنقل في أنحـاء الجزيرة العربية. كيف كان ذلك ممكنـاً ومشروع يعلوني هو مشـروع من صنع الانسان؟.

هنا تـم إقامة قـرية صغيـرة في قلب الصحـراء تضم مرافـق الدعـم التي تحتـاج إليها مثـل هذه المستـوطنات البشـرية العصـريـة بما فـي ذلـك المـولدات والمنـازل وخـزانـات الـوقـود والورش وخـزانـات الميـاه ومكتـب للشؤون الادارية ومختبر كامل بأجهزة الكمبيوتر. وكانت كل هذه الجهـود موجهة من أجل أن تعيد إلـى الطبيعة ما سبق أن انتزعه منها الانسان.

وبالرغم مـن التناقض الواضح في وجـود التكنولوجيا العصرية الفظة في قلب المنطقـة البرية فإن المشروع قد حقـق نجاحـا رائعاً، فهـو لا يـوفر سبيـل إعادة عقـارب الساعة إلى الوراء فيما يختص بـانقراض الوعول العربية في الصحـراء فحسب بل أصبح يـوفر الحماية لمجمـوعة كبيرة من الحيوانات والطيور البرية ويوفر مصدراً للدخل لأهالي جدة الحراسيس.

مشاهد بحرية

تعتبر الجروف شديدة الانحدار وهضبة الحجر الجيري الشاهقـة الموجـودة في جزيـرة الفحل مـن أهم المعـالم البارزة التي تميـز مشهد البحر في مسقـط. وهي تشكل فناراً مـلاحياً هـاماً اهتـدى به البحـارة على مـر عصور طـويلـة، من عصـر أهـل مجـان (العمـانيين القـدمـاء)



مشـهد للساحل بالقرب من مغسيل في ظفار بين ثراء المد والجزر.

وأسلافهم الذيـن قاموا بالصيد في هـذه المياه منذ أربعة إلى ثمـانية ألف سنـة والبحارة اليونـانيين والرومـانيين الـذيــن اكتشفـوا هـذا السـواحـل والبحـارة العــرب ومضطهديهم البرتغاليين الذيـن خاضوا معارك تاريخية في ظـل أجرافها التي تسكنهـا الصقور وبحارة نـاقلات النفـط الحديثـة وسفـن الشحن التـي تشـاهـدها علـى شاشـات راداراتها مـن على مسافـة ٥٠ ميلاً. كمـا أنها تـوفر للصيـادين العمـانيين ملجـأ يحميهم مـن الريـاح الموسميـة ومنطقة ممتازة للصيد. كمـا أنها توفـر لهواة الغـوص الذيــن يستخدمـون أجهـزة الغـوص بعـض أجمل وأفضـل مناظـر الحيـاة البحريـة الموجــودة في منطقة مسقط.

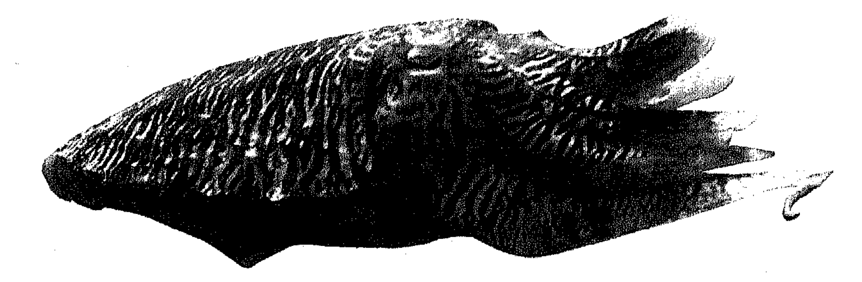
وتتميز جروف الجزيرة بأنهـا شاهقة لدرجة أن ظلها عندما يسقط فإنه يغطـي سطح البحر المحيط بها، وهي من المواقع المفضلة للغـوص والذي يتحدد حسب أوقات النهار وحسب حـالة الرياح والمـد والجزر. وبالرغـم من عدم وجـود مراسي صـالحة لـرسو الزوارق فـي جميع الظروف الجوية، إلا أن هناك خلجان صغيرة توفر أماكن مناسبة لرسو الزوارق الصغيرة.

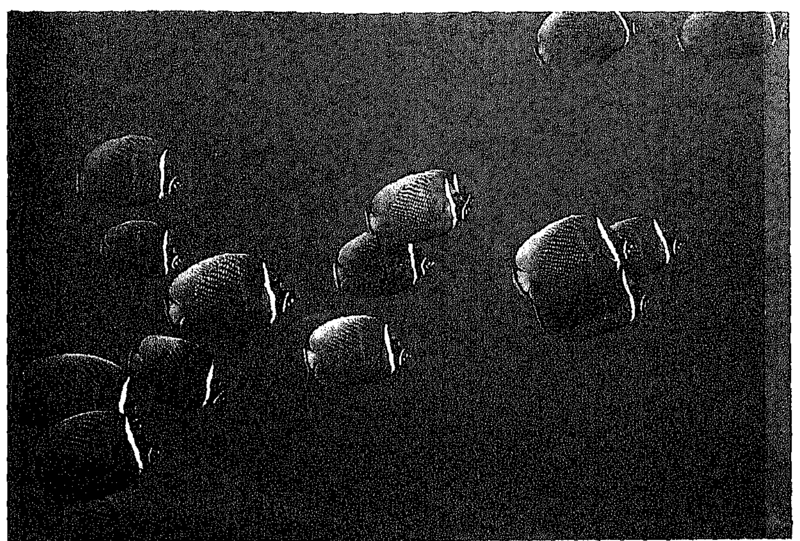
وتبعـاً للمنطقـة التـي يختارهـا المـرء للغـوص فـإن الصخـور تواصـل تدرجهـا تحت سطـح الماء أو تكّـون منحدراً أقـل ميلانـاً تشكل عليـه القطع المتسـاقطة مـن الجروف المتآكلة صدوعاً عديدة وكهوفاً صغيرة تسكنها أسماك الأنقليس الموراي والعديـد من الأسماك الصغيرة والأربيان (جراد البحر) والأخطبوط الذي يخرج في الليل من مخبئه. ويتغـذى الأربيان على الطحالب وأحيـانا على قنـافـذ البحر الشـائكـة، بينمـا يتغذى الأخطبـوط علـى الأربيان. وفي أثنـاء النهار يتم اعلان الهـدنة بينهما لأن كليهما يختبأ من سمك القـرش الليموني وسمك الشفنين البحري وسمك الأخفس الضـخم.

ويزيـن المرجـان الطري ذو اللـون القرنفلـي البراق الصخور الموجودة على امتداد الجـانب الشرقي للجزيرة ويخلـــق بذلك حديقـــة بحريـة استوائـية رائعـــة تـم فيهـا استبـدال الطيـور والحشـرات الـزاهيـة الألـوان بمجموعـة جذابـة ومدهشـة من الأسمـاك التي تـذكرنـا أسماؤهـا الشائعـة مثل أسمـاك عروسـة البحر وسمـك الضفـادع وأسمـاك العـذارى وسمـاك الصقـر وسمـك الشيهم بما نعـرفه بصورة أفضل عن الحيـاة فوق سطح الماء ومدى ميلنـا إلى تفسير ما نجده تحـت سطح أمواج البحر على هذا الأساس.

وبالطبع فإن هذا التناظـر ليس كله دون أسـاس، فكما يحدث فـي المستوطنات البريـة فـإن كل جنـس هناك يتأقلـم حسب الظـروف البيئية المنـاسبة. وهنـا أيضـاً

حيوان الحبار يسبح فوق طبقات الأعشاب البحرية.





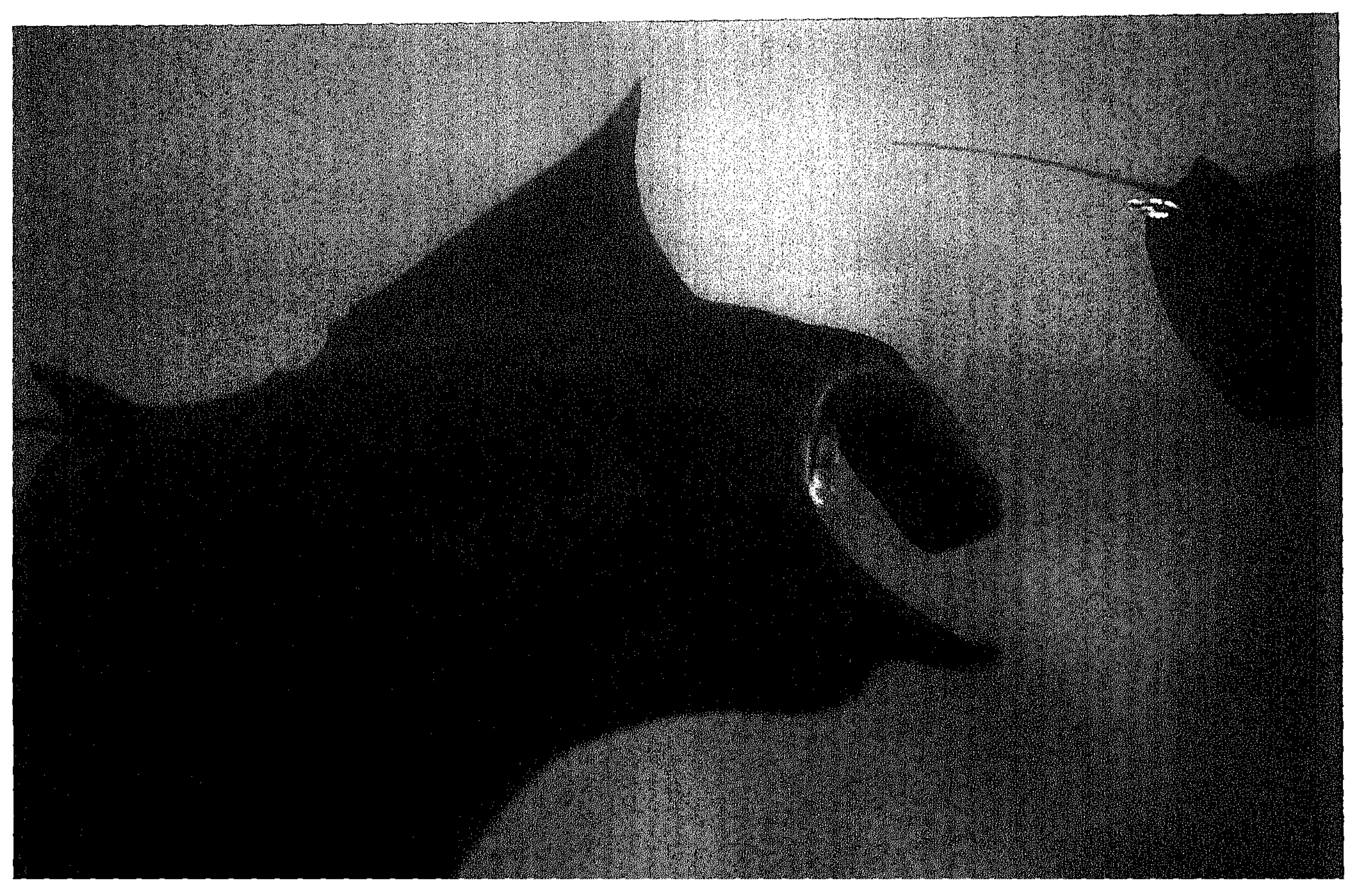
يعتمد التسلسل الغذائي على الطاقة الشمسية المحولة إلى كربوهيدرات بمساعدة مجموعة متنوعة من الأحياء النباتية التي تتراوح بين الزوكسانثيلا الدقيقة أحادية الخلية والتي تنبتها الطحالب بكفاءة وسطوح الصخور المغطاة بالطحالب الرقيقة ذات اللون الأزرق والأخضر وأخيراً أعشاب البحر الضخمة الموجودة في الجنوب حيث تطفو مياه البحر السطحية الباردة التي تطفو من الأعماق إلى السطح في فصل الصيف والتي تشكل ما يعادل غابة من الأشجارالتي تطرح أوراقها، كاملة بمظلة من أوراق النباتات.

وكانت هناك مجموعة من أسماك عروسة البحر تحوم حول محطة لأعمال التنظيف تنتظر دورها لتقوم أسماك الراس ذات الزعانف الشاكة بتنظيفها بالتقاط الحشرات من بين قشورها بتنظيفها. وكانت أسماك العذارى العنيدة تعترض على اقتحامنا هذا لبيئتها المغطاة بالطحالب.

كما كانت هناك سمكة شفنين بحرية كهربية تنام مدفونة إلى نصفها في الرمل. وفوق رؤوسنا كانت تحوم مجموعة من أسماك كاسيوس وهي تتغذى على الكائنات العالقة دون أي يضايقها أحد في الوقت الحالي على الأقل. واحتفظنا بعيوننا مفتوحة عن آخرها نترقب قدوم سمك القرش الضخم الذي يأتي إلى هذه المنطقة من الجزيرة بحثاً عن الطعام، لكنه لم يأت في هذا اليوم. وفي طريق عودتنا من رحلة الغوص وبالقرب من الجرف استقصيت الجرف المعلق الذي قطعته الأمواج والذي يغطي الظل سطحه دائماً فوجدت سمكة صقرية تتشبث بسطح المنحدروعيناها مفتوحتان تترقب مرور صغار الأسماك الغافلة. وشاهدت أيضاً في المياه الضحلة

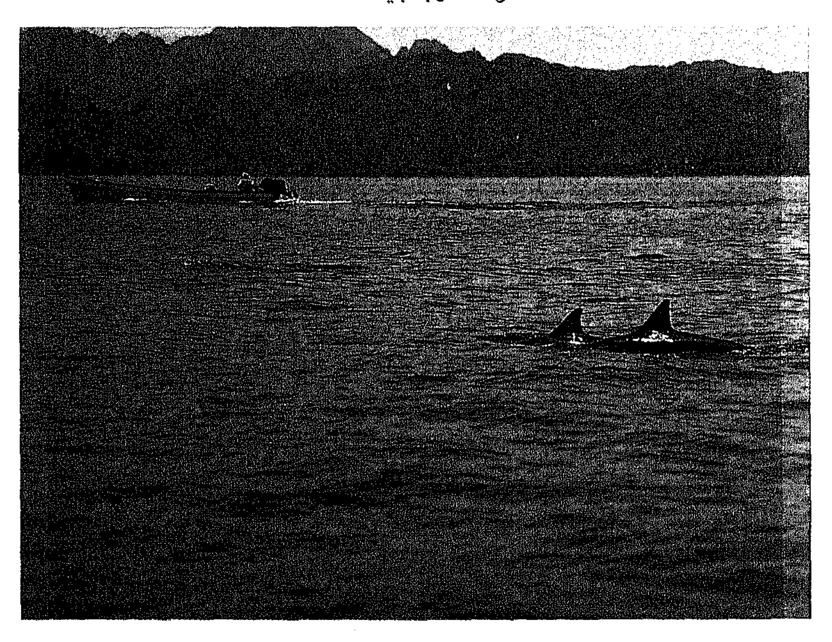
سمكة عروسة البحر.

أسماك الراي تتغذى على العوالق في المياه العمانية.



أخطبوطاً كبيراً متنكراً في شكل أحد الرؤوس المرجانية. وقد سبح رفيقي فوقه مباشرة وربما كانت حركته الطفيفة هي التي جذبت عيني إليه. وبالقرب منه إختبأت سمكتان كبيرتان من الأربيان بين جلمودتين.

وتستضيف جزيرة الفحل مجموعة مختلفة من الأحياء البحرية المحيطية التي تزورها بإنتظام والتي تتراوح بين سمك القرش أبو مطرقة الضخم وسمك القرش الحوتي الضخم والحيتان الضخمة ومجموعات الدلافين اللولبية الواثبة والدلافين العادية والدلافين ذات الأنوف الزجاجية.



الدلافين والصيادون يبحثون عن الأسماك بالقرب من السواحل الصخرية لمسقط.

وقد تم وصف الثدييات البحرية العمانية بأنها من الأسرار الغامضة المحجوبة عن الأنظار في عالم الغوص غير أن سرها قد أفشي الآن دون قصد.

وفي اجتماع لخبراء الحيوانات البحرية الثديية الحيتانية عقد مؤخراً في نيروبي عرض خبيرا البيولوجيا البحرية روبرت بولدوين والدكتور رودني سلم على مجموعة من أبرز علماء الثدييات البحرية في العالم بعض صور الحيتان والدلافين هذه. وكان رد الفعل هو تأييد حماسي للحقيقة التي يعرفها منذ سنوات بالفعل العديد من أولئك الذين قاموا بالغوص في هذه المياه، وهي أن المياه العمانية تعتبر من أفضل المراكز لمشاهدة الحيتان والدلافين في العالم.

إنها مسألة وقت فقط قبل أن يعرف العالم أجمع سر هذه الحقيقة. ولم يتأثر خبراء الدلافين بكثرة هذا المخلوق الوفي المثير في عمان فحسب بل أثارتهم امكانية أن الدلافين اللولبية ذات البطن الوردية اللون والتي يعرفها الصيادون المحليون والغواصون جيداً قد تمثل أول تسجيل في المحيط الهندي لوجود دلافين لولبية قزمة أو ربما دلافين من جنس أدنى أو من جنس جديد تماماً.

لكن ما أدهش الخبراء هو التنوع الكبير في الثدييات البحرية الموجودة في عمان. ويقوم متحف التاريخ الطبيعي العماني منذ سنوات عديدة بتجميع البيانات عن الدلافين والحيتان التي تأتي بها الأمواج إلى الشاطىء، وأعد — من خلال الشواهد - قائمة بالثدييات البحرية الموجودة في المياه العمانية. كما أقام المتحف صالة للحيتان يعرض فيها على الجمهور نتائج أبحاثه.

وتوجد هناك أربعة أنواع من الحيتان البلينية هي الحيتان المحدبة وحيتان برايد وسي والمنك. وتتوفر الحيوانات الثديية الحيتانية ذات الأسنان بكثرة في عمان، وتم تأكيد وجود عشرة أنواع منها من بينها خمسة أنواع (وربما ستة) من الدلافين وهي الدلافين المحدبة الهندية الباسيفيكية والدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية (ربما نوعان منها) ودلافين ريسو وخمسة أنواع من الدلافين خماسية الأسنان وتشمل الحوت السفاح الزائف والحوت السفاح وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار. ومن المعتقد أن العديد من هذه الأنواع تتكاثر في المياه العمانية.

وفي أعقاب انتهائنا من أعمال الغوص في جزيرة الفحل ذهبنا نبحث عن مجموعات الدلافين، واتجهنا جنوباً في مواجهة مسقط مباشرة حيث استطعنا مشاهدة زوارق الصيد وهي عائدة في طريقها إلى اليابسة بعد انتهاء جولتها الليلية.

ولفترة من الوقت شعرت بأن خيبة الأمل لا مفر منها لأنه بالرغم من هدوء البحر ووضوح الرؤية الرائع كان يبدو أنه لا توجد مجموعات كبيرة من الدلافين تبرز من الماء. وبعد نصف ساعة من البحث شاهدنا عن بعد بعض الدلافين. وعندما اقتربنا منها عرفنا من قفزاتها المرحة إنها من نوع الدلافين اللولبية. وفجأة عج البحر بحركاتها المعروفة وأحاط بنا ما لا يقل عن مائة دلفين.

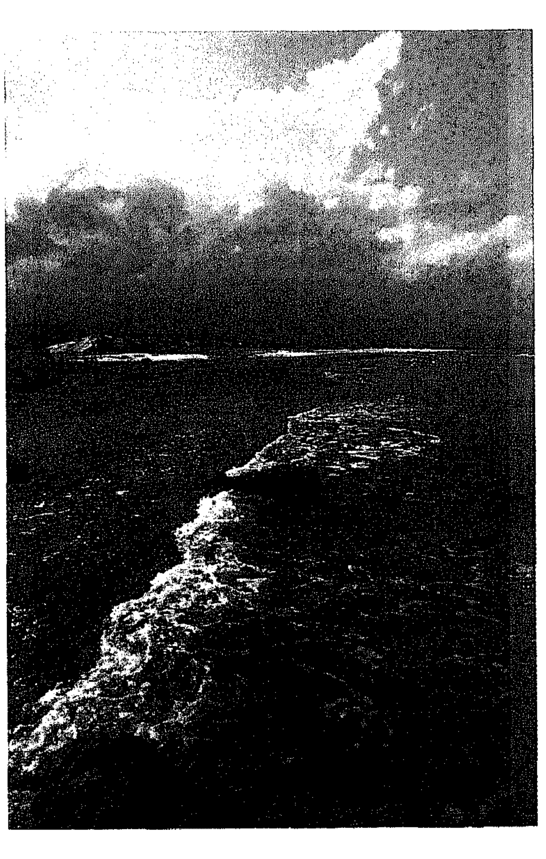
وبالاضافة إلى الدلافين اللولبية، كان هناك بعض الدلافين العادية تسبح بجوار الدلافين اللولبية وعلى مسافة قصيرة منها كانت هناك مجموعة من الدلافين

ذات الأنوف الزجاجية تمرح وتزاول ألعابها المفضلة.

ولأن هذه الأنــواع المختلفة من الدلافيـن كانت قــريبة منـا فقـد كان مــن السهـل علينـا أن نميـز بين أنـواعهـا المختلفة. وكـان العديـد من الـدلافين تسبـح وصغارهـا بجـوارها، وكـان مـن الواضــح أنها تتكـاثـر في الميـاه العمانية.

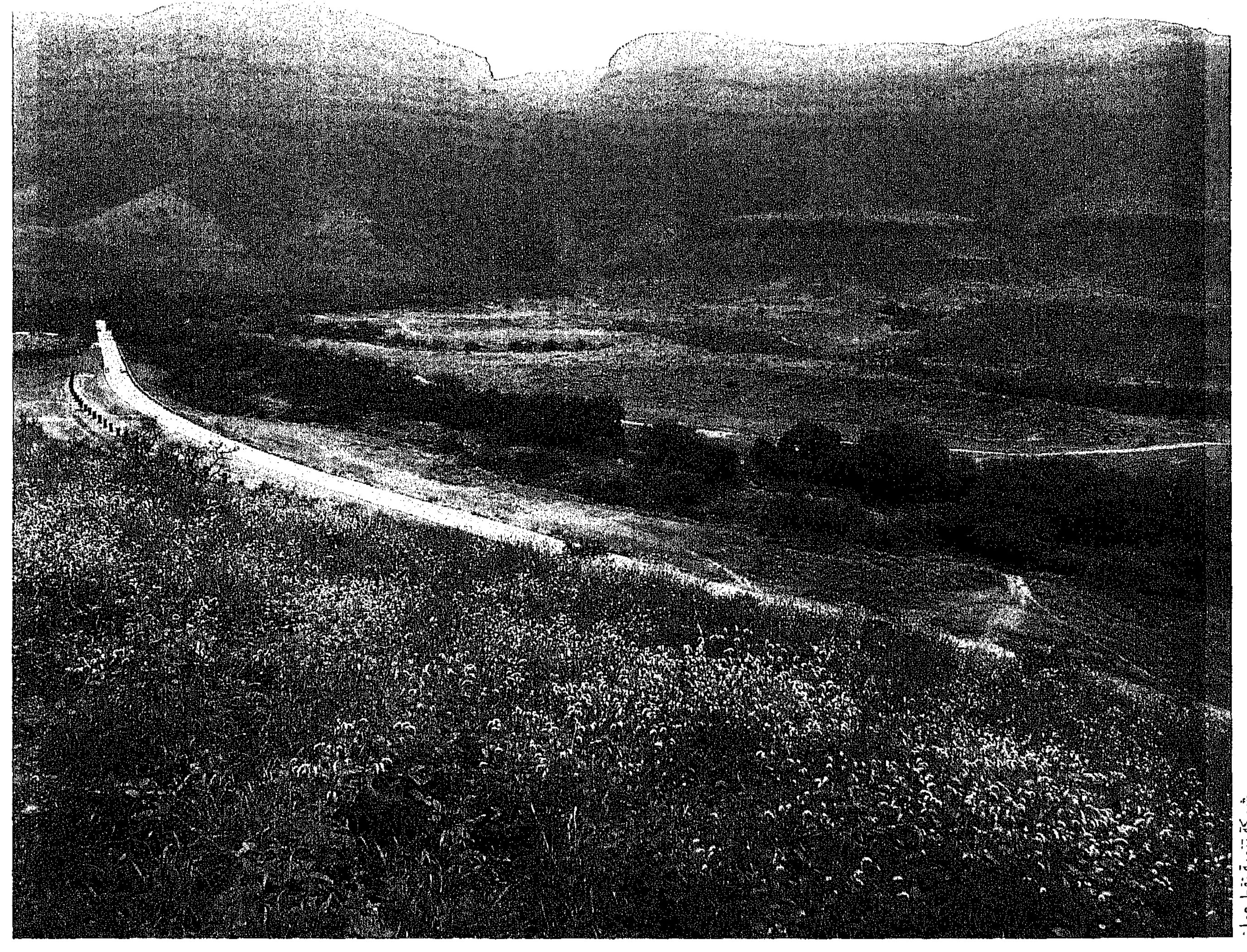
حاولـت اتباع طريقتي المعتـادة في الاقتراب مـن هذا الكائن الجميل تحت سطح المـاء فأمسكت بحبل السَّحْب المتدلي من مقدمة الزورق الذي قطرني وجسمي مجاور له. ونجحت هذه المحاولة واستطعـت أن أشاهد الدلافين عن قرب وغُصــت عميقاً أسفل الزورق قبـل أن أقفز فوق سطح الماء وكلي حماسة ومرح.

لقد كانت تلك أسعد نهاية للنهار الذي قضيته في مياه خليج مسقط.



منظر للساحل عند فنس بين مسقط وصور.

إن مشهد الدلافين من المناظر المألوفة بالقرب من مسقط حيث تشكل مجموعة من الدلافين اللولبية مشهداً مثيراً.


شركة تنمية نفط عمان

تبدو أرض ظفار الخضراء الجميلة متناقضة مع الرأي الشائع والخاطىء والذي يقول بأن الجزيرة العربية تخلو من الخضرة الزاهية.

الوصول إلى ظفار

عند اقتراب طائرة شركة الطيران العماني من صلالة، تستقبل المرء في البداية خشخشة هضبة التلال المتأكلة التي تخددها آلاف القنوات المتصلة عند قاعدتها بقاع وادٍ عريض ملتوٍ يحمل ندبات مجموعة من الأشجار التي لا يمكن التعرف على أنواعها من هذا الارتفاع الشاهق. لكننا قمنا بعد ذلك بجولة بالسيارة على طريق كثير المهاوي والمطبات وأمكننا تأكيد أن هذه الأشجار هي بعض أشجار اللبان التي تشتهر بها منطقة ظفار.

ومع هبوط الطائرة التدريجي في اتجاه البحر كان هناك شريط طويل من السحاب يحدد قمة الجبل الممتد في خط مواز للساحل في هذه المحافظة الجنوبية. وأسفل الطائرة مباشرة كانت الأرض لا تزال تبدو جرداء تماماً لكننا سرعان ما اقتربنا من السحب واستجابت الطائرة للتيارات الحرارية القوية باهتزازات غير مريحة. ومع استمرار الطائرة في الهبوط ملتفة يميناً في اتجاه الساحل مرت بسرعة فوق المناطق المختلفة التي تميز الشريط الساحلي وبات في استطاعتنا الآن أن ننظر إلى السحب التي تحتنا ونلقي نظرة إعجاب على جوانب التل الذي يبدو أن طبقته السطحية الخضراء الرقيقة قد حمت سطحه من عواقب التعرية الواضحة.

وكانت انحدارات التل هنا أقل نتوءا وأسهل في تدرجها من تلك الموجودة في المناطق الداخلية كما كانت أشكالها الدائرية نسبياً تقطعها آثار عجلات مجموعة متنوعة من السيارات التي لم يكن هدفها يتعدى كما كان الأمر يبدو من الجو، وضع توقيعات غير مقروءة فوق هذا المنظر الجميل.

وفي الحال شاهدنا أول إشارة تدل على استيطان هذه المنطقة، فقد شاهدنا قرية جبلية معزولة. ومالت الطائرة على جانبها بحدة فوق شريط من السحب الكثيفة التي حجبت عنا للحظات رؤية الأرض.

وعندما بزغت الطائرة بعد ذلك من السحب لمحنا



أدخل نظام الري المحوري ثورة على الانتاج الزراعي في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وفي هذه الصورة نشاهد هذا النظام المستخدم في مزارع شركة أعلاف ظفار في صلالة.

البحر بوضـوح لأول مرة، ثم صارت السحـب كثيفة مرة أخرى لتترك في أذهـاننا انطباعة شغوفة عـن الشواطيء البيضاء الطويلة التي تتلاطم عليها الأمواج. وعندما بزغت الطائرة من السحب للمرة الثانيـة أصابتني الدهشة لأنني رأيـت أسفل الطـائرة طرف اليـابسة المتقـدم من البحـر والمواجـه لجانـب الجبل شديـد الانحدار تغطيـه خضرة وافرة ذكرتني من هذا الارتفـاع الشاهق بمنحدرات غابات الأمطار الاستوائيـة في جزر السيشل الغرانيتيـة الواقعة فـي المحيط الهنـدي على مسـافـة ألف ميـل في اتجـاه الجنوب وهي آخر شيء يتوقـع المرء أن يراه في الجزيرة العربية.

إن قراءاتـي العديدة عن التـأثيرات المشتركة للـرياح المـوسميـة وحـركـة تغيـر المياه السطحيـة البـاردة والمسؤولة عـن تمتع ظفار بهذا المناخ الفريـد لم تستطع أن تخمد احسـاسـي الأول بالاثـارة الأولية عند مشـاهدة مثل هذه الجـزيرة الغنية بالمتناقضات والتـي تحيط بها الصحـراء العربيـة التي تثيـر رغم قسـوتها، الـذكريـات والأحاسيس أيضاً.

وكان الوقـت هو وقت الغروب تقريباً وكـانت السحب الممتدة تحتنا قـد خفت كثافتها إلـى حد ما، لكن لـم يكن هناك مـا يحجب هـذه المظلة الكثيفـة من الأشجـار التي تشكل هذه الغابة الجذابة التي يكتنفها الغموض.

وعند الالتفات إلـى الخلف إلى قمة الجبـل كان لا يزال بوسع المرء أن يرى مشهد التل المجدب الممتد حتى خط الأفق. وأصبحت الطـائرة الآن في مرحلة الهبـوط الأخيرة واستطعنا تمييـز العديـد من التفاصيـل الموجـودة فوق الأرض، مثل الأماكـن المسورة التي يحفظ فيهـا الانسان الماء، وجزر خضـراء يتكرر ظهورها بيـن الحين والآخر. ثم شاهدنـا بساطاً أخضر اللون دائرياً ضخمـاً هو نتائج نظام الري المحوري والذي استطعنـا فيما بعد أن ننسبه إلى شركـة ظفار لعلف الماشيـة. ومع اقترابنا مـن مدرج الهبوط مررنا بصف من المنازل التي كانت حدائقها مليئة بالأشجار وكـأنها واحات خضراء في منطقة مجـدبة بنية اللون.

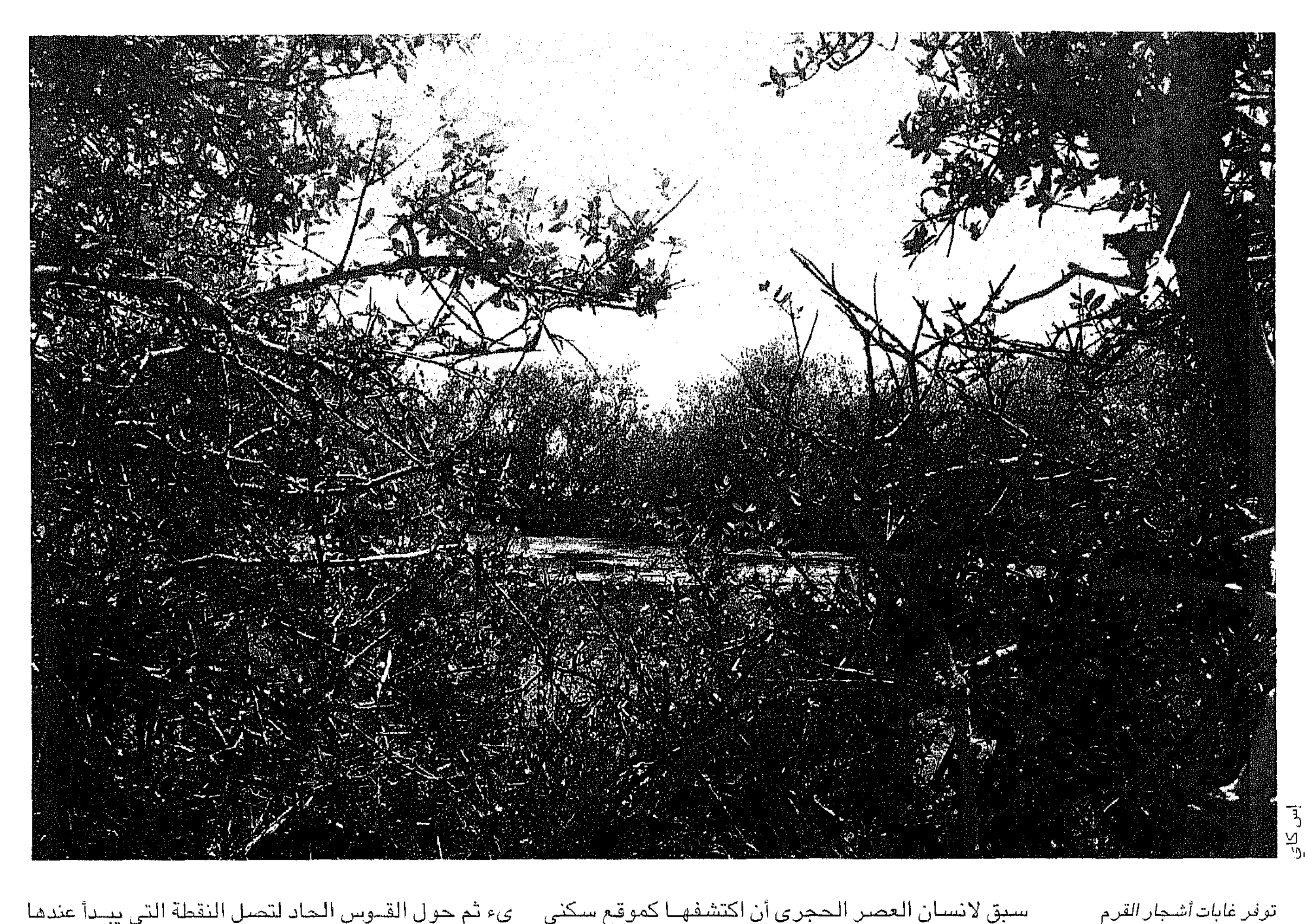
وقبل أن تلمس عجلات الطـائرة الأرض شاهدت بعض الأراضي المرويـة الأخرى التي ذكرتني بخضـرة أيرلندة الشهيرة وشاهدت على البعد مدينة صلالة.

وأخيـراً هبطت الطـائرة ووصلنا إلـى محـافظة ظفـار موطن الملكـة سبأ واللبان والعديد مـن العجائب الطبيعية الأخرى. وأثناء اقتـراب الطائرة من مبنى صالـة الوصول نظرت أمـامي وشاهـدت قمم الجبـال المرتفعة تكسـوها السحب التي كـانت تحجب عني منذ لحظـات هذه الجبال الغامضة.

وفوق السحـاب كانت السمـاء لا تزال بلـونها الأزرق الصافـي رغم أن السـاعة قد تجـاوزت السادسـة مساءاً وفي خـلال دقائق سـوف تهبط ستـارة الظلام لتحجب عني رؤية هـذه المنطقة المثيرة من عمان التي اشـاهدها لأول مرة.

القديم والحديث

عندما تخرج من الباب البحري لفندق إنتركونتننتال توجه نحو اليميـن وإمشِ لبضعة مئـات من الأمتار علـى امتداد الشاطيء فـي اتجاه مجموعة المنازل الحديثـة الموجودة في منطقة رأس الحمـراء المقامة فوق قمـة المنحدر التي



إس كاي

توفر غابات أشجار القرم مستوطنات خضراء فريدة للطيور وبيئة رعاية هامة ومنطقة لتغذية الحياة البحرية.

طائر القرلي (الرفراف) في العذيبة.

هان وجينز إريكسين

سبق لانسان العصر الحجري أن اكتشفها كموقع سكني ممتاز. وقبل أن تقطع مسافة طويلة ستلاحظ أن العمران قد انحسر أو توقف نظراً لوجود قناة تقطع الشاطىء وتتجه إلى «سبخة» تملؤها أشجار القرم (أو تأتي منها حسب حالة المد والجزر).

إن مصطلح «سبخة» هو مصطلح مضلل في معظم الحالات، وهو كذلك في هذه الحالة على وجه الخصوص لأن الأرض الموجودة بين أشجار القرم التي تصطف على جانبي القناة هي أرض صلدة وعندما تطؤها الأقدام فإنها لا تمثل أي خطورة تذكر.

وعليك بعد ذلك أن تمر حول حافة القناة عبر الشاطىء ثم حول القوس الحاد لتصل النقطة التي يبدأ عندها الشاطىء الرملي ولتعثر على أشجار القرم - هذه الأشجار البحرية الغريبة والضارة - متناثرة في البداية ثم كثيفة بعد عدة أمتار.

وعليك بالسير لمسافة قصيرة متبعاً الممر غير المعبد الذي نشأ من كثرة ماداسته أقدام السائرين وحيث نزعت منه أقدام الصيادين جذور أشجار القرم العالقة في الجو. وعندئذ وحسب حالة المد والجزر تجد نفسك إما سائراً فوق أرض جافة أو ينتهي بك المطاف خائضاً في الماء حتى كاحليك.

وفي كل الأحوال فإن موقع المنطقة التي تتغلب فيها القناة التي يخددها المد والجزر على الأرضية السوداء اللون واضح تماماً، وهي تشكل الحافة الخارجية لمنطقة غابة أشجار القرم والتي تتميز بتشابك جذورها وسقوط فروعها في القناة.

إن أي شخص يشك في مدى صدق النداءات المتكررة للمهتمين بالمحافظة على أشجار القرم عليه أن يقف هنا ويتأمل بهدوء هذا المشهد المشرق الذي يظهر عند المد والجزر.

وتجد طائر القرلي (الرفراف) الأخضر يتلألأ بين الأغصان المتدلية والسطح الوامض في انتظار اقتناص غنيمة من صغار الأسماك. إنه لا يعاني من الجوع مطلقاً. وبين غابة الجذور الدقيقة المنتشرة على ضفة القناة تجد الملايين من الأسماك الصغيرة التي تحتمي بجوار الجوانب وتحاذر من المخاطر والتغلغل في القناة الرئيسية حيث قد تتعرض لأن تفترسها الأسماك الكبيرة. إنها السلالة التي ستنمو منها

العديد من الأسماك البحرية الكبيرة التي يتم صيدها على نطاق تجاري في عرض البحر.

إن انخفاض مخزون السمك في البحار لا يرجع إلى فرط أعمال الصيد فقط بل إلى تقلص مناطق مواطنه المختلفة أيضاً مثل تلك المنطقة. لقد كنت أتمنى أن أستطيع عرض هذا المشهد على المسؤولين عن اتخاذ القرارات في أنحاء المناطق الاستوائية والذين يجادلون في عدم الحاجة إلى المحافظة على أشجار القرم.

لقد كان الصيادون يزورون منطقة أشجار القرم في منطقة القرم منذ ٦٠٠٠ سنة على الأقل. ونظرة واحدة تحت أقدامنا تفسر بوضوح لماذا كانت هذه الشجيرات البحرية أداة جذب مغناطيسية.

وإذا تغاضينا للحظة عن حركات القفز والغوص المستمرة في القناة والتي تقوم بها أسماك اللبن والسمك النهاش، صغيرها وكبيرها (بالرغم من أن أسماك هذين النوعين كانت توفر غلة جذابة لأنها تخاف بسرعة وتقفز خارج الماء لتهبط فوق فروع أشجار القرم)، نجد أن الصيادين لا يحتاجون إلى تبليل أقدامهم ليجمعوا طعاماً مغذياً من منطقة أشجار القرم لأن الأرض المحيطة بالجذور المشعة المعلقة في الجو كانت مليئة بالرخويات المختلفة الصالحة للأكل مثل الأويستر والولك. إن رخويات الأويستر تتكاثر بسرعة هنا والماء غني بالطعام. ويبدو من الواضح أن تعدادها يحكمه عامل توفر السطوح المناسبة لتكاثرها أكثر من أي شيء آخر.

وقد تم تحويل مثل هذه المواقع في الدول الاستوائية إلى مزارع ضخمة لتربية رخويات الأويستر وذلك عن طريق اقامة منصات رأسية في المناطق الضحلة تنمو عليها الرخويات بكميات ضخمة. وبفضل جهود واهتمامات الحكومة العمانية المعتنية بالمحافظة على البيئة تمت المحافظة على منطقة أشجار القرم هذه في حالتها الطبيعية لتشكل منطقة طبيعة رائعة تحيط بها من ثلاثة جوانب بعض المدن العصرية ومن الجانب الرابع البحر.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فباستثناء رخويات الأويستر والولك التي لها مغزى هام سواء من الناحية التجارية أو الاجتماعية والمتعة الجمالية التي توفرهاالطيور فإن غابة أشجار القرم مليئة بالسراطين (السلعطون) اللعوبة التي تلوح بمخالبها.

إنني أعلم أن بعض المصورين المتخصصين في تصوير الحياة البرية والبحرية وخبراء البيولوجيا قد سافروا لآلاف الأميال لتصوير ودراسة هذه السراطين الغريبة، غير أنها متوفرة هنا بكثرة ولا يعلم بوجودها الكثير من الناس.

لقد شاهدت هنا أيضاً ولأول مرة طائر الماء أو خولي الأرز وهو الطائر الخواض الجذاب الذي يزور شواطىء عمان باستمرار.

صحيح أن الأفلام التسجيلية والمجلات والكتب المتخصصة التي تتناول الحياة البرية والبحرية تؤدي مهمة جليلة في تعليم الجمهور وفي ارباكه أيضاً، فهي من ناحية تجعلنا نقدر ونعشق المناظر الرائعة للطبيعة التي يجلبها إلينا المصورون الجريئون والمخلصون، ومن ناحية أخرى تجعلنا نتوقع أن ما نراه على شاشة التلفزيون أو السينما أو على صفحات الكتب والمجلات المصقولة يمثل الطبيعة البحتة. إنها بالطبع صور محضة في الغالب لكن ليس لدينا جميعاً عدسات كبيرة اتساع بؤرتها ٦٠٠ مم أو مخابىء مموهة نستطيع منها مشاهدة الحياة البرية أو البحرية التي نصادفها في حياتنا اليومية.

وهذا هو أحد الأسباب الأخرى وراء أهمية مثل هذه المواقع مثل موقع غابة أشجار القرم في القرم لأن هذه المواقع لا توفر لنا أماكن هادئة بالقرب من المستوطنات السكنية الكبيرة فحسب بل تتيح للجمهور فرصة مشاهدة مناظر طبيعية شبيهة بتلك التي يشاهدها على شاشة التلفزيون. وهكذا فهي تخدم كوسيلة لتعزيز تقديرنا للطبيعة وللدور الحيوي الذي تلعبه المستوطنات الرئيسية الخاصة بالحياة البرية والبحرية.

وبينما يكون من السهل نسبياً تصور مدى تأثير حركة التعمير العصرية على الحياة البرية والبحرية في عمان، واتخاذ الاجراءات الفعالة — في العديد من الحالات – للحد من تأثير حركة التعمير إلى أقصى درجة، فاننا كما يبدو ندرك إدراكاً مبهماً كيف أن الحياة البرية والبحرية قد تغيرت عبر السنين.

إن تدمير الحياة البرية والبحرية قد بدأ منذ زمن انسان العصر الحجري واستمر بدرجات متفاوتة حتى عصرنا الحالي. وقد ساعدنا خبراء الآثار في جمع الأدلة المتعلقة بالعصور الماضية عندما كانت التباينات المناخية في عمان تؤازر حياة بعض الكائنات التي لم تعد تعيش هناك والتي إنقرض بعضها الآخر. وباستثناء العظام القديمة والاحفوريات التي تزودنا بمثل هذه الأدلة، فإن هناك مجموعة من الأوصاف

المدونة عـن التاريخ الطبيعي القـديم والصوصيولـوجيا الخاصة بالجزيرة العربية.

وترجـع العديد من هـذه الكتابات إلى حـوالي ٢٠٠٠ سنة وتتضمن تلك التي كتبهـا بليني والمؤلف المجهول لكتـاب «بربيلـس الـدليـل الملاحـي للبحـر الارتيـري» والنـص الـذي تمــت تـرجمتـه مـؤخـراً والـذي كتبـه أجاثارشيـدس السنيدوسي وهو كاتب بطليمـوسي يثير الاعجاب بصورة خاصة لما كتبـه وكشف فيه النقاب عن الحيـاة البـرية وبيئتهـا فـي جنـوب الجزيـرة العربيــة بأكلمها بما في ذلك عمان.

إن أهمية مثـل هذه النصوص فـي تعزيز مـدى فهمنا للحياة البرية التـاريخية في عمان لم يتم التـأكيد عليهـا في نظري، ومع ذلك لم يسترشـد الكثير من البيولوجيين بهذه المصــادر. وبالاضـافة إلـى ذلك يبـدو أن العلمـاء الذيـن ترجمـوا وفسروا النصـوص القديمـة لم يـأخذوا الشواهد البيولوجية في الحسبان.

لقـد أدركت ذلـك للـوهلة الأولـى أثنـاء قراءة ملحمـة جلجـامش التـي تعتبر أقـدم ملحمـة في العـالم. وهـي محفوظة علـى ألواح مسمارية تـم اكتشافها في بـلاد ما بيـن النهريـن وتـم نقشها منـذ أكثـر من ٤٠٠٠ سنـة. وتحكي القصــة كيف أن جلجـامش بعـد أن تخطى فتـرة شبابه المثيرة ووصل إلى منتصـف العمر أبحر إلى بلاد دلمون بحثاً عن سر الشباب الأبدي (اكسير الحياة).

وأخيراً أشفق عليه أحد الكهنـة في دلمون (البحرين) وأطلعه على «سر الشباب الأبـدي». وقال له إنه إذا غطس في البحر فسوف يجد زهرة شائكة سوداء اللون .. حادة لدرجة أنها تنخز مثل شـوك الورد. وتحتوي هذه الوردة علـى سر الشبـاب الأبـدي. وتـواصل القصـة كيـف أن جلجامش قد قفز في الماء فعلاً واقتلع الزهرة.

لكن للأسف نهشتها منـه أفعى قصيرة وأصبحت هي التي تتمتع «بسر الشباب الأبدي» القوي.

وكان هناك بقية لهذا الجزء مـن القصة جذب اهتمامي بصورة خـاصة أكثر من غيـره لأنني شعرت بأن فيـه ما يكفي لمحاولة تخميـن مصدر الاسطورة. إن أي شـخص سبـق له الغـوص فـي المياه الضحلـة فـي البحريـن أو بـالتأكيـد حول عمـان لابد أن يكـون قد شـاهد «زهـرة الشباب الأبـدي» لأن الوصف السابـق يطابق بدقـة ذلك الخاص بالقنفـذ البحري الشائك الأسود اللـون والشائع بكثرة في عمان وهو ربما ما انتزعه جلجامش.

وكمسـألـة فرعيـة مثيرة فإن الغـدد التناسليـة للقنفذ البحري لا تزال تعتبر في أنحاء عـديدة من العالم عقـاراً أو طعاماً مثيـراً للشهوة الجنسية. إن وصف هـذا القنفذ بالوردة ينبغـي ألاّ تحجب عنا حقيقة هـذه المسألة. لأن الكثيـر من النـاس حتى فـي وقتنا هـذا يخطىء ويعتبـر القنافذ البحرية الشائكة نباتاً وليس حيواناً.

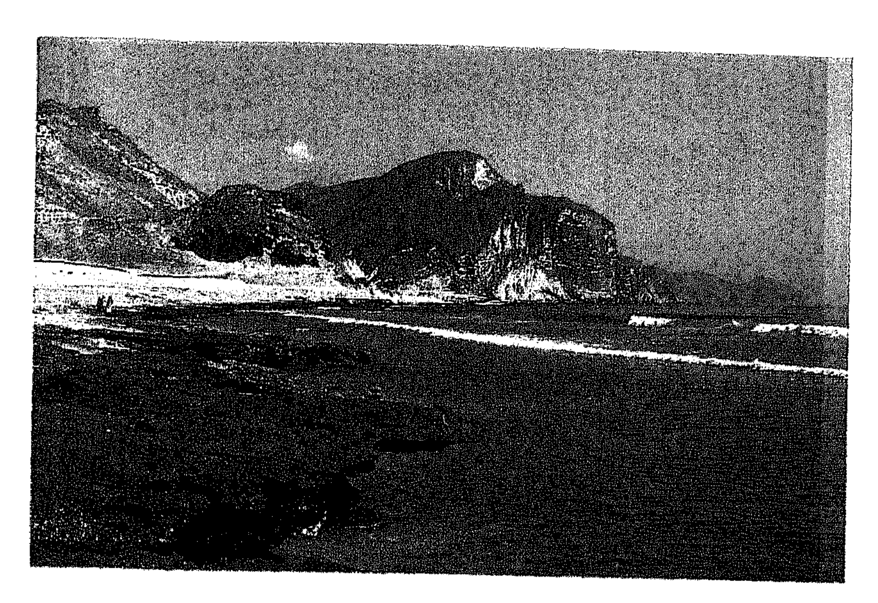
لكـن ماذا عـن بقية القصــة؟. لقد عملت أثناء حـرب الخليج فـي انتاج فيلـم وكتاب عـن الآثار البيئيـة للحرب (تقلبـات الحرب) ممـا استـدعى سفـري إلـى البحريـن لتصويـر بعض اللقطات تحت سطـح الماء. وكانـت هذه هـي أول مرة أشـاهـد فيها ثعـابيـن البحـر وأمضيــت إسبـوعاً كـامـلاً تقـريباً فـي تصـويـر هذه الـزواحـف وأصبحـت علـى درايـة واسعة بسلـوكهـا. وكـان مــن الواضـح أن هذه الـزواحف هي الأفاعي التي جـاء ذكرها في ملحمـة جلجامـش. لم يكـن من المـدهش أن تنتهـي القصة بأن تسـرق «الأفعى» «سر الشباب الأبـدي» لأننا شاهـدنا الثعابين المـوجودة في المياه الضحلـة التي لا يتجـاوز ارتفاعهـا كـاحل القـدم تغيـر جلـدها وتخـرج كثعابين بحرية زاهية الألوان وكأنها «ولدت من جديد».

وقد انصـب اهتمامنا علـى وجه الخصوص علـى هذه المسألـة لأن الثعابين التـي طرحت جلـدها كانـت تتمتع برؤية أوضـح من رؤية الثعابيـن التي كان جلدهـا قديما والتـي تقشرت قشـورها المـوجودة فـوق العينين. لقـد كانت ثعـابين البحر شائعـة بكثرة في المناطـق الضحلة ولـذلك فليـس من المتصـور أن القدمـاء لم يعـرفونهـا ويدركوا سلوكها الغريب.

وبأخذ هـذه التجربة في الاعتبار يصبـح من المفيـد أن نلقـي نظرة أخـرى على الفقـرات المدرجـة في كتـاب أجاثارشيـدس والمتعلقة بعمان. فقـد كتـب أولاً ما يلـي عـن «أكلــة السمـــك» الذيـــن عاشـــوا عنـد سواحـــل الجزيرة العربية:

إن جميع مناطـق المياه العميقة القريبة مـن الشاطىء معاديـة لأسلوب حيـاتهم مثلهـا في ذلـك تمامـاً مثل المناطق الموجودة على امتداد الشاطىء لأن مثل هذه الأراضـي لا توفـر صيداً وفيـراً من الأسمـاك أو أي كائنـات شبيهة. وتنتشـر مساكـن أكلة السمـك على طول الشـواطىء الصخريـة التي تتميـز بمنخفضات عميقة ووديـان (وهدان) غير منتظمة وقنـوات ضيقة وخلجان مقوسة.

وعندما تتوفر هذه الأمـاكن فإنهم يضعون بعض



المعالم الساحلية للشواطيء العمانية بالقرب من فنس.

الجلاميد الخشنة عند المنخفضات ويشكلون بها عدة ممرات ضيقة، ومـن ثم فعندما يأتي المـد تغطي مياه البحر الشاطـيء الصخري بأكمله بالميـاه التي تجلب معها مـن المضيق الأسماك التـي تمكث بالقـرب من الشاطـيء باحثـة عن الطعـام في الفجـوات المحمية. وعندمـا يحدث الجزر مـرة أخرى ينجرف المـاء عبر الحجارة والممـرات ويعود إلى الأعمـاق التي تجـذبه ويظل السمـك موجوداً في التجـاويف فريسـة سهلة وطعاماً مغذياً لأكلة السمك. وكما قلنا يمكن السيطرة على أنواع الأسماك الأخرى بسهولـة، لكن عندما تقع أسمـاك القـرش وعجـول البحـر الضخمـة نسبيـا والعقارب البحـرية والأنقليس وغيـرها من الكـائنات الشبيهة في المصيدة تصبح هذه العملية خطيرة.

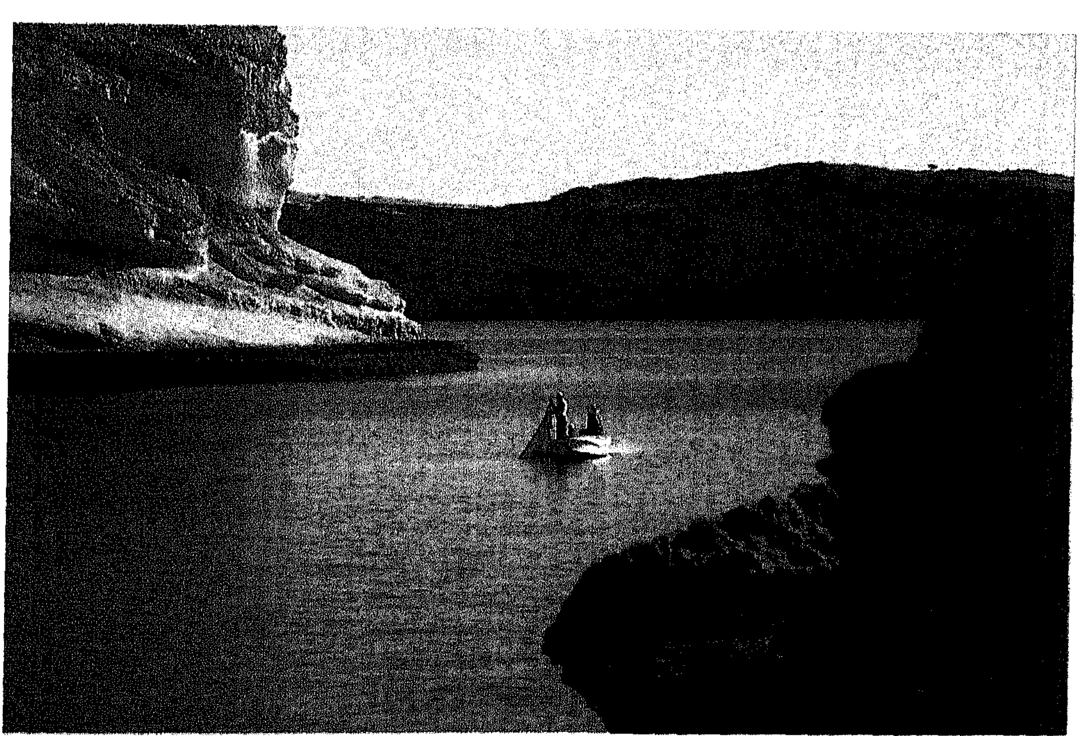
لقد تمت كتـابة هذا النص في حـوالي عام ١١٠ ق.م. وهو يمثـل وصفـاً دقيقـاً للاسلوب الـذي كان يتبعـه أكلة السمك في العثور على طعامهـم. ومن الواضح أن سكان السـاحـل كانوا علـى دراية بكيفيـة استغلال ظاهـرة المد والجزر في صيد الأسماك.

وإحدى النقاط الهـامة التي يثيرها هذا النـص هنا أنه ذكر «عجـول البحر الضخمـة» لأنه لـم يتم فـي الوقـت الحـاضر اكتشـاف وجـود عجـول البحر فـي البحـر الأحمر أو فـي جنوب المحيط الهنـدي. وعلى ذلـك فـإن هذه الكائنـات التي تمت الاشارة إليها قد إنقـرضت علـى ما يبدو.

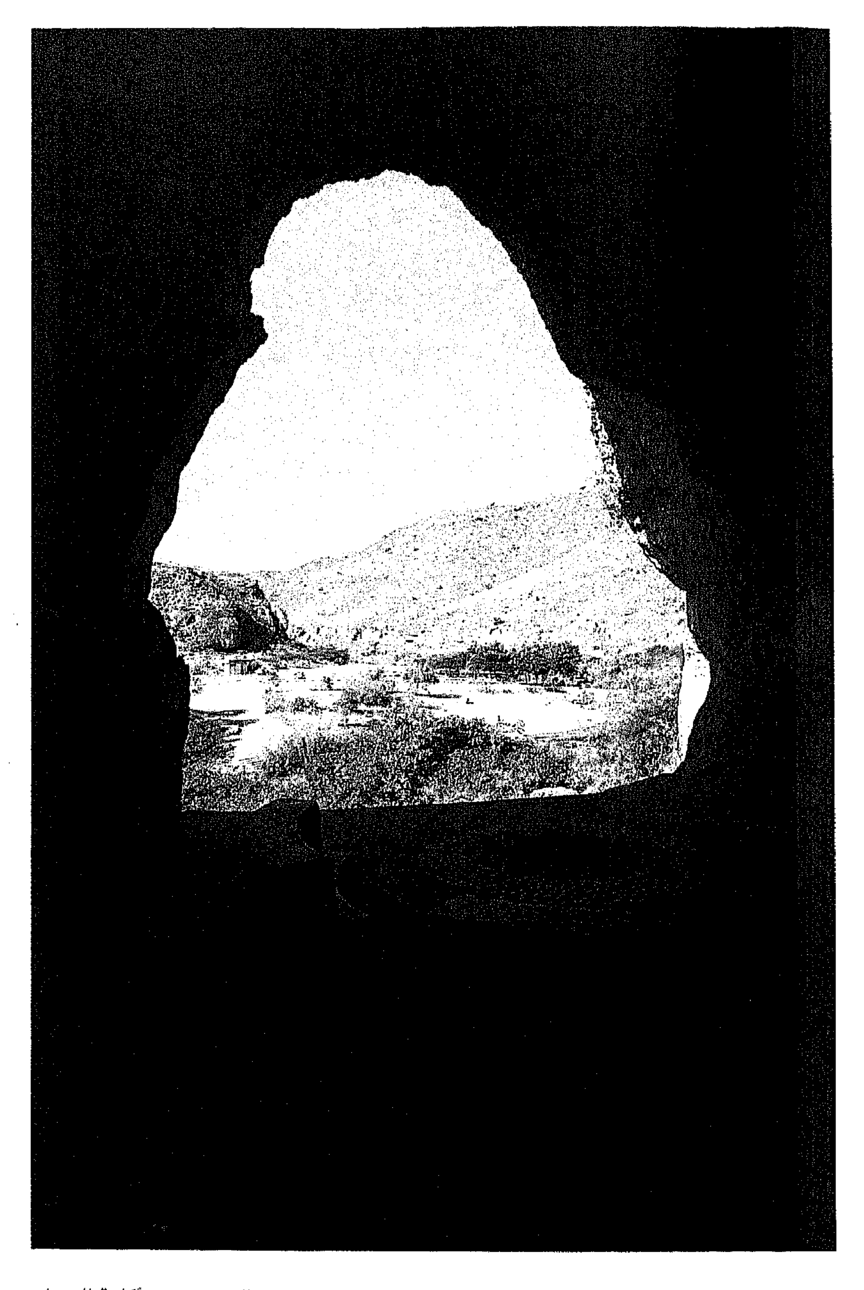
وهذا يدعـو إلى الأسف لأنها كانـت كائنات ودودة لا تخـاف من الأنسـان كما سنـرى فـي الوصـف الموجـز التالي:

مـن المدهـش ان عجول البحـر التـي تعيش وسـط هؤلاء الناس تصطاد السمك بطريقة مماثلة لتلك التي يستعملهـا الانسان. وهـي بـالمثـل تعامـل بعضهـا البعض باخـلاص تام فيما يتعلق بملاجئهـا وسلامة صغارها.

أو:



«تقع بيوت أكلة السمك على امتداد الشواطيء الصخرية التي تتميز بوجود منخفضات ووديان غير منتظمة وقنوات ضيقة ووديان وخلجان مقوسة» (أجاثارشيدس، في حوالي عام ١٠٠ ق. بم).



«يعيش البعض في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمال». (أجاثارشيدس).

الحديثة لعجول البحر في المنطقة. فقد ذكر البحارة الفرنسيون الذين وصلوا أولاً إلى جزر السيشل في القرن الثامن عشر أنهم شاهدوا عجول البحر تتنقل على الضفاف الرملية. كما شاهد ويلستد جلد أحد عجول البحر الصغيرة في أوائل القرن التاسع عشر بالقرب من رأس بنياس على البحر الأحمر وقال له الصيادون المحليون ان هذا النوع شائع في المنطقة. بل إن البعض يوحي بأن عجول البحر لا تزال موجودة في المياه العمانية. وهذا أمر لا يمكن أن يتجاهله المرء بسهولة خاصة وأن هناك مساحات شاسعة من السواحل العمانية لم يكتشفها الخبراء بعد.

وهناك بعض الأجزاء الأخرى في كتاب أجاثارشيدس توحي بارتباط كتاباته بعمان. ففي أعقاب الفصل الخاص بعجول البحر وفي اشارة صريحة لأكلة السمك الذين يعيشون بعيداً عن البحر الأحمر بالمعنى المحدود للكلمة يصف أجاثارشيدس مساكنهم كما يلي:

لا تقطن هذه القبائل في مساكن متشابهة، لكنهم يعيشون في مساكن تختلف طبقاً لخصائص البيئة، فبعضهم يعيش في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمال بحيث يرطبون أنفسهم بظلها العميق وبالنسيم المندفع حول هذه المنطقة لأن الكهوف التي تواجه الجنوب تكون حارة كالأفران ولا يستطيع الانسان أن يقترب منها نتيجة لشدة حرارتها.

أما هؤلاء الذين لا تتوفر لديهم كهوف في مواجهة الشمال فيجمعون بعض ضلوع الحيتان التي تحملها أمواج البحر إلى الشاطىء. ولأن هذه الضلوع متوفرة بكثرة فإنهم يضفرون العظام المقوسة من كلا الجانبين ويسندونها في مواجهة بعضها البعض ثم يوثقونها باستخدام الأعشاب البحرية الطازجة. وعندما ينتهون من تغطية هذه الغرف المقواة يلجأون إليها في فترات الحرارة الشديدة.

ويمكن هنا استخدام المعلومات البيولوجية المتوفرة في الربط المحتمل لهذه الواقعة بساحل ظفار حيث لا تزال أمواج البحر تحمل الأعشاب البحرية وعظام الحيتان إلى الشاطىء في آن واحد غير أن إنقراض الحيتان يعني قلة أعداد الهياكل العظمية التي تحملها

إن الناس الذين يعيشون بالقرب من أكلة السمك الذين لا يتعرضون للظمأ أبدا وكأن هناك معاهدة بينهم وبين عجول البحر لا يمكن خرق نصوصها فهم لا يضايقون عجول البحر وبالمقابل لا ينالهم الأذى منها. وكانت كل مجموعة تحترم فريسة الأخرى دون أن تتآمر أي منهما على الأخرى. وهكذا فإنهم يعيشون في تعاون وثيق مع بعضهما بطريقة يصعب أن نجد لها مثيلاً بين مجاميع الناس التي تعيش مع مجاميع أخرى.

وكان البطالسة يعرفون عجول البحر جيداً لأنها كانت تعيش في البحر المتوسط ولا يزال بعضها هناك. وكانوا يعرفون طبيعة ما وصفوه. ويمكننا أن نتأكد من خلال التفاصيل أن عجول البحر كانت من الكائنات المعروفة في ذلك الوقت في سواحل البحر الأحمر وجنوب الجزيرة العربية. ويصبح هذا الوصف أكثر جدارة بالثقة في مدلوله عندما نطلع على بعض الشواهد



الأمواج إلى الشاطىء.

ويواصـل أجاثـارشيدس وصفـه للنوعيـن الآخريـن للمساكن والذي ينطبق أيضاً على ظفار:

تنمو العـديد مـن أشجار الـزيتون فـي هذه المنـاطق وتقـذفها أمـواج البحـر إلى الشـاطـىء. وهي تتميـز بأوراق سميكة وبثمار تشبه الكستناء الحلوة.

ومن الـواضح أنه يقصـد بذلـك أشجار القرم. ويـواصل وصفه كما يلي:

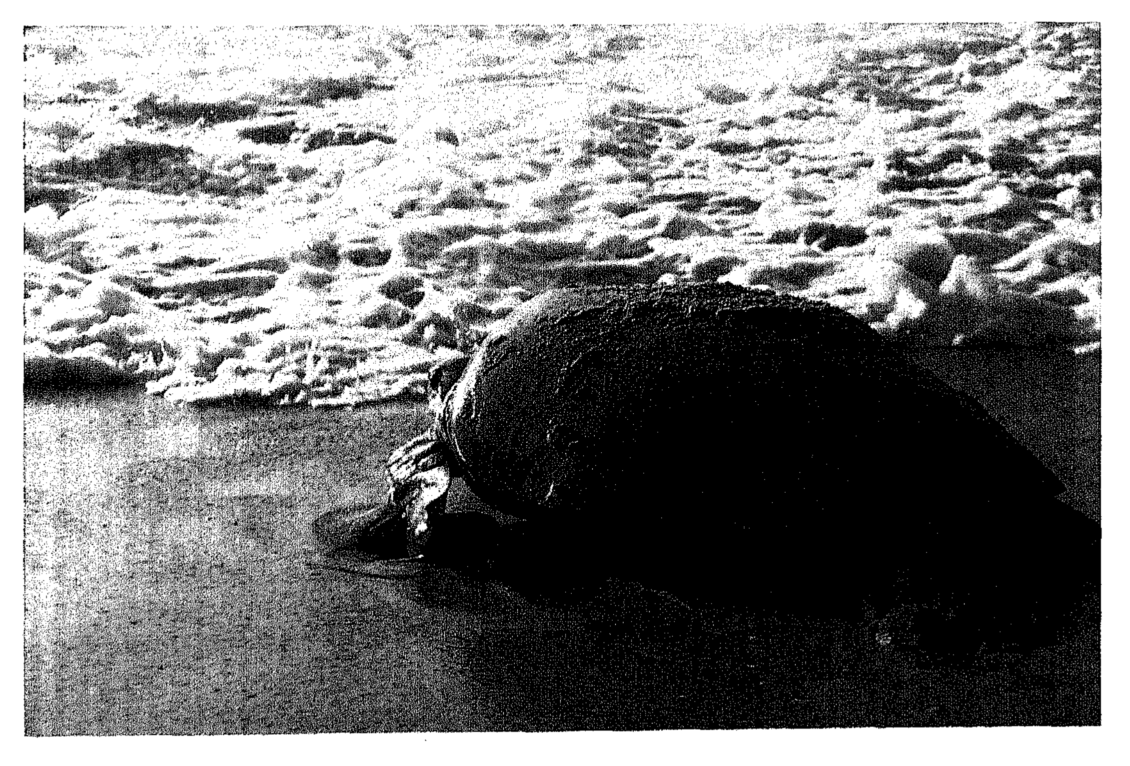
إنهم يضفـرون هذه الأشجــار ويشكــلون منهــا منطقـة مظللـة ويقيمـون في تلـك الخيـام الغـريبـة، ويقضون حياتهم في نفس الـوقت في البر وفي البحر وهـم يعيشـون عيشـة مرضيـة ويتفـادون حـرارة الشمس عن طـريق الظل الذي توفـره فروع الأشجار ويخففون من حدة الحرارة الطبيعيـة في هذه الأماكن بـاحتضان الأمـواج والاسترخـاء فـي ظل النسمـات الرقيقة التي تندفع حولها.

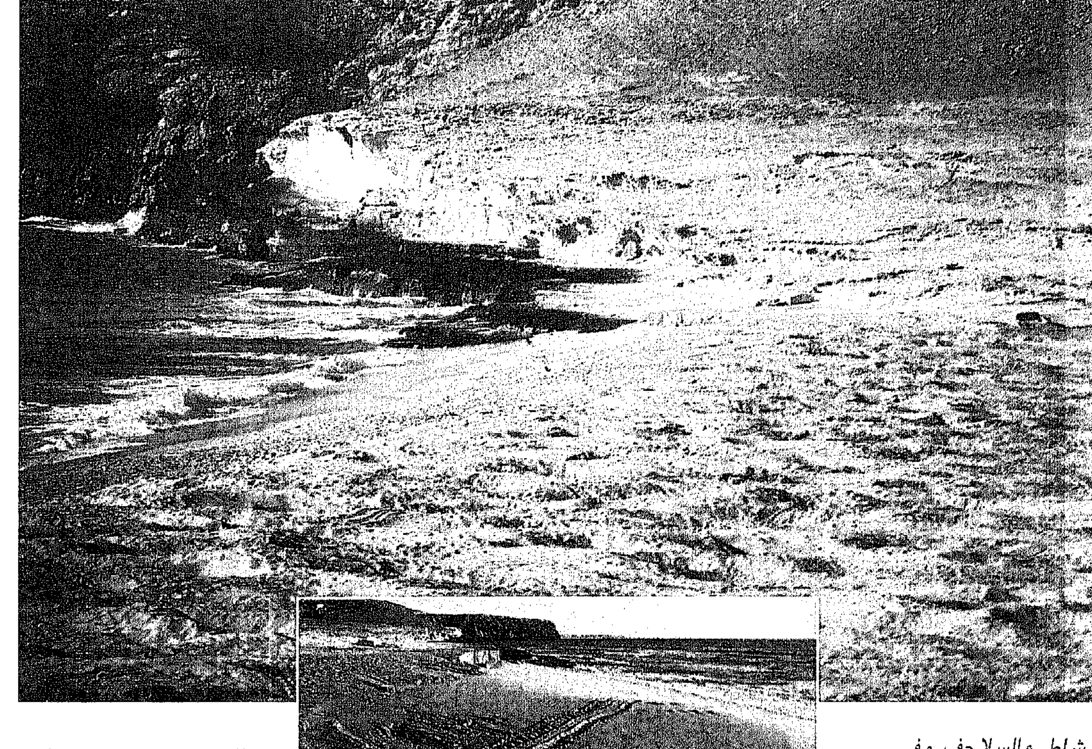
وينطبق هذا الوصف أيضاً علـى الساحل العماني وإن كـان لا يقتصر عليـه. لكـن العبارة التـالية تبدو وكـأنها تنطبق تماماً على عمان:

... تراكمت كميـة ضخمة من أعشـاب البحر التـي أتت علـى امتداد عصــور سحيقة في القـدم، وهـي تشبــه الجبـل فــي مظهـرهـا. وباتـت هـذه الكومة المضغـوطة بفعل ارتطام الأمواج المستمر ذات بنية ثابتـة واختلطت بـالــرمـل. وفــي هــذه الأكـوام يحفـر النـاس حفراً لهـم بحجم الـرجل ويتـــركـون الجـــزء الموجود عند القمة صلداً بينما يقيمون ممـرات في الجزء السفلي يوصلونها ببعضهـا البعض عن طريق أنفاق محفـورة في الكومة. وبهـذه الطريقة يـرطبون أنفسهم عـن طريق الأنفـاق ولا يزعجهم شـيء. لكن عندمـا يأتـي المدّ فـإنهم ينـدفعون خـارجين منهـا ويجمعون السمـك. وعندما ينسحب الجـزر يعودون إلى الغرف ويقيمـون الولائم اعتماداً على مـا بداخلها من صيد. وهؤلاء الذين يمـوتون يقيمون لهم مراسم الدفـن في وقت الجزر ويتـركونهم في المكـان الذي توفوا فيه إلـى أن يأتي المد فيقذفون بهـم إلى البحر. وهكذا فبإعادة أجسادهـم لتكون مصدر طعام للسمك فإنهـم يتبعون إسلوباً فـي الحياة يتبع نفس الدورة الأبدية المتواصلة بصورة مدهشة.

«تنمو العديد من أشجار الزيتون في تلك المناطق وتقذف أمـواج البحـر جذورها ...). (أجاثارشيدس).

كانت السلاحف صيداً سهلاً بالنسبة للمستوطنين الأوائل على امتداد الساحل العماني.





شاطىء السلاحف. وفي الصورة الصغيرة تبدو آثار أقدامها.

البعض فلا تتلاطم الأمواج في وسط هذه الجزر لأنها تتكسر عند الجزر الخارجية وتفقد قوتها. وتعيش في هذه الأماكن أعداد كبيرة من سلاحف البحر تأتي من جميع الاتجاهات لتلجأ إلى المياه الساكنة وتمضي الليل في المياه العميقة بحثاً عن الطعام وتأتي أثناء النهار إلى مياه البحر الموجودة بين الجزر وتنام على السطح وترسها في مواجهة الشمس وهي بذلك تشبه القوارب المقلوبة. إنها سلاحف ضخمة ولا يقل حجمها عن حجم أصغر القوارب.

وفي أثناء نومها يسبح أهل هذه الجزر إليها ويقتربون منها من الجانبين حيث يقوم أحدهم بدفعها ويقوم الآخر برفعها حتى يتم قلبها. ثم يتولى هؤلاء الموجودون على الجانبين توجيه جسمها بأكمله حتى لا تنقلب السلحفاة وتهرب منهم. ومن ثم يقوم أحد الأفراد الذين يحملون حبلاً طويلاً بربط الحبل في ذيلها ويسبح إلى الشاطىء ثم يسحبها إلى البر.

وعندما يحملونها إلى الجزيرة يخبزون جميع أجزائها الداخلية تحت أشعة الشمس لبعض الوقت ثم يقيمون وليمتهم. ويستعملون ترس السلحفاه الذي يشبه الاناء في الابحار إلى اليابسة لجلب الماء أو للاحتماء فيه.

ويبدو أن الطبيعة قد وفرت لهم، في هدية واحدة، العديد من احتياجاتهم. ففي هذه الهدية يتوفر الطعام والاناء والمسكن والقارب. ويبدو من المحتمل أن هذه السلاحف هي نفس السلاحف الخضراء الضخمة التي لا تزال الآلاف منها تقيم أعشاشها في عمان. ويوحي النص التالي أن ما جاء آنفا يشير إلى جزء من الساحل العماني:

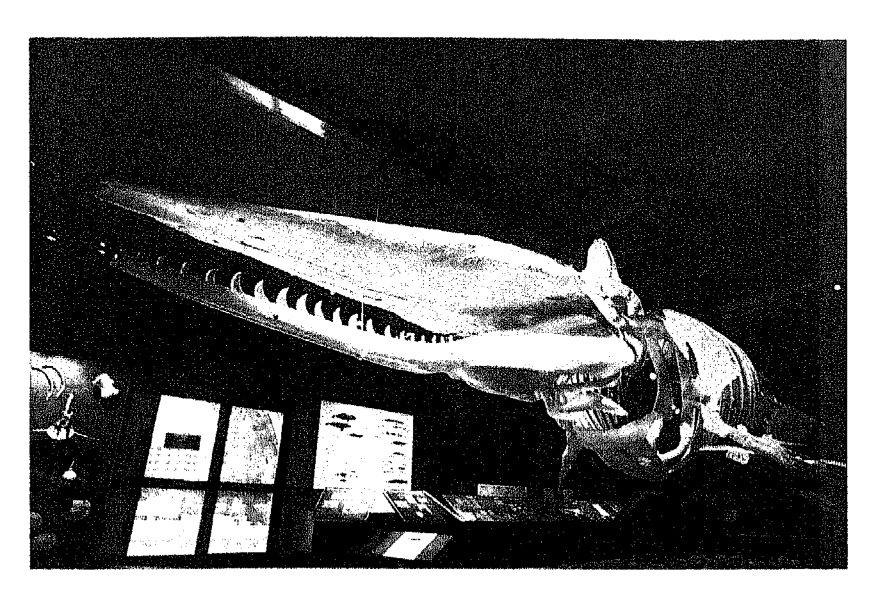
وفي مكان لا يبعد كثيراً عن هؤلاء الناس يستوطن

كما كان أكلة السلاحف محل اهتمام شديد وهم ربما كانوا يعيشون في جزر الديمانيات. ويواصل النص كما يلي:

هناك جزر في المحيط قريبة من اليابسة، عددها كبير وحجمها صغير وهي منخفضة ولا يوجد فيها ثمار مدجنة أو برية. ولأنها قريبة من بعضها



سلحفاة خضراء تسبح بالقرب من شاطىء التعشيش.



صالة الحيتان بمتحف التاريخ الطبيعي في عمان.

الساحل مجموعة من الناس الذين لا يتبعون اسلوباً منتظماً في حياتهم ويستخلصون طعامهم من الحيتان التي تحملها الأمواج إلى الشاطىء. وأحياناً يتوفر لهم الطعام بكثرة بسبب ضخامة حجم هذه الحيوانات التي يعثرون عليها لكنهم أحياناً أخرى يعانون من النقص الشديد في الطعام بسبب انقطاع حركة الأمواج التي تحمل هذه الحيوانات إلى الشاطىء.

وفي تلك الأحيان كان القحط يجبرهم على قضم غضاريف العظام القديمة والغضاريف التي تنمو عند أطراف الضلوع.

لقد تناولت في النصوص الأربعة المذكورة آنفاً بعض الملاحظات الشخصية على التاريخ الطبيعي لعمان. وهناك العديد من التجارب التي كنت أستطيع أن أكتبها عن عمان والتي تتراوح بين الغوص في الممرات الضيقة ذات التيارات السريعة واكتشاف الحواف الناتئة للمنحدرات التي يبلغ ارتفاعها ألف قدم أو استقصاء الواحات الخضراء غير المتوقعة والموجودة في رملة الوهيبة. ومع ذلك فإن التاريخ الطبيعي المثير لعمان هو موضع العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية التي يقوم بها بعض العلماء الأكاديميين والهواة من علماء التاريخ الطبيعي والمستشارين الذين يعملون نيابة عن الهيئات الحكومية المختلفة.

وبتوجيه خاص من جلالة السلطان قابوس تقوم الحكومة العمانية بجهود واضحة في المحافظة على البيئة واحيائها المختلفة.

وقد لعب متحف التاريخ الطبيعي في عمان دوراً هاماً في تجميع وتصنيف المعلومات من عدة مصادر مختلفة. كما لعب رالف ديلي المستشار الخاص لشؤون المحافظة على البيئة بالديوان السلطاني والذي يشغل هذا المنصب منذ سنوات طويلة دوراً هاماً في وضع وإدارة برامج المحافظة على البيئة بما في ذلك البرامج المرتبطة باعادة توطين أبقار المارية (المها) العربية.

وقد تم في عام ١٩٩٢ عقد اجتماع في عمان تحت رعاية وزير البلديات الاقليمية والبيئة لمناقشة استراتيجية حماية البيئة الوطنية.

وتتضمن التقارير المصاحبة لهذه المناقشات موجزاً قيماً عن العديد من نواحي التاريخ الطبيعي لعمان، وكانت عوناً كبيراً لنا في إعداد الوصف التالي والذي يعتمد على مجموعة غنية من الأبحاث المنشورة.



عند حافة رملة الوهيبة.

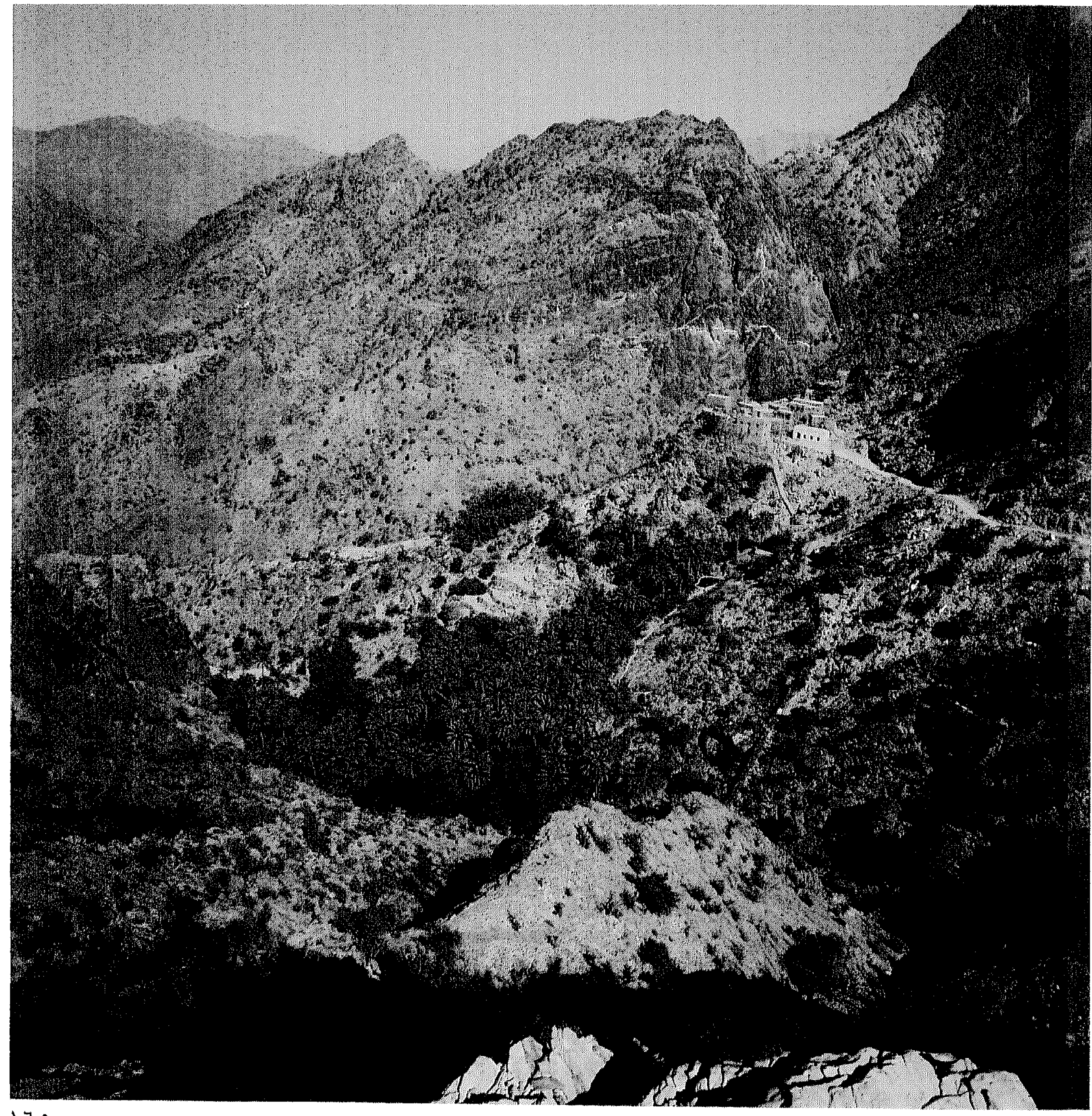
خلفيــــة جيولوجيــــة

الكتلة الأرضية لعمان تتحرك من مكانها

لم تشغل المنطقة العمانية موقعها الحالي دائما بل كانت تتحرك باستمرار، وحتى في الوقت الحالي فإنها تتحرك تدريجيا وتبتعد عن افريقيا بمعدل سنتيمترين إلى ثلاثة سنتيمترات كل عام وهو معدل يصعب ملاحظته إلا عن طريق إجراء أدق أعمال المساحة. ومع ذلك فإن المقياس الذي يحكم الزمن الجيولوجي يعتمد على مقياس مختلف وأكبر كثيرا من المقياس الذي يحكم حياتنا.

إن ألف عام من الناحية الجيولوجية هي فترة قصيرة جدا بل وأن مليون عام لا تستحق أن نخصها بذكر خاص. وبدلا من ذلك يتدرج المقياس الزمني المعتد به في الجيولوجيا بمئات الملايين من السنين.

قرية الوجمة في وادي سحتان.



شركة تنمية نفط عمان

أ ما قبل العصر الكمبري
ب العصر الكمبري
ج العصر الأردوفيسي
د العصر السيلوري
هـ العصر الديفوني
و العصر الكربوني
ز العصر البرمي
ح العصر الترياسي أو الثلاثي
ط العصر الجوراسي
ي العصر الطباشيري
ك العصر الثالث

ش
٣٠°
٢٠°
١٠°
٠°
١٠°
٢٠°
٣٠°
٤٠°
٥٠°
٦٠°
ج

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك

٦٠٠ ٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ الموقع الحالي
ملايين السنوات

حركة كتلة الأرض العمانية عبر العصور الجيولوجية. (طبقاً لـ إم. هيوز كلارك، ١٩٩٠).

وفي بداية المخطط الزمني الجيولوجي، منذ أكثر من ستمائة مليون سنة، كانت الصخرة القاعدية التي ترتكز عليها عمان الآن موجودة في نصف الكرة الأرضية الجنوبي وتقع على جانبي مدار الجدي. ثم انحرفت على مدار الأربعمائة مليون سنة التالية إلى الأمام وإلى الخلف بين خطوط العرض الجنوبية نصف القطبية وخط الاستواء، لكنها ظلت في جميع العصور في نصف الكرة الأرضية الجنوبي. وقد تم توضيح حركة الكتلة الأرضية العمانية في الرسم المطبوع بجوار هذا النص. وأخيراً ومنذ مائة مليون سنة إنحرفت هذه الكتلة الأرضية نحو نصف الكرة الأرضية الشمالي واستمرت في تحركها في اتجاه الشمالي الشرقي حتى وصلت إلى موقعها الحالي.

ولا يقتصر هذا الانحراف المثير لصخور القشرة الأرضية الموجودة أسفل الكتلة الأرضية العمانية الحالية على عمان وحدها بل أنه نتج عن تحرك ألواح الكرة الأرضية على مستوى العالم وما تبعه من إنفصال القارة الأم «باناجيا» إلى قارتين ضخمتين هما لوراسيا وجندوانا. ومنذ حوالي خمسة وستين مليون سنة مضت ظهرت بعض التصدعات الخطيرة في القشرة التحتية لقارة جوندوانا وبدأت بعض أجزاء هذه القارة تنحرف عن بعضها. فشكلت عمان وبقية الجزيرة العربية جزءاً من قارة جوندوانا ـ التي كانت تتضمن قارتي أفريقيا والهند الشاسعتين.

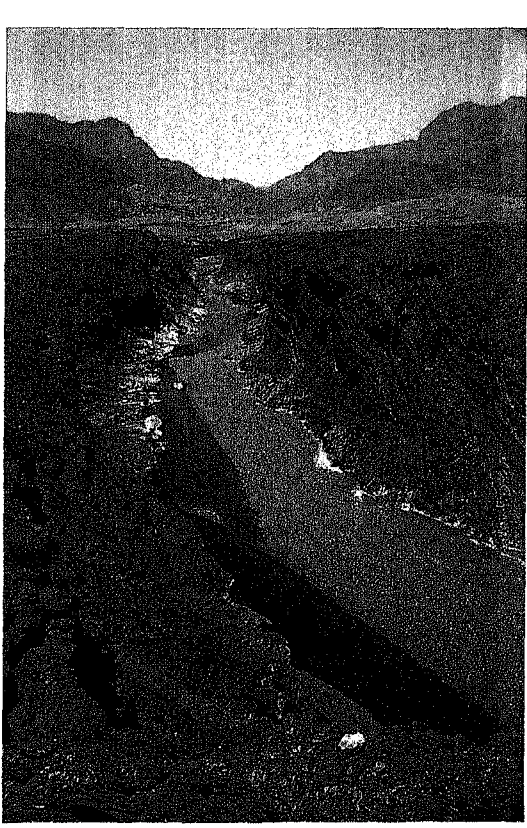
أما الانفصال عن قارة افريقيا فربما يكون قد حدث منذ حوالي خمسة وثلاثين مليون سنة ونجم عنه انشقاق خندق ضيق نشأ عنه البحر الأحمر. وأخيراً اصطدم لوح الجزيرة العربية بلوح منطقة الاوراسي مما نجم عنه نشأة مناطق هائلة الضغط ومرتفعات ضخمة ظهرت في شكل جبال الحجر في عمان وجبال زاجروس ومكران المقابلة لها في ايران. وبالرغم من التحركات الجيولوجية لعمان فهي تعتبر من مناطق غلاف الكرة الأرضية المستقرة نسبياً والتي تخلو معظمها من الزلازل الأرضية العنيفة.

وتعتبر مسندم هي أقرب منطقة للحدود الواقعة بين الجزيرة العربية وهضاب الأوراسي، وقد شهدت هذه المنطقة في بعض الأحيان زلازل أرضية مرتبطة بالتوترات الموجودة على امتداد منطقة التصادم.

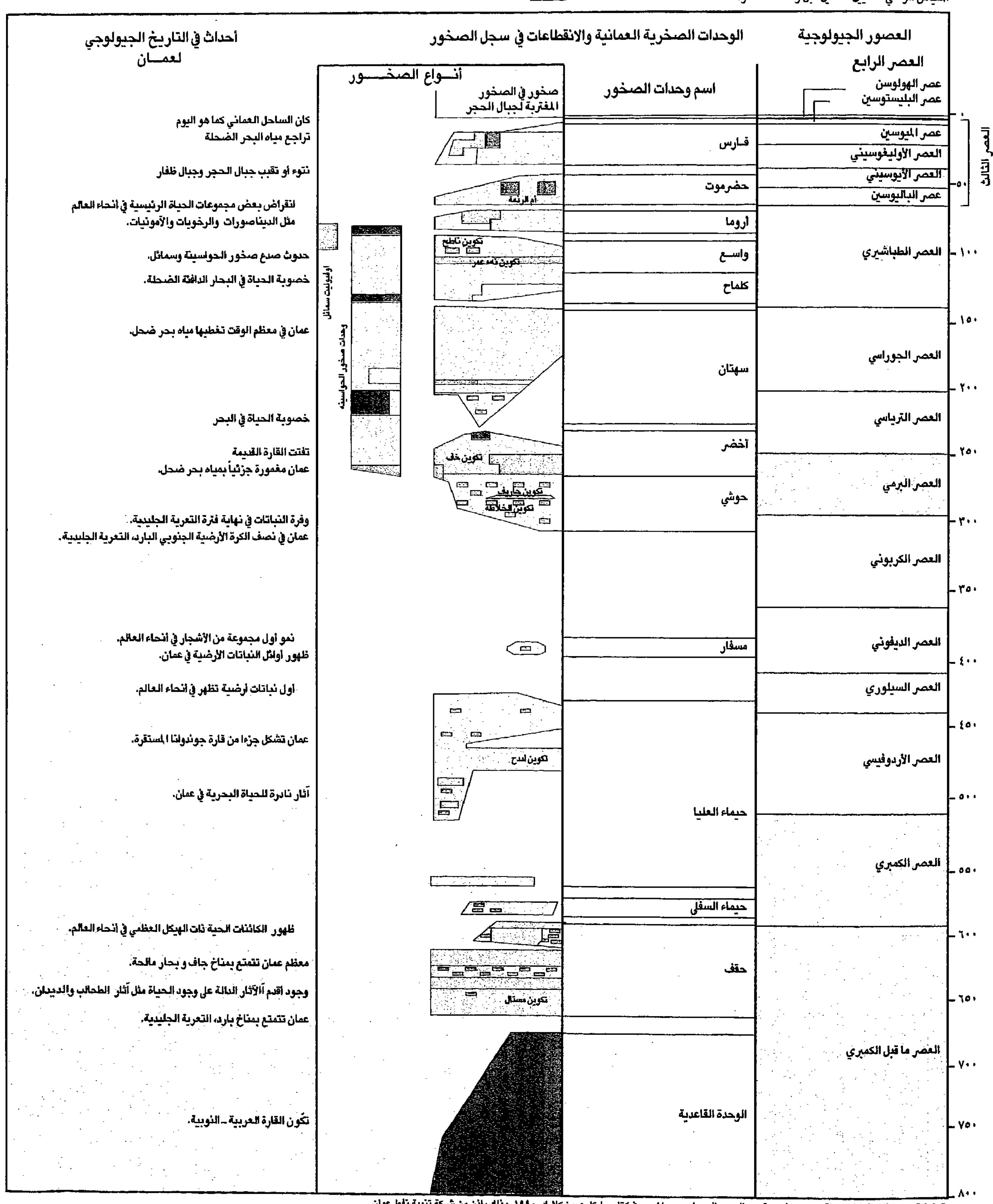
ويرتكز لوح الجزيرة العربية على لوح القارة الهندية تحت أعماق المحيط الهندي شرقي عمان على امتداد الخط المعروف بإسم منطقة «أوين للتصدع». وبينما ينتج عن انزلاق كلا اللوحين في اتجاه أحدهما الأخر بعض الزلازل، إلاّ أن هذه تكون غير ملحوظة عادة في داخل عمان.

المناطق الجيولوجية

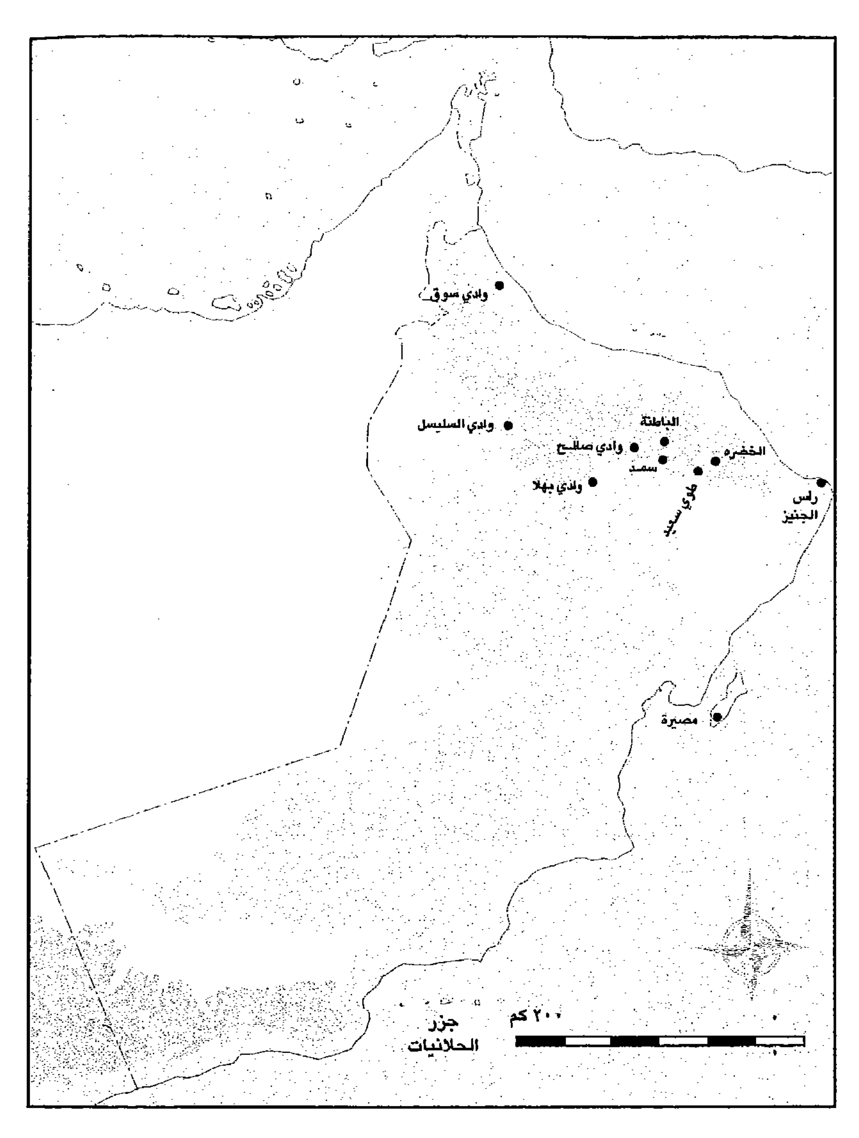
نتجت الدراسات الجيولوجية لعمان عن جهود التنقيب عن المعادن الثمينة ومصادر الهيدروكربونات واكتشافها. وقد ساعدت طرق الأبحاث الجديدة بما في ذلك أساليب التصوير بالقمر الصناعي وأنظمة التحسس عن بعد في تكوين



أدت التعرية الناتجة عن مياه الفيضانات إلى حفر وديان عميقة في داخل الجبال العمانية كما يظهر هنا في وادي ديقاح.



تم اعادة رسم هذا المخطط من واقع رسم «شريحة عبر العصر الجيولوجي»، المدرج في كتاب مايكل هيوز كلارك، ١٩٩٠، وذلك بإذن من شركة تنمية نفط عمان.



صورة شاملة للبنية الخاصة بهذا البلد الشاسع.

وبصـورة عامـة يمكـن تقسيم عمـان إلى ثـلاث مناطـق جيولوجيـة مميـزة هـي منطـقة الجـروف المرفـوعـة وجبـال مسندم وسلسـة جبـال الحجـر وسلسـة جبـال الحقـف وظـفار ومنطقـة الطبقـات السفلية الـرسوبيـة الحديثة الموجـودة في وسـط عمـان مثـل تلـك الموجـودة في جـدة الحراسـيس ومنطقـة البحار الرملية والكثبان الموجودة في رملـة الوهيبة والربع الخالي.

لقـد نشأت المنـاطق الجبليـة، كما أشرنـا آنفاً، نتيجـة للنتـوءات التـي حـدثت في قشرة الكـرة الأرضيـة بسبـب تصادم اللوحين. وهكـذا فقد ارتفعت الجبال الـرئيسية في عمان منـذ حوالي خمسـة وثلاثين مليـون سنة مضـت في خلال العصر الثلثي الحديث اللاحق.

أمـا شكلهـا الحالي فهـو نتيجـة لقـوى التعريـة والتغيرات المنـاخيـة والتراوحـات التي حـدثـت فـي منسوب البحـر منـذ ذلك الحيـن. وتعتبر جبـال ظفار، التـي تتكون أسـاساً مـن بلاطـة مائلـة ضخمة مـن الحجـر الجيري الثلثي، هـي خير مثـال على ذلـك. فالبـلاطة مرتفعـة خلف صلالـة وتميل في اتجاه الشمال، وجانبهـا المواجه للسـاحل على امتـداد الجانب الجنـوبي مكشوف في شكل سلسلة من الكتـل القشرية التي تشكـل في بعـض الأماكـن جروفـاً حـادة قد يصـل ارتفاعهـا إلى ١٠٠٠ مترا

وعنـد السفـر إلى صـلالـة بـالطـائرة يستمتـع المرء بالمشاهد الرائعة للمنحدرات الشمالية لبلاطة ظفار. حيث تشق العديد من الوديان طريقها ملتوية بين التلال الوعرة وتختفي في الرمال الجدباء لصحـراء الربع الخالي. وتظهر التعريـة الناتجة عـن الريـاح ومياه الأمطـار بوضـوح في النمط الوعر للأراضي.

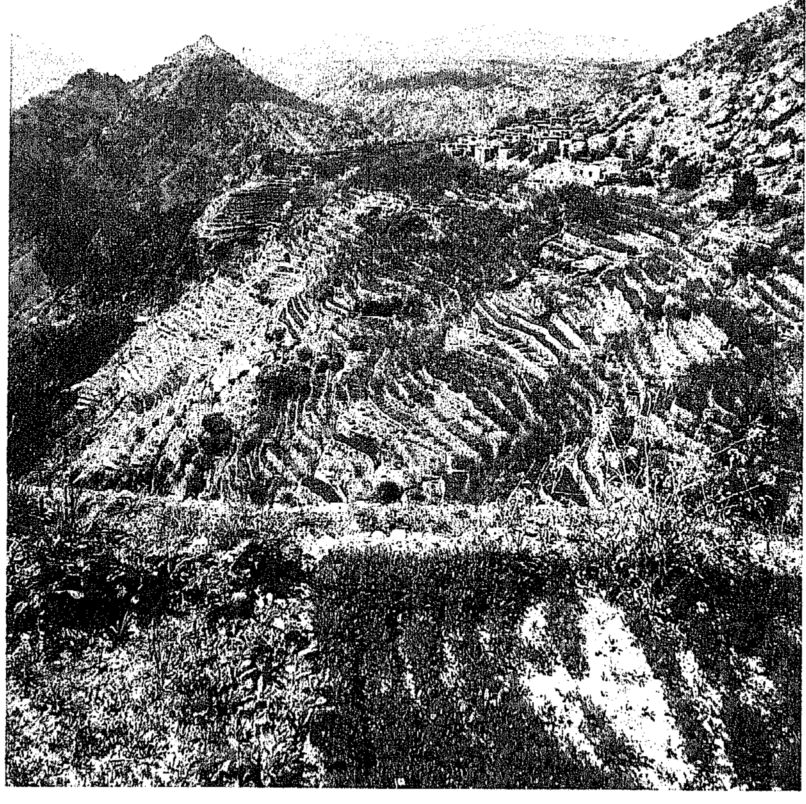
أما جبال الحجر فتعطينا قصـة مختلفة تماماً تنعكس في الطبيعة المتبـاينة لصخورهـا. فبعضهـا صلـب ومقاوم للتعرية وبعضهـا الآخر طـري جـداً. وكانـت قوة نتـوء القشرة الأرضية في هـذه المنطقة أقوى مـن قوة نتـوئها في ظفار مما أدى إلى رفع بعـض الطبقات في شكل سهـل رأسي تقريباً مـؤدية بذلك إلى كشـف الحواف المتعددة الطبقات المعرضـة للتأكل ممـا نجم عنـه انشاء سلسلة مـن القمم الناتئة غير المستوية.

إن بعض الصخـور الرسوبية الموجـودة هنا مدفـونة ومضغوطـة بعمق وتشكل صخـوراً صلبة جداً مثـل تلك التـي تشكـل قمـم الجبـل الأخضر. وقـد تشكلـت هـذه السلسـلة من طبقـة محدبـة واحـدة تعرضـت فيما بعـد للتـأكـل لتشكـل سلسلـة من الـوديـان أو التجـويفـات العريضـة.

وقد أدت دراسة خصائص التعرية في المناطق العمانية إلى استنتاج أن المنـاخ في بعض العصـور ربما كان أغـزر مطراً مما هو عليه اليوم وأن تأثير التعـرية الناتج عن مياه الأمطار في ذلـك الحين كان أكبر مـن ذلك الـذي يحدث في الوقت الحالي.

وتنعكس هذه الشواهد التـي تدل علـى تبايـن المنـاخ في العصـور الحديثـة نسبيـاً على سجـلات الحفـريـات. وتعتبر أنظمـة كهوف الحجـارة الجيريـة العمانية والتـي تتضمـن بعضاً مـن أضخم الكهـوف الموجودة في العـالم احدى الظواهر الجيولوجية الهامـة التي توحي أيضاً بأن عمان قـد شهـدت في الماضي فترة أو فترات مـن الأمطـار الغزيرة..

وتتراكـم الأنقاض النـاتجة عن التعـرية بـالقرب مـن أسفل الجبـل في شكل تلال سطحية منخفضـة وفي شكل مراوح غرينية مثيرة تمتد من مجاري الماء أو الوديان. أما السهـول المنخفضة والمستـويـة بصـورة أكبر مثل تلـك الموجودة في جـدة الحراسيس فقد شكلتها قيعـان البحر القديمة حيث تحولت رواسـب الرمال البحرية والطين إلى أحجار جيرية.



شركة تنمية نفط عمان

الجبل الأخضر.

إن إستواء جدة الحراسيس، وهي منطقة المحمية المفتوحة الخاصة بأبقار المارية (المها) العربية البرية ـ من بين الكائنات الأخرى ـ هو إنعكاس للاستقرار النسبي للأراضي منذ نشأة هذه الصخور. وهنا أيضاً تستطيع العين البصيرة أن تلحظ الارتفاع البسيط حول

رملة الوهيبة

شركة تنمية البترول العمانية

حافة حفرة حجر النيزك الضخمة، والتي تم ردمها الآن، وهي «حفرة حبحب» وهي من المعالم التي يتم لفت نظر الزائرين ليعلوني إليها.

وتعتبر المناطق الصحراوية التي تتخذ شكل رملة الوهيبة وجزءاً من صحراء الربع الخالي من أهم المعالم الجيولوجية الملحوظة في عمان. وبالنسبة لرملة الوهيبة فإن المعالم التي تفتن الزائر لعمان لأول مرة هي فظاظة الخط الذي يفصل بين الكثبان الرملية الحمراء وتناقض المناطق الريفية المحيطة بها.

وقد عززت الدراسات الجغرافية التي قامت بها الجمعية الجغرافية الملكية كجزء من مشروع رملة الوهيبة تماماً مدى فهمنا لهذه المنطقة المعقدة والمثيرة والتي شهدت دورات مناخية أكثر برودة ومطراً ودورات مناخية أكثر جفافاً ودفئاً.

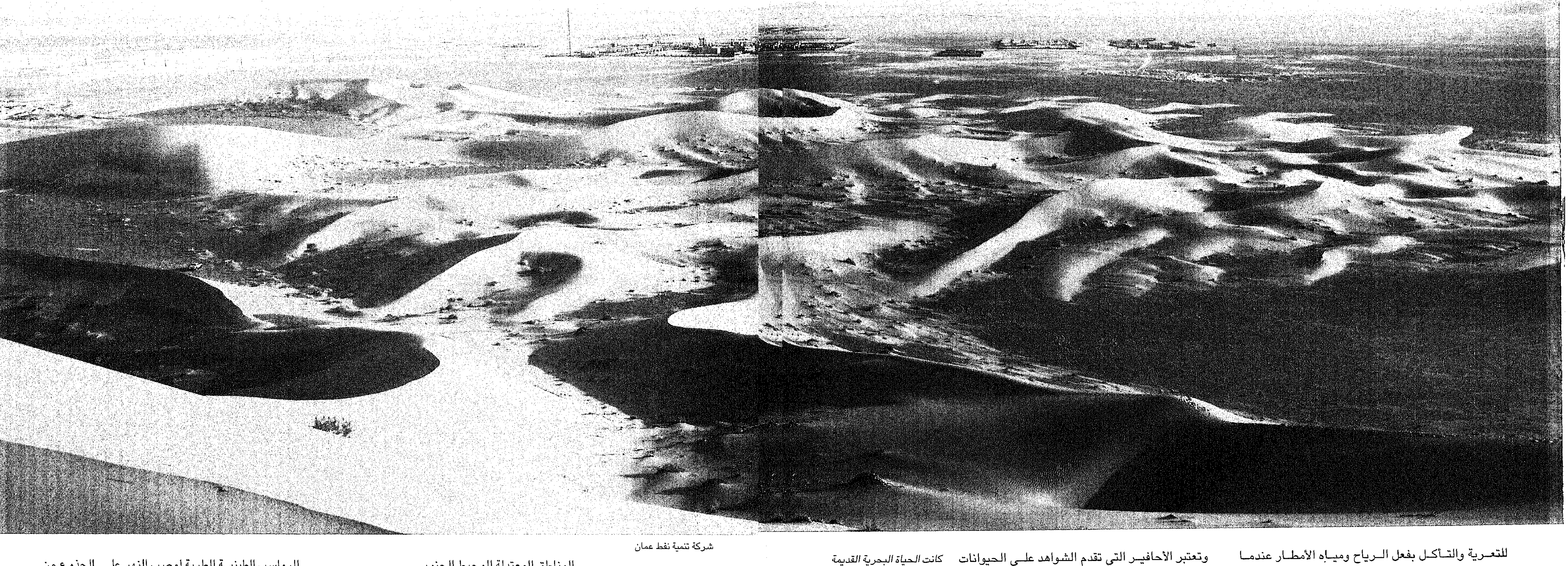
كما شهدت منطقة الربع الخالي مثل هذه التباينات المناخية، وهناك شواهد على أن أشجاراً كبيرة نمت يوماً في قلب الصحراء. وحيثما انصرفت مياه الأمطار المنحدرة من جبال الحجر في اتجاه الغرب بعيداً عن البحر في تجويف ضخم جاف من الربع الخالي تكونت بحيرة مالحة تعرف محلياً باسم «ام السموم»، وهي منطقة مقفرة تتسم قيادة السيارة فيها بالخطورة حيث يشكل الغلاف الموضعي ذو الثخانات المختلفة والحيود الملحية عوائق كبيرة.

كما لعبت الأملاح في بعض الأماكن الأخرى دوراً مختلفاً حيث شقت طريقها إلى السطح من المستودعات الضخمة الموجودة في أعماق باطن الأرض وجلبت معها تجمعات صخرية مختلفة إندفعت إلى السطح واستقرت هناك بعد أن جرفت مياه الأمطار الأملاح.

الأحافير البحرية

تتضح المستويات السابقة لارتفاع منسوب مياه البحر في العديد من المواقع على امتداد الساحل وحتى في المياه الباطنية. ويمكن تمييز مستويات المد والجزر العالية القديمة من خلال الشقق الأرضية المسطحة التي حزتها الأمواج، بينما يمكن ملاحظة المستويات المنخفضة التي تختلف عن المستويات الحالية عند قيادة السيارة في بعض المناطق المختلفة مثل جزيرة الفحل حيث تتكرر الحزوز التي تصنعها الأمواج على الصخور عند مستوى المد والجزر في مكان أعمق يبعد مسافة عدة أمتار تحت منسوب سطح الماء.

كما أن فحص الصخور الموجودة تحت سطح البحر بعناية قد يكشف عن وجود ما يدل على تعرضها



شركة تنمية نفط عمان

للتعـرية والتـأكـل بفعل الـرياح ومياه الأمطـار عندمـا أصابتهـا عوامل التعريـة في خلال عصور الجليـد حين كان مستـوى منسوب البحـر أدنى مـن مستواه الحـالي بمقدار ١٣٠ متـراً. وهناك مثـال واضح يبيـن المستوى الذي كان عليه ارتفـاع البحر يوما ما بالقـرب من مسقط حيث تمتـد إحدى الهضاب المميـزة التي حزتهـا الأمواج على امتداد جانب التل الواقع بين بندر Jissa و Baushar.

ولا تتوقـف المعالم الجيولـوجية عند مستـوى سطح البحر فحسـب، فالمعالـم الجيولـوجية الموجـودة تحت سطح البحر فـي عمان مثيرة بنفس درجتهـا فوق سطح الماء. فبالاضـافة إلى الحزوز التي صنعتهـا الأمواج في العصـور المبكرة والمـوجـودة علـى سطوح الصخـور المنحدرة مثـل الصخور المـوجودة فـي جزيـرة الفحل، هناك شقـوق تحت سطح البحـر شكلتها الأراضـي التي كانت مـوجودة يوماً فـوق مستوى سطح البحر وتـآكلت سطوحها بفعل مياه الأنهار القديمة.

وفي مناطـق المياه الضحلة يواصل المرجـان تكوين الحجارة الجيرية التي تتكون منها الحيود البحرية بنفس طريقـة تكون الحيـود الاحفوريـة الموجـودة في بـروز طبقات الحجارة الجيرية الموجودة فوق الأرض.

وتعتبر الأحافيـر التي تقدم الشواهد علـى الحيوانات التي كانـت تعيش في عمان منذ آلاف أو ربمـا ملايين أو ربمـا مئـات المــلاييـن مـن السنيـن أهـم السجـلات الجيولوجية في عمان وأكثرهـا إثارة من وجهة نظر علماء التاريخ الطبيعي.

لقد تكـونت الصخور الرسـوبية المحفوظ عليهـا هذه الأحافيـر علي مـر فترة طويلـة من الـزمن تبلـغ ستمائة مليـون سنة وهـو مقيـاس زمنـي زحفت فيـه صخـور القشرة الأرضية العمـانية من مدار الجدي الجنـوبي إلى الخط ٥٥ درجة جنوباً ثم شمـالاً عبر خط الاستواء حيث موقعهـا الحالـي. ولذلك فليـس من المـدهش أن تتبـاين بشدة طبيعة الرواسب والاحافيـر المحفوظة بينها نتيجة لهذه التحركـات ونتيجة للتغيرات المناخية الهـائلة أيضاً التـي حدثـت على نطـاق عالمـي وكذلـك عملية النشـوء والتطور.

وترجع أقـدم الصخور الرسوبية التـي يمكن فحصها في عمـان إلى مجموعتـي الحقف وهيماء وتحتـوي على طبقات جيولوجية كونتها الطحالب المائية والبكتريا التي كانت تعيـش منذ أكثر من ستمائة مليون عـام مضت في فترة ما قبل العصر الكمبري عندما كانت «عمان» تقع في

كانت الحياة البحرية القديمة التي تحتجزها الصخور الجيرية توفر مصدراً لانتاج النفط والغاز الطبيعي. ويقوم الانسان اليوم باستخراج هذا الوقود الاحفوري في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وقد تم التقاط هذه الصورة في معسكر الخوير الذي تحيط به الكثبان الرملية الضخمة لصحراء الربع الخالي.

المناطق المعتدلة للمحيط الجنوبي.

ويعتبر العصر السيلوري والعصر الديفوني والعصر الكربـوني أو الفحمـي من العصـور غير المعـروفة فـي عمان لعدم وجود أحجار كثيرة ترجع إلى تلك العصور.

وقد كشفت أعمـال التنقيب عن النفط وجـود قطاعات نادرة من مجمـوعة حجارة سنار التي ترجـع إلى العصر الديفوني والتـي تحتوي على أحافير لنباتـات وحيوانات ميكروسكـوبية كانت تعيـش في بحيرات المياه العـذبة. كما تـم الحفاظ علـى اللقاحـات والجراثيـم الناتجـة عن النباتـات التي كانـت تعيش في قـارة جوندوانـا العظمى التي ازدهرت خلال العصر الكـربوني أو العصر الفحمي فـي تكـوينات الخلطـة التـي ارتبطـت باحـدى الفتـرات الجليدية.

وتعتبر أقدم طبقـة تحتوي على أحافير بحـرية كثيرة هي الطبقـة السفلى لتكـوين غـريف والتـي تكونـت في العصر البرمي وهو العصر الأخير من الدهر القديم (منذ مائتين وخمسين إلى ثلاثمـائة مليون سنة مضت). وهنا يستطيـع المرء أن يـرى وفـرة زهور الـزنبـق البحريـة والأصـداف القنديليـة، بينمـا يشـاهد جـذوع الأشجـار المتحجرة في الطبقات العليا لهذا التكـوين حيث حافظت الرواسب الطينيـة الطرية لمصب النهر علـى الجذوع من أن يجرفها النهر معه.

وقد بـدأت قارة جـوندوانـا تتجزأ إلـى ألواح قشـرية منفصلة في خلال العصر البرمـي وانحرف لوح الجزيرة العربية الذي تقع عليه عمـان شمالاً من المنطقة الجنوبية المعتدلـة في اتجاه المنطقة الاستـوائية. وفي أثنـاء هذه المـرحلة تـرسـب الجزء الأعظـم من بقـايـا الحيوانـات الكلسيـة التي تـم العثور عليهـا فيما بعـد في الحجـارة الجيرية وحجارة الدولوميـت ضمن مجموعة الأخضر في المياه الساحلية الضحلة الدافئة.

ويمكن مشاهدة أحـافير المرجان التي ترجـع إلى هذا العصر فـي جبال الحجر. وقـد شهدت العصور التـالية، وهي العصر التريـاسي أو الثلاثي ـ أقدم عصـور الدهر الوسيـط ـ (منـذ مائتيـن وخمسين إلـى مائتيـن وعشرة مليـون سنـة) والعصـر الجوراسـي أو الجـوري (منـذ مـائتيـن وعشـرة إلى تسعيـن مليـون سنـة) والعصـر الطبـاشيري وهـو العصر الثـالـث والأخير مـن الدهـر الوسيـط (منذ تسعيـن إلى خمسـة وستين مليـون سنة مضت) استمـرار انحراف لـوح الجزيـرة العربيـة حيث عبرت عمان خـط الاستواء ثم انحرفت شمـالاً مرة أخرى



منظر للسهل الساحلي لصلالة من فوق قمة منحدر جبل سمحان.

حتى صار الموقع الذي تحتلـه عمان الآن في نهاية العصر الطباشيري يقع عند الخط ١٠ درجة شمالاً. وخلال معظم هـذه الفترة كـانـت عمان تغطيهـا ميـاه البحـر أو كانـت مكشوفة كأرض منخفضة. وقد تـراكمت الرواسب الكلسية التي تكـونت مـن بقايا الهيـاكل العظميـة للحيوانـات ومن النباتات بوفرة كبيرة أثناء الغزوات البحرية.

ومن الطبيعي أيضاً أن يتم حفـظ العديد من الأصداف البحريـة وبقايا الكـائنات الحيـوانية والنباتيـة الصغيرة الطافية في المـاء وغيرها من البقايا الموجـودة في الرمل لتتحول فيما بعد إلى أحافير.

ويمكن رؤية أكوام كثيرة من الجلاميد (وهي نوع من الأصداف البحـرية الأحفورية) فـي بعض المواقـع وفي وقت مـن الأوقات كانت الأراضـي العمانية الناشئـة هذه تغطيهـا أعماق أوقيـانوسية ولـذلك فـإن الاحفوريـات المحفوظـة في طبقة الطين العميقـة هذه تختلف عـن تلك الموجودة في المناطق البحرية الضحلة.

وهنا قـد يجد المرء بقـايا لبعض أنـواع الاحفـوريات مثـل الأصــداف الملتفـة للرخويــات الآمونيــة التـي تسبـح بحـريـة والأصـداف الـداخلية التـي تشبـه الرصـاصة فـي شكلها والخـاصة برخويـات البلمنيت التي تشبه الحبار.

جيولوجيا الاحفوريات في سمائل

تمثل جبـال الحجارة التي تحـف بمسقط بصـورة رائعة نوعـاً من الشـذوذ من الناحيـة الجيولوجيـة لأنها تـوفر نافذة فريدة تطل على عمليات تبلور تكونات الطبقات في الغلاف الأوقيانـوسي. فمنذ حوالي سبعيـن مليون سنة انزلقت بلاطة ضخمة للغـلاف الأوقيانوسي لأعلى وفوق جرف الحافة الشمالية الشرقيـة لمنطقة الجزيرة العربية ويمكن رؤية آثـارها اليوم في هـذه الجبال ذات النتوءات الحادة والغنية بالمعادن.

وربمـا كانـت الاحفـوريـات البحريــة في سمـائل أفضل مثـال من نوعـه في العالـم لسهولة دراستهـا من خـلال حالتهـا المكشـوفة ومـن خلال حـالتهـا العامـة المحفوظة بهـا. ولقد حضر خبراء الجيولوجيـا من أنحاء العالم لدراستها بهدف الالمـام بصورة أفضل بما يحدث علـى امتداد خطـوط صدع القشـرة الأرضيـة في أعمـاق المحيط.

وفي كتـابه الرائـــع «التـراث الجيولوجــــي لعمان» كتب مايكـل هيوز كلارك: «وعلى ذلـك ينحصر الوضـع فـي الواقـع في أن بـاستطـاعة العلمـاء القيـام بنزهـــة قصيـرة يتناولـون خـلالها وجبـة طعـام خفيفـة فـي الهواء الطلـق فـوق الصخـور التـي تكونـت أسفـل قـاع المحيط بمسافــة عشرة كيلـومترات أو أكثـر، أو فـوق الحمم البـركانيـة التي تـدفقت فـوق قاع البحـر العميق أو فـوق الرواسب التي تكـونت في الأصـل تحت سطـح ميـاه المحيـط لمسـافــة أربعـة إلـى خمسـة كيلومترات».

المنـــــاخ

درجات الحرارة المعتدلة

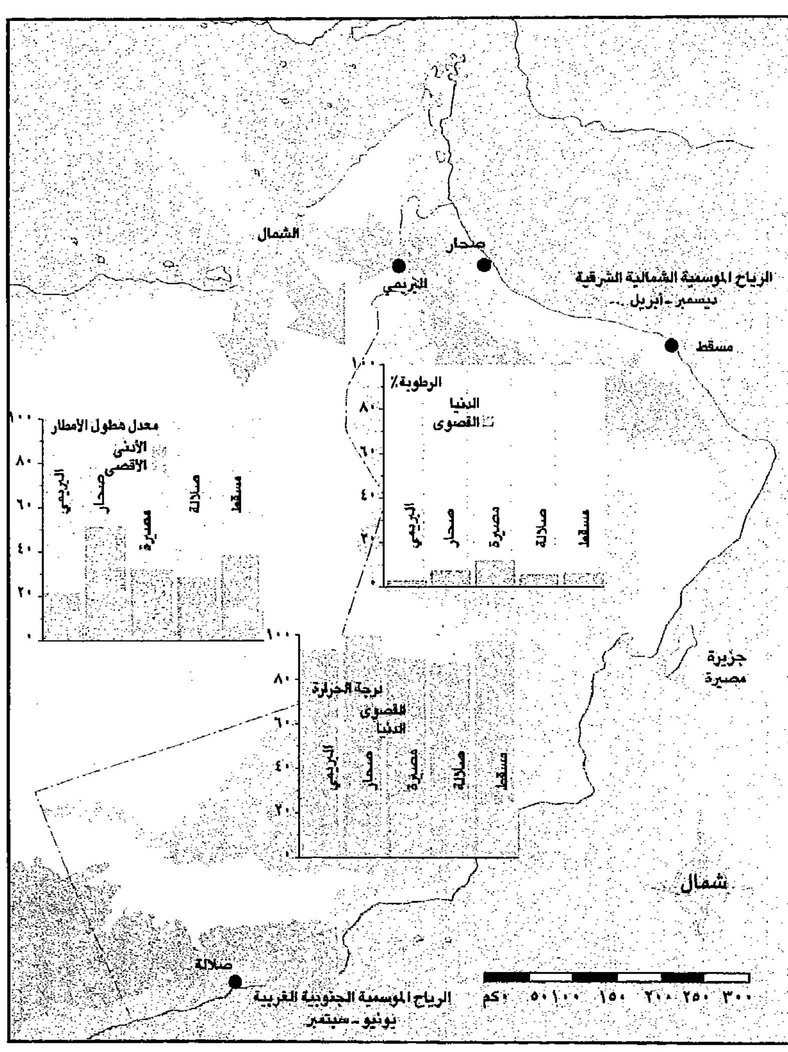
يتيح مناخ عمان وتضاريسه الطبيعية المتباينة توفير فرص عديدة لازدهار الحياة البرية. وليس من المدهش أن تضم البلاد بعض أغنى المستوطنات في الجزيرة العربية الخاصة بالعديد من الكائنات المنقرضة.

وتتراوح درجات الحرارة المسجلة في البلاد ما بين ٥٠ درجة مئوية كحد أقصى ـ تم تسجيلها في صحار في عام ١٩٨٧ ـ وأدنى من الصفر ـ تم تسجيلها بصورة معتادة في سيق.

إن مناخ عمان بشكل عام معتدل الحرارة في معظم العام لأن التأثيرات الرطبة للرياح الموسمية تساعد على اعتدال الأحوال الجوية. وعندما تنعم مسقط بالحرارة في شهر يوليو، والتي قد تصل إلى ٤٩ درجة مئوية كحد أقصى، تتمتع صلالة بجو أكثر برودة نتيجة للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تحافظ على درجات الحرارة القصوى في حدود ٣٠ درجة مئوية.

وبحلول شهر اكتوبر تنخفض الحرارة في مسقط لتبلغ ٤١ درجة مئوية كحد أقصى، بينما ترتفع درجة الحرارة في صلالة بضع درجات لتبلغ ٣٢ درجة مئوية كحد أقصى. وفي خلال شهر نوفمبر يختفي تأثير الرياح الموسمية وتتقارب درجات الحرارة في المنطقتين وتصبح صلالة أكثر دفئاً حيث تبلغ الحرارة القصوى فيها ٣٧ درجة مئوية تليها مسقط بدرجة حرارة قدرها ٣٥ درجة مئوية. إن هذا التقسيم الغريب الناتج عن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وعن تفجر مياه المحيط الباردة بالقرب من ساحل صلالة يخلق وضعاً غريباً يؤدي إلى أن تتمتع مسقط بأكثر شهور السنة برودة في ديسمبر ويناير (عندما تبلغ درجة الحرارة القصوى ٣٠ درجة مئوية ودرجاتها الدنيا ١٤ درجة مئوية) بينما تتمتع صلالة بأبرد شهور السنة في الفترة من يوليو إلى سبتمبر عندما تكون درجة الحرارة القصوى أثناء النهار مشابهة لدرجة الحرارة في مسقط في فصل الشتاء والتي تبلغ ٣٠ درجة مئوية. مع ذلك تحدث أبرد درجات الحرارة أثناء الليل في صلالة في فصل الشتاء في شهري ديسمبر ويناير.

وربما كانت صحار هي أكثر المناطق حرارة في عمان فقد تم تسجيل درجة حرارة فيها بلغت ٥٠ درجة مئوية، بينما تعتبر المناطق القريبة من سيق هي أكثر المناطق برودة حيث تصل درجة الحرارة



القصوى في فصل الصيف ٣٤ درجة مئوية وتصل درجة الحرارة الدنيا في فصل الشتاء إلى درجة التجمد أو ربما إلى تحت الصفر.

أما درجات الرطوبة فتتراوح في معظم الأماكن بين ١٠٠ في المائة إلى أقل من عشرة في المائة حتى أنها قد تصل إلى واحد في المائة أيضاً. وكما نتوقع من التعليقات المذكورة آنفا، فإنه عندما تكون الرطوبة في مسقط عند مستوياتها الدنيا والتي تبلغ ٥ في المائة في شهر يوليو، تكون الرطوبة في صلالة عند مستوياتها القصوى التي تبلغ ٩٩ في المائة ولا تقل عن ١٧ في المائة تقريباً.

كما تتباين معدلات هطول الأمطار أيضاً طبقا للمناطق المختلفة في عمان. وتعتبر سيق أغزر المناطق حيث بلغ

معدل هطول الأمطـار المسجل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمـان سنـوات ٢٩٩ ميليمتـرا في السنـة، بينمـا تعتبـر مصيـرة من أكثـر المناطـق جفافـاً في عمـان حيث بلـغ متوسـط هطول الأمطار المسجـل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمان سنوات ٢٧ ميليمترا في السنة.

أما معدلات هطول الأمطار فـي المناطق الأخرى فتبلغ ٦٠ ميليمترا في ثمريت و٦٨ ميليمتـرا في البريمي و٧٢ ميليمتـرا فـي صور و٧٢,٥ ميليمتـرا فـي مسقـط و٨٣ ميليمترا فـي صلالـة و١٢٨ ميليمترا فـي صحار و١٤١ ميليمترا في خصب.

أنماط الرياح

لعبت أنمـاط الرياح دوراً هـامـاً خلال العصـور المختلفة في تطوير الحياة البحرية والحياة البرية على حد سـواء. فقد كان البحـارة العمانيون منذ آلاف السنيـن ينتظرون هبوب الـرياح المـوسمية الشمـالية الشـرقية فـي شهر ديسمبـر من كـل عـام قبل أن يبحـروا فـي اتجاه الهنـد وافريقيـا. وكانوا يعتمدون علـى هذه الرياح حتـى شهر ابريل عندما تخف سرعتها.

أما رحلات عـودة هؤلاء البحارة فكانت تبـدأ مع هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربيـة التي تؤثر على الساحل الجنوبي لعمان وتهب خلال الفتـرة من يونيو إلى سبتمبر. وكانت هـذه الرياح الموسميـة الجنوبية الغربيـة هي التي تعكس نمط التيـارات المائية فـي المحيـط الهندي وتسبب حدوث ما يعرف بالتيارات الصومـالية. فعندما تهب الرياح القوية في محـاذاة ساحل صـلالة ـ رأس الحد تتسبب في حدوث تيـارات ثانويـة تجبر المياه السطحيـة الساحليـة علـى الانسحاب للداخل لتحـل محلها المياه الباردة الغنية بـالغـذاء. وتشتهـر تغيـرات التيـارات المـائيـة هـذه بالخصوبـة العـالية وهي مسـؤولة عـن توفير ربـع إنتاج العالم من السمك على الرغـم من أن مساحتها الكلية تغطي ٠,٠٢ في المائة من سطح بحار المعمورة.



الحياة البحرية

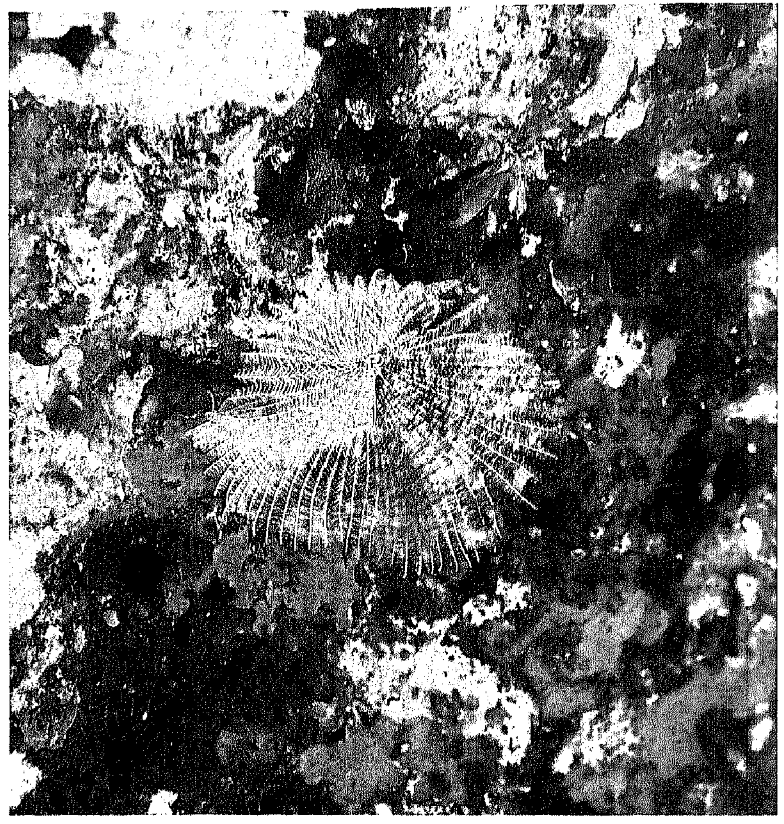
الحيود البحرية المرجانية

تتراوح المستوطنات البحرية الموجودة في المياه الضحلة في عمان بين الحيود البحرية المرجانية الاستوائية وغابات الأعشاب البحرية الموجودة عادة في مناطق المياه المعتدلة بالقرب من نيوزيلاندة. ولا توجد سوى بضعة أماكن فقط في العالم كله تتميز بمثل هذا التنوع الكبير في الأحوال وبمثل هذه الوفرة في الحياة البحرية. وعلى العكس من الحيود البحرية المرجانية الموجودة في البحر الأحمر وفي بعض جزر المحيط الهندي، فإن المستوطنات البحرية العمانية لم يكتشفها الغواصون من العلماء بعد.

وينمو المرجان الذي يبني الحيود أو الشعب المرجانية بصورة أفضل في البحار القريبة من مسندم وحول جزر الديمانيات وفي منطقة مسقط وبالقرب من جزيرة مصيرة. وهو لا يزدهر في المستوطنات الرملية الأقل استقراراً والموجودة بالقرب من بعض المناطق



الأخرى مثل صور وصلالة حيث تحل محلها في الأخيرة الطحالب الطويلة مثل الأعشاب البحرية والمرجانات الطرية. وقد أوجزت الأبحاث التي تم اجراؤها كجزء من دراسة التأثير المحتمل لتاج قنديل البحر الشائك، المقومات الأساسية لمجموعة الحيوانات المرجانية في المناطق المذكورة آنفا. وقد سادت الأنماط المتشعبة والمسطحة لمرجانات «الأكروبورا» بالقرب من مسندم بينما تضمنت الأنواع الشائعة الأخرى «بافونا وبوريتس ومونتيبورا وجونيبورا وبوكيلوبورا».



وعلى العكس من البحر الأحمر حيث تكون درجة صفاء المياه أفضل فإن هذه المرجانات تميل إلى أن تنحصر في الأعماق الضحلة جداً بأعماق تصل إلى ١٢ متراً. وتعتبر تكوينات الحيود البحرية بالقرب من مسندم تكوينات غير نامية بصورة جيدة وذلك على الرغم من تكوّن بعض الحيود الصغيرة المتناثرة المحيطة بالحواف. وعلى العكس من ذلك تحظى جزر الديمانيات بتكوينات مرجانية جيدة النمو تسيطر عليها مرة أخرى مرجانات «الأكروبورا». أما الأنواع الشائعة الأخرى والموجودة في هذه المنطقة فتتضمن مرجانات «مونتيبورا وبوكيلوبورا وبوريتس».

كما تتكون بالقرب من مسقط أنواع مرجانية مشابهة تلعب فيها مرجانات بوكيلوبورا دوراً هاماً في تنمية الحيود المرجانية بالقرب من جزيرة الفحل وفي المياه الضحلة لخليج مسقط. وتتاخم المنطقة الغربية لجانب جزيرة مصيرة الواقع نحو اليابسة مستعمرات مرجانية غنية مختلفة ترتكز بصورة خاصة على مرجانات مونتيبورا وبوكيلوبورا. وبالاضافة إلى ذلك تتكون في هذه المنطقة مرجانات بوريتس وليبتوريا وأكانثاسترا

وبلاتيجورا وستايلوفورا وفيفا. ويشاهد المرء هنا أيضاً طبقات كثيفة من الأعشاب البحرية البنية اللون «سارجاسوم».

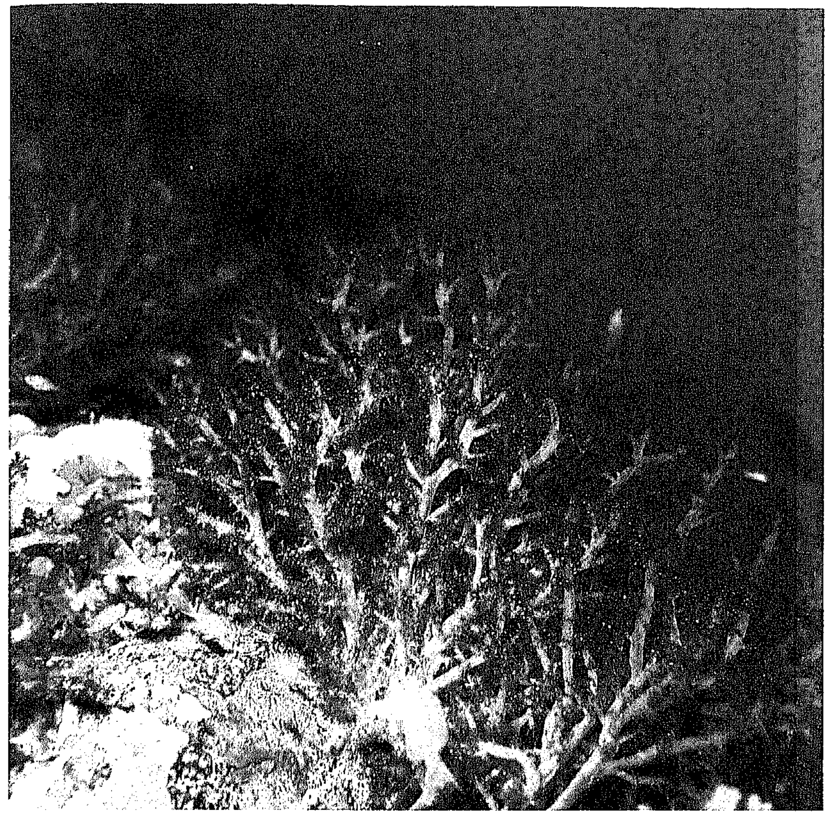
أما أفضل الحيود المرجانية نمواً في الجانب الغربي لجزيرة مصيرة فتقع في اتجاه الشمال حيث تشكل مجموعات فردية محددة من مرجانات مونتيبورا حيوداً ضحلة. وتحدث تغيرات كبيرة في حرارة المياه البحرية في هذه المنطقة نتيجة لتباين التيارات ونتيجة لتأثير حركة تغير المياه السطحية البحرية، وهكذا يمكن أن تتراوح درجات الحرارة السطحية بين ٢٢ درجة مئوية و٢٨ درجة مئوية في مسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات فقط. وهذه حقيقة لها تأثير كبير على توزيع الحياة البحرية.

وتقع بؤرة حركة تغير المياه السطحية البحرية في منطقة صلالة بالقرب من مرباط. وهناك يمكن العثور على مجموعات مرجانية معزولة تتشابك مع سيقان الأعشاب البحرية الضخمة التي تظل أوراقها في قاع البحر. وبالاضافة إلى هذه المرجانات (وهي أساساً مرجانات أكروبورا وفيفا وفافيتس وتوربيناريا وستايلوفورا) توجد أيضاً الكائنات البحرية الشائعة الأخرى التي ترتبط بصورة خاصة بهذه الأعشاب البحرية بما في ذلك حيوانات أذن البحر (من الرخويات) وعدة أنواع من القنافذ البحرية وقناديل البحر.

وتتسم الأعشاب البحرية بأهمية خاصة كمنتجات أولية. ففي كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تحدث بعض التغيرات المماثلة في المياه السطحية يبلغ حجم المحصول السنوي التجاري من الأعشاب البحرية ما يوازي ٢٠٠٠٠ طن متري جاف يتم استخدامها في انتاج الجينات والأغرة واليود واستعمالها كمصدر لانتاج السماد. كما أنها توفر أيضا للحياة البحرية غذاءاً عشبياً وفيراً تتغذى عليه العديد من الحيوانات اللافقارية.

غابات الأعشاب البحرية

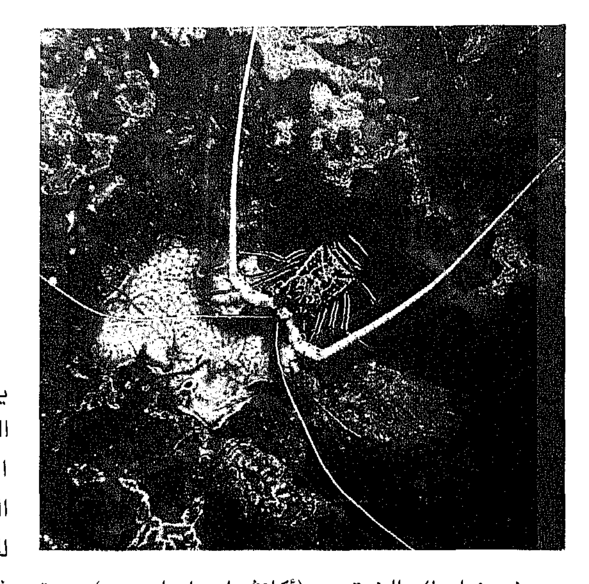
لا تتسم غابات الأعشاب البحرية بالوفرة فحسب بل تتميز أيضاًبأنها فريدة من نوعها لأنها المكان الوحيد في نصف الكرة الشمالي الذي تتكاثر فيه أعشاب نصف الكرة الجنوبي «إيكلونيا راديانا»، وهي أيضاً موطن لأعشاب «سارجاسوبسيس زانارديني» التي تم تحديد ووصف نوعها مؤخراً، وهي غريبة على المياه العمانية. وهي مثل غابات الأعشاب الموجودة في



جنوبي غرب أفريقيا تظهر في مشاهد البحر بصفة مؤقتة وتعتمد في نموها وبقائها على التغير الموسمي في المياه السطحية الباردة الغنية بالغذاء.

وقد تم اجراء دراسة تفصيلية لمجموعات الأعشاب البحرية إيكلونيا وسارجاسوبسيس التي تتكاثر على امتداد الساحل العماني الممتد من مرباط إلى سدح. وهي تتأثر بدرجة كبيرة بمدى شدة تغير التيارات المحلية التي تميل إلى أن تصبح واضحة في هذه المنطقة حيث تقترب المياه العميقة من خط الساحل. ولهذا السبب يوجد في رأس مرباط وسدح مجموعات جيدة النمو من الأعشاب البحرية بالمقارنة بالمياه الموجودة في مواجهة صلالة حيث تمتد سلسلة من الصخور المسطحة الساحلية إلى أعماق أبعد في داخل البحر. كما تتأثر الأحوال الجوية المحلية بتغيرات المياه السطحية الساحلية القوية في منطقة مرباط ـ سدح حيث يسود جو أكثر برودة في منطقة غرب مرباط.

وتتسبب الأمواج التي ترتطم بخط السال أثناء فترة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في خلق منطقة رشاش عالٍ وقوي من الماء حيث تقوم الطحالب الخضراء «أولفا» بتغطية الصخور. وعندما تضعف سرعة الرياح الموسمية تنشأ أحوال جوية أكثر استقراراً وتستوطن مجموعة متنوعة من الطحالب في منطقة المد والجزر، تتغذى عليها رخويات البطلينوس (سيلانا إينكوسميا وسي. كراتشينسيس وسكوتيلاسترا اكسوستا وباتيلويدا بروفوندا



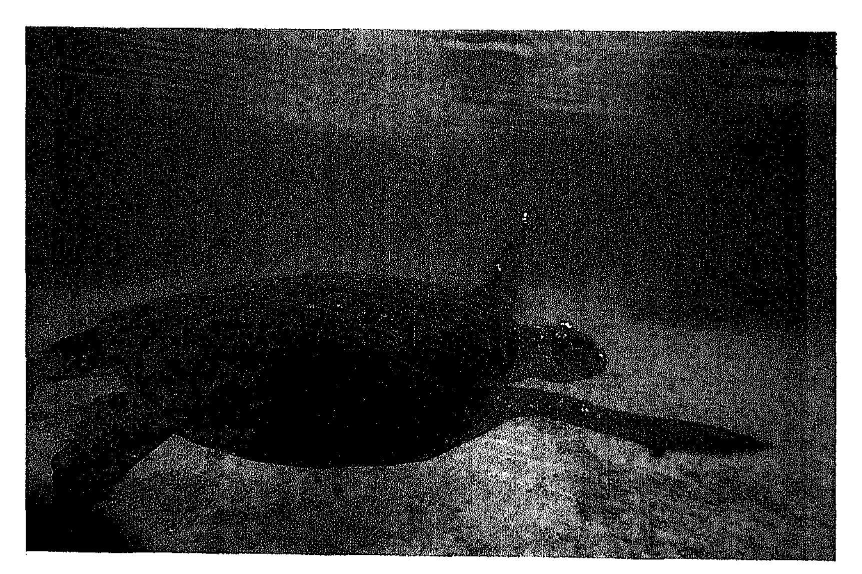
وسيفورناريا) والخيتون (أكانثوبليرا هادوني) وعدة أنواع من الرخويات الشاطئية والقنافذ البحرية (إتشيسنوميترا ماثاي). وفي خلال شهور الصيف يجد المرء تحت مستوى المد والجزر مباشرة طحالب بنية اللون (سارجاسوبسيس زاناردوتي) أو أنواع من طحالب سارجاسوم. وفي نهاية فترة الرياح الموسمية ومع انخفاض حركة الأمواج تكثر طحالب أولفا والطحالب الخيطية (كلادوفوروسيس) التي تحجب طحالب ساراجاسوبسيس وتبقيها في الظل. وتتفكك الأعشاب البحرية الضعيفة وتسقط من على الحجارة بصورة مشابهة لتساقط أوراق الغابة فتفسح المجال بذلك لوصول الضوء إلى النباتات التي كانت تعيش في ظلها. وبذلك تحصل الطحالب المختلفة مثل طحالب سارجاسوم وسايستوسيرا على دفعة تساعدها على أن تنمو وتنافس ما تبقى من طحالب سارجاسوبسيس التي يتواصل موتها مع ارتفاع درجة حراة مياه البحر وإختفاء تأثيرات تغير المياه السطحية الموسمية. وتتميز أعشاب إيكلونيا رادياتا بدورة حياة مثيرة في عمان تختلف عن تلك التي تحدث في نيوزيلاندة حيث تنمو هذه الأعشاب طوال العام. وهي تسلك في عمان سلوكاً شبيهاً بسلوك النباتات السنوية وتجزىء كما يبدو دورة تكاثرها إلى مراحل تتوافق مع فصل الرياح الموسمية. وبالرغم من أن هذه الأعشاب تختفي عن البصر تماماً تحت سطح الماء في أعقاب الرياح الموسمية فإن خلاياها تهجع في قاع البحر مستعدة للتخصيب وما يعقبه من نمو عندما تعود المياه الباردة في العام التالي. وبهذه الطريقة تعود أعشاب إيكلونيا إلى الظهور والازدهار ثم تختفي عن البصر في خلال شهور الصيف والخريف.

وكما يتوقع المرء، توجد مجموعة كبيرة مزدهرة من الحيوانات اللافقارية والأعشاب المرتبطة بغابات الأعشاب البحرية المنتجة هذه. فبالاضافة إلى القنافذ البحرية الآكلة للعشب توجد رخويات أذن البحر بأعداد كافية لجذب الأسماك الصغيرة. وفي الليل تخرج الأربيان لتتغذى على القنافذ. والأسماك الرئيسية الآكلة للعشب هي أسماك الأرنب (سيجانوس اورامين) وسمك البغروس العربي (ديبلودوس) وسمك الابراميس ذو الزعانف الصفراء. ويقوم النوعان الأخيران بتنسيق دورة التكاثر بحيث تستطيع صغارها أن تجد لها ملجأ بين سنابل أعشاب سارجاسوبسيس. وهناك نوع آخر من الكائنات الآكلة لأعشاب الطحالب هو السلحفاة الخضراء. ويبدو من المحتمل أن الأعشاب البحرية هي مصدر هام لغذاء هذه السلاحف في المنطقة خلال شهور الصيف.

القواقع البحرية

يجب على القراء المهتمين بمجموعات الرخويات العمانية معرفة أنه قد تم جمع مجموعة كبيرة من هذه القواقع المحلية في متحف التاريخ الطبيعي العماني. وتحتوي هذه المجموعة على أكثر من ٦٠٠٠ نوعاً تمثل ما لا يقل عن ٥٠٠ ضرباً من القواقع البحرية والبرية التي تعيش في المياه العذبة. وقد تم جمع هذه المجموعة بالاستعانة بالتبرعات التي قدمتها بعض الهيئات وخاصة التبرعات التي قدمها الدكتور بوسك والسيدة حرمه والتبرعات التي قدمتها السيدة كاترين سميث، خبيرة القواقع البحرية في منطقة الخليج وشرق أفريقيا، التي كرست أكثر من عشر سنوات من عمرها لتحديد أنواع القواقع العمانية وجمع المجموعة الحالية من القواقع.

ويقوم «أصدقاء المتحف» أيضاً في الوقت الحالي بمساعدة الموظفين العمانيين في المحافظة على مجموعة القواقع الحالية وتجديدها. وقد تم ارسال

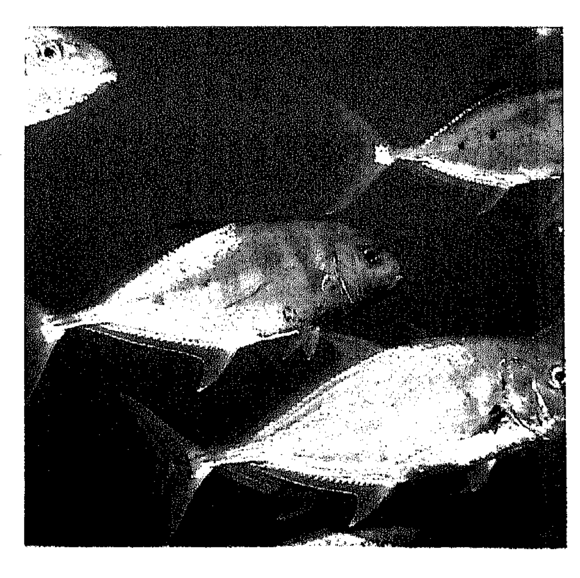


مجموعـات القواقــع التي تم جمعهـا في عمـان لأغراض علمية إلى العلمـاء العاملين بالمتحـف البريطاني الـذين قامـوا بتحديد أنـواعها قبل أن يعيـدوها إلى عمـان. وقد أتاح هذا المشروع اكتشاف عدة أنواع جديدة من القواقع في عمـان تتضمن قواقــع تروشيتـا الظفارية التــي تمت تسميتها باسم المنطقة التي تم العثور عليها فيها.

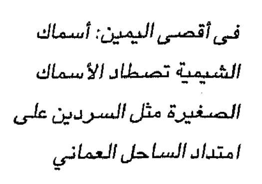
الأسمـاك

يعتبر البحـر دون شك أحـد المصادر الـرئيسية للثـروة الطبيعية في عمـان، فقد كان مصدرا لغذاء النـاس الذين يعيشــون على امتـداد الســواحل العمــانيـة منذ أن بـدأ الانسـان في استيطـان البلاد. ويبلغ الطول الكلـي للخط السـاحلـي العمـاني ١٨٠٠ كيلـومتـرا، وتغطـي الميـاه الاقليميـة ما لا يقـل عـن ٣٠٠٠٠٠ كيلـو متراً مـربعـاً. ويمكن تقسيم المـوارد التجارية الرئيسية لـلأسماك إلى أربع فئـات هي الأسماك الأوقيانـوسية (التي تعيـش في المحيطات) التي يغلب على أصنـافها في المياه الضحلة سـرديـن الـزيـت الهندي (سـاردينيـلا لـونجيسبـس) والسـردين المخطـط الـذهبي (سـاردينيـلا جيبوسـا) وسردين (ديسـابتريوس روسيلي)، وفــي المياه العميقة نـوعان مـن أسمـاك الصـورال، همـا الصـورال الهنـدي والصورال العـربي، والأسمـاك الأوقيانـوسية الضخمـة شاملـة أسماك التـونة والسقليـش والمرليـن، والأسماك الأوقيانوسية متوسطة الحجم التي تتوفر في شكل سمك القناديـل، ومجموعـة الأسماك التـي تعيش فـي الأعماق والتي تتضمن ما لا يقل عن ١٥٦ نـوعاً من الأسماك التي يمكن صيدهـا على النطاق التجاري بما فــي ذلك أسماك الشفنين البحريـة وسمك القرش وسمك سليمـان وسمك تريفاليس وسمك الصورل وسمـك البنيان وسمك الناخر وسمك الأسبـور وسمك النهاش وسمك الأخفـس وسمك النعاب وذلـك إلى جـانب مجموعـة من الـرخويـات مثل الحبـار والصبيـدح وأذن البحـر. وأخيراً مجموعـة مـن القشريات مثل الروبيان والكـركند (جراد البحر). ويبدو أن تـوسيـع نشاط الصيـد فـي الثمـانينات مـن القـرن العشريـن قد أدى إلى حدوث إنخفـاض شديد فـي كمية الأسمـاك التي تـم صيدهـا في عـام ١٩٨٩م والتي فـي أعقابهـا تم بذل جهود جبـارة لوضـع خطة فعـالة لادارة الموارد السمكية.

ويمكـن تقسيم مـواقــع البيئة البحـريـة في الميـاه الضحلة المنتشرة علـى امتداد الساحل العمـاني بصورة تقريبية إلى فئتين رئيسيتين، همـا المواقع الموجودة في شمال رأس الحد والمـواقع الموجودة فـي جنوب اللسـان الشهير الذي يحدد أقصى نقطة شرقية في شبه الجزيرة العربية بـأكملها. وفي الشمال، توجد الأسمـاك المرتبطة بـالحيود المـرجـانية فـي الغالـب عنـد أعماق الغـوص بـاستخدام أداة التنفـس تحت المـاء أو جهاز الغـوص، بينما يميل ميـزان الحيوانات البحرية في صـالح الأنواع المرتبطة بـالأعشاب الآكلة للطحالب. وعنـد حدود منطقة رأس الحد ذاتهـا يوجد خليط مثيـر من المجموعتيـن مع بعض الحيوانات المرجانية والأعشاب البحرية ومجموعة متنوعـة من الأسمـاك الموجـودة بينها. إنهـا مستوطنـة بحرية تم فيهـا بالفعل اكتشـاف وجود أنواع جـديدة ومن







جهة اليمين: مجموعة من أسماك الاسقمري.

في أقصى اليمين: أسماك الشيمية تصطاد الأسماك الصغيرة مثل السردين على امتداد الساحل العماني

إيف جيلي، وزارة الإعلام

يتم صيد السردين بكميات كبيرة باستخدام شباك السينة الشاطئية.

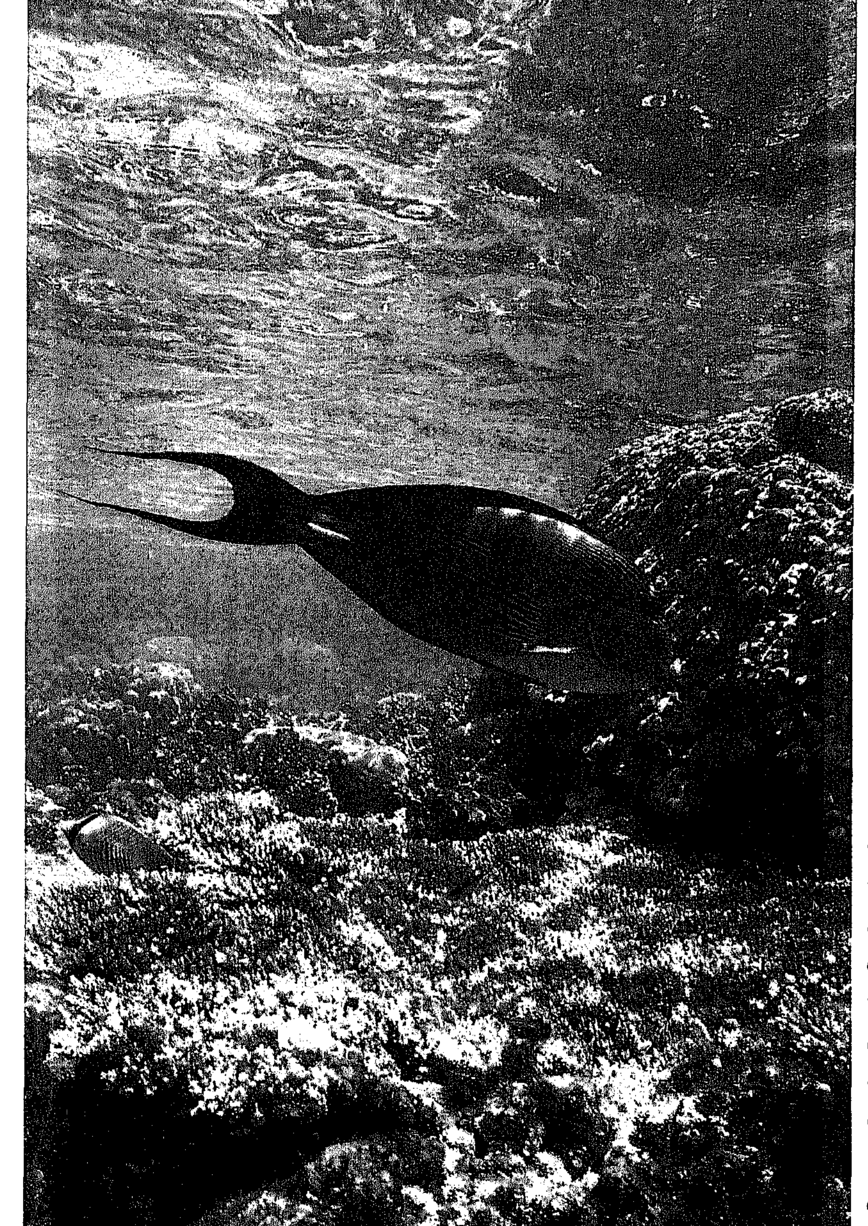
يتم عادة نقل السردين بعد صيده في المياه الضحلة بواسطة بعض الشاحنات الصغيرة.

المحتمل أن يتم اكتشاف أنواع جديدة أخرى في هذه المنطقة عند الانتهاء من اجراء المزيد من الدراسات الدقيقة. ومع ذلك فإن التقسيم الموجود عند رأس الحد ليس تقسيماً كلياً لأن الحيوانات المرجانية تنمو أيضاً على نطاق واسع في الجانب الغربي من جزيرة مصيرة كما جاء آنفاً. وقد كان الخليج المحمي المتجه نحو الجنوب والموجود عند الطرف الغربي لرعن بر الحكمان (شبه الجزيرة القاحلة والنائية التي تشكل جانب اليابسة لخور مصيرة) والمعروف باسم خليج حشيش هو الموقع الذي تم فيه اكتشاف نوع جديد من أسماك عروسة البحر التي تتميز بجوانب سمراء اللون وبشريط رأسي أبيض عريض خلف العينين وبأنف أبيض اللون. وقد سمي هذا النوع باسم تشاتودون ديالوسوس ويبدو أنه مستوطن في عمان. والاسم الشائع لهذا النوع من الأسماك هو عروسة البحر العمانية الذي يبدو إسماً مناسباً حقاً وقد قام بوصفه من الناحية العلمية رودني سلم ـ الذي ألف بحثاً هاماً عن التخطيط الساحلي في عمان ـ وجونثان مي ـ الذي ساعد في تأسيس مركز العلوم البحرية في عمان.

إن تأثيرات تيارات تغيير المياه السطحية الساحلية على امتداد سواحل عمان والناتجة عن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية لا تفيد بالطبع جميع الأنواع. فقد شاهدنا بالفعل كيف أن المياه الباردة المرتبطة بتيارات تغيير المياه السطحية الباردة تشجع نمو الأنواع التي تعيش في المياه الباردة لكنها تجعل حياة الأنواع الاستوائية صعبة. صحيح أن المياه العميقة التي تتدفق إلى السطح غنية بالغذاء لكن محتواها من الاكسجين منخفض مما يسبب مشكلة لبعض الأنواع الأخرى بالرغم من أنه يتم تعويض مستويات الاوكسجين السطحي بالفعل عن طريق الاختلاط الدوامي الناتج عن حركة الأمواج العنيفة في شهر الصيف.

وعندما تهدأ الرياح في أعقاب الرياح الموسمية يكون





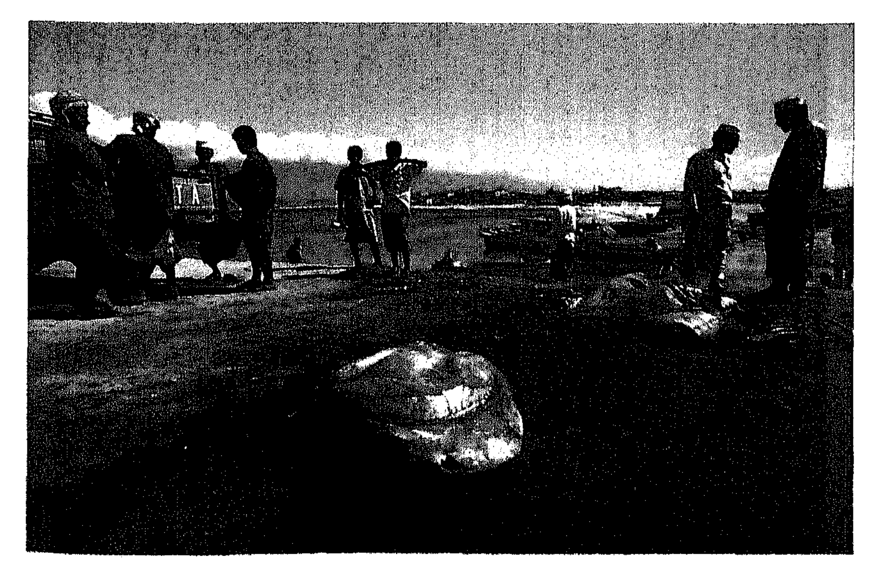
كان من المعتقد يوماً أن أسماك السرجون تستوطن البحر الأحمر، غير أن انتشارها يمتد على طول سواحل جنوب الجزيرة العربية وحتى الخليج.

البحر محملاً بكتل بيولوجية من الأعشاب البحرية الميتة والكائنات الدقيقة الأخرى التي تتوفر بكثرة أثناء فترة الرياح الموسمية. ويزداد في بعض الأحيان الطلب على الأوكسجين البيولوجي إلى الحد الذي يتم فيه سحب كمية كبيرة من الاكسجين من المياه الضحلة بحيث لا يستطيع السمك تنفس الاكسجين بصورة كافية عبر خياشيمه فتتعرض كمية كبيرة من السمك للموت في هذه الأثناء نتيجة لهذه الأحداث الطبيعية.

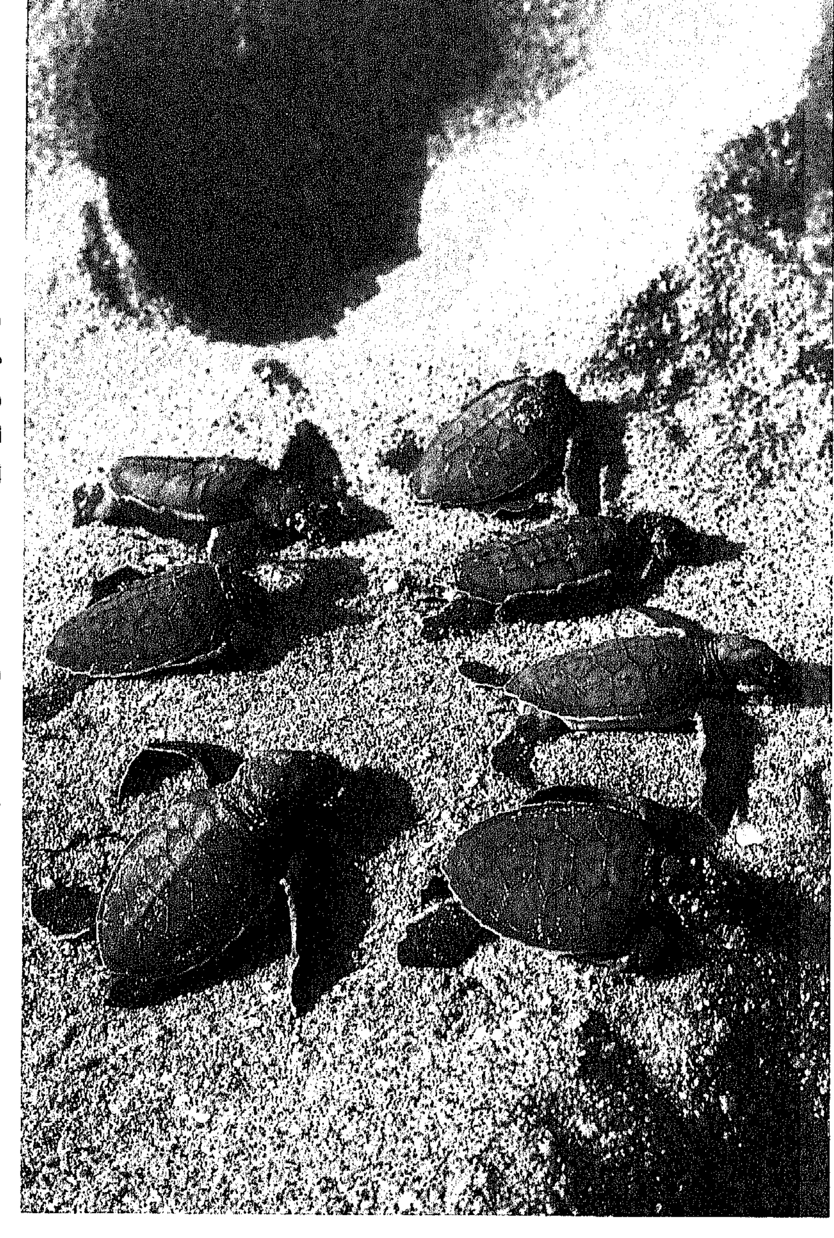
وليس من المدهش أن الأحوال الطبيعية الفريدة التي تؤثر على المحافظات الساحلية العمانية تتبنى أنواعاً تتكيف للاستيطان هنا على وجه الخصوص وليس في مكان آخر. وتعتبر أسماك عروسة البحر العمانية المذكورة آنفاً أحد هذه الأنواع، لكن هناك بالطبع أنواعاً كثيرة أخرى مثل سمك أبو ذقن وسمك الكرومس ذو الزعانف الصفراء. وفي أثناء تأليف هذا الكتاب كان يتم اجراء استقصاء هام لتسجيل جميع أنواع الأسماك التي تعيش عند السواحل العمانية وقد تمخضت هذه الدراسة عن اكتشاف أنواع جديدة وربما أنواع مستوطنة هناك. وتتباين ظروف مشاهدة الأسماك في عمان سواء باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص تبعاً للموسم حيث أن مجال الرؤية تحت سطح الماء منخفض في الغالب عن مجال الرؤية في مناطق الغوص الأخرى في الحيود المرجانية. ومع ذلك توجد بعض الفترات التي تؤدي فيها الأحوال الجوية المحلية مقرونة بالمجموعات البحرية الغنية المثيرة إلى جعل عمليات الاستشكاف والغطس تحت سطح الماء عملية مجزية. ويعتبر شهرا مايو ويونيو أفضل شهور مشاهدة الأسماك في منطقة مسقط حيث تكون المياه الصافية الدافئة هي السائدة كقاعدة لا كاستثناء.

أما في الجنوب، حول صلالة، فإن أفضل فترة لمشاهدة غابات الأعشاب البحرية هي الفترة التي تعقب انتهاء الرياح الموسمية مباشرة أي في شهر سبتمبر.

وهناك خيار آخرمتاح أمام أولئك الذين لا تتوفر لديهم فرص الغوص باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص، وهوالقيام بزيارة مركز العلوم البحرية في عمان. ويوفرهذا المركز الرائع الذي تشرف على إدارته وزارة الزراعة والثروة السمكية نافذة رائعة



تتوفر أسماك القرش بكثرة في عمان حيث يتم صيدها على نطاق تجاري. ويظهر في الصورة منظر نموذجي لميناء مرباط.



كانت صغار السلاحف وهي تخرج من بيضها صيداً سهلاً للطيور البحرية والثعالب والكلاب المتوحشة والسلعطونات التي كانت تفترسها حتى قبل أن تصل إلى البحر حيث تنتظرها العديد من الجوارح المفترسة الأخرى.

لمشاهدة الحياة البحرية الغنية في عمان. كما أنه يتيح كذلك للعلماء وللجمهور فرصة دراسة سلوكيات الأسماك والرخويات في الظروف البيئية المحكومة. وخلف الكواليس يستطيع موظفو دائرة الأسماك القيام بأبحاث تطبيقية عن الحياة البحرية العمانية مستغلين في ذلك مرافق ترشيح المياه وحفظ الخزانات التابعة لمركز الدارسات البحرية.

السلاحف

تتضمن الحياة البحرية في عمان العديد من الكنوز الأخرى، فباستثناء طبقات الأعشاب البحرية والحيود المرجانية والأسماك فهي تعتبر موطناً لخمسة أنواع من السلاحف. إن كل من صادفه الحظ وأمضى ليلة في رأس الجنيز الواقعة جنوب رأس الحد مباشرة يعلم مدى الاثارة التي يشعر بها المرء عندما يشاهد هذه الأعداد الضخمة من السلاحف الخضراء (تشيلونيا مايدس) وهي تسبح فوق الأمواج المتكسرة التي يتراقص على صفحتها شعاع القمر لتحاول الوصول إلى الشاطىء ودفن بيضها. ومن المدهش أن هذا المشهد يتكرر كل ليلة من ليالي السنة تقريباً حيث تقوم حوالي ١٣٠٠٠ أنثى من إناث السلاحف بوضع بيضها على الشواطىء الواقعة جنوب رأس الحد. وفي كل عام يقيم ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠ سلحفاة خضراء عشها على السواحل العمانية مما يجعلها من أهم المواقع في العالم للمحافظة على هذا النوع من السلاحف. كما تأتي السلاحف البحرية ذات الرأس الضخمة (كارتا كارتا) بأعداد كبيرة أيضاً حيث تقيم ٣٠٠٠٠ سلحفاة أعشاشها عند شواطىء جزيرة مصيرة في أثناء شهور الصيف من كل عام (من يونيو إلى أغسطس)، كما تقيم العديد منها أعشاشها على شواطىء جزر الحلانيات وعلى امتداد بعض الشواطىء النائية لساحل ظفار. كما توجد أيضاً السلاحف البحرية (إنترموتشيليز إمبريكاتا) المرتبطة عادة بالحيود المرجانية ولكنها ليست بهذه الوفرة. وعلى الرغم من أن عدد هذه السلاحف التي تقيم عشها في منطقة محدودة من شاطىء جزر الديمانيات يبلغ ٣٠٠ سلحفاة فقط فإن لهذا العدد مغزى هاماً بالنسبة للتعداد الكلي في العالم لهذه السلاحف المهددة بالانقراض.

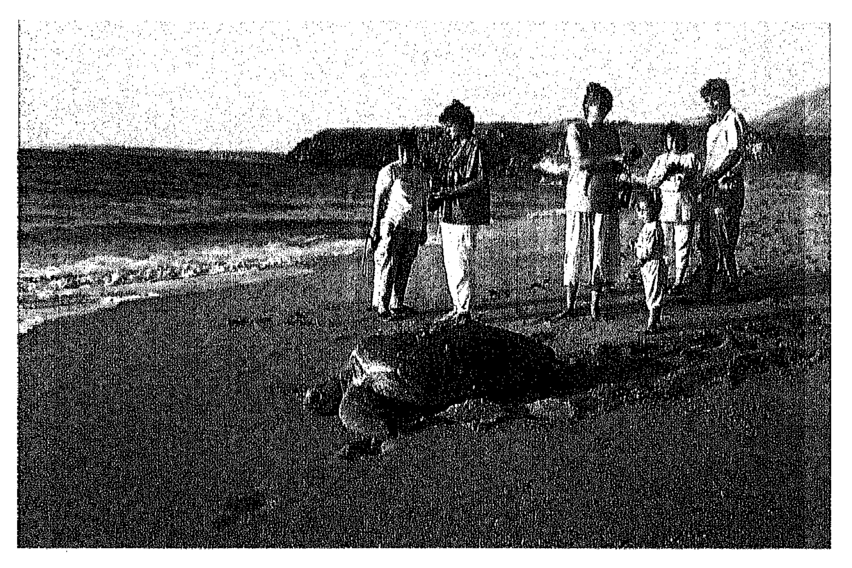
وتلك هي الذريعة التي تبرر غلق جزر الديمانيات أمام الزوار أثناء موسم التكاثر في فصل الصيف. كما توجد أيضاً السلاحف الزيتونية (ليبيدوتشيلز أولفاسي) التي تعتبر أندر من النوع السابق من السلاحف حيث تقيم مائة أنثى منها فقط أعشاشها كل عام بالقرب من مصيرة في حين تقوم بضعة أخرى منها باقامة أعشاشها على امتداد شواطىء ساحل ظفار.

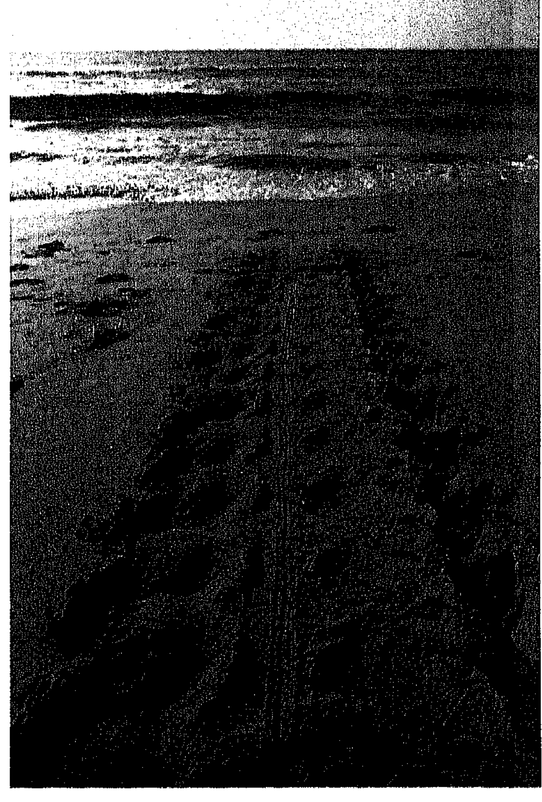
وأخيراً هناك السلاحف البحرية الجلدية الظهر (ديرموتشليز كورياسي) التي لا تقيم عشها في عمان لكن يمكن مشاهدتها وهي تتغذى على أسماك قنديل البحر في المياه البحرية العمانية.

لقد ظلت دورة حياة السلاحف غامضة حتى وقتنا الحاضر. وبينما نعلم مثلاً، أن إناث السلاحف الخضراء الكاملة النمو والتي يبلغ عمرها ٣٠ سنة أو أكثر تعود إلى الشواطىء التي خرجت فيها من بيضها، فإن درايتنا بما يحدث لها من وقت خروجها من البيضة وحتى تصل إلى مرحلة النمو الكامل محدودة للغاية.

ولا توجد سجلات أو شواهد كثيرة عن رؤية صغار السلاحف الخضراء على الرغم من القول بأن صيادي

الروبيـان في الخليـج عندمـا يسحبون شبـاكهم فـوق طبقات الأعشـاب البحريـة يصطادون أيضـا (ويقتلون) السـلاحف الخضراء الصغيرة. كما أنـه من الواضح أيضاً أن السلاحـف الخضراء من كـلا الجنسين تهاجـر إلى شـواطىء التعشيـش حيث تضـع الانـاث البيض ويتـم تزاوج الجنسين أيضاً. وبينما لا تعـاني ذكور السلاحف



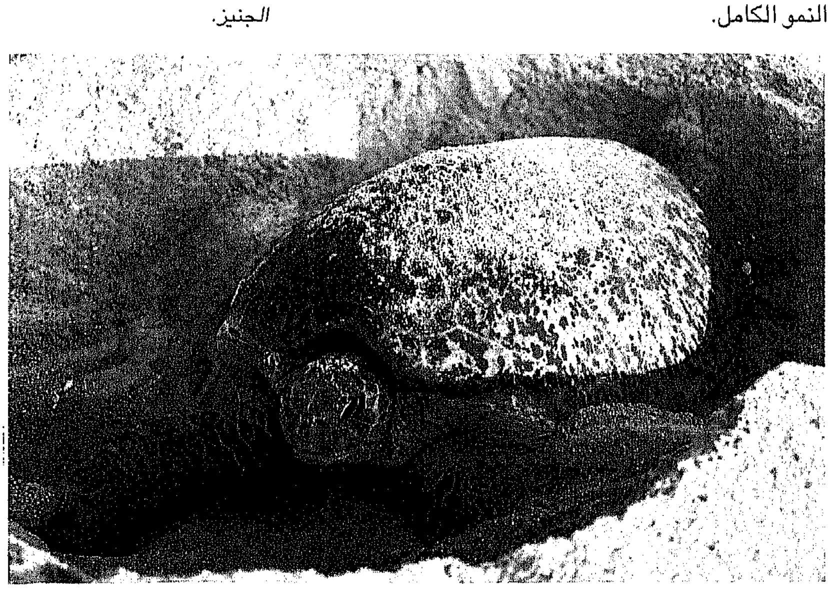


مشقة جرّ حملها الثقيل والانسحـاب إلى الأراضي الجافة وبالتالي فمـن النادر رؤيتها فإنها تظل تحـوم في المياه الضحلة المحيطـة بالشواطـىء التي تضع عليهـا الاناث بيضهـا فـي انتظار وصـولها مـن عرض البحـر ليقومـوا بمهاجمتها مـن مكامنهم في المياه الضحلة فـور عودتها مجهـدة من وضـع البيـض. ومـن السهل التمييـز بيـن الجنسين فـالذكر يتميـز بذيل طـويل بصورة ملحـوظة وبمخالب مقوسـة عند أكواع الزعانف الأمـامية. وبمجرد الانتهاء من وضـع البيض في غرفتـه الرملية مدفـوناً في الرمـل الجاف والدافـىء بعمق متر كـامل أو أكثر، فـإنه يستغرق حوالـي شهرين قبل أن يفقـس وتخرج الصغار منه. وتميـل صغار السلاحـف إلى الخروج مـن البيض جماعات أثنـاء الليل وليس أثناء النهار وتتحـرك مرتجفة حتى تصل إلى البحر بأسرع ما يمكن. وفي هذه المرحلة تكـون فـي أضعف حـالاتهـا وتكـون عرضـة لتنهشهـا الثعالب والكلاب المتوحشة والسلطعونات (السرطانات) الشبحية وطيـور النورس. وبمجـرد أن تصبح فـي الماء تسبح إلـى داخل البحـر وتكتسب مفاتيـح معرفـة ألغاز الاتجاهات من خلال تحركـات الأمواج وتعيش في مهدها على مخلفـات كيس المـح (الجزء الأصفـر من البيـض). وسرعان ما تختفي عن البصر، بـالرغم من وجود شواهد كثيرة توحـي بأن المرحلة الأولـى من حياتها هـي مرحلة التعلق أو الطفـو في المياه منسـاقة مع تيـارات المحيط وتتغذى على الكائنات الدقيقـة التي تصادفها في البحر. وبعد إنقضاء عام كامل تعود صغار السلاحف إلى المياه الضحلة حيـث تتغذى على الحياة البـرية الموجـودة في قاع البحـر وتنمو بصورة بطيئة حتـى تصل إلى مـرحلة النمو الكامل.

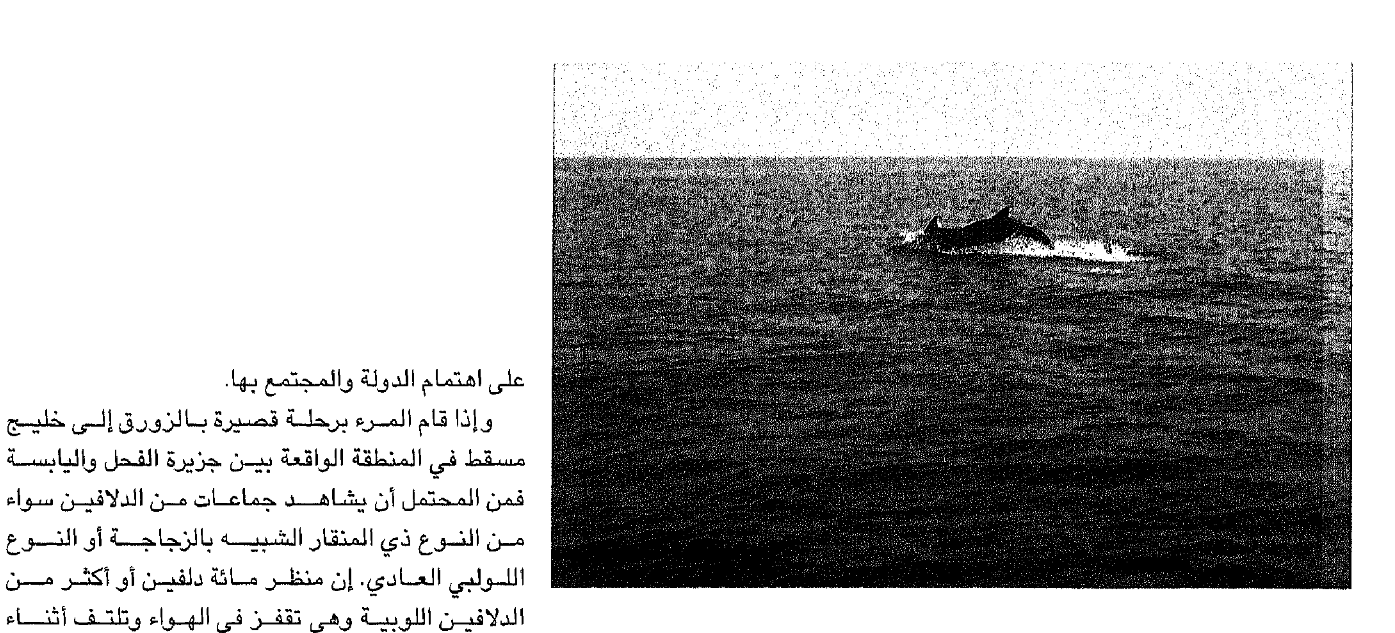
يعتبر شاطىء رأس الجنيز من الأماكن المفضلة والشائعة لمشاهدة السلاحف الخضراء وهي تقيم أعشاشها هناك أو تعود إلى البحر.

جهة اليمين: آثار أقدام السلاحف في رأس الجنيز.

سلحفاة خضراء تتسلق خارجة من عشها في رأس الجنيز.



هان وجينز اريكسين



الثعابين البحرية

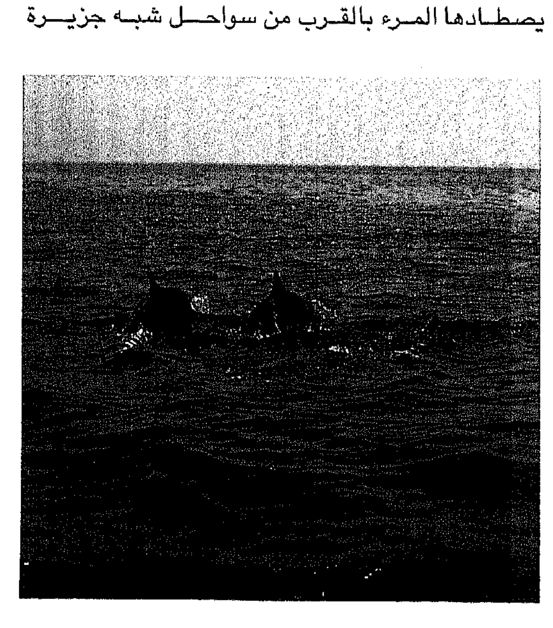
باستثناء السلاحف، يوجد في عمان نوع آخر من الزواحف البحرية، هو الثعابين البحرية. وتعتبر الثعابين البحرية ذات الجلد الأخضر (بيلاميس بلاتوروس) من الكائنات التي تتغذى فوق سطح الماء، ويمكن تمييزها من لون ظهرها القاتم المتنوع الأشكال (أصفر قاتم أو أخضر أو رمادي مقلم أو منقط) وبطنها ذي اللون الأصفر الفاتح. وهو سام مثل غيره من الثعابين البحرية الأخرى ويمكن أن يتسبب في الوفاة على الرغم من أنه غير شرير وتوجد أنيابه السامة في مؤخرة الفك. وهذا النوع من الثعابين البحرية هو النوع الموجود غالباً في البحر بالقرب من مسقط.

الثدييات البحرية

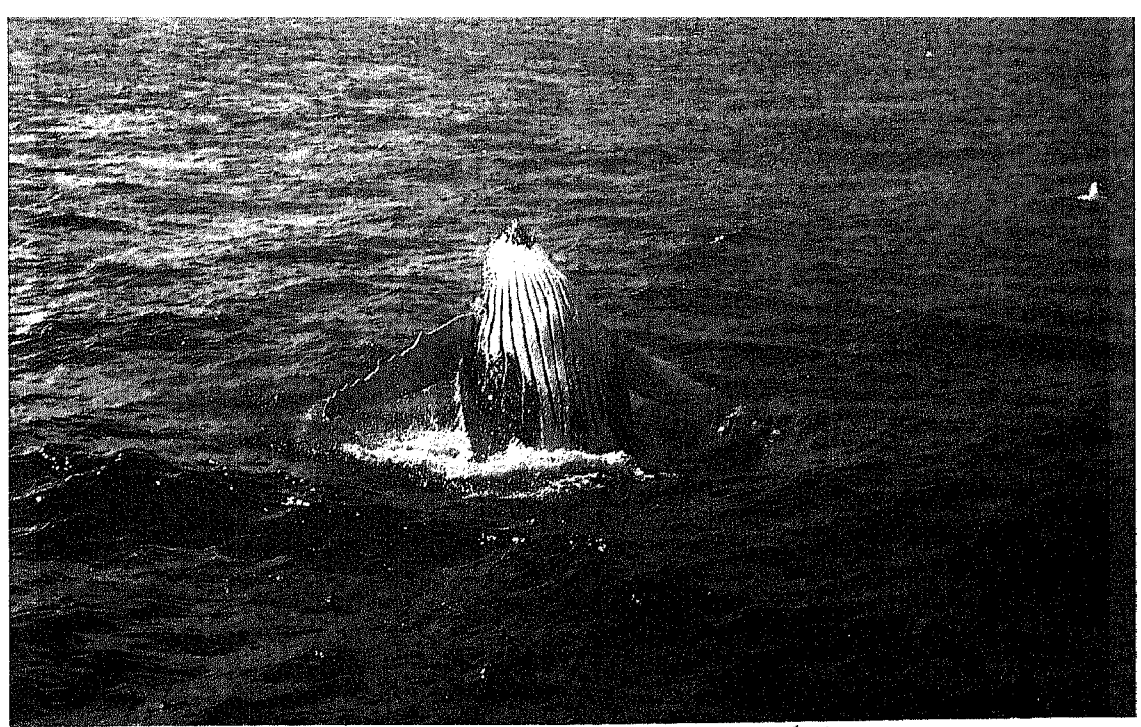
تثير الثدييات البحرية العمانية اهتماماً كبيراً بين الجمهور، وهي تتضمن أعداداً كبيرة من الدلافين التي تعيش في المياه الساحلية وهي الدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية ودلافين ريسو والدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية إلى جانب تسعة أنواع من الحيتان وهي الحوت القاتل الزائف والحوت القاتل وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار والحوت المحدب الظهر وحوت «برايد» والحوت «سي» وحوت المنك وربما أيضاً الحيتان الزرقاء وذات الزعانف. وقد شوهد الحوت الأزرق، الذي يعتبر أضخم الحيوانات التي عاشت على ظهر المعمورة حيث يزن حجمه ضعف حجم أصغر الحيوانات الحيتانية ثلاثة آلاف مرة ويبلغ وزنه ما يعادل وزن ألفي شخص، في عمان لآخر مرة في سنة ١٩٨٦م. وهو حوت يعيش في المحيط الجنوبي ومهدد بالانقراض بشدة. إن إضافة صالة جديدة للحيتان في متحف التاريخ الطبيعي في عمان هو دليل على وجود أنواع عديدة من هذه الثدييات الجميلة وشاهدٌ على اهتمام الدولة والمجتمع بها.

وإذا قام المرء برحلة قصيرة بالزورق إلى خليج مسقط في المنطقة الواقعة بين جزيرة الفحل واليابسة فمن المحتمل أن يشاهد جماعات من الدلافين سواء من النوع ذي المنقار الشبيه بالزجاجة أو النوع اللولبي العادي. إن منظر مائة دلفين أو أكثر من الدلافين اللوبية وهي تقفز في الهواء وتلتف أثناء تحركها في مجموعات كبيرة على بعد عدة أمتار من الزوارق في الغالب هو من مشاهد الحياة البحرية التي تعلق في الذاكرة إلى الأبد. وتميل الدلافين اللولبية إلى أن تعيش في المناطق المائية المعتدلة والعميقة وهي من الحيوانات المألوف رؤيتها في منطقة مسقط وهي تسبح في محاذاة الشاطىء حيث تتسابق مع أسماك التونة. وهي غالباً ما تصاحب جماعات الدلافين العادية، لكن بينما أن الدلافين العادية تندفع للأمام وهي تستنشق الهواء فوق سطح الماء فإن الدلافين اللولبية تؤدي استعراضات رائعة وتقفز باستمرار في الهواء وتدور حول نفسها وهي تتحرك. وهي تتميز بصغر الحجم حيث يقل طولها عن مترين وتتسم بمنقار رفيع شهير أعطاها إسمها البديل وهو الدلافين ذات المنقار الطويل. وبينما تشتهر الذكور ببطن ذي لون قرنفلي فإن اللون القرنفلي الزاهي للأنواع العمانية يوحي بأنها ربما كانت من نوع لم يسبق وصفه من قبل .

وتعتبر الدلافين العادية من أكثر الأنواع التي يصطادها المرء بالقرب من سواحل شبه جزيرة



أعلاه ولجهة اليسار: الدلافين اللولبية بالقرب من مسقط.



جي توعسون، بلانت ايرث

حوت أحدب يقفز في الماء. من المعتقد أن الحوت الأحدب يعيش في المياه العمانية.

مسقط حيث تختلط، كما ذكرنا آنفاً، مع الدلافين اللولبية. إنها من النوع الموجود في أنحاء المناطق الاستوائية وفي المناطق الدافئة بصورة أكبر من الدلافين اللولبية، وتنمو بأطوال تصل إلى ٢،٦ متراً على الأقل. وقد شوهدت الدلافين المنقطة في بعض الأحيان بالقرب من عمان. إنها حيوانات نشيطة رفيعة الجسم ويصل طولها إلى مترين تقريباً وتتميز بزعانف شهيرة في ظهرها وبمنقار أبيض رفيع. وتميل أشكال النقاط التي أعطتها إسمها إلى التباين بدرجة كبيرة باختلاف أفرادها، لكن معظمها يتميز بنمط تمويهي منقط بنقط كبيرة. إن إسمها الشائع البديل - وهو الدلفين ذو اللجام - قد نتج عن وجود علامات على الجسم تتميز بعضها وتتخذ شكل شريط يمتد من المنقار إلى رقعة العين وشريط آخر يمتد من الزعنفة. أما الدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية فتسبح عادة في مجموعات صغيرة في المياه الضحلة الموجودة على إمتداد سواحل عمان. وتوفر الزعنفة القصيرة والغليظة الناجمة عن حدبة الظهر علامة واضحة تميزها. وتعتبر الدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة من الدلافين المعروفة لدى العديد من القراء باعتبارها الدلافين التي شاهدوها في مياه المحيطات وهي تقفز في دوائر وتؤدي بعض الألعاب الاستعراضية. وهي شائعة ومنتشرة في المياه العمانية وتنمو بطول كبير يصل إلى ثلاثة أمتار. وغالباً ما تطفو الدلافين ذات الأنف الشبيه بالزجاجة عند مقدمة الزورق وهي النوع المرتبط عادة بمصاحبة الانسان. أما دلافين ريسو فهي دلافين ذات لون رمادي فاتح طويلة الجسم حيث قد يصل طولها إلى أربعة أمتار وتتميز بمنقار حاد مدور وبجبهة مجعدة وبعلامات على الجسم في شكل خطوط بيضاء متقاطعة تبدو مثل الخدوش أو خربشة الأسنان. ويتميز هذا النوع من الدلافين الكاملة النمو بوجود زعنفة على الظهر طويلة ومقوسة ومدببة. وهي من النوع الذي يعيش في عرض البحر وينتشر في أنحاء المياه الدافئة في العالم ويتغذى على الحبار.

إن هواية مشاهدة الحيتان لم تصبح بعد من المعالم السياحية الجذابة في عمان، لكن يبدومن المحتم أنها ستصبح كذلك قريباً. وإذا رغب المرء في مشاهدة هذه الكائنات المثيرة، فهناك عدة مواقع في عمان لمشاهدتها. ويعتبر مشهد سير مجاميع مشتركة وكبيرة من الدلافين من المشاهد المألوفة في المياه القريبة من مسقط، وبالاستطاعة مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر ودلافين المنك ودلافين برايد في فصل الربيع طوال شهري مارس وابريل في نفس المنطقة البحرية تقريباً. كما يمكن مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر من اليابسة وهي تتبع مجموعات السردين على إمتداد الساحل وخاصة بالقرب من ساحل الباطنة. كما يقال أنها موجودة طوال العام حول جزيرة مصيرة وبالقرب من جزر الحلانيات حيث تتزاوج وتضع صغارها في شهور الصيف. ويمكن في هذه الأثناء وبالقرب من مناطق الولادة في المياه الضحلة عند سواحل ظفار سماع الدلافين وهي تغني بأصوات تثير الأشجان. وبينما لا يتم رؤية الدلافين القاتلة في عمان إلّا نادراً فإن الدلافين القاتلة الزائفة التي تنمو بأطوال تصل إلى ستة أمتار شائعة هناك. إنها دلافين مفترسة تتغذى على الأسماك والحبار وصغار الدلافين. وقد تم عرض حوت العنبر القزم، الذي تم العثور عليه بالقرب من مسقط في شهر أغسطس عام ١٩٨٩م في متحف التاريخ الطبيعي في عمان وهو ربما المتحف الوحيد في العالم الذي يمكن فيه مشاهدة الهيكل العظمي المتجمع لهذا الحيوان.

وتبحر الحيتان على امتداد الساحل العماني متبعة مناسيب معينة للأعماق وهي تحوم حول لسان الجزيرة العربية في اتجاه الشرق عند رأس الحد حيث يجلبها مسارها إلى «مضيق للحيتان» ضيق نسبياً على مسافة عشرة كيلومترات داخل البحر. كما يقال أن الحيتان تتجمع على امتداد الطرف الجنوبي الشرقي لجزيرة مصيرة خلال الفترة من أبريل إلى يونيو حيث يمكن مشاهدتها قبل أن تهب التيارات الرئيسية للرياح الموسمية الجنوبية الغربية. ولا يزال أمامنا العديد مما يجب أن نعرفه عن تحركات الحيتان وسلوكها في المياه العمانية لكن هناك شواهد كافية بالفعل تؤكد مدى أهمية البلاد في المحافظة على هذه الثدييات البحرية الهامة.

غابات أشجار القرم

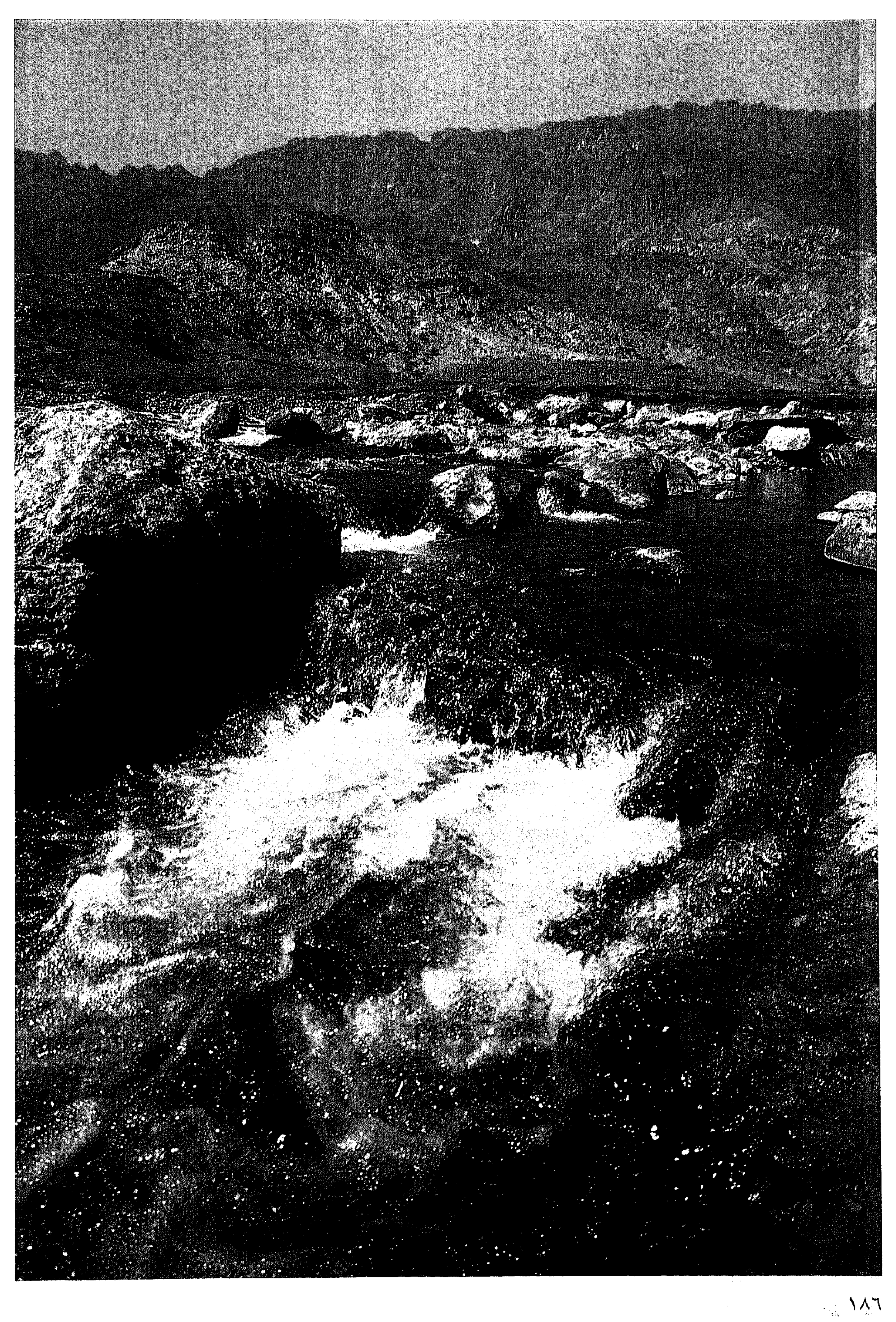
تم فـي مقدمـة هـذا الفصل تنـاول غابـات أشجـار القـرم بصـورة مـوجزة. وقـد تمخضـت دراسـة غابـة أشجـار القـرم والـتي قامـت بهـا عالمـة التاريـخ الطبيعـي كاثليـن سميث علـى مـدى عـدة سنوات عـن تـأليف كتـاب صغيـر قيم عـن مجموعـات الـرخويـات المرتبطة بهذه المستوطنة المثيـرة التي تشكل جـزءاً من حديقـة السلطان قابـوس ومن المحميـة الطبيعيـة. وقد أوجزت المؤلفة ببراعـة فـي مقدمـة كتابهـا مدى أهميـة مثل هذه الأماكن.

لقد تـم استغلال غابة أشجـار القرم في القـرم لمـدة تفـوق عن ٦٠٠٠ سنـة فـي جمـع الرخويـات التـي تعيـش فيهـا، وقـد تم العثـور على أكـوام من الصـدف ضمـن حدودهـا مـع بعـض أجـزاء خطافـات صيـد السمك والعقـود المصـنوعة مـن الصـدف. وكانـت أكثر القـواقع التـي كـان استعملهـا المستوطنـون القـدمـاء شيوعـاً هي قواقع (حلـزونات) الطـين الضخمـة التي لا تـزال متوفـرة بكثـرة فـي طبقـة الطيـن السميكـة الموجـودة عند طرف القرم.

وقد تم في الكتاب الجـذاب الـذي ألفته كاثلين سميث وصـف وتصويـر ٨١ نوعـاً من القـواقع كتـذكار لهـذه المستوطنة البحرية المنسية في الغالب.

وقد تم أدناه طبع تعليـق فوق صورة لغروب الشمـس عند غابة أشجار القرم.

تغطي معظم المحمية أشجار القرم من نوع واحد هو «أفيسينيا مارينا».
وكان يتم استغلال أشجار الغابة المثيرة للغاية هذه، والتي تنمو في المياه المالحة، في توفير الأعمدة اللازمة لسقوف المباني.
وفي الطين الموجود على امتداد أطراف الجدول توفر جذورها وأوراقها المتدلية في الجدول أماكن مأمونة تعيش فيها الكائنات البحرية وتلجأ إليها العديد من أنواع الطيور، وتوفر أوراق الشجر الميتة التي تتساقط باستمرار في الماء وتتحلل في الطين غذاء ممتازاً لفتيات الكائنات البحرية الهامة في السلسلة الغذائية. ولهذا السبب وحده يجب حماية غابات القرم القليلة مثل هذه الغابة المحيطة بالساحل العماني.



الحياة في البر

تتسم الحياة في البر في عمان بنفس درجة تنوع وإثارة الحياة في البحر. ويتأثرتوزيع الكائنات البرية بمجموعة كبيرة من العوامل البيئية المختلفة التي تتراوح بين العوامل المناخية ونوعية طبقة الأرض التحتية.

ويعتبر الماء العذب بالطبع من العناصر الضرورية لجميع أنواع الكائنات، وإن كان بعضها يتأقلم على العيش بأقل قدر من الماء. وتستطيع بعض الكائنات الصحراوية، سواء النباتية أو الحيوانية، أن تحصل على احتياجاتها من الماء العذب من ندى الصباح الباكر. حتى أن بعض الثدييات الضخمة لا تحتاج إلى تناول الماء العذب لكنها تستطيع أن تستخلص قدراً كافياً من النداوة من النباتات التي تأكلها.

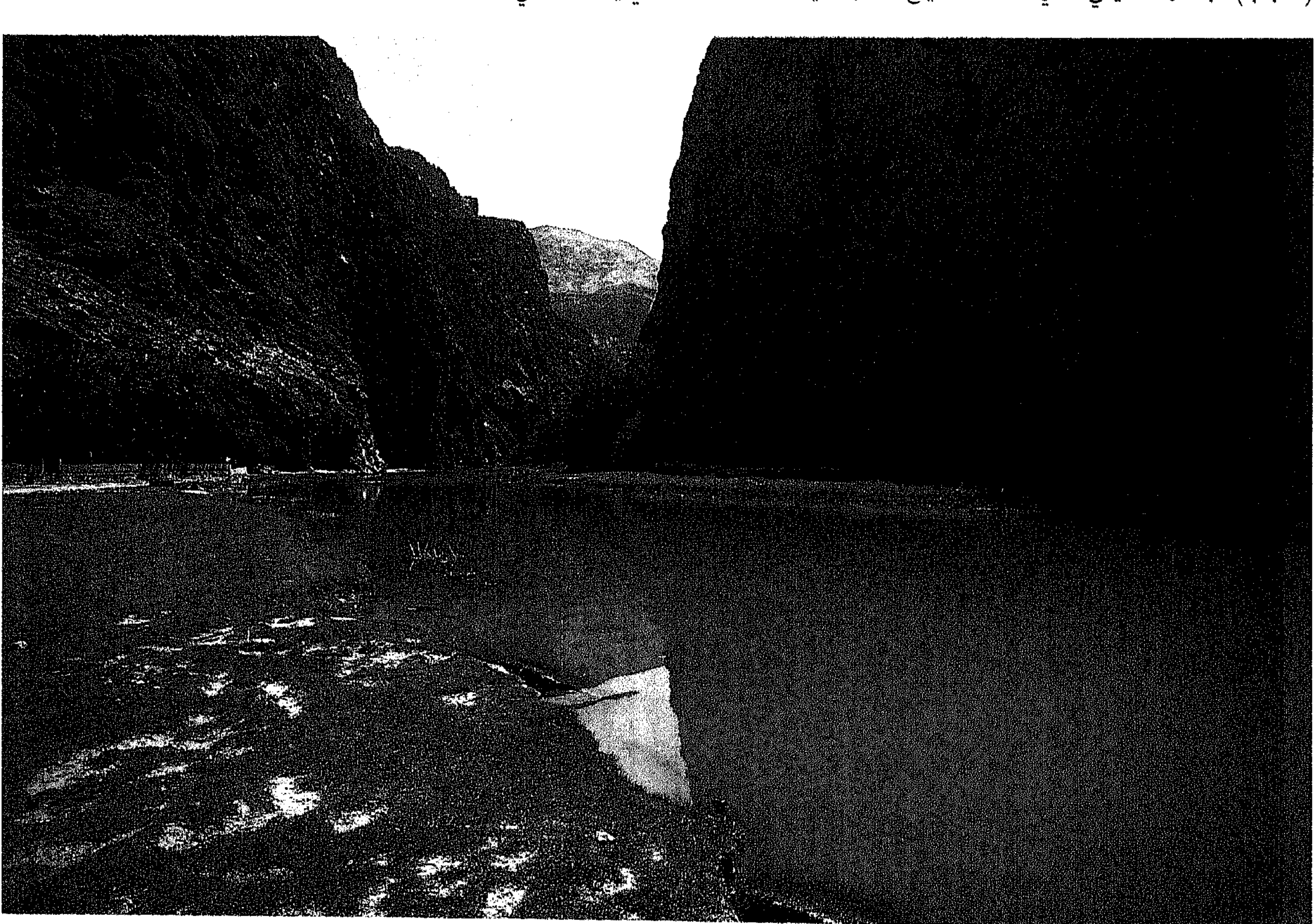
وتعتبر أبقار المارية (المها) العربية أحد هذه الأنواع، ولذلك فليس من المدهش أن آخر بقرة من أبقار المارية يتم مشاهدتها في الطبيعية البرية في الجزيرة العربية كانت تعيش في جدة الحراسيس حيث يوفر سديم (ضباب) البحر الصيفي الذي تدفعه الرياح الموسمية عبر الصحراء النداوة حتى في حالة عدم سقوط الأمطار.

وقد حققت مشاريع حماية البيئة البرية في عمان نجاحاً أكبر من ذلك الذي أمكن تحقيقه في دول الجزيرة العربية الأخرى وذلك بفضل جهود واهتمامات وعزيمة جلالة السلطان قابوس بن سعيد، وبفضل سياساته الرشيدة الناجحة.

إن الوصف الذي ورد في صدر هذا الفصل عن الزيارة التي قمت بها لمشروع يعلوني في جدة الحراسيس حيث شاهدت أبقار المارية العربية والغزلان تتجول بحرية تامة دون أن يزعجها الانسان، ويقوم بحمايتها مجموعة من المشرفين من أهالي جدة الحراسيس يعطي إنطباعات شخصية عن مستوطنات الحياة البرية الفريدة هذه. ومع ذلك لا يوجد ما يعبر حقاً عن احساساتي المثيرة وبهجتي لرؤية أبقار المارية الوحشية والغزلان والوعول وهي موجودة بأعداد كبيرة وفي بيئة بكر لم تشهد تغيراً كبيراً منذ أن بدأ انسان العصر الحجري يصطاد في هذه المنطقة.

في الصفحة المواجهة: تدفق النهر بعد سقوط الأمطار فوق المنبسطات العليا لوادي دوكة.

المنبسطات السفلى بوادي شاب.





جذع شجرة تنوب
يبلغ عمرها ٢٦٠ م
تقريبا تم العثور عا
رمال قاع نهر قديه
الحقف ينتصب الآر
متحف التاريخ الط
العماني.

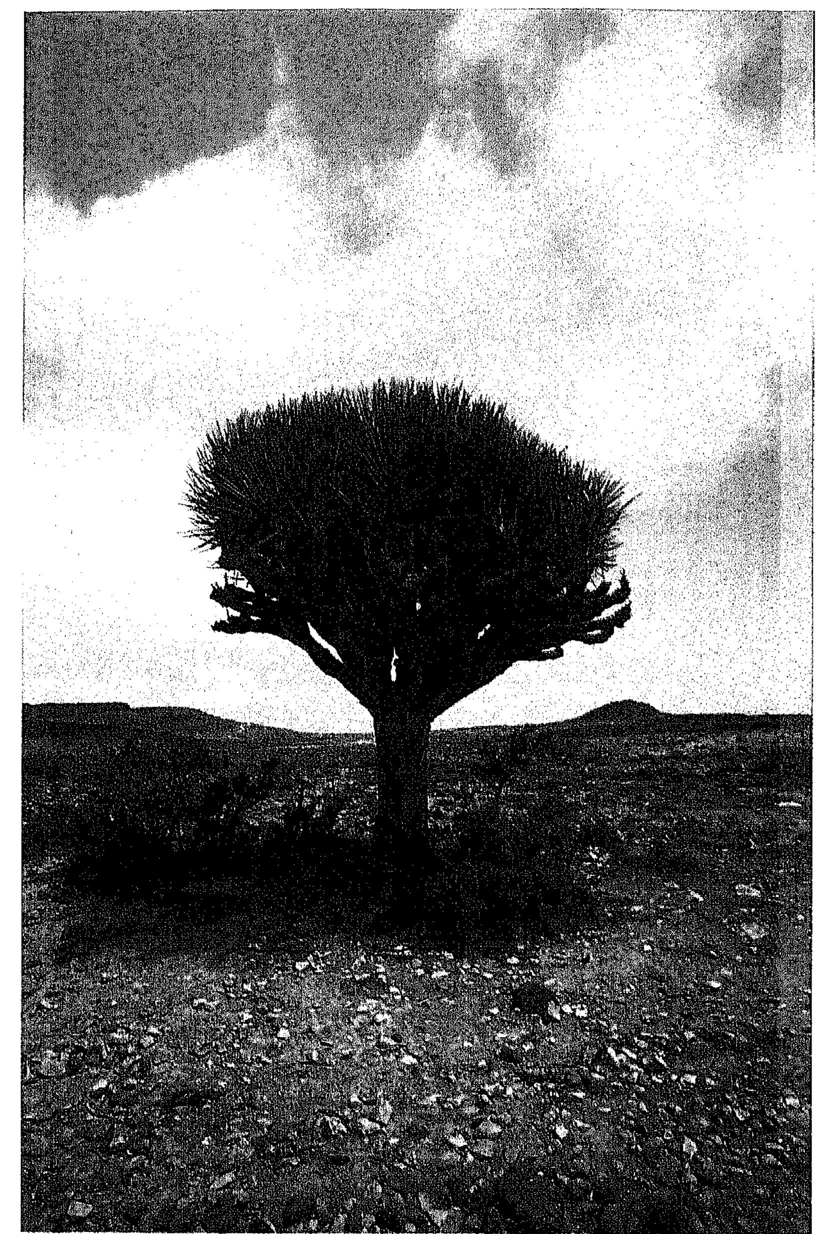
الحياة النباتية

يوجد عنـد مدخل متحف التـاريخ الطبيعي العمانـي أحد جـذوع أشجار التنـوب المتحجرة مـن رمـال قاع النهـر القديـم في منطقة الحقـف العمانية، يـرجع تاريخـة إلى العصر البرمـي (العصر الأخير من الدهر القـديم) وعلى ذلك فهو يبلغ من العمر مـائتين وستين مليون سنة. وقد اكتشفـت شركـة عمان لتنمية البتـرول هذه الأحفـورة، وقامـت مدرسـة النقل التـابعة لسـلاح الجو السلطـاني العماني بنقلها إلى العاصمة حيث تم وضعها عند مدخل المتحف في شهر أبريـل عام ١٩٨٩م. إن الحياة النباتية العمانية غنيـة بصورة فريدة، وتضم أكثر مـن ألف نوع مسجل مـن الكائنـات النباتيـة. وقد شجـع هذا التنـوع البيـولـوجـي الكبيـر وجـود مجمـوعـة متنـوعـة مـن المستوطنـات في المناطـق العمانيـة بما في ذلـك منطقة الجبال الشماليـة والمنطقة الوسطى والصحـراء الرملية، وكذلك الظـروف السائدة في ظفار وهي منطقـة تضم ما لا يقل عن ٥٠ نوعاً مستوطناً.

ويوجد أكبـر تنوع لأصناف الحياة النباتيـة في جبال ظفار حيث تم تسجيل وجود ٧٥٠ نـوعاً من بين مجموع الأنواع الموجودة في البلاد بـأكملها وعددها ١٠٤٤ نوعاً. أما أقل تنوع لهذه الأصناف فيوجـد، كما يتوقع المرء، في صحراء الربع الخالي التي تضـم أقل من ٢٠ نوعاً تعيش في الرمال و١٧ نوعاً آخر عند أطراف الصحراء. وقد قام بعض علمـاء النبات بـإجراء دراسـات اقليمية. وفـي هذا الصدد يجـب أن نذكـر الدراسـات القيّمة التـي قام بهـا أنتونـي ميللر وميـراندا مـوريسن وسجـلّاها فـي كتاب «نبـاتات ظفـار»، والكتـاب الصغيـر الذي ألفـه جيمـسماندافيل الصغير ونشره تحت عنوان «الزهور البرية في شمال عمـان»، والأعمال الجليلـة التي قـام بها مشـروع رملة الوهيبة تحت رعايـة الجمعية الجغرافية الملكية وهو المشـروع الذي قـام مـن خـلاله كـوب ولـوري ووارن ومونتون بـدراسة النواحي المختلفة للحياة النبـاتية في رملة الـوهيبة، والتقـارير الخـاصة بـاستقصاء الحيـاة النباتيـة والحيوانيـة العمانية التـي كتب فيهـا مانـدافيل وريد كليف ـ سميث أبحاثاً تتعلق بهذا الموضوع.

وبالاضـافة إلـى ذلك قامـت شاهينة غـزنفار بـانتاج «الدليل المفسر للنباتات الوعـائية العمانية» وكتابة بحث عن النبـاتات الطبية في شمـال ووسط عمان بـالاشتراك مع الكاتب أحمد محمد علي الصباحي. كما كتبت شاهينة غزنفـار بحثاً آخـر حددت فيـه بعض المنـاطق النبـاتية ومجاميع النباتات المنقرضة في عمان.

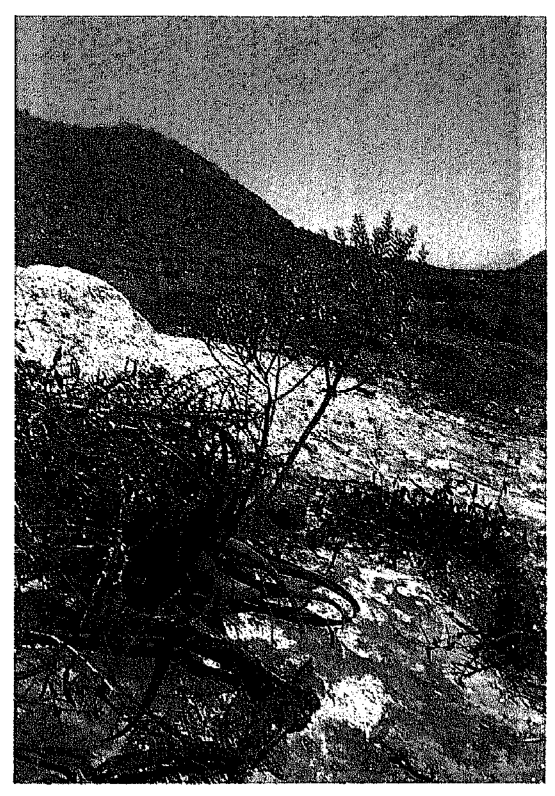
وتشير الدراسـات الأخيرة إلى خارطة الحيـاة النباتية العمانيـة والتي تـم إعدادهـا كجزء مـن الدراسـات التي قـامت بهـا هيئـة IUCN (جـي. ئي. كـلارك، ١٩٨٦). ويوحـي هذا التصنيف المنطقـي المبني على ٣٧٢ نـوعاً مسجلاً من النبـات بوجود تسعة مناطـق رئيسية للحياة النباتيـة وهي مناطق نبـاتات الجبال الشماليـة، وفصيلة أشجـار السنـط الخفيضـة، وفصيلـة أشجـار السنـط



المفتولة ، وفصيلة أشجار السويـداء والنباتات السعدية، وفصيلـة أشجـار السمـر التي تشمـل أشجـار السمـر الجنبـي وأشجـار السمـر المصغـر، وفصيلـة أشجـار الشيشـلان الرمـاديـة وأشجـار الأرطي (مـن الفصيلـة البطبـاطية)، وفصيلـة أشجـار السمـر «الزيغـوفلـون» (الفصيلة القدسية) و«الهيلوطروبيون» (رقيب الشمس) والمراعـي الطبيعية شبـه الصحراويـة، وغابـات الجرف الجنوبي ونباتات السهول.

وتعتبر أشجار الشيشلان الرمـادية من أهم الأشجار بالنسبة للبدو القاطنين في الصحراء، فهي نوع فريد من الأشجـار ينمو فـي أكثر المنـاطـق الصحراويـة جفافـاً ويسـاعـد في تهـدئة العـواصـف ويـوفر الظـل الـلازم للانسان والحيوان. وبالاضـافة إلى ذلك يوفر هذا الجنس مـن الأشجار الطعـام للحيـوانـات والحطب المستعمـل كوقود للطهـي، وتتميز جذور هذه الأشجار بأنهـا طويلة بصورة غير عادية وتمتد في بعض الأحيان لمسافة تزيد عـن ٦٠ متـراً تحـت سطـح الأرض لتصـل إلـى الميـاه الباطنية. إن اعتماد هذه الأشجار على الطبقات الصخرية المائية العميقـة بدلاً من مياه الأمطار السطحيـة يتيح لها أن تنمو وتحافـظ على وفرة أوراقها وعلى إنتـاج بذورها حتى في فترات القحط. وقـد أدت الخشية من الافراط في قطع واستغلال أشجار الشيشـلان فـي عمان إلى الدعوة إلى تطبيـق بعض اجراءات الحمـاية خـاصة وأن هذه الأشجار لا تخدم الانسـان فحسب بل توفر مستوطنات فـريدة للحياة البرية وأن نـزعهـا مـن المنـاطـق الصحـراوية لـه تـأثير سلبـي كبير. ويتم الآن استعمال هذه الأشجار كجـزء من برنـامج التشجير في عمـان. وعندما تطغى الـرمال علـى غـابات أشجـار الشيشـلان فإنهـا تسايـر تـراكم الرمـال عن طـريـق النمـو الانبـاتـي الجـانبـي والـرأسـي. وفـي الواقـع فإن غـابات الأشجـار المتخلفـة هـذه هـي مـن آثـار الغابـات الأصلية التي ازدهـرت في عمان خلال العصر الجليدي الأخير منذ ما يربو على ١٢٠٠٠ سنـة مضت، ولذلك لا







تبدو عليها الخصائص العادية للمحـافظة على الماء التي تبدو علـى معظم النباتا ت الصحـراوية الأخرى. بـل أنها ترشـح بحرية طـوال اليوم عن طـريق أوراقها وهــي من الخصائص التي قد تسبب جفاف معظم أجناس النباتات الأخرى التي تنمـو في هذه الظروف البيئيـة الجرداء في وقت سريع. لكن أشجار الشيشـلان تعوض ما تفقده من ماء بسحـب المياه الباطنيـة عن طـريق شبكة جـذورها الكثيفة. إن الخطـر الكبيرالـذي قد يـؤثرعلـى بقاء هـذه الأشجار الـرائعة، التـي ينطوي وجـودها علـى مفارقـة تاريخية هامة، هو أن ضخ الماء الباطني من الأبار سوف يؤدي إلـى إنخفاض منسوب الميـاه الباطنية إلـى حد لا يصل إليه مستوى تغلغل الجـذور في باطن الأرض. وقد لعبت النباتـات دوراً طبياً هاماً في حياة الشعـب العماني على مـر آلاف السنين. ويعتقـد بعض النـاس أن الأدوية العشبية وطرق المداواة التقليدية لا يزال لها دور هام في توفير الرعاية الطبية العامة.

وبينمـا قضت الأدويـة الحـديثة علـى الحـاجة إلـى الاعتماد الكلـي على هذه الأسـاليب الطبية إلا أنـه لاتزال هنـاك خبرات واسعـة وثقة كبيـرة في المهـن التقليديـة للمداواة بالأعشاب.

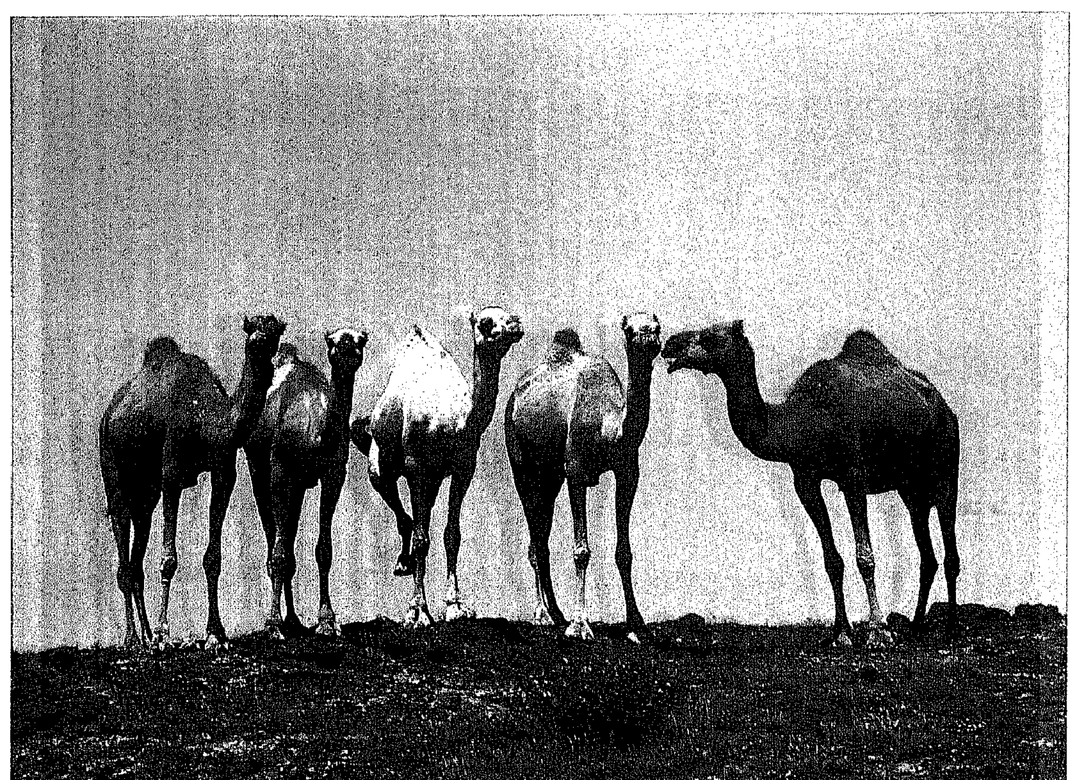
وقد تمت كتابة أبحاث كثيـرة حول هذا الموضوع من قبل عاتب الشعبي «الطبيب» (١٩٨٠)، وشـاتي (١٩٨٤) وميللر وموريس (١٩٨٨) وغزنفار (١٩٩٣).

الديناصورات

قبل أن تطـأ أقدام الانسان التراب العمـاني بفترة طـويلة وعلـى وجه التحـديـد منذ خمسـة وستيـن مليون سنـة مضت كـانت الديناصـورات تجوب المنطقة التـي تشكل الآن السهل السـاحلي العماني. وقـد جمع الدكتور سمير حنا وبرايـن كليسولد في شهر نـوفمبر ١٩٨٢ أول دليل على أن هـذه الزواحف الضخمة كـانت تعيش فـي عمان وذلك أثنـاء تسلقهما صخـور الجبل بـالقرب مـن فنجا. وكـانت العظـام التي عثـرا عليها هـي أول دليل علـى أن الديناصورات قـد عاشت في بلاد الجزيـرة العربية. وقد عثـرا أيضـاً مـع عظـام الدينـاصـور علـى عظام بعـض السـلاحف والتمـاسيح التـي ترجـع إلى عصـر ما قبـل التاريـخ. وعلى الـرغم من عـدم التمكن مـن تأكيـد أنواع الدينـاصورات التي عـاشت فـي عمان، فقد أمكـن تمييز العظام التـي تم العثـور عليها حتـى الآن بأنهـا خاصـة بالدينـاصورات «أورنيثيستشيا»،وهي ربمـا من أعضـاء الديناصورات البلاتبوسية وهي ديناصورات عدّاءة قوية تقتات بالأعشاب.



أندرو سبالتون



جمل عربي (وحيد السنام) في ربوع جبال ظفار.

هانز وجينز اريكسين

الثدييات البرية

تتضمن الثدييات البرية الضخمة المتوحشة الموجودة في عمان، الذئب وثعلب روبيل الرملي والثعلب الأحمر والثعلب الأشيب (ذو اللون الضارب إلى الأبيض) والنمس ذا الذيل الأبيض والضبع المخطط والقط الوحشي والقط الرملي والوشق والنمر والوبر (الزلم) الصخري والغزال العادي والغزال السعودي والغزال الرملي والمارية (المها) والطهر العربي والوعل والغرير أو الراتل آكل العسل والشيهم الهندي.

وللأسف فقد انقرضت الأسود والفهود الصيادة من الجزيرة العربية، بينما تتشبث النمور بالحياة في بضعة أماكن قليلة في الجبال في مسندم وفي جبل سمحان في ظفار. ويبدو أن النمر العربي قد استطاع البقاء على قيد الحياة في عمان اعتماداً على صيد الوبر (الزلم) والأرانب الوحشية والقوارض والزواحف والطيور. ويعرف حيوان الوشق محلياً باسم عتاق الأرض، وقد قام متحف التاريخ الطبيعي العماني باختياره شعاراً له تقديراً واعترافا بشجاعته وجسارته وقدرته القوية على التحمل ونبالته كممثل للحياة البرية الغنية في عمان. وهو يعيش في السهول الصخرية النجدية حيث استطاع البقاء على قيد الحياة اعتماداً على صيد القوارض والطيور والأرانب الوحشية وأحياناً الغزلان التي يهجم عليها في الغسق. وقد تم استئناس الجمال ولم تعد تعتبر من الحيوانات المتوحشة بالرغم من أن عمان كانت أحد مواطنها الأصلية.

ويعتبر حيوان الوبر أو الزلم الصغير من الأنواع المثيرة لفصيلة الحيوانات الثديية العمانية الصغيرة لأنه آخر من بقى على قيد الحياة من مجموعة الثدييات التي تقتات بالأعشاب والتي استوطنت في أفريقيا وجنوب أوراسيا منذ ٤٠ مليون سنة. إن سر بقاء الوبر على قيد الحياة،على عكس انقراض جميع أقربائه، يكمن في مقدرته على العيش دون أن يشرب الماء العذب وأن يعيش على القليل من الغذاء. ويمكن العثور على هذه الثدييات المنعزلة الليلية القديمة من ذوات الحوافر في المستوطنات الموجودة تحت الأحجار المتساقطة عند باطن تلال الجبال الجافة في منطقة ظفار. وكما جاء آنفاً، فهي تقتات الأعشاب لكنها تتغذى أيضاً في بعض الأحيان على النباتات التي قد تكون سامة للحيوانات الأخرى، وتكمل غذاءها الهزيل بتناول الحشرات.

ومن بين الثدييات الصغيرة يوجد ١٤ نوعاً معروفاً من القوارض في عمان، وهي تشكل مجموعة ناجحة على وجه الخصوص وتستوطن في مستوطنات متنوعة بما في ذلك المستوطنات الصحراوية. ومعظم أنواع هذه الثدييات هي حيوانات ليلية ونادراً ما يتم مشاهدتها أثناء النهار.

ويتميز حيوان اليربوع ذو الأصابع الثلاثة بقدمين خلفيتين طويلتين تتيح له أن يهرب بمهارة كبيرة من مفترسيه، ويقفز قفزات شبيهة بقفزات حيوان الكنغر الاسترالي الصغير. وتساعده قدماه المعنقدتان على التشبث بثبات فوق الرمال السائبة. أما الفأر الشائك فيعتبر أحد الثدييات الصغيرة المتأقلمة على الحياة في الصحراء حيث يتغذى على البذور الجافة. أما حيوان

اليربيل «تشيزمان» (وهو مـن فصيلة الفأر) التشيزماني فهو من الثدييات الصغيرة الأخرى المتأقلمة على الحياة في الصحراء الرملية حيث يعيش في الجحور ولا يخرج منها سوى أثناء الليل.

ومن نـاحية أخرى يعيش حيـوان اليربيل «فـاجنرز» فـي المستوطنـات الصخريـة. أما الجيـرد «صنديفـال» فيعتبر مـن القوارض الصحـراوية الشـائعة التـي يمكن التعرف عليها بسهـولة من شكله الرمـادي البني الشبيه بـالفأر وعينيـه الواسعتيـن وذيلـه المعنقد ذي الطـرف الأسود المميز. وهو يفضل الحيـاة في الصحراء الرملية حيث يقيم جحره أسفل الشجيرات الشائكة.

أمـا آكلات الحشـرات فتتضمـن حيوانـات الـزبابـة المنزليـة (الشبيهة بالفأر)والـزبابة الأصغـر حجماً ذات الأسنـان البيضاء والـزبـابة الصـومـالية ذات الأسنـان البيضاء والقنفذ الحبشي والقنفذ الأسود.

وتقيم أكبـر أنواع الخفـافيش العمـانية حجمـاً، وهي الخفافيش المصرية التي تقتات الفواكه والمعروفة باسم «الثعلب الطـائر»، في كهوف الجبـال العالية وتهبـط إلى بسـاتين الفـواكه المـوجـودة في المنـاطق المنخفضـة لتحصل على غذائها.

أما الخفافيـش العمانية الأخرى فتتغـذى جميعاً على الحشرات لا على الفواكه، وهي تتضمن الخفاش ذا الذيل الشبيه بـذيل الفأر والموجـود في منطقة طوي عتيـر في ظفار والخفـافيش الايـرانية ذات الأنـف الشبيه بـأوراق النبات والتـي تقوم أوراق أنفها الشـوكية الثلاث بتـأدية وظيفة عكس الصوت المرتبط بـالملاحة. وهي تعيش مع الخفـافيـش القـارضـة في قنـوات أنظمـة أفـلاج الـري الموجودة تحت سطح الأرض.

أما خفافيش «همبريتش» ذات الأذن الطويلة فهي من نوع الخفافيـش الصحراوية التي تعيـش في الكهوف أو الشقوق المـوجودة في التلال الصخـرية أو في المبـاني المنعزلة المهجورة.

وتتضمن الثـدييات الصغيـرة الأخرى بعـض الأنواع الفرعية المختلفـة لأرانب «كيب» الوحشيـة المنتشرة في منـاطـق الصحارى الرملية والصخـرية في عمـان والتي يظهر عليهـا بعض التبـاين بين الجنـس الواحـد، حيـث يتميـز بعضها بـأذن طويلـة بصـورة لا تتناسـق مـع جسمه كنـوع من التأقلـم على تشتيت الحـرارة. وتتموه أجناس هـذه الأرانب الـوحشية التـي تعيش فـي الرمـال بلحـاء بلون الـرمل وينبـت شعـرها عنـد اخمص القـدم ليساعدها في التشبث بثبات.

أبقار المارية (المها) العربية

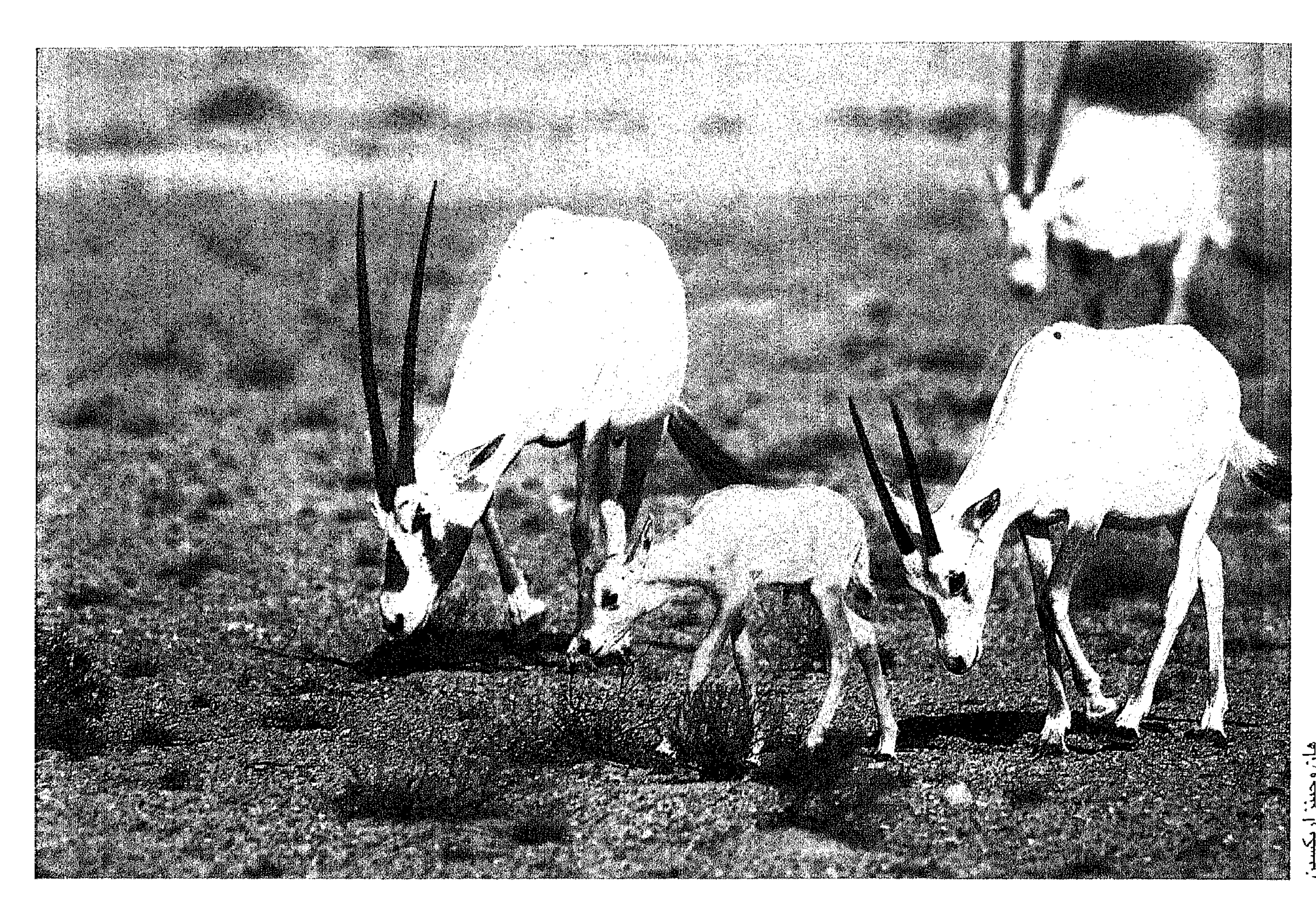
يعيش في عمان ٧٥ نوعاً من الثـدييات، لا يوجد من بينها ما هو أفضـل من أبقار المارية البيضاء أو أبقـار المارية العـربيـة عندمـا يتعلـق الأمـر بـالتـأقلم مـع الظـروف الصـحـراويـة حيـث تسـاعدهـا خصـائصهـا البـدنيـة والفسيولـوجية والسلـوكية علـى أن تعيش فـي مناطـق الجزيـرة العربية التـي لا تستطيع أن تعيش فيهـا سوى بضعة أجناس مـن الثدييات الأخرى، إن وجـدت. ويرجع أحد العـوامل الرئيسية لهـذا التأقلم إلى تحمـل التقلبات الكبيرة جداً فـي درجات الحرارة التي تتعـرض لها والتي



ماعز يشرب الماء من بحيرة في الأنصب. للأسف تسببت الماعز في تدمير العديد من المستوطنات في أنحاء الجزيرة العربية.



قطيع من الحمير بالقرب من البيح.



هان وجينز إريكسين

أبقار المارية (المها) في يعلوني.

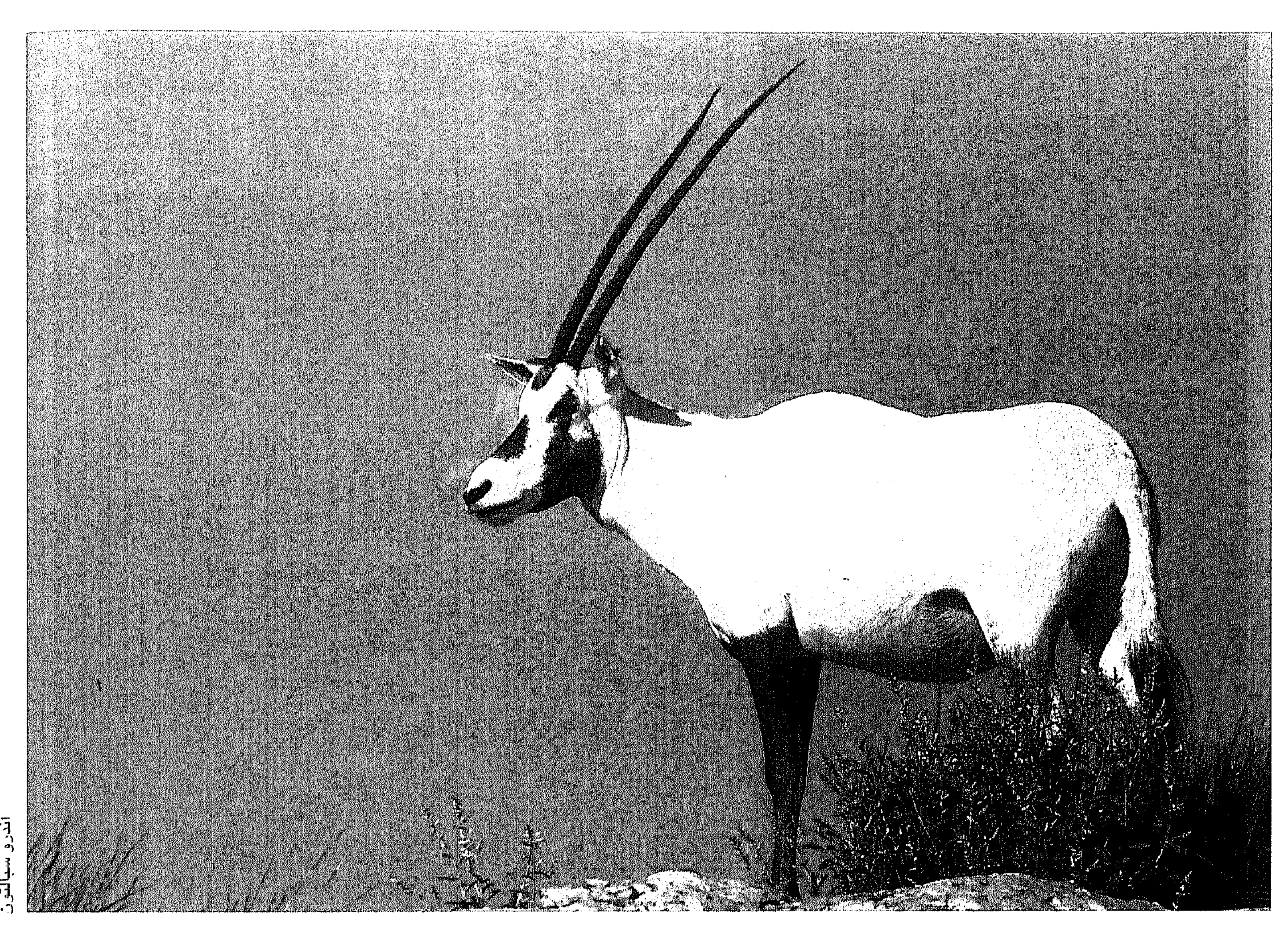
تتراوح بين ٥٠ درجة مئوية ودرجة الصفر (التجمد) تقريباً. ويتغير شعر جسمها حسب الموسم فيصبح طويلاً وغزيراً في فصل الشتاء ليمكنها من أن تحمي نفسها ضد الرياح الباردة.

وعندما تنخفض درجات الحرارة تقف أبقار المارية في اتجاه الشمس وترفع فروة شعرها فتكشف عن جلدها الأسود الذي يمتص الحرارة. وغالباً ما يتم رؤية هذه الأبقار وهي تقف في هذا الوضع في أوقات النهار وبعد الظهر في أثناء فصل الشتاء.

ولتفادي فقدان الحرارة دون داع في أثناء الليل تختار أبقار المارية أماكن مستترة ومحمية من الرياح عند أكوام الرمل أو تجمعات الشجيرات لتأوي إليها. وهي تتميز بعيون غائرة وبذلك يتم حمايتها من وهج الشمس نتيجة للظل الذي يوفره الضلع العظمي البارز. وبالاضافة إلى ذلك فهي تتميز بأهداب طويلة وغدد دموع نشطة تساعدها على حماية عينيها من الرمال المتطايرة وتتيح لها مواصلة تناول الغذاء أثناء هبوب العواصف الرملية.

وتميل أبقار المارية في ظروف درجات الحرارة العالية في فصل الصيف إلى أن تكون أكثر نشاطاً أثناء الليل وتختفي أثناء النهار من وهج الشمس. وهي تتمتع بمقدرة عجيبة على العيش لفترة طويلة دون شرب الماء العذب. وفي تلك الأوقات تعوض احتياجاتها لموازنة الماء بصورة صحية عن طريق النداوة التي تمتصها من تناول النباتات التي تجذب ندى الصباح الباكر والسديم (الضباب) الموسمي مثل تلك النباتات التي تنمو في جدة الحراسيس. كما أنها تميل إلى التخلص من غطائها الشتوي في فصل الربيع عندما تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع ويصبح لونها أكثر بياضاً ونعومة مما يعزز من مقدرة لحيتها على تشتيت الحرارة. ومن عيوب ذلك أنه يجعل بقرة المارية مرئية بوضوح في الطبيعة البرية حيث يعكس شعر جسمها الأبيض الضوء كالفنار في أفق الصحراء ويجعلها هدفاً جلياً للأسود المفترسة والفهود الصيادة التي كانت تجوب هذه الأراضي يوماً وصيداً سهلاً للصيادين من بني البشر. وبالاضافة إلى أن شعر جسمها يساعدها على تشتيت الحرارة بدرجة عالية، فإن وضوح رؤيتها يساعدها على أن تبقى مع بعضها البعض وهي ترعى في منطقة واسعة تمتد عدة كيلومترات. وتحافظ أبقار المارية على اتصال بصري بين أعضاء القطيع أثناء الرعي وتقوم الثيران في الحال بجمع العجول التي تضل السبيل عن القطيع.

ويمثل هذا السلوك الواقي الأبوي بوضوح تأقلماً مع الظروف السائدة يهدف إلى الحد من خطر وقوعها فريسة سهلة، وهو سلوك غير معروف بين أنواع الأبقار الوحشية الأخرى كما نعلم. وفي أثناء الأوقات التي تصعب فيها الرؤية بوضوح لمسافات بعيدة، مثلاً أثناء الليل أو في أثناء هبوب العواصف الرملية تتجمع أبقار المارية معاً وتحافظ على اتصال صوتي مع بعضها البعض عن طريق الخوار برقة. وإذا إنفصلت الأبقار عن بعضها البعض، تعود البقرة «الضالة» إلى نفس مكان الرعي السابق وإذا لم يتمخض ذلك عن توحيدها من بقية القطيع فإنها تقف في مكان بارز مثلا فوق أحد الأكوام أو فوق الأرض المرتفعة لتحاول أن ترى بقية القطيع أو لتكون مرئية لهم. وإذا أخفق هذا الاجراء أيضاً تقوم



أندرو سبالتون

بقرة مارية (مها) عربية منعزلة في مجمع يعلوني.

المارية «الضالـة» باستكشاف المناطق التي يـرعى فيها القطيع عـادة وأحيانا ما تقتفـي آثار أقدام أبقار المـارية الأخرى.

وفي أثناء الـرحلات الطويلة تسير أبقار المـارية في صـف طويـل واحـد، واحدة بعـد الأخـرى، وقـد ترحـل لمسافات طويلة بحثاً عن مرعى مناسب.

برنامج إعادة توطين أبقار المارية

لا يكتمل مـوضـوع الثـدييات العمـانية دون أن نستعـرض باختصار نشاط بـرنامج إعادة توطين أبقـار المارية. إنها قصة مـألوفة للعـديد من القـراء وهذا يحصر مهمتـي في ايجاز الحقائق ذات الصلة الموضوعية.

لقـد بدأ المشـروع عندمـا أبـدى المهتمون بضـرورة صيـانة المـوارد الطبيعة خشيتهـم من أن أبقـار الماريـة العربية قد أصبحت على وشـك الانقراض أو الاختفاء كأحد الحيوانات الوحشية في الجزيرة العربية.

وبحلـول الستينات ربمـا كـان في الجـزيـرة العربيـة بأكملهـا ٥٠ بقرة فقـط من ذوات الحوافـر هذه المتـأقلمة على العيش في الصحراء وحتى هذا العدد أيضاً كان مهدداً بـالصيـد. وقد تمخضـت الجهـود التـي قادتهـا جمعيـة المحافظـة على الحيـاة الحيوانيـة لتربيـة قطيع مـن أبقار المارية في الأسر بدعم من الصندوق الدولي لرعاية الحياة البرية عن الامساك بثورين وبقـرة من أبقار المارية بالقرب من الحدود بين اليمـن وعمان إضافة إلى بقرة مـن حديقة لندن للحيـوان يرجـع أصلها إلـى عمان وبقـرة مهداة مـن الكويت وأربعة أبقار أخرى من المملكة العربية السعودية.

وأمكـن فـي النهـاية استخـدام هـذه الأبقـار التسـع المعـروفة بـاسـم «القطيع الـدولي» فـي تكـوين قطيـع استيلاد نـاجح فـي حديقـة فينكس للحيـوان في ولايـة أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وبينما كان يتم وضـع قواعد برنامج ا ببـطء بمعاونة سخية مـن الراحـل موريس مـاتشريـس (مديـر نادي حديقة شيكـار المفتوحة للحيوان في ذلك الحيـن)، كانت بقية أبقار المارية الوحشية تكـافح بصعوبة للحفاظ على حياتها. وقد لقيت آخر هذه الأبقـار، التي كان وجودها من الأسرار الغامضة التي يحتفظ بهـا أهل الحراسيس الذين يقطنـون فـي جدة الحـراسيـس، حتفهـا على يـد أحـد الصيادين الأجانب في شهر اكتوبر عام ١٩٧٢م.

ولفتـرة مــن الوقــت بـدا أن أبقـار الماريــة لــن تتجول بحـرية مـرة أخرى في الجـزيرة العربيــة. لكـن بعد مضـي ثمانية أعوام علـى انقراضـها المؤسـف عادت أول مجموعـة من أبقـار برنامـج التربيـة في الأسـر إلى عمان فـي محاولة طمـوحة لاعـادة توطينها فـي الطبيعة البريـة. إن هذا المشـروع الفريد الـذي يشكل جـزءاً من برنامـج مساعدة سكان جـدة الحراسيس هو أحـد بنات أفكار جـلالة السلطان قابـوس بن سعيد، ويشـرف على ادارته رالـف ديلي مستشار البيئة بـالديوان السلطـاني بمعاونـة استشارية مـن الدكتـور هرتمون جـونجيوس، المـدير الـدولـي للصنــدوق الدولـي للمحافظــة علـى الحياة الدولية.

وفي ٣١ ينــاير عــام ١٩٨٢م فتح رئيـس المشرفيـن بمجمع يعلوني، الذي تمت اقامته خصيصاً لأقلمة الأبقار التــي سيتم إعــادة توطينها على الحياة البريــة، البوابتين الضخمتيـن لتخرج أول مــارية عـربية تعـدو طليقة فــي الجزيـرة العربية منذ مقتـل أقربائها دون داع منــذ عشر سنوات مضت.

وبينما تم منذ ذلك الحين إضــافة أعداد أخرى من هذه الأبقــار بانتظــام بفضل جهــود التـربية فــي الأسر فــي المناطـق الأخرى، فقد زادت أعــداد الأبقار المولــودة في الصحراء تدريجيــاً حتى بلغ تعدادها مائة بقـرة وبدا أنه يزداد بانتظام.

وهنا لم يعـد حلم توطين أبقــار المارية البريــة (المها العربيــة) في المنــاطق الصحراويــة وشبه الصحــراوية الشاسعــة في الجزيــرة العربيــة حلماً صعب المنــال بل حقيقة واقعة. ويكمن سر نجاح هــذا المشروع الفريد في الادارة الحكيمة الـرشيدة التــي يشرف عليهــا فريـق من المختصيــن، سواء مــن أهل الحــراسيـس العمانييــن أو العلماء المغتــربين أو المــدراء وموظفــي خدمــات الدعــم الأخــرى، الذيــن كرســوا جهودهــم من أجــل نجاح هــذا المشروع وبــذلوا جهوداً مضنيــة لضمان استمــرار نمو قطيع أبقار المارية (المها) العربية.

ويشرف علــى حمايــة أبقار المــارية الــوحشية هــذه فــريــق مــن المشــرفين الحــراسيــس الــذيــن يتنقلــون بــالسيارات عبــر المنطقة الحجـرية لجــدة الحراسيس لتقفي تحركاتها.

ولا يحتــاج المشرفــون الحراسيــس إلــى الاستعانــة بأجهــزة النداء اللاسلكية أو أجهــزة المراقبة التــي تعمل بالأقمار الصناعية لأنهم يتمتعون بمهارات ممتازة لتقفي هذه الحيــوانات ويمكنهــم بسهولــة تتبعها وهــي تتجول بحرية في أنحاء جدة الحراسيس.

ويظل كـل فريق من فــرق الاقتفاء بعيداً عــن معسكر القاعدة لعدة أيام لكنهم يحافظــون على اتصالهم بالمقر الرئيسي لمجمع يعلوني عن طـريق اللاسلكي. ولا توجد أي لافتات أو طــرق معروفة لكنهــم يستعينون بالمعــالم الطبيعية للمنبســط الصحراوي لوصــف وتحديد أمــاكن تواجـد هذه الأبقار. ويقــوم هؤلاء المشــرفون بأكثــر من مجرد الابلاغ عن أمــاكن تواجد قطيع أبقار المــارية، فهم يعرفــون كل بقرة منهــا من خلال معــالمها البدنيــة. وتم إعطاء كــل واحدة منها إسماً ويتــم مراقبة تحركــاتها. إن ملاحظة مختلف أبقــار المارية بعنــاية يتيح لأفراد فريق المشرفيــن معرفــة هــوية أب كل عجل وبالتــالي يمكنهم تحديد صورة وراثية كاملة.

وقد كتــب خبير البيولوجيــا الميداني أنــدرو سبلتون في بحــث نشره في مجلة «الحيوانــات ذوات الحوافــر» ما يلي ايجــازاً للنتائج التي حققهــا البرنامـــج بعد مضي عشر سنوات فقط:

في خلال السنوات الأولى، مــن عام ١٩٨٠م إلى عام ١٩٨٦م، كان تعداد هذه الأبقار المكــونة من قطيعين مترابطين جيــداً تم اطلاقهما في بيئتهــا الطبيعية في عامي ١٩٨٢م و١٩٨٤م ينمو بمتــوسط سنوي قدره ١,٢٢ بقرة. وفي عام ١٩٨٦ انتهــت فترة القحط وتم ايقاف برنامج التغذية التكميلية وانقسم القطيعان إلى مجموعــات فرعيــة (ستانلــي برايس، ١٩٨٩). وفي مرحلة لاحقة بعد ذلك تــم إخصاء ثور عقيم لكنه عنيد واطلاق بعض الأبقــار المهاجرة في بيئتهــا الطبيعية فــي عــامـــي ١٩٨٨م و١٩٨٩م. وسقطت الأمطــار بمعــدل جيـد منــذ عام ١٩٨٦م واجتمعـت كــل هــذه العوامل لتسهم في زيادة أعــداد الأبقار الموجودة في الطبيعة البريــة (بمتوسط سنوي قــدره ١,٣٩ بقرة) خلال الفترة بين عامي ١٩٨٦م و١٩٩٠م.

وفي خــلال الفترة بين عامــي ١٩٩٠م و١٩٩١م كان معــدل سقــوط الأمطــار بسيطا، لكــن شهــد ربيــع عــام ١٩٩٢م هطول الأمطار بمعدل جيد، وعنــدما قمت بزيارة للقطيع في نهاية ذلك العام كانت حالته جيدة. وينمو هذا القطيــع الآن قويــاً عامــاً بعــد عام وأصبــح أكثر تحمــلاً للصعاب التي لا مفر منها والتــي تخص بها الطبيعة هذه الحيوانات البرية.

وتــوحي الــدراســات التحليلية التــي قــام بها أنــدرو سبالتون أنه من الأفضل أن يصــل تعداد هذه الحيوانات في البيئــة البرية إلــى ٢٩٠ بقرة بــأسرع ما يمكــن على شرط ألا يكون ذلــك على حساب صحة القطيــع الحالي. وتشير الــدلائل إلى أنه سيتم تحقيـق هذا الهدف قــريباً. لكن على الرغم من نجاح إعــادة توطين أبقار المارية فإن بقاءها على قيد الحياة يظــل معتمداً على جنسنا البشري سواء فيما يتعلق بمدى احتــرامنا لبيئتها الطبيعية وحقها في الحيــاة دون أن يزعجهــا الصيادون ودون أن تتــأثر بالتضخـم السكاني.

وبــالرغــم مــن أن عمان، حكومــة وشعبــاً، قد أبــدت

استعدادهــا والتزامها بالمحــافظة على المــوارد الطبيعية للبلاد، فإن الحقيقة المؤسفة هــي أن حماية الحياة البرية في البلاد لا يعتمد في النهايــة فقط على جهود المحافظة على الموارد الطبيعية بل على عدة عوامل إقليمية وعالمية مثــل التغيــرات المنــاخيــة واستنــزاف غــاز الأوزون واستقرار السلام.

وعلــى الرغــم من أن التغيــرات والتطــورات العالميــة السريعة قــد أثرت على عمان بنفــس درجة تأثيرهــا على العديد من الدول الأخرى، فلا تزال البلاد تحتفظ بالعديد مــن المنــاطق البكــر التــي عــاش ولا يزال يعيــش فيهــا الانسان والكائنات البرية جنباً إلى جنب منذ الأزل.

الوعل (تيس الجبل) النوبي

إن القيام بزيارة إلى أبقار المارية العربية التي تمت إعادة توطينها فــي الطبيعة البرية يصحبها دائمــاً زيارة لمجمع يعلونــي الموجــود في اتجــاه الساحــل لمشاهــدة جرف الحقف بالطرف الشرقي لجدة الحراسيس.

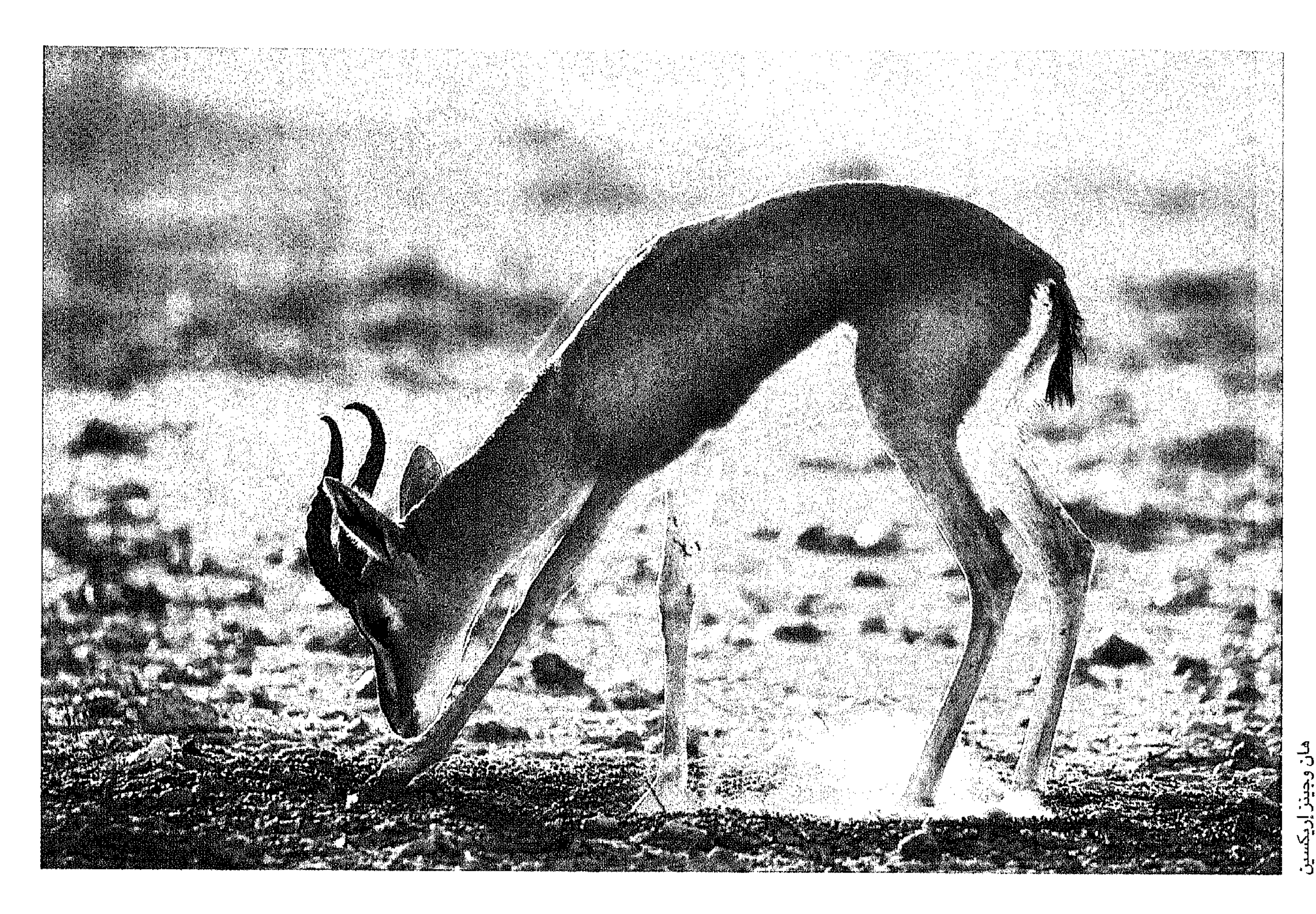
وقــد تم فــي بدايــة هــذا الفصل وصــف إحدى هــذه الزيــارات عندما أسعــدني الحظ بمشــاهدة حوالــي إثنى عشر وعــلاً من الوعــول النوبية فــي ظرف ساعــة واحدة تقــريباً. لقــد كــانت زيــارتــي تجربــة مجــزية لأن هــذه الحيــوانات مــدرجــة في القــائمــة الحمراء لهيئــة IUCN باعتبــارها احــدى الكائنات المهــددة بالانقــراض. وكان لقــائي الأول بهذه الحيــوانــات فــي بور ســودان حيــث أمضيت عدة سنوات في فتــرة السبعينات وحيث كان يتم دائماً طرح قرون هذه الوعــول للبيع. وكانت هذه القرون هي قرون الوعول التي تم صيدها في تلال البحر الأحمر على الساحل الشرقي لافريقيــا حيث يبدو أن أعدادها قد انخفضــت بــدرجة كبيــرة. أمــا فــي عمان حيــث تتمتــع بالحمايــة وتم تحريم صيدهــا فإن أعدادها تتــزايد. إنها عبارة عــن ماعز جبلية رشيقــة تتأقلم جيداً مــع الظروف البيئة وتتميز بحوافر ضيقة مطاطيــة تقريباً تساعدها في التشبث بثبات على الأراضي شديدة الوعورة.

وهي تعيش فــي مجموعات أسريــة صغيــرة تتكــون

وعول الجبل النوبية فوق جرف الحقف.



هان وجينز إريكسين



هان وجينز اريكسين

غزال جبلي في مجمع يعلوني.

فـي معظم الأوقـات من ثـلاثـة إلى خمسـة وعول، لكنهـا تتجمع في موسم الدورة النزوية خلال الشهور من اكتوبر إلـى ديسمبـر حيـث تلتقي الذكـور بالانـاث مـن أجـل التزاوج، في مجموعات أكبر حجماً ربما يتراوح عددها بين ثمانيـة إلى عشرة وعـول. وتعشق الـوعول الموجـودة في جرف الحقف بعض النباتات الخـاصة مثل أشجار القضب وهي مـن الفصيلة الكبـرية، وهـي معرضـة لأن تفترسهـا الذئاب وكذلك النمور الموجودة في جبل سمحان في ظفار.

الغــــزلان

تعتبر غزلان الـريم التي تبرز قرونها إلـى الخلف بتقوس بسيط والغزلان العـربية ذات القرون الشبيهة بـالقيثارة هما الجنسين الـرئيسيين من أجناس الغـزلان الموجودة في عمان. ويعرف الغزال العربي أيضاً باسم غزال الجبل ويفضل العيش فـي الأراضي المحيطة بالتـلال السفحية أو فـي السهول الحجـرية. وبـاستثناء قـرونها المميـزة يمكن التعـرف على هـذه الغزلان عـن طريـق العلامـات السوداء والبيضـاء اللون الموجـودة على وجنتيهـا وعن طريق الشـريط المميز الموجـود عند خاصرتهـا والذي يبدو أكثر وضوحـاً من العلامات الخاصة بغـزلان الريم التي تعتبر أكبر النوعين حجمـاً، وتتميز بأقدام عريضة تتيح لهـا أن تعدو فـوق الرمال النـاعمة. وهـي تحتفظ بذيلها مرفوعاً باستمرار في أثناء العدو.

وقـد تـم تسميـة الغزلان التـي تعيـش فـي السهـل السـاحلـي لشمال عمـان بـإسـم غزلان مسقـط. وقـد اعتبـرها «جـروفـز» في معـرض استعـراضه لغـزلان الجزيـرة العربية والذي نشـره في مطبوعة «المحـافظة علـى الحيـاة البريـة وتطـورهـا فـي المملكة العـربيـة السعودية» نوعـاً فرعياً مميزاً، لكنه قد يكـون من جنس غزلان الجبل. وربمـا يكون النوع المحتمل الآخـر الذي تم العثـور عليه في عمـان هو الغـزلان التي تماثـل في الجزيرة العربية غزلان «دوركاس».

وقـد تم فـي عـام ١٩٧٦م إصدار قـانـون لحمايـة حيوانـات الطهر العربية أدى أيضـاً إلى حمايـة الغزلان العربية أو غزلان الجبل المهـددة بالانقراض ونظـراً لأن محمية وادي السـرين توفر بيئـة نموذجية لتربيـة هذا

الجنس من الغزلان فقد تم وضع بعض الغزلان التي تم العثور عليها مهجورة أو مصابة أو كان يتم الاحتفاظ بها كحيوانات أليفة في أحد مراكز الاستيلاد المرتجلة في قلب المستوطنة الموجودة في «مزرع قيد» . وقد أدى نجاح إستيلاد هذه الغزلان إلى إطلاق ما يربو على ٦٠ غزالاً من هذا الجنس في البيئة البرية بحلول عام ١٩٨٧م.

ويمكن مشاهدةهذا القطيع من الغزلان العربية وهي ترعى باستمرار على امتداد التلال السطحية للمحمية على مسافة قصيرة من الطريق الساحلي.

الطهر العربي

تم وصف الطهر العربي «هيمتراكوس جاياكاري» لأول مرة في عام ١٨٩٤م وذلك عن طريق جمجمتي حيوانين اصطادهما في الجبل الأخضر وجلبهما إلى مسقط المقدم إيه. إس. جي. ياكار الطبيب الجراح البريطاني في ذلك الوقت. وقد أرسل ياكار هاتين الجمجمتين إلى أولفيلد توماس في لندن الذي بنى وصفه لنوع جديد من حيوانات الطهر على هذا الدليل. وأقرب أقرباء هذا الجنس من الحيوانات يعيشان بعيداً في الشمال وهما طهر الهملايا والطهر النلجيري الذي يعيش في جنوب الهند.

وكانت حيوانات الطهر تأتي على رأس قائمة الكائنات التي تحتاج إلى حماية خاصة في عمان لمنعها من الانقراض. وتحددت مكانتها الخاصة بموجب القرار الوزاري رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ والذي أصدرته وزارة شؤون الديوان السلطاني، التي تحملت أيضاً مسؤولية إقامة محمية تجريبية على مسافة ٤٥ كيلومترا جنوبي غرب مسقط حيث وادي السرين الذي تجري فيه المياه بعد هطول الأمطار على جبل أسود.

وقد تم اجراء دراسة تفصيلية لحيوانات الطهر البدائية الشبيهة بالماعز شملت سبعة مواقع كشفت عن أنها تحتوي على ١٢٩٣ طهراً. وبالاخذ في الاعتبار أن هذا الجنس من الحيوانات يعيش في منطقة جبلية تمتد من مسندم إلى جنوب صور مباشرة وتبلغ مساحتها ٦٠٠ كيلومتراً فقط، فقد قدر «بول مونتون» الذي قام بهذه الدراسة، أن تعداد هذه الحيوانات في العالم أجمع هو ٢٠٠٠ فقط، واقترح ضرورة حمايتها باتباع النظام الاسلامي الذي يوصي بتخصيص قطعة أرض كمحمية برية يحظر فيها قيام الحيوانات الأليفة بالرعي.

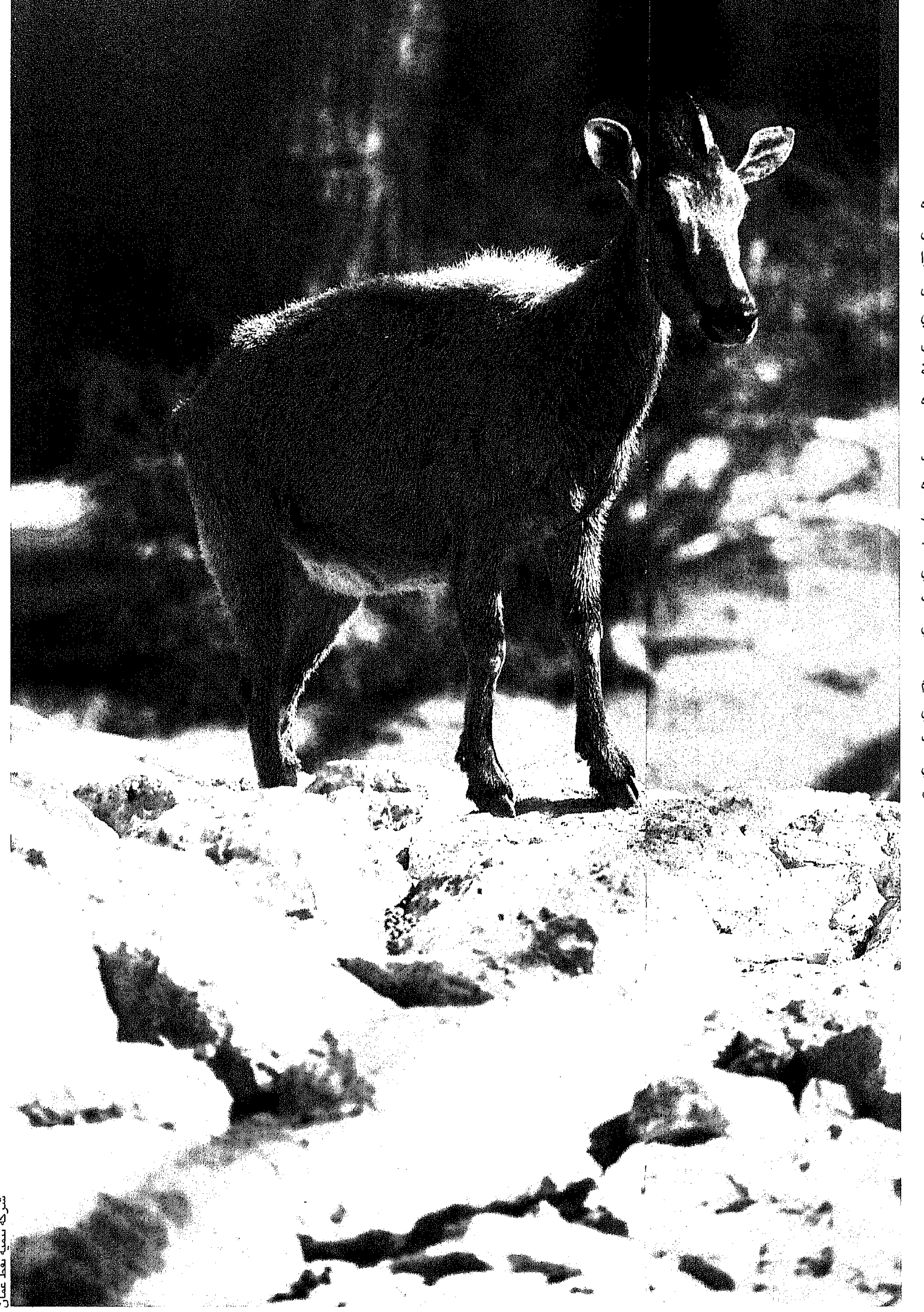
وتضمن المشروع الخاص الذي أقيم لحماية هذه الحيوانات المهددة بالانقراض تعيين بعض المشرفين الذين تم اختيارهم من بين المواطنين المحليين ليكونوا مسؤولين عن تتبع تحركات حيوانات الطهر وضمان سلامتها في أنحاء المحمية الطبيعية الموجودة في وادي السرين، وهي مهمة يتم انجازها بصورة رائعة من قبل مواطني القبائل الأصحاء الذين اعتادوا بصورة تقليدية على متابعة قطعان الحيوانات التي يمتلكونها في هذه المناطق الشديدة الوعورة.

وبالاخذ في الاعتبارالنطاق المحدود جداً لحيوانات الطهر، يصبح السؤال الذي يتردد الآن هو كيف أتت هذه الحيوانات إلى عمان؟. لقد كانت أسلافها قبل العصر الجليدي الأخير ترعى في منطقة شاسعة من اوراسيا. وعندما تراجع الجليد كانت الماعز أكثر نجاحاً في استيطان مناطق رعي جديدة، بينما لم تستطع حيوانات «هيميتراجوس» والتي تعني «نصف ماعز» البقاء إلا في بضعة أماكن جبلية محدودة.

وجاء ذكر الطهر العربي في المرة التالية، بعد أن تم وصفه من خلال بقايا الجمجمة في عام ١٨٩٤م، في السجلات التي دونها ويلفرد ثيسيجر والذي وصف محاولة صيدها في عام ١٩٤٨م في كتابه الكلاسيكي عن الحياة في جنوب الجزيرة العربية «رمال الصحراء» والذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٨٥٩م:

عندما كنت في «مواقيح» قمت بصيد حيوان الطهر في جبل حفيت حيث كنت أخيم لمدة أسبوع عند باطن الجبل مع إبن كبينه وابن عباس واثنين من عرب زايد. ولم يسبق للأوربيين رؤية حيوانات الطهر العربي مطلقاً على الرغم من أنه قد تم تسميتها عن طريق فروتين جلبهما إلى مسقط الدكتور ياكار في عام ١٨٩٢م.

إنها تشبه الماعز وتتميز بقرنين قصيرين وغليظين جداً. وكان صيدها عملاً مجهداً لأن الجبال التي تعيش فيها كانت مرتفعة عن مستوى المخيم بمقدار أربعة آلاف قدم وكانت المنحدرات في كل مكان شديدة الانحدار وعمودية عادة ولا يتوفر فيها الماء أو النبات. وكان الطهر يتغذى ليلاً في المنطقة الواقعة حول باطن الجبل، لكن حيوانات الطهر التي شاهدناها كانت قريبة من سفح الجبل. وقد أطلق العربيان النار على إثنين منهما وأخذنا جمجمة أحد



شركة تنمية نفط عمان

الذكور. وكنا قد صنعنا لأنفسنا بعض الصنادل من جلود الحيوانات غير المدبوغة التي لا نستطيع بدونها تسلق هذه المنحدرات الصخرية الجيرية القاسية.

وجاء التسجيل العلمي التالي لوجود الطهر في الجزيرة العربية في عام ١٩٧٣م، وهو التسجيل الذي دونه مايكل جالاغر الذي أسهم إسهاماً كبيراً في جهود المحافظة على الطبيعة في الجزيرة العربية بصورة عامة وفي عمان بصورة خاصة. وبدأ مايكل محاولة اكتشاف ما إذا كان تعداد هذه الحيوانات في الجبل الأخضر لا يزال في ازدياد. وأكد له بعض السكان المحليين أنها لا تزال موجودة ويتم صيدها كمصدر لتوفير الغذاء. ومع ذلك فقد أخفقت البحوث التي تمت بعد ذلك في العثور على أي دليل لوجود حيوانات الطهر هناك. وقد شددت هذه البحوث على الصعوبات الجم التي تمت مصادفتها أثناء دراسة هذا الحيوان الغامض والذي لم تتم مشاهدته في هذه المرة. وفي عام ١٩٧٣م تم إعادة تأكيد وجود الطهر في منطقة أسود/وادي السرين ولذلك تم تخصيص هذه المنطقة كمحمية لحيوانات الطهر.

ويعيش حيوان الطهر فيما قد تعتبره الحيوانات الشديدة الضخمة الأخرى «بلداً ذا بيئة معادية لها»، فالأراضي التي يعيش فيها وعرة للغاية. وهو ماهر في تسلق المنحدرات شديدة الانحدار الموجودة في الأراضي الوعرة، ويتبع نظاماً غذائياً متحرراً إلى حد كبير فهو يأكل معظم الفواكه المتوفرة وأوراق النباتات والأعشاب والبذور، لكنه يفضل في الغالب أجزاء معينة من النباتات. وهو يعتمد في حياته على توفر الماء بكثرة ولذلك لا يمكن وصفه بأنه من الحيوانات المتأقلمة مع العيش في الصحراء.

وكانت هذه الخاصية في الواقع هي سبب انحصار انتشاره. وعلى الرغم من القضاء على أخطار تعرضه للصيد من قبل الانسان بموجب قوانين الحماية العمانية فإنه معرض لأن تفترسه الحيوانات الأخرى مثل الذئاب والنمور التي تهاجم الحيوانات الأخرى على اختلاف أحجامها والصقور والثعالب السوداء أو الحمراء التي تفترس الحيوانات الصغيرة عندما تحين لها الفرصة. وقد أكدت احدى الاستقصاءات التي تمت في عام ١٩٨٧م ما كان يقوله المشرفون من أنه يبدو أن





ضفدعان من ضفادع (علجومات)الطين الشرقية التي تعيش في شمال عمان.

حيوانات الطهر في تزايد. وبينما كان من المعتقد أن هناك حوالي ٣٦٠ طهراً في المحمية الموجودة في وادي السرين في عام ١٩٧٨م إلا أن تعداده ــ كما يبدو ــ قد تضاعف في خلال عشر سنوات ليبلغ ٧٠٠ طهراً وربما يرجع ذلك إلى تحريم صيده.

البرمائيات

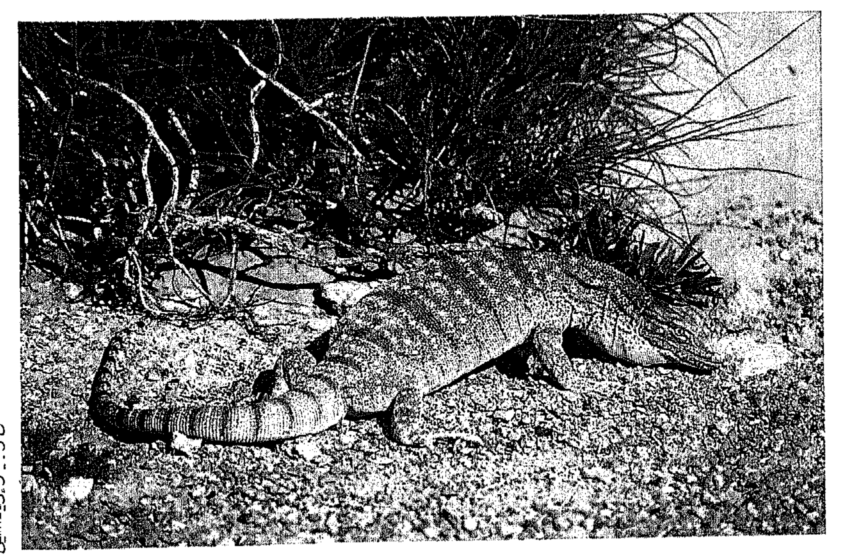
يوجد في عمان نوعان من البرمائيات، هما الضفدع (العلجوم) الشرقي والضفدع (العلجوم) الظفاري. ويوجد النوع الأخير الذي يتميز بصياح أسرع من صياح النوع الشرقي، في ظفار بينما يعيش النوع الأول في المناطق الأخرى.

الزواحف

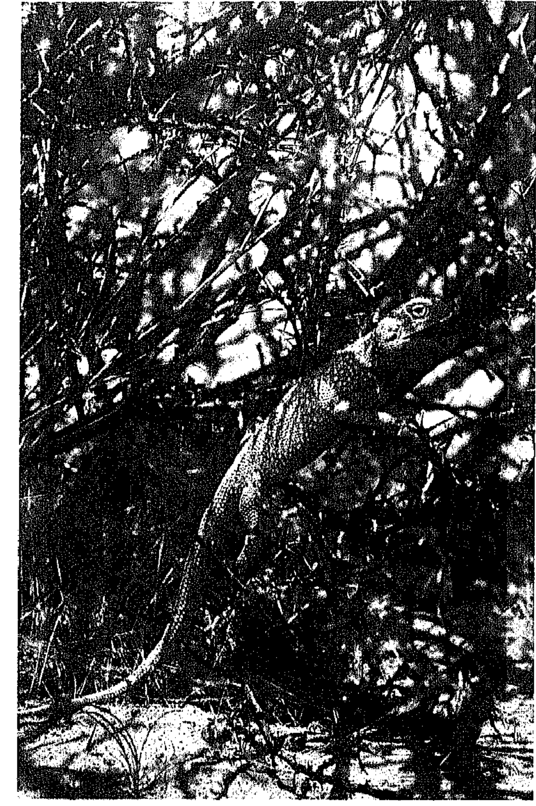
بالاضافة إلى الزواحف العمانية التي تتخذ شكل السلاحف والثعابين البحرية والتي سبق مناقشتها آنفا، فإن عمان غنية بالزواحف البرية مثل السحلية (العظاءة) وأبو بريص والحرباء والقنقور والثعابين. كما يوجد في عمان نوع واحد من الزواحف المعروفة باسم السحلية الدودية هو«ديبلومتوبون أرودني». وقد تم بالفعل تسجيل وجود ٧٤ نوعاً من الزواحف التي تعيش في البلاد. وتعتبر سحالي الورل الرمادية الموجودة في السهول الشمالية وتتغذى على صيد القوارض والزواحف الأخرى والطيور الصغيرة وبيضها، من أكبر أنواع السحالي. وقد شاهدت أثناء زيارتي لمركز التفريخ في السيب احدى هذه السحالي وهي تتشمس بجوار منطقة توالد النمور العربية المسورة. وعندما تصاب هذه السحلية بالذعر فإنها تنفخ رئتيها وترفع جسمها على أرجلها وتصدر هسيساً قوياً وتلفح بذيلها الشبيه بالسوط مضفية بذلك منظراً مخيفاً. أما النوع الآخر من السحالي الضخمة الذي يحتمل أن يشاهده المرء في عمان، فهو السحلية ذات القدم الشائكة والتي تعيش في المناطق الرملية الناعمة في شمال عمان. وتتضمن أنواع السحالي الشائعة الأخرى سحالي العضرفوت أو الحبينة (التي يتم مشاهدتها غالباً وهي جاثمة على فروع الأشجار التي تتسلقها لتكيف حرارة جسمها إما بترطيبه أو تدفئته). وتتمتع ذكور السحالي بالقدرة على تغيير لون رقعة الحلق إلى اللون الأزرق وتغيير لون الذيل إلى اللون البرتقالي. وتعتبر سحالي الحبينة إحدى السحالي الأخرى التي يستطيع ذكورها تغيير لون رأسها وذيلها إلى اللون الأزرق، بينما تحتفظ الاناث بلون جسمها الضارب إلى البني والذي يحمل علامة سرجية برتقالية اللون. وتعيش هذه السحالي في الوديان المغطاة بالجلاميد أو على المنحدرات التلية.

وتحتل الحرباء بالطبع المرتبة الأولى دون منازع في مجال تغيير لون الجسم، ويوجد أحد أنواعها في ظفار حيث يعيش بين النباتات. إنها سحلية بطيئة الحركة، تعتمد على التمويه المرن الرائع وعلى عينيها الدوارتين المنتفختين غريبتي الشكل وتنقر لسانها الملتوي في حركات خاطفة لتحمي نفسها من مهاجميها.

سحلية صغيرة في مجمع يعلوني.



هان وجينز اريكسين


أندرو سبالتون

تستطيع سحلية (عظاءة) الجُبينة الصفراء أن تغير لون جسمها، ويتم مشاهدتها عادة وهي تتسلق الأشجار.

وعلى الرغم من أن الثعابين البرية العمانية لا تعادي الانسان بصورة عامة، إلا أنها تتضمن بعض الأنواع التي تستطيع قتل الثدييات الضخمة بما في ذلك الانسان. ومع ذلك فإنها تتحاشى في معظم الحالات مواجهة الانسان ولا تهاجمه إلا دفاعاً عن نفسها عندما يصيبها الذعر. وحتى أنه في هذه الحالة فإن احتمال أن تقوم هذه الثعابين بحقن قدر من السم كاف ليسبب عواقب وخيمة يكاد يكون محدوداً.

وتحتل الأفاعي الأولوية في قائمة الثعابين الخطرة ويوجد منها في عمان خمسة أنواع هي الأفعى القرناء والأفعى القرناء الزائفة وذلك إلى جانب ثلاثة أنواع من الأفاعي البساطية، وهي أكثر الأنواع التي من المحتمل أن يصادفها المرء في عمان. وهي تختفي بصورة عامة أثناء النهار في نثار أوراق الشجر الميتة التي تكسو الأرض أو في جحور القوارض أو تحت الأحجار، لكنها تنشط في أثناء الليل حيث تقوم بصيد الضفادع أو القوارض أو الزواحف الأخرى مثل السحالي. وتوجد الأفاعي القرناء في المناطق الرملية وهي تنشط في الليل وتتغذى على الطيور الصغيرة والقوارض والسحالي. وهي أحد مصادر الخطورة أثناء التجول في الصحراء ليلاً. أما الأفاعي القرناء الزائفة فهي بقايا أحد الأنواع المنقرضة وينحصر انتشارها الآن في الجبال الشمالية. ويوجد أيضاً نوعان آخران من الأفاعي الخطرة في ظفار، هما الأفعى النافخة وأفعى الصل الجحرية أو الأفعى الخبيثة الطوبينية.

وتعتبر أفعى الصل (الناشر) العربية التي تعيش في الجبال الساحلية والوديان في ظفار هي أضخم الثعابين السامة في عمان. ويرتبط وجودها في الغالب بتوفر الماء، وهي تتغذى على الضفادع والطيور والثدييات الصغيرة.

أما الثعابين العمانية الأقل سمية أو أذى فتتضمن ثعابين «مالبولون» التي تعيش في المناطق الصحراوية ذات الشجيرات الخفيضة وثعابين الرمل أو الأشجار والموجودة عادة في الأراضي المزروعة حيث تتغذى في أثناء النهار وثعابين الهرة وهي نوع من الثعابين الليلية الموجودة عادة بين التلال حيث تقوم بصيد القوارض والطيور والخفافيش.

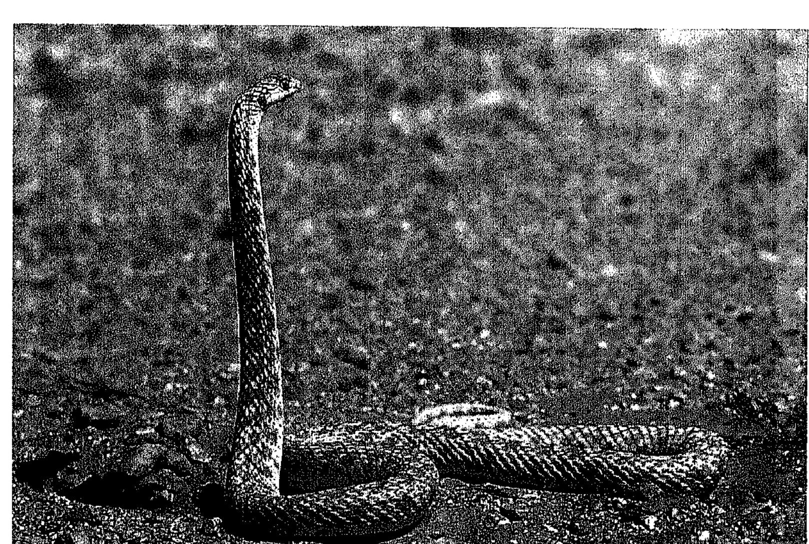
وبالاضافة إلى ذلك توجد بعض الأنواع غير المؤذية على الاطلاق عديمة الأنياب أو السم وتتضمن الثعابين الشريطية والثعابين الضريرة والأفاعي الأصلة أو البواء «ياكار» وأفاعي الخُفاث وثعابين توماس والثعابين ذات الرأس المخرز وأخيرا الثعابين التاجية.

وقبل أن نترك قائمة أنواع الثعابين والأفاعي يجب أن نذكر أحد أنواع الزواحف الذي لا يعتبر ثعباناً أو سحلية وهو شبيه إلى حد كبير بالدودة ويعرف باسم السحلية الدودية ويختبىء في الرمل حيث يقوم بصيد الحشرات.

الحشـرات

من المعروف أنه يوجد في عمان ثلاثون نوعاً من الفراشات وحوالي ثلاثون نوعاً من العثة. وتعتمد الفراشات في عمان، كما هو الحال بالنسبة لبقية أجناس الحياة البرية، على المحافظة على المصادر الغذائية والمستوطنات البيئية الخاصة بها. وينطبق ذلك تماماً

صورة لثعبان «مالبولون» تم التقاطها في جدة الحراسيس. إنه أحد الثعابين الأقل سمية في عمان.


أندرو سبالتون

على هــذ النوع مــن الحشرات التي تميـل وهي فـي طور اليرقة إلى تفضيل نوع معين من النباتات.

وقد تنــاول الكتاب الجميل الــذي يبحث في مــوضـوع الفراشــات في عمان والــذي ألفه الكاتبــان المتخصصان «تــوربن وكيـك لارسيــن» وتم نشــره نيــابــة عن مكتب مستشار حفـظ البيئة بـديوان البلاط السلطــاني كــاملاً بالصــور والمــلاحظات ٧٢ نوعاً من الفــراشات المعروف أنها تعيـش في عمان. وتتضمــن هذه الأصنــاف الجميلة العــديد مــن أنــواع الفراشــات مثل الفــراشــات المذنبــة «بــابيليــو مــاتشــون» و«بيــي. ديمــوليــوس» و«بــي. ديمــودوسيــوس»والتــي يعرفهــا القــارىء جيداً نظـراً لانتشارها بكثــرة في أنحاء العالم من الــولايات المتحدة الأمريكيــة إلى اسيا فــي مجموعــات مختلفة معزولــة عن بعضهــا البعض. ويمكــن مشاهــدة هذه الفــراشات فــي المنطقة المحيطة بمسقــط وفي عدد من واحــات الشمال مثل الواحات القريبة من الــرستاق حيث يبدو أنها تفضل نبات الشمار المزروع هناك.

إن توزيع الفراشــات الخطافيــة في عمان يلفت الانتباه بشــدة لأن النــوعيــن الأخيــريــن ينتسبــان إلــى الأنــواع الأسيــوية والافــريقية ولا تتــداخـل المساحــة المألــوف تواجــدهما فيهــا، فتعيش فراشــات و«بيي. ديمــوليوس» الموجــودة في شــرق الجزيرة العــربية وايــران ومعظم منطقــة آسيا فــي مسنــدم ولكن ليـس فــي الجنوب فــي محــافظــة ظفــار حيــث يتــوقــع المــرء أن تحــل الأنــواع المنسوبة إلى أفريقيا «بي. ديمودوسيوس» محلها.

ويتغذى كلا النوعين على الموالح، لكن لم يتم تسجيل مشاهدتهما معاً في مكــان واحد على الاطلاق. ولا تعيش فراشات «بابيليو ماتشــون» فــي ظفار، لكنها موجودة في المساحة المــألوفة المتداخلــة التي تعيش فيها فــراشات «بيي. ديموليوس» في شمال عمان.

وقــد تــم استخــدام هــذه الأنــواع مــن الفراشــات بالاضافـــة إلـــى أعضـــاء مجموعــات الفراشـــات العمانيـــة الأخــرى كمؤشــر للأصــول الجغــرافيــة الحيوانية التي تقيم الجســور بيــن افريقيــا واسيــا.

وتم فــي الأبحاث التــي قام بهــا توربيــن لارسين حول هــذا الموضـوع («فــراشات شــرق عمان وتكوينها الجغرافــي الحيواني» والمنشورة ضمــن النتائج العلميــة لــدراسة الحيــاة النبــاتيــة والحيــوانيــة فـــي عمــان، ١٩٧٥م) تصنيف أنــواع الفراشــات الموجــودة فــي شــرق عــمان حسب الأنــواع ذات الصلة الجغرافية الحيــوانية والتي تضمنت ثلاثــة أنواع حبشية و١٦ نــوعاً حبشيــاً شرقيــاً و٦ أنــواع عالميــة. ولم يتــم العثور على أي نوع شرقي الأصل بصورة محضة.

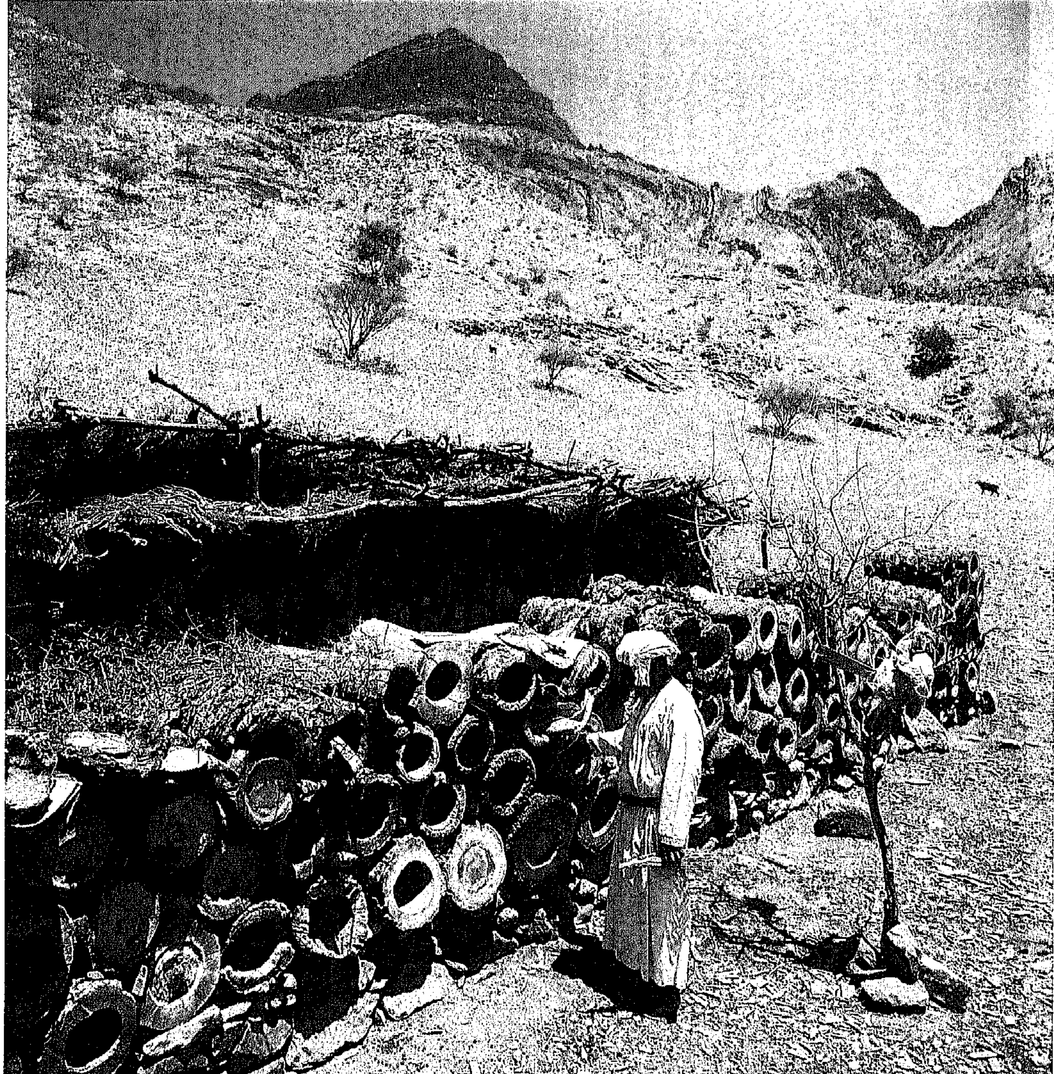
كما تــم نشر بحــث آخر لنفس المــؤلف عــن الأصول الجغرافية الحيوانية لفراشــات ظفار في مجلة الدراسات العمانية (التقريــر الخاص رقم ٢، ١٩٨٠م، ١٥٣-٨٦)، وبحث ثالــث عن الأصول الجغرافية الحيوانيــة لفراشات مسنــدم تــم نشره فــي نفس المجلــة (العدد الســابــع، ١٩٨٥م). وقد علق لارسين في بحثــه الأخير عن تأثيرات العــاصفــة الاستــراليــة التي جلبت أعــداداً كبيــرة مــن الفراشــات الهنديــة إلى عمــان، وهو يمثــل مثالاً ممتــازاً لكيفية توزيع الحشرات.

وتعتبر نحلة العسل إحــدى الحشرات التي تلعب دوراً اجتماعياً هامــاً في عمان. ويتم في شمال عمــان وخاصة في منطقــة الباطنة حيث يقيــم النحل خلاياه بكثــرة فوق أغصان أشجار النخيــل نقل هذه الخلايا إلى مــواقع أكثر ملاءمــة وجمع العســل من مجــاميع النحــل البريــة. وقد حقق خبراء تــربية النحل في شمال عمــان مهارات كبيرة في انتــاج العسل وفي تــربية مجمــوعات النحل بطــريقة يمكن الاعتماد عليهــا. وكان يتم بصفة تقليــدية الاحتفاظ بنحــل العســل الأكبــر حجمــاً فــي الجــذوع المجــــوفــة لأشجـــار النخيل والتي تعرف محليــاً بــإســـم «الطبـــــل». وعنـــدمــــا يحتـــاج



عثة هولية دفلية.

هان وجيز اريكسين



شركة تنمية نفط عمان

تربية النحل في وادي بني عوف.

مربوّ النحل إلـى بعض العسل فانهم كانـوا يقطعونه من مؤخرة« الطبل». ويتم الآن فـي عمان استخدام الأساليب الحديثة في تربية النحل، وتم تحسين كفاءة انتاج العسل بصورة كبيرة.

وهناك حشـرة أخرى قـدمت المبـررات لقيام ويلفـرد ثيسيجر بـرحلات صحراويـة عبر خـلالها صحراء الـربع الخالي كباحـث ميداني بمركز أبحاث الجـراد. وقد وصف رحلاته هذه في كتابه الكلاسيكي «رمال الجزيرة العربية».

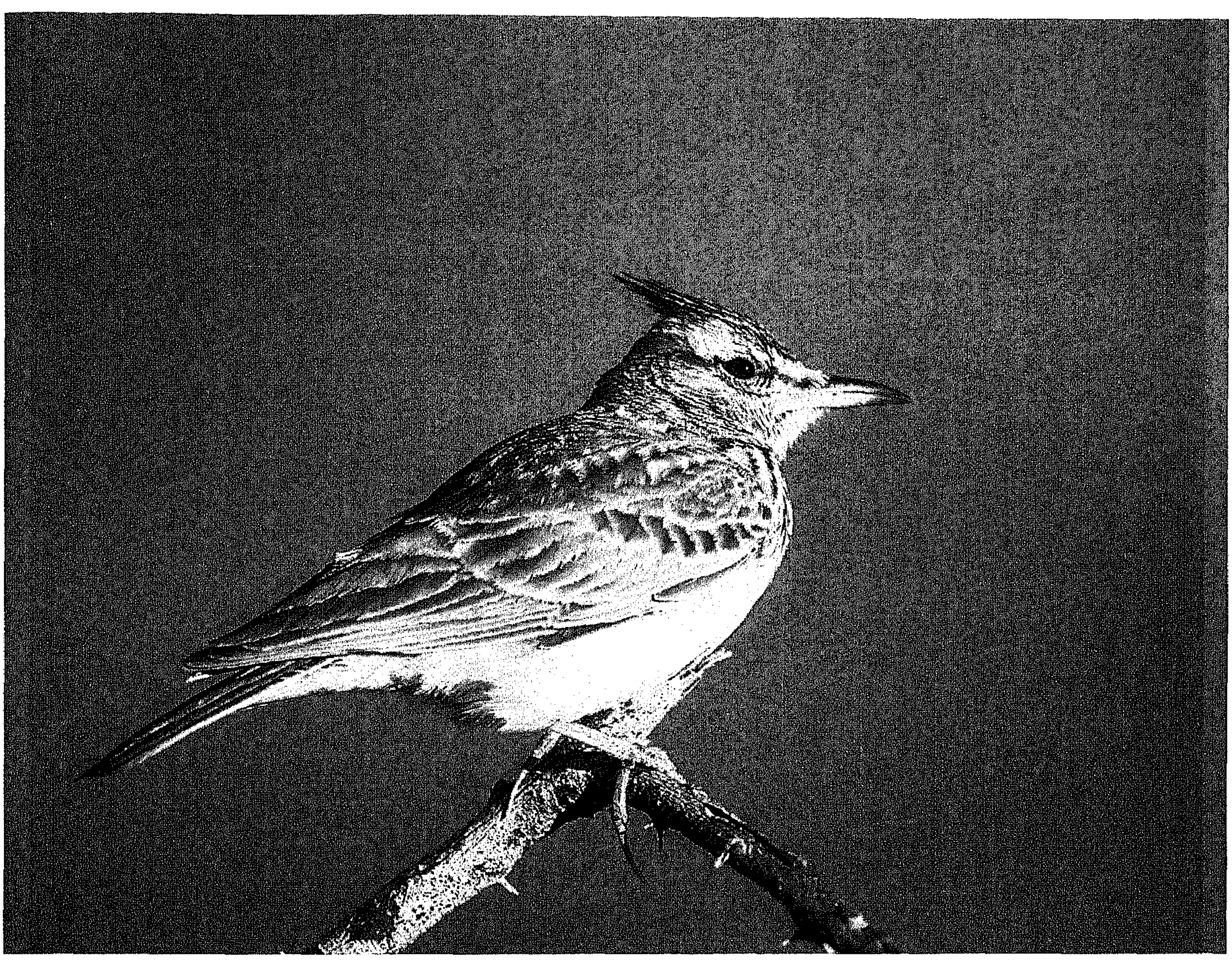
وفي بعض الأحيان يشكل الجراد الصحراوي أسراباً ضخمة في شمال عمان. وعلى الـرغم من أن ثيسيجر قد أقر بأن أبحاثه الخاصة بالجراد كانت ـ من وجهة نظره ـ مجـرد حجة للقيـام ببعـض الرحـلات المثيـرة فقد قـام بدراسة الجراد الصحراوي أيضاً.

وقد عـاد من رحلتـه الأولـى محملاً بـالمعلومـات التي طلبهـا المركـز، ودحـــض الفـرضية الظنيـة (النظريـة الافتـــراضيـــة) التـــي توصل إليها الدكتور يوفـــاروف الخبيـــر بمركـز أبحـاث الجراد الصحـراوي والـــذي كـــان «يعتقــد أن مجاري النهــــر تنـــزح ميـــاه المنـحدرات الغـربية للجبـــل الأخضــــر، الـــذي يبلغ ارتفاعـه ١٠٠٠٠ قدم، وتنقلها إلـــى الأراضـي الـرملية بكميات كافيـة لانبات النباتات هناك بصفـــة دائمة. وأنه نتيجـة لذلـك فقد تكـون مـداخل الوديـــان الكبرى هــي المـراكـز التـي ينتشر منهـا الجـراد الصحـراوي. لقـد اكتشفت أن الفيضـانات كانـت نادرة الحدوث في الألسنة السفلية للوديان وأنها عندمـا تحدث تتشتت في المناطق المنبسطة المالحة والمجدبـة في أم السميم حيث لا تنمو أية نباتات».

إن أشمل دراســة تمت حتى اليـوم عن الحشــرات في عمان هي تلك التي تمت كجـزء من مشروع رملة الوهيبة. وتم التأكيد فـي التقارير الخاصة بالمشـروع على مدى ضرورة الاهتمام بعدم القضاء على مجموعات الحشرات في عمان بصفـة عامة وفي رملـة الوهيبة بصفة خـاصة عن طريق استخدام الـرش بالمبيدات دون أي اشراف أو عن طريق تدمير المستوطنات البيئية.

الطيــور

قـام مايكـل جالاغـر ومارتـن وودكوك بتصـوير حيـاة الطيور في عمـان بصورة رائعة في كتـاب «طيور عمان»



طائر القبرة المتوجة.

الذي يسجل ٩٦ نوعاً على الأقل من طيور التفريخ، ثلاثة أرباعها تقيم في عمان بصفة دائمة. وقد أشارت التقارير الأخيرة إلـى أن أعداد طيـور التفريخ المـدرجة فـي هذه القائمة قد زادت وبلغت ١٠٤، منهـا ٧٧ نوعاً مقيماً و٢٧ نوعاً مهاجـراً. ويتواكب موسم التفريـخ الرئيسي لمعظم أنـواع الطيور مـع شهور فصلـي الربيـع والصيف فـي المنـاطق الشمـالية، غيـر أن طيـور العقـاب النساريـة تتكاثر في شهور فصل الشتـاء، بينما تتكاثر طيور الغاق في فصـل الخريف حتى ينبـت ريش صغارها فـي أثناء شهور الشتاء الباردة.

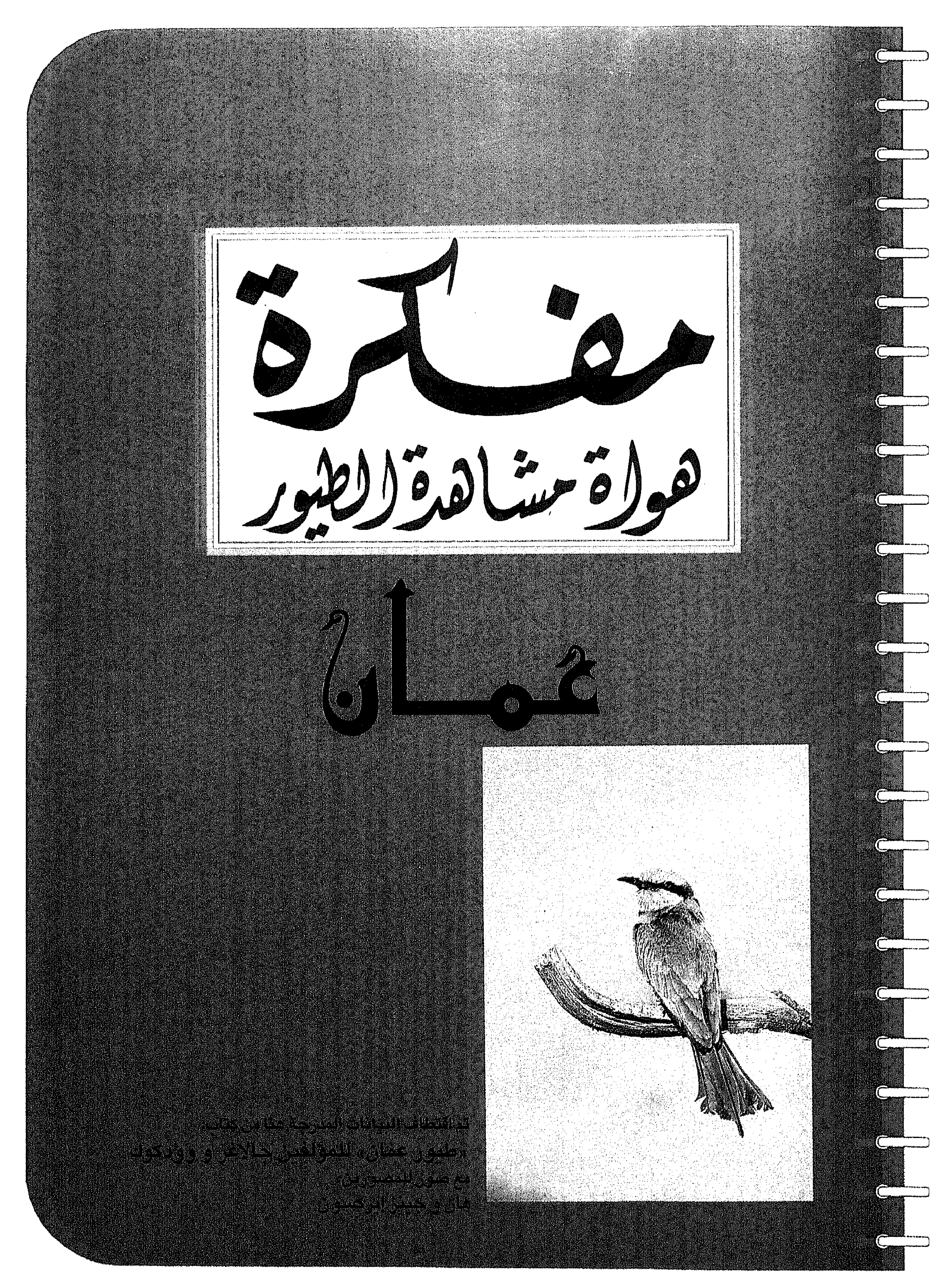
وترتبط احدى السمات المثيـرة لطيور عمان بالهجرة سواء المحليـة بين السهـول المنخفضة والجبـال الأكثر برودة أو بين المناطق الجغرافية المختلفة.

وتتمتع عمـان بكونها المكـان الذي تختاره مجمـوعة كبيـرة مـن الطيـور المهاجـرة لتستـريـح أو تتغـذى أو تتكاثـر. وأفضل فترة لمشـاهدة الطيور المختلفـة مثـل البط والطيور المخوضة المهاجـرة عبر عمان هي شهور فصل الخريف عنـدما تتعزز أعدادها بالعـديد من صغار الطيـور التي خـرجت إلـى الحياة فـي شهور الصيـف، وحيث تميل الطيـور إلى أن تكون أقل عجلة فـي مواصلة رحلتها كما يحدث في فصل الربيع من أجل التفريخ.

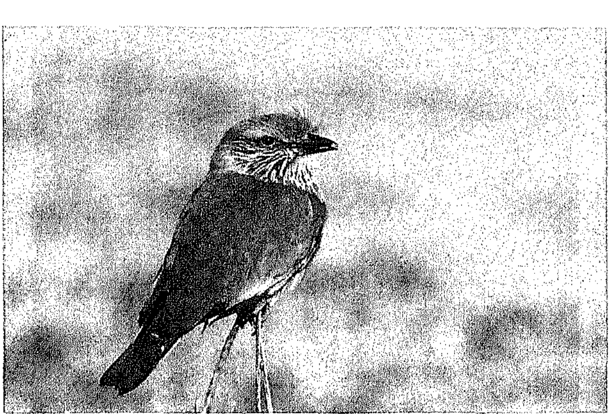
أما بـالنسبة لطيـور الجوائـم فيعتبر فصـل الربيـع أفضل فترة لمشـاهدتها. وتعتبر رحلة الهجـرة التي تقوم بهـا طيور اللقـالق البيضـاء والتـي تأتـي من اوروبـا الشـرقيـة متجهة إلـى الجنـوب عبـر عمان فـي فصـل الخريف من أروع مشاهد الطيور المهاجرة.

وقد شـاهد مؤلـف هـذا الكتاب أثنـاء الرحلـة التي قام بها في شهر ديسيمبر ١٩٩٢م إلـى مجمـع يعلـوني في جـدة الحراسيـس زوجاً مـن طيـور اللقالـق التـي هبطت بجـوار المجمع لتستريـح لبضعـة أيـام قبـل أن تحلق فـي السماء من جديـد لتواصل رحلتها. ومـع ذلك، تميل هـذه الطيور بصـورة عامـة إلى المحـافظة علـى ارتفاعها وهي تعبـر جنوب الجزيرة العربية فـي طريقها إلى مهاجعهـا الشتوية في شرق افريقيـا، ولا تمر بعمان في رحلة هجرتها في فصل الربيع.

ونـدرج فيمـا يلـي المفكـرة السنـويـة النمـوذجيـة لمشـاهـدة الطيور في عمـان وهي مبنية علـى المفكـرة التي أدرجها جالاغر وودكوك في كتابهما.


مفكرة
هواة مشاهدة الطيور
عُمان
تم اقتطاف البيانات المدرجة هنا من كتاب
«طيور عمان» للمؤلفين جالاغر و وودكوك
مع صور للمصورين
هانز و جينز إريكسون

ينايـــر



الشقراق الهندي.

يشـهد شـهر يناير حركة الطيور الزائرة في فصل الشتـاء والطيور المهـاجرة العـابرة بمـا في ذلـك البط والعقـاب ذو الأصابـع الصغيـرة والعقـاب الملـوكـي والطيـور المخوضة المختلفة والنورس (رمح الماء) الكبير ذو الظهـر الأسود اللـون والخطاف الـرملي والهـازجة والسمنـة. وتصل إلـى مسندم بعض الطيور القـادمة من الخليج.

وتبدأ الأنـواع التاليـة من الطيور فـي إقامـة أعشاشـهـا: طيور العـاسوق والـدراج والحمـام والسمـامة والشقـراق الهنـدي والدُخلة والتمير الارجواني والصرد الرمادي الكبير.

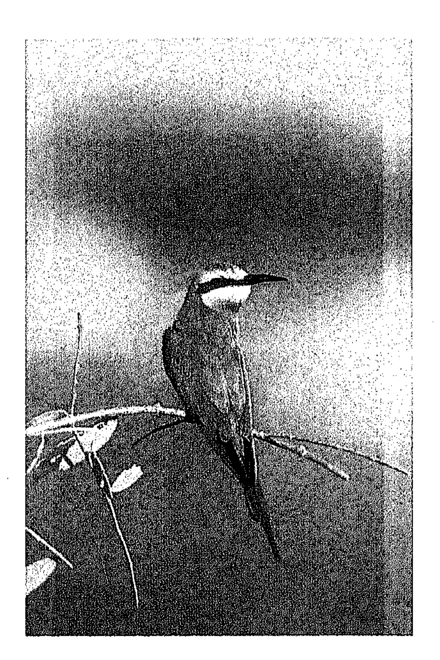
فبرايـــر

يشـهد شـهر فبرايـر زيادة حركة الطيور العابـرة المتجهة نحو الشمال ورحيل البط والطيور المخوضــة المتأخرة. تبدأ المزيد من الطيـور في إقامة أعشــاشها، وتتضمن: النســر المصري والصقر ذا الساقيـن الطويلين وعقاب «بونلي» ودجـاجة الماء والحمـامة والبـومة الصغيـرة وذلك إلى جانـب عدة أنواع من طيـور القنبـرة والخطـاف ذي العنق الشاحب والبلبل الأصفر والأبلق «هيوم».



الصقر ذو الساقين الطويلين.

مـــــــــارس



الوروار ذو الوجنة الزرقاء.

استمرار مـرور الطيور المهـاجرة. وصــول طيـور الـــوروار (الخضــار) ذي الـــوجنـة الــزرقــاء. تبدأ الطيــور التــاليــة في إقــامــة أعشــاشهــا: الأطليـش الأبلــه والبلشـون الأخضر الصغيــر والزقزاق (أبــو الرؤوس) الحلــزونـــي الصغيـر وزقـــزاق (قطقــاط) «كنتش» والــزقزاق الشــامي (أبــو طيط) ذو اللغـد الأحمــر وحمــام الصخــور وحمــام الورشــان والعديـد من أنــواع البوم وطيــور القبرة أو القنبرة والطيور الهازجة



أبريـــــــــــل

أبريـل هو شـهر رحــلات الهجرة الـرئيسية إلى الشمــال والتي تقوم بهــا العديـد من الطيور مثــل الفلروب ذي العنــق الأحمر والنورس والخرشنة والوقواق والــوروار والخطاف والعديد من طيور الجــواثم الليلية. وفي الاتجــاه الأخر تقوم بعــض الطيور بالهجرة إلى الجنوب مثل طيور جلـم الماء الايراني. تصل إلى عمان الطيــور التالية خــلال شـهر أبــريل: جلم المــاء ذو القدم الشـاحبــة وطائر النـوء البحري الصغيــر «ويلسون» والصقــر القاتــم، بينما تصل إلــى ظفار وحدهــا الطيور التاليــة: الحمام الأخضر ذو البطن الأصفــر والرفراف. تبدأ الطيور التــالية في إقــامة أعشــاشهــا: الغــواص الصغير والعصفــور ذو الحلــق الأصفر ومالك الحزين والزقزاق (في مصيرة) والنورس القاتم والقمرية وقنبرة الأدغال المغردة.

مايـــــــو



طائر الشقراق الأوروبي.

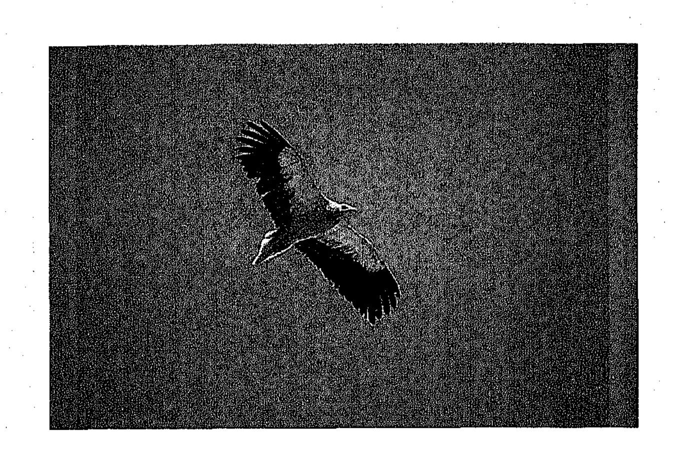
يشـهد شـهر مايو انتهاء الـهجرة الشمـاليـة، لكن مـع استمـرار تنقل طيـور الضوع أو السبـد والشـقـراق وأبـــي الحنـاء ذي الصـدر الأحمر الضـارب إلـى الصفرة. يبدأ زوار الشتـاء في مغـادرة البـلاد بمـا فـي ذلـك طيـور الرفـراف. تصل طيـور الوقـواق «ويدرك» إلـى ظفار وتبدأ الطيـور التاليـة في إقـامة أعشـاشـهـا: الخرشنـة والوروار والقـرلي ذو الـرأس الرمـادي والدغناش ذو رأس الأسـود.

يونيـــــــو

يشـهد هذا الشـهر بدء هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في ظفـار، وهو شـهر يتسـم بالـهدوء بصـورة عامة مـع وجود بعـض الطيور الـهـائمة واستمـرار طيور التفـريخ فـي إقامـة أعشـاشـها.

يوليو

تتركز بالقرب من ظفار طيور جلم الماء والنوء البحري وطائر النوء البحري الصغير «ويلسون». تبدأ الطيور التالية في الانتشار عقب انتهاء موسم التفريخ: الزقزاق الشامي ذو اللغد الحمراء والوروار ذو الوجنة الزرقاء والنورس القاتم كما يبدأ وصول الطيور المهاجرة العابرة والطيور الزائرة الشتوية بما في ذلك البلشون والنحام أو البشروس الكبير والنسر المصري والطائر الخواض ونورس الرنكة والخرشنة ذو اللحية.



النسر المصري.

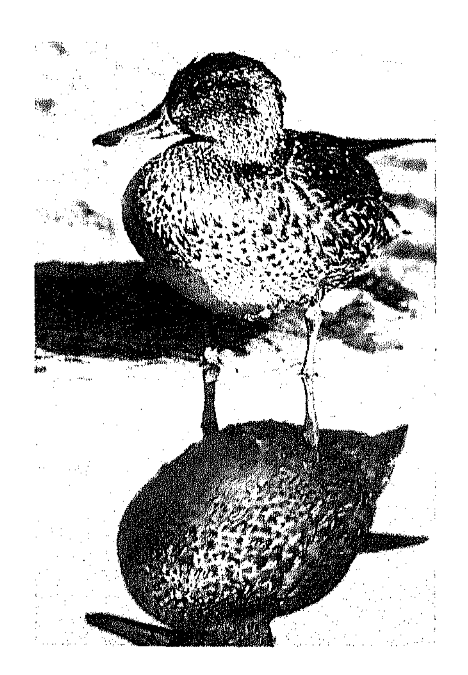
أغسطس



طائر الجشنة ذو الحلق الأحمر.

شهر أغسطس هو شهر الذروة بالنسبة للطيور المهاجرة إلى الجنوب حيث تنشط حركة الطائر المخوض والفلروب والخرشنة والجشنة أو العزيزاء والذعرة. تنتشر طيور الزقزاق واليمام بعد انتهاء موسم الإستيلاد. تبدأ طيور جلم الماء الأيراني ذو القدم الشاحبة في الانتشار. تتضمن الدفعات الأولى من الطيور التي تصل إلى عمان اللقلق الأبيض والحباري والقرلي (الرفراف).

سبتمبر



طائر الحذف ذو الجناح الاخضر.

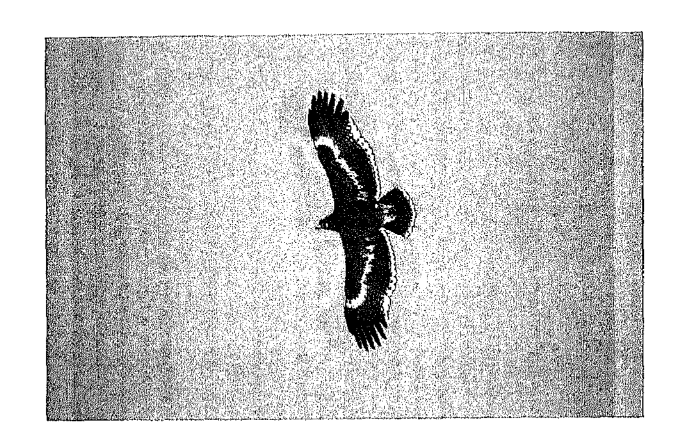
ينتهـي فـي شهـر سبتمبـر مـوسـم الـريـاح المـوسمية الجنـوبية الغـربيـة وتستمر فتـرة الذروة في هجرة الطيـور المختلفة إلى الجنوب بمـا فـي ذلـك البلشـون والـراف (المطـوق) والضوع (السبـد) وطيور الجـواثم المهـاجرة ليـلاً. يبدأ انتشـار طيور جلـم الماء ووصـول الطيور الـزائرة الشتوية المبكـرة بما فـي ذلك البلشـون الأبيض الكبير وأنـواع البط المختلفة والنورس ذو الـرأس الأسود والذعـرة البيضاء والأبلق ذو الحلق الأزرق والذيل الأحمر.

اكتوبر

استمرار مـرور الطيور المهـاجرة إلـى الجنوب بمـا في ذلـك العـوسـق الصغيـر والـوروار ذو الـوجنـة الـزرقـاء والأبلـق الصحـراوي. تصـل بعـض الطيـور الـزائرة الشتـويـة الأخـرى بمـا فـي ذلـك طيـور الغاق الكبيـرة والبط والبـاشق والعقـاب والغـراء واليقنـة ذو الذيل الشبيه بذيل طائر التدرج والحميـراء الأسود والـزرزور. تنتشـر في ظفـار طيور الغـاق «سوكـوترا». والوقواق. يهـاجر طائر جلم الماء الايراني في اتجاه الشمال.

صقر العوسق الصغير.

نوفمبر

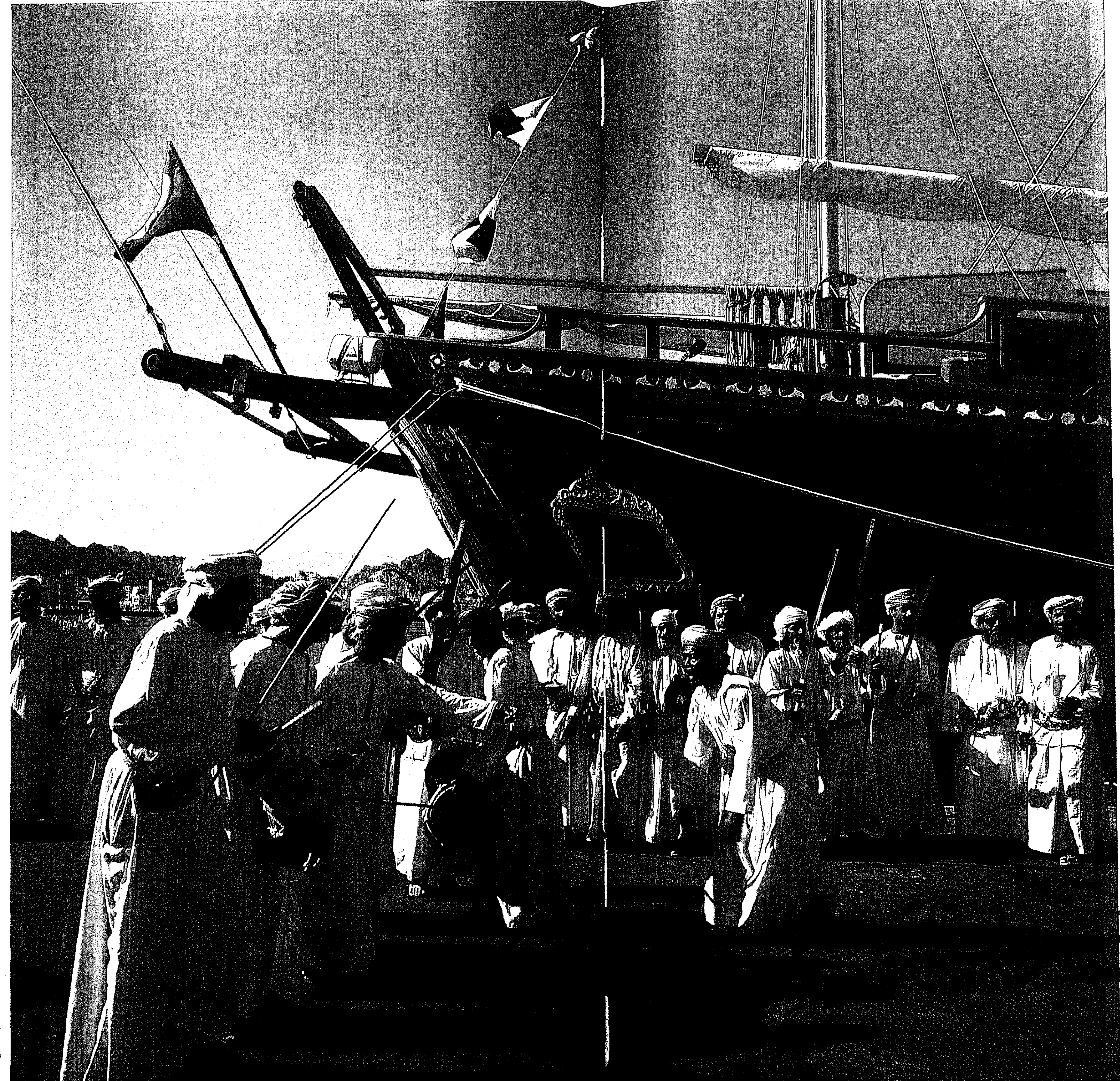


صقر السُهب.

يبدأ هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، ويتم مشاهدة بعض الطيور المهاجرة المتأخرة مثل البومة ذات الأذن القصير. وصول المزيد من الطيور الزائرة الشتوية وخاصة البط والعقاب. كما يتم في هذا الشهررؤية أعداد ضخمة من النسور المصرية. يبدأ انتشار العقاب القاتم والقرلي ذي الرأس الرمادي في ظفار وكذلك يبدأ عقاب فيراوكس في إقامة عشه في ظفار.

ديسمبر

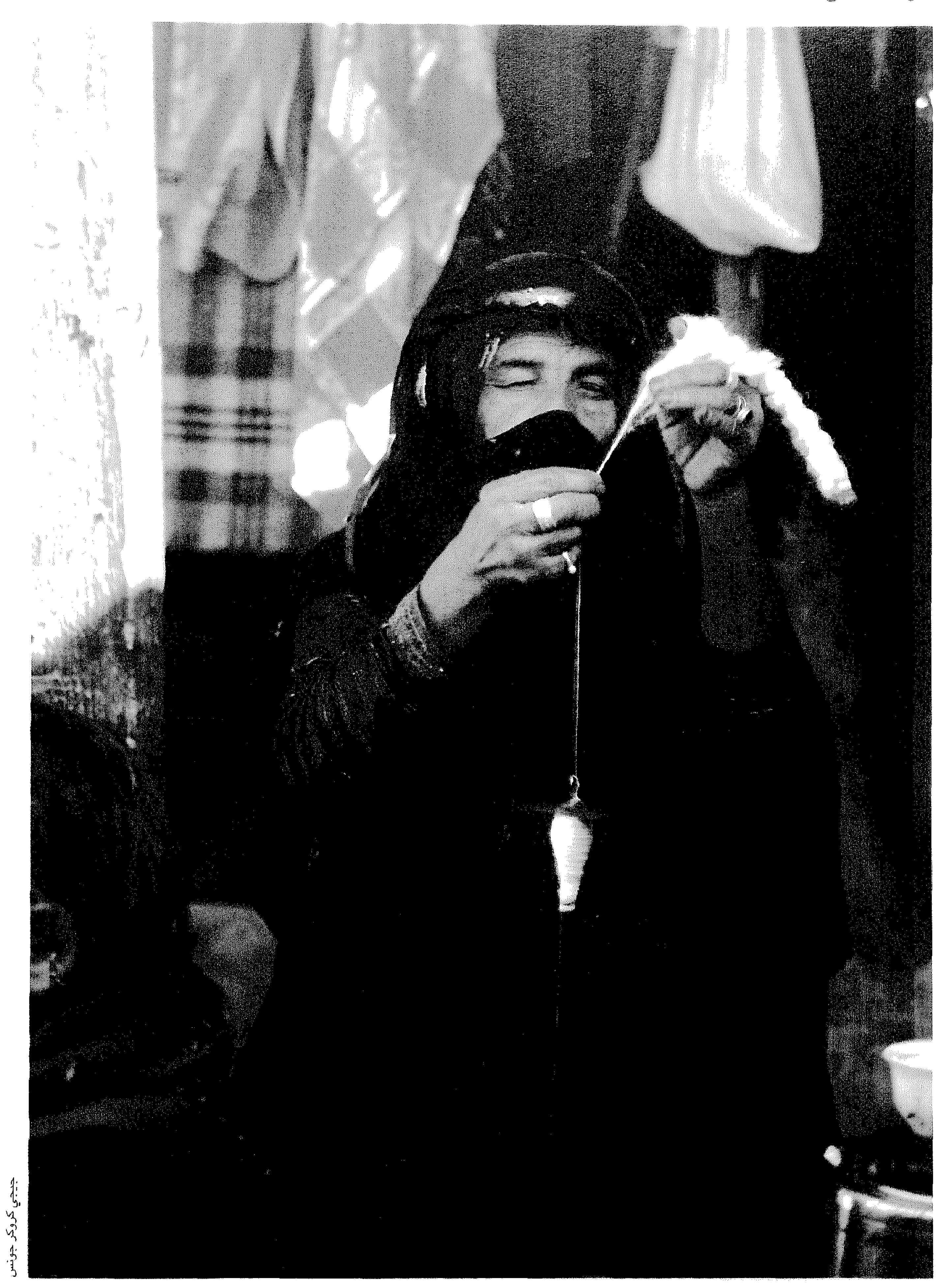
تصل في شهر ديسمبر طيور السمنة الشتوية وبعض الطيور المهاجرة الأخرى مثل طائر الغرنوق (الكركي) العادي. يبدأ صقر العقاب النساري وغراب الغداف في اقامة عشيهما الشتويين (في ظفار).



لا تزال العادات والتقاليد قوية في عمان حيث يفخر أهلها بتراثهم الفريد. وفي هذه الصورة تظهر مجموعة من الرجال العمانيين وهم يرحبون باليخت السلطاني «فلك السلامة» في ميناء السلطان قابوس بمناسبة احتفالات الذكرى العشرين للعيد الوطني لعمان.

العادات

شركة تنمية نفط عمان



جيجي كروكر جونس

فـــن النسيـــج التقليـــدي

بقلم جيجي كروكر جونس

في الصفحة المواجهة: في رملة الوهيبة تحول النساء بكراتهن الى لاويّة ويغزلن بالمغزل وفلكة المغزل (الثقالة) عند قمة العمود.

عمان هو بلد ذو تضاريس جغرافية متباينة، تضم سلاسل جبلية بينها وديان عميقة وصحارى رملية وواحات خضراء وشواطىء تمتد لمسافة أكثر من ١٧٠٠ كيلو مترا. وتؤثر هذه التضاريس المتباينة بشدة تأثيراً مباشراً على اسلوب حياة السكان. واسلوب حياة هؤلاء السكان يؤثر بدوره على الحرف التي يقومون بها. وعلى الرغم من أن عمان هي ثاني أكبر دولة في الجزيرة العربية إلاّ أن تعداد سكانها حسب آخر احصاء أجري في عام ١٩٩٣ يزيد على المليونين بقليل. ويعتبر ذلك أيضاً من العوامل الهامة التي يجب أخذها في الاعتبار عند دراسة الأعمال الفنية التقليدية المنتجة في عمان. كما أن ارتفاع نسبة المواليد في الوقت الحاضر يعني أن نصف سكان السلطنة هم من الأفراد الذين لا تزيد أعمارهم على خمسة عشر عاماً. والعديد من هؤلاء الصغار لن تتوفر لديهم أية خبرة عملية في هذه الحرف الفنية.

ولمعرفة لماذا يقتصر نسج المنسوجات الخاصة على مناطق بعينها، يلزم ان نلقي نظرة على الهيكل التقليدي للمجتمع العماني. ان تصنيف السكان طبقاً للأسس التقليدية يعتبر في حد ذاته مرجعاً هاماً، ولكنه لا ينطبق في العديد من الحالات على عمان الحديثة لأنه مع تغير زعامة البلاد في سنة ١٩٧٠ تطورت الأوضاع الإقتصادية وخدمات الرعاية الإجتماعية تطوراً سريعاً.

ويمكن تصنيف سكان عمان إلى فئتين هما أهل المدن وأهل الريف او الرعاة. وأهل المدن والقرى، أو أهل «الحضر» كما يسمونهم، يعيشون في مسقط وساحل الباطنة وفي مدن المنطقة الداخلية والشرقية والظاهرة ومسندم وفي صلالة بمحافظة ظفار. ويتنقل الرعاة، أو الشواوي، مع تغير فصول السنة ويعيشون إما في قراهم أو في التلال والوديان الواقعة بالمناطق الجبلية. وهم يستوطنون المناطق الجبلية مثل منطقة الجبل الأخضر وسلسلة جبال الحجر الشرقي ويتنقلون مع قطعانهم عبر الأراضي الرملية والسهول، وينصبون خيامهم أينما توفرت الأعشاب ويعودون الى مدنهم أو قراهم في مواسم جمع التمر.

والمستوطنون هم على نحو تقليدي من المزارعين وأصحاب بساتين النخيل وصيادي السمك في المناطق الساحلية والتجار والحرفيين المحترفين وعمال النسيج والخزف وصباغي النيلة وصانعي المجوهرات وصانعي المعادن وصانعي الحلويات. ويمتلكون بعض الماعز والغنم والبقر والإبل. ولا يمارس رجالهم أو نساؤهم أعمال الغزل. أما النساجون من الرجال والذين يجدلون الخيوط الصوفية عند اللزوم فينسجون الخيوط على النول ويمارسون هذا العمل في وقت فراغهم.

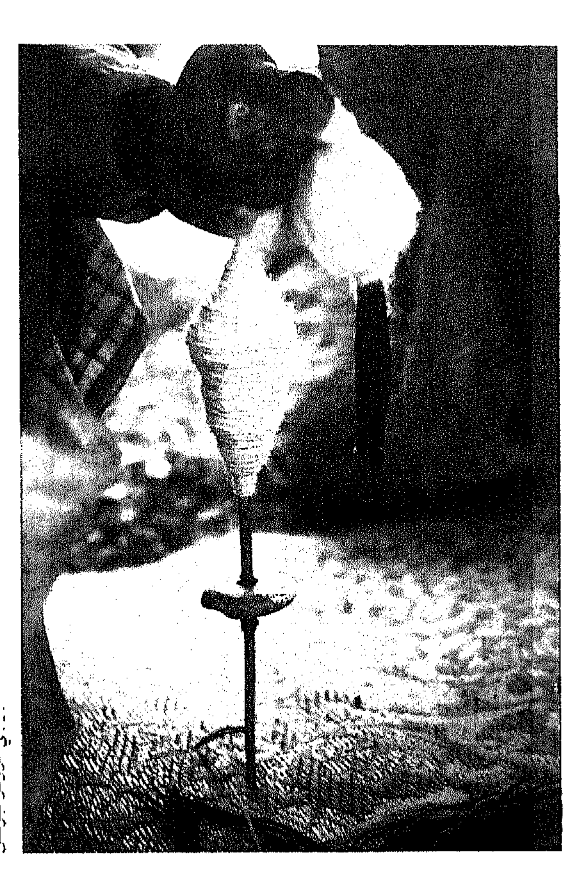
والرعاة هم في المعتاد رعاة لقطعان الماعز ويعملون في البساتين ويجمعون الحطب واخشاب الوقود والعسل وينقلون البضائع على ظهر الحمير، وهم يحتفظون بالماعز وببعض الأغنام والحمير وربما يحتفظون أيضاً بجمل او ناقة. ويمارسون هذا العمل لبعض الوقت فقط حسبما يتسع لهم الوقت وحسبما تتوفر لهم المواد الخام.

وبصورة تقليدية يقوم البدو برعاية الإبل والماعز وقد تتوفر لديهم بعض الأغنام. وتزاول نساؤهم أعمال الغزل بالمغزل، بينما يزاول رجالهم الغزل إما بالمغزل أو بعصى. وتقوم النساء بالنسج على نول أرضي من أجل توفير احتياجات الأسرة او من اجل توفير تجهيزات العرس او يقومون بهذا العمل بتكليف من شخص آخر.

وبالرغم من ان جميع هذه الفئات كانت ولا تزال تعتمد على بعضها البعض الا ان هناك عدة عوامل حددت التغيرات الرئيسية في حياتهم مثل توفر المزيد من المساكن الدائمة والمرافق التعليمية ووسائل النقل.

ولفهم مهارات حرفة النسيج، يجب دراسة المراحل المختلفة لهذا العمل الفني والذي يتم فيه اعطاء الأولوية لنوع القطيع والمواد الخام. لقد انتشرت في أنحاء عمان سلالات الماعز المنزلية، غير أن سلالات الماعز ذات الشعر القصير تسود في منطقة ظفار وشعرها قصير بدرجة تجعله غير صالح للاستعمال. اما في شمال عمان فتنتشر سلالات الماعز ذات الشعر الطويل والألوان المختلفة وبصورة خاصة اللون البني القاتم او الأسود. وهذا يفسر ندرة وجود «بيت الشعر» التقليدي، وهو الخيمة ذات الشعر الأسود، في عمان، لكنه تم استيراد بعض هذه الخيام واستعمالها في ظفار في ناحية الربع الخالي. وعلى أية حال، تم تهجين سلالات الماعز ذات الشعر القصير مع سلالات الماعز ذات الشعر الطويل أثناء رحيل أصحاب هذه القطعان في موسم الجفاف. ويجدر بالذكر ان سلالات الماعز ذات الشعر الطويل هذه تحتاج الى كمية أكبر من الماء وتعطي كمية أقل من الحليب.

ولا يتم اليوم استخدام شعر الماعز بكثرة وهذا يفسر لماذا لا نرى اعداداً كبيرة من الماعز ذات الشعر المجزوز، لأنه يتم قص الشعر بتمرير السكين على طول الخصلة. وتلك مهمة يقوم بها الرعاة والنساء البدويات في المعتاد.



يلف الرعاة بكراتهم في شكل رقم ثمانية باللغة الانجليزية على نول ويثبتونه على أصبع السبابة الايسر. ان فلكة المغزل (الثقالة) هي عبارة عن حصاة من قاع الوادي يتم وضعها عند الطرف السفلي للمغزل.

حجي كروكر جونز

وشعر المـاعز عبـارة عن ألياف قويـة وخشنة وشـائكة يصعب غزلهـا ونسجها بأصابـع اليد، لكن خيوطهـا تنتج حبالاً متينة وتستخدم في تفصيل مـلابس قوية التحمل. أمـا صوف الغنـم فيتبايـن مـن ناحيـة الجودة، فصـوف المنـاطق الجبليـة أكثر نعـومة وأقـل غلاظـة من صـوف مناطـق السهول والمنـاطق الـرملية والسـاحلية. ويقـوم الرعاة والنسـاء البدويات بجز الصوف الـذي يكون أغلبه ذا لون بني قاتم غير أن بعضه متوفر باللون البني الفاتح والـرمـادي. ويتـم جزّ الصـوف بـاستعمـال المقصـات المنزليـة وغالبا مـا تستطيع النساء فقـط جزّ شاتيـن من الغنـم في اليـوم الواحـد. وكانـت الخيوط فـي الماضـي متوفـرة بكثرة وكان يتـم تصديـر بعضها إلى بـاكستان. ويقوم الرجـال برعاية الإبـل التي يتم نتف شعـرها وليس قصه، في فصل الصيف اثناء مـوسم الحصاد. أما الماعز والغنم فيتم جز شعرها في وقت مبكر.

وبالرغـم من انتشار زراعة القطن في عمـان سواء من النوع الأبيـض او البني، إلّا ان واردات القطن التي كـانت فـي هيئة أليـاف خـام مكدسـة فـي بـالات أو في هيئـة خصلات (شلات) خيـوط قد غطت لعدة عقود مـن الزمن على الانتاج المحلي. ويتم استيراد الحرير من اليابان في هيئة خصلات (شلات) خيوط بأحجام مختلفة وذلك كما هو الحال بالنسبة للخيوط المعدنية.

ولا يتـم فحـص ألياف الشعـر قبـل غـزلها، بـل يتـم تكديسها فـي أكوام مع المحافظة على تـوازي الألياف ثم يتم أخـذ حفنة منهـا وغزلها علـى عصاة أو مغـزل. ومن نـاحية أخـرى يتـم فحص الصـوف بـاليـد لأنه لا يتـم استخدام المشط فـي عمان. ويتم فصل حفنـات الصوف عن بعضهـا البعـض للسماح لدقائق النفـايات والمخلفات غير المرغوبـة بأن تتساقط قبل الشروع فـي جدل (لف) الصوف على شكـل جدائل. ومن ثم يتم لـف الجدائل في فلكات بـأنماط مختلفة تحتفظ بـالصوف الجاهـز وتتيح لعـامل الغـزل أن يغزل النسيـج ويـداه طليقتان. ويلـف الرعـاة بكراتهم فـي شكل رقم ثمانيـة باللغة الانجليـزية على نـول (مجدال) ويثبتـونه بأصبـع السبابـة الأيسر، ويغزلون بـالمغزل مع وجود فلكة المغزل (الثقـالة) عند الطرف السفلي. وغالباً ما تكـون فلكة المغزل (الثقـالة) عبارة عن حصـاة من قاع الوادي. ويحـول البدو البكرات الى لاويّـات مثبتة مـرة أخرى بأصبـع السبابـة الأيسر. وبالقرب من الربع الخالي تستعمل بعض النساء العصي كفلكـة لتثبيت الصـوف. وتوجـد فلكة المغـزل عند قمـة العمـود وتتخذ عـادة شكل المستطيـل او شكل الـدائرة المفردة كمـا في مسنـدم. ويتم دفـع الغطاء فـي العمود ليبرز فوق الخيط ويستعمل في تعليقه. ويتم لف المغزل باليد اليمنـى في إتجاه عقارب السـاعة ثم يتم اسقـاطه، ومـن ثم يتـم سحب الأليـاف والسماح لحـركة الـدوران بالانتقال عبر الألياف الجاهـزة. وبعد ذلك يتم فك الخيط ولفه على المغزل مع تكرار هذه العملية.

وعندما يمتليء المغزل يلتف الخيط في شكل كرة. ان معظم الخيوط مجـدولة وهذا يعني انه يتم لـف جديلتين معاً في اتجاه مضاد وتلتفـان حول كرة محكمة لتثبيتها. أما القطـن فيتم غـزله فـي حالتـه الطبيعية أو صبـاغته بالنيلة قبل عملية النسج أو بعد الإنتهاء من نسج القماش وأحيانـاً بعد الإنتهاء مـن تفصيل المـلابس. أما الحـرير فيتم استيـراده مصبوغاً مسبقـاً بالمواد الكيمـاوية وإن كان بعض عمـال النسيج يقومون بصبـاغته بأنفسهـم. ولا تتم في عمان صباغة أليـاف الماعز أو الابل، لكنه يتم على نحـو تقليدي صبـاغة صوف الغنـم وهو فـي هيئة خصلات وليـس في شكـل كتل وذلـك باستخـدام أنواع مختلفة من النباتات.

ويعتبر نبـات الفوة الذي يعطي لـوناً أحمر جميـلاً هو أكثـر نبـاتات الصبـاغـة انتشـاراً في الإستعمـال. ويتـم استيراد هذا النبـات من الهند في هيئة جذور غيـر أنه يتم اليوم استيراده في شكل مسحوق كمادة صباغة كيماوية. وعلـى الرغـم من ذلـك يحمل كـلا النوعيـن نفس الاسـم، واحيانـا يتم استعمالهما كمـزيج بخلطهما معاً. ويتـم في البـداية تـرسيـخ او تثبيـت خصلات الخيـوط باستعمال

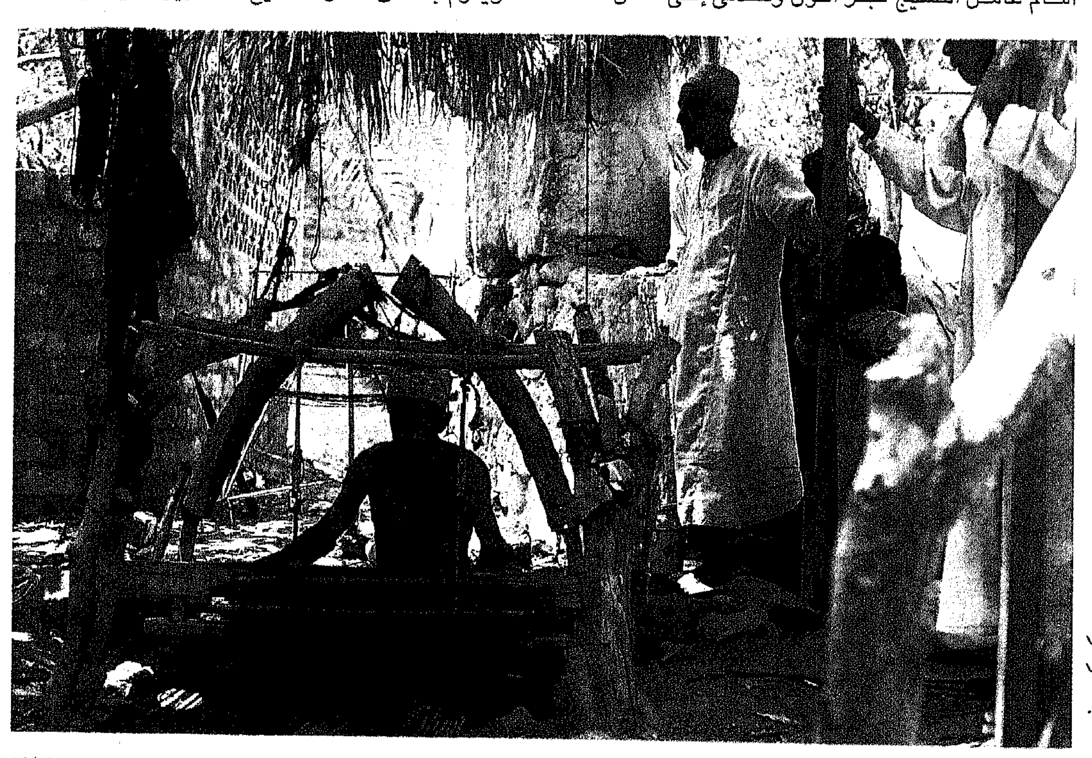
الشب ثم صبغها باستخدام مادة كلسية يتراوح عمرها بين عامين وثلاثة اعوام ومادة الفوة المسحوقة.

ان فن النسيج كفن وظيفي لم يصل بعد في عمان الى مستوى رفيع، غير ان الاشغال المنتجة تتم بمهارة فائقة. وبالرغم من ان اعمال النسيج في تدهور خطير إلاّ أنها ما تزال حية في أنحاء مختلفة من البلاد وبصورة أساسية حيث لا يزال هناك طلب مستمر على المنتجات النافعة وحيث تتوافر فرص البيع للسياح. ان معظم أحياء عمال النسيج التقليدية في المدن والقرى أصبحت مهجورة. لقد اقيمت في هذه الأحياء مئات الأنوال إما في مجموعات او مفردة في ساحات للعمل. ويقتصر استعمال هذه الأنوال على الرجال الذين يمارسون هذا العمل كوظيفة بدوام كامل، غير انه احياناً ما يعمل عامل النسيج اليوم في وظيفة اخرى ويمارس اعمال النسيج كوظيفة مؤقتة بدوام لبعض الوقت. وقد تمت صناعة الأنوال باستخدام المواد المحلية، وتثبيتها على الأرضية (معلقة) حيث يجلس عامل النسيج وقدماه في الحفرة مما يتيح له تغيير فتحة خيوط المسداة بتحريك ذراع المسداة بقدمه ويترك يديه طليقتين لتقوم بقذف الماكوك وجذب العارضة. وتتميز جميع أنوال الحفرة، باستثناء نول واحد موجود في بركاء، بانها ذات عمودين. وتمتد المسداة أمام عامل النسيج عبر النول وتتدلى إلى اسفل عند العارضة لتصبح فوق مستوى الأرض مباشرة وهذا يتيح توفير مسداة تكفي لنسج عدة أطوال من الأقمشة وذلك على خلاف النول الأرضي حيث يلزم عمل مسداة لكل قطعة قماش جديدة. ويقوم عامل النسيج بتغيير فتحة خيوط المسداة بتحريك ذراع المسداة بقدمه مما يتيح ترك يديه طليقتين لتقذف الماكوك.

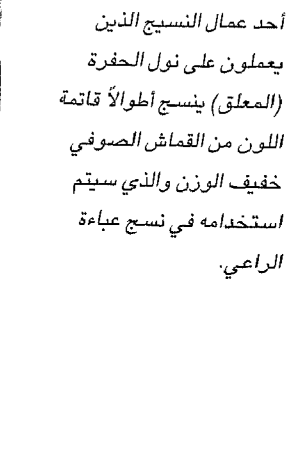
ويتم نسج القطن حسب الأطوال المناسبة للقماش بحاشية من الحرير عادة. وقد تكون هذه الأطوال غير منقوشة (مسداة) أو منقوشة وذات خطوط أو مربعات، ويتم درزها في المنتصف وتحويلها الى حصيرة او ملابس للنوم او عباءات للرجال. أما الشالات الخاصة بالنساء فيتم نسجها من الحرير مع زركشة الملابس المنسوجة من الخيوط المعدنية والشالات بشرائط ينسجها في الغالب نفس عامل النسيج على نول الشرائط.

ويمكن نسج هذه الشرائط في الثوب مباشرة باستخدام أطراف مسداة الثوب كلحمة (اللحمة هي الخيوط المنسوجة عرضاً أي خلافاً للمسداة) للشريط أو نسجها منفصلة بذاتها. وتتوفر هذه الأنوال في نوعين: يتم تعليق الجهاز الصغير في حامل صغير ثلاثي القوائم وقابل للنقل أو من السقف حيث يتم مد المسداة من طرف الغرفة الى طرفها الآخر.

ويقوم بعض عمال النسيج الآخرين الذين يعملون



جيجي كروكر جونس



أحد عمال النسيج الذين يعملون على نول الحفرة (المعلق) ينسج أطوالاً قاتمة اللون من القماش الصوفي خفيف الوزن والذي سيتم استخدامه في نسج عباءة الراعي.



جيجي كروكر جونس

يتم نسج أكياس عدلي الخرج (سرج الجمل) على نول أرضي وزخرفتها بنقوش معقدة في المسداة. تختار هـذه المرأة في رملة الوهيبة الخيوط لتعمل النقوش الخاصة بها.

على أنـوال الحفرة (المعلقة) بغـزل خيوط الصـوف في شرائط طـويلة لإنتاج أثـواب خفيفة الوزن. ويتـم قطعها حسـب الأطوال المنـاسبـة ودرزها معـاً لتحـويلها الـى بطـاطيـن او دثـارات يستعملهـا البـدو أو الـى شـالات ليستعملها الرعاة.

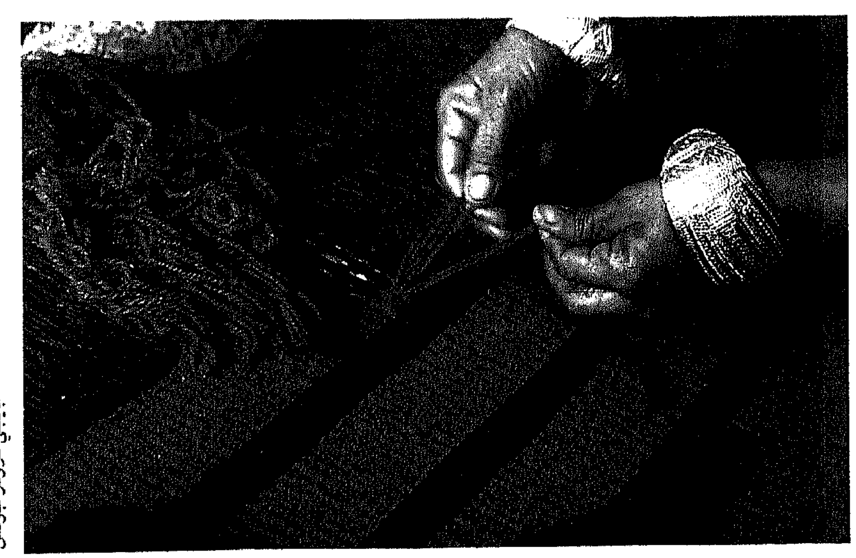
ويستعمل الرعاة والنساء البدويات النول الأرضي في انتاج المشغـولات الفنية اللازمة لهـم ولأفراد اسرهـم. كما يقومـون بانتاج قطع اضـافية عندمـا يسمح الوقت بـذلك وتكون المـواد الخام متـوفرة. وقـد يتم انتـاج هذه القطـع الإضافية بتكليف من شخص آخر او ليتم بيعها في السوق او من المنازل لعابري السبيـل. ومع ذلك فهذه المشغولات الاضافية معرضة للتلف.

ويتـألف النـول الأرضي مـن بعـض قطع الأخشـاب المتوفرة والمستخـدمة في توفير السنادات أو الـدعامات الأربعـة والعارضتيـن وقضيـب ذراع تحـريك المسـداة، والذي يتـم تثبيته فـي الغالـب باستعمـال علب الحليـب القديمة، والمـاكوك القضيبي. أما السيـف المستخـدم في ضرب اللحمة فمصنوع من الخشـب المنحوت. ويتم لف المسداة افقياً بين العارضتين في هيئـة رقم ثمانية باللغة الانجليزية. وإذا تطلـب الأمر الانتقال من منـزل الى آخر يمكن لف النسيـج والنول واعادة توصيـل السنادات في مكانها الجديد.

ويتم استخدام هذه الأنوال في انتـاج مجموعة متنوعة مـن الدثــارات مثل دثـار الجمل التقليـدي (الحويـة) ذي الشـرائط السـوداء وصبغـة الفـوة وذي الشــرائط ذات الألـوان الطبيعيـة وذي الشــرائط المتعـددة الألــوان والمنسوجة من الخيوط المصبوغـة بالمواد الكيماوية كما يحدث اليـوم. كما يتـم نسج دثـارات سميكة بـاللونيـن الأسـود والأبيض لـوضعها علـى ظهر الحمـار عند نقـل أحمال العشـب (البردعة). كمـا يتم نسج أثـواب صغيرة أخف وزناً ليرتديها الرعـاة عند جمع الأعشاب في الأماكن المرتفعة. كما يتم أيضاً نسـج دثارات خفيفة الوزن باتباع نفس الطـريقة مـع استخدام الخيوط المـدمجة بـدلاً من الخيوط المجدولة. ويتم نسج هـذه الدثارات في نصفين، عند نسـج أولها فيتـم نقل قضيـب ذراع تحريـك السداة والسنادات الـى الطرف الآخـر ثم يتـم مرة اخـرى نسج النصف الثانـي حتى المنتصف. ومن ثم يتـم قطع الثوب الى نصفين وحياكتهما معا بالطول.

ويتم جـدل الدثارات الثقيلـة والسميكة التـي تنسجها النساء على النول الارضي باستعمال اصابع اليد بدلا من الماكوك. ويجـري تعليق هذه الدثارات فـي داخل الخيمة من اجـل التدفئة أو الـزخرفـة، وهـي تعتبر احـدى القطع اللازمة من اجل توفير تجهيـزات العرس الى جانب كيس المرأة الـذي تستخدمـه في حفـظ أمتعتها وتعلقـه داخل الخيمـة. ويتم نسـج هـذا الكيس والعـديـد من سـروج الجمال المـزخرفـة بنقوش معقـدة تعرف بـاسم نسيـج راكوم ، انـه نوع خـاص من النسيـج يعطي نقـوشا ذات خطوط ورمـوز ترمـز الى اسلـوب حياتهـم اليومـي في تصميمات تنتقل من الام الى إبنتها.

كمـا يتـم نسـج اغطيـة سـرج الجمـل (الحـويـة) المزركشة الاخرى باستخـدام النول الارضي، ويتم نسج وسادة السـرج ووسادة سنـام (ذروة) الجمل التـي في شكـل حـرف يو U امـا فـي نسيـج غيـر مزركـش او بنسيــج ذي جديلتيـــن زخرفيتيـــن عنـد الاطـراف او بنسيـج خـاص، كـمـا يمـكن نسـج احزمـة السـرج واحزمـة الصدر المـزركشة ايضـا. هـذا ويتــم نسـج اغطيـة السرج المزركشة الاخـرى على النـول وانتاجهـا



جيجي كروكر جونس

الغزل باستخدام أصابع اليد بدلاً من الماكوك. نادراً ما يتم اليوم نسج الدثارات الثقيلة السميكة.

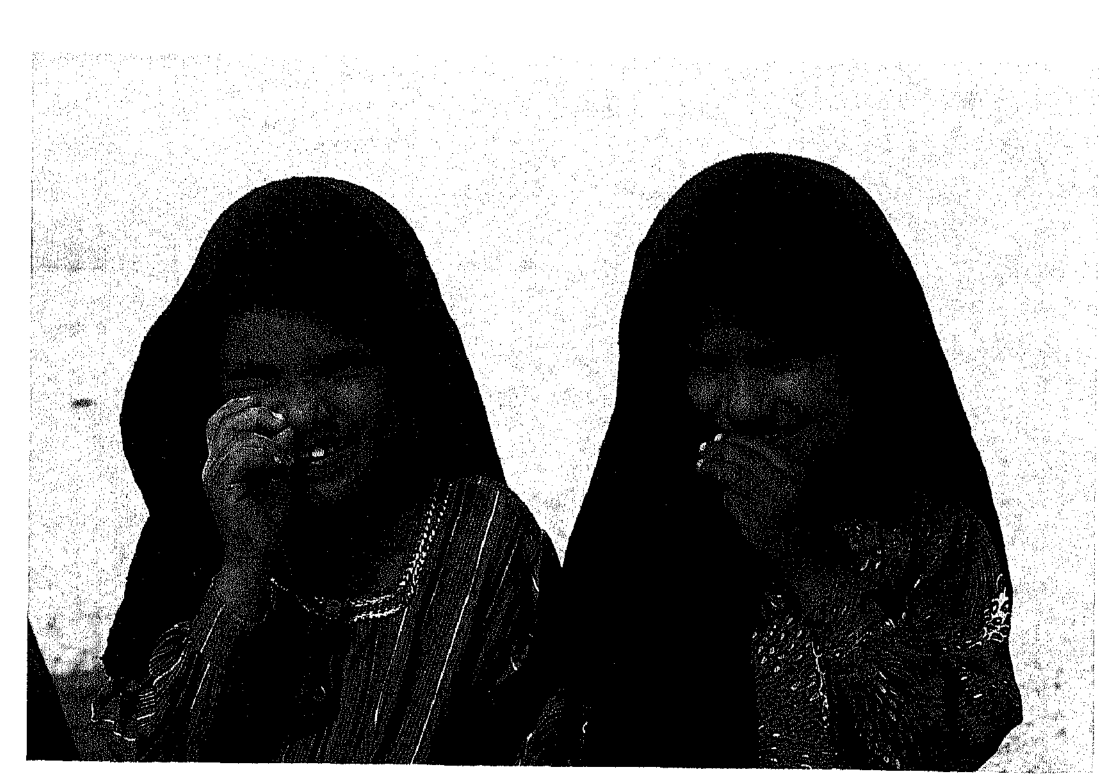
بـاستعمال اصـابـع اليد. وتتضمـن هـذه الاغطية سيـر اللجام واربطة العنق والتحميل.

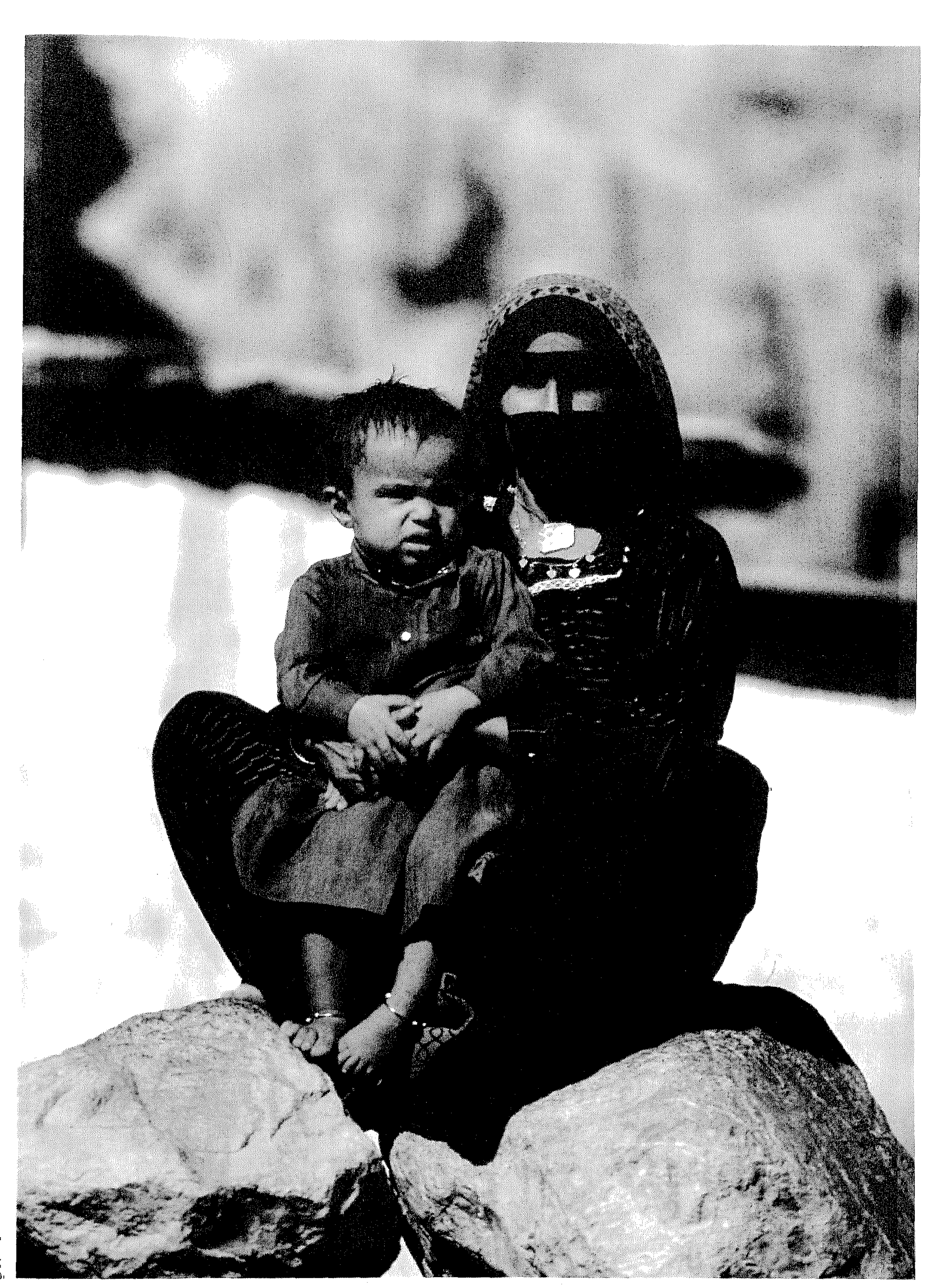
ويتـم ايضا نسـج الـدثـارات على الأنـوال الارضيـة باستعمال شعـر الماعز، وتتسم هـذه الدثارات بالمتـانة لكنها شائكـة وخشنة وقد اعتادت النساء البـدويات على نسج قطع طويلة من شعر المـاعز وحياكتها معا لتحولها الى غطاء «فيلـي» لحماية حيوانـاتهم من الريـاح الباردة ولتوفير الظل لهم.

ويتم استخدام الأنوال الرأسية فـي نسج اغطية بردعة الحمار المزركشة باستخدام شعر الماعز للاستعمال في الاماكـن الصحراويـة الوعرة وفـي نسج السـرج المبطن واحزمـة الردف والصـدر التي يتـم في بعـض المناطـق زخرفتهـا بالشُرّابـات بصورة جميلـة وفي نسج احـزمة السـرج والبطـاطيـن الـدافئة السميكـة، لكـن لـلاسـف انقرضت هذه الأنوال اليوم تقريبا وصارت عتيقة الطراز.

كمـا يتم نسـج بعض القطـع الفرعيـة الاخـرى علـى النول، وتتضمـن هـذه القطـع المقـلاع المنســوج مـن شعـر المـاعـز والمستعمـل فـي قـذف الحجــــارة للسيطـــرة علـــى قطعـــان الحيوانــــات وجمعهـــا، ووســادات القـدم التـي يستعملها الـرعاة والمصنوعـة مـــن شعر المـاعـــز الممشـــط والمطبـق والمطـوي ذي الحياكـــة الجيـــدة التـــي تشكـل مربعـاً يتـم ارتداؤهـــا أسفـل قاعـــدة إبهـــام القـدم، وجـــوارب الرمـل المصنوعة بطريقـــة الانشوطـة ويتـم ارتداؤهـا فـي المنـاطق الرملـيـة لتوفيـــر الحمايـــــة للقـــدم، وأكيـاس ضـــرع الجمـــل والتي يتـم نسجهــــا بيـن عصـــاتين مثبتتيـن بسـاقي الـرجـل واستعمـالها لمنـع الصغار مـن الرضـاعة، وأكياس الكحـل المزدوجـة. كما تتضمـن أيضـــا، منـذ السبعينـات، أغطيـــة السيـارات المزركشـة وخاصـة أغطية مفـاتيح بـدء تشغيل محـرك السيارة والتـي تم تصنيعهـا محلياً وطبيعيـاً من أغطيـة الجمال المزركشة.

وعلى الـرغم مـن ان قوافـل الجمـال الكبيـرة التـي كانـت ترحل عبر صحـراء الجزيرة العربيـة قـد اختـفـت مـع التطـور العمرانـي فـلا يـزال هنـاك طلـــب علـــى الأغطية المـزركشة الجميلـة في بعـض مناطـق عمـان وذلك نتيجة لتشجيـع رياضة سباق الجمـال فـي انحـاء شبـه الجزيرة العربية.

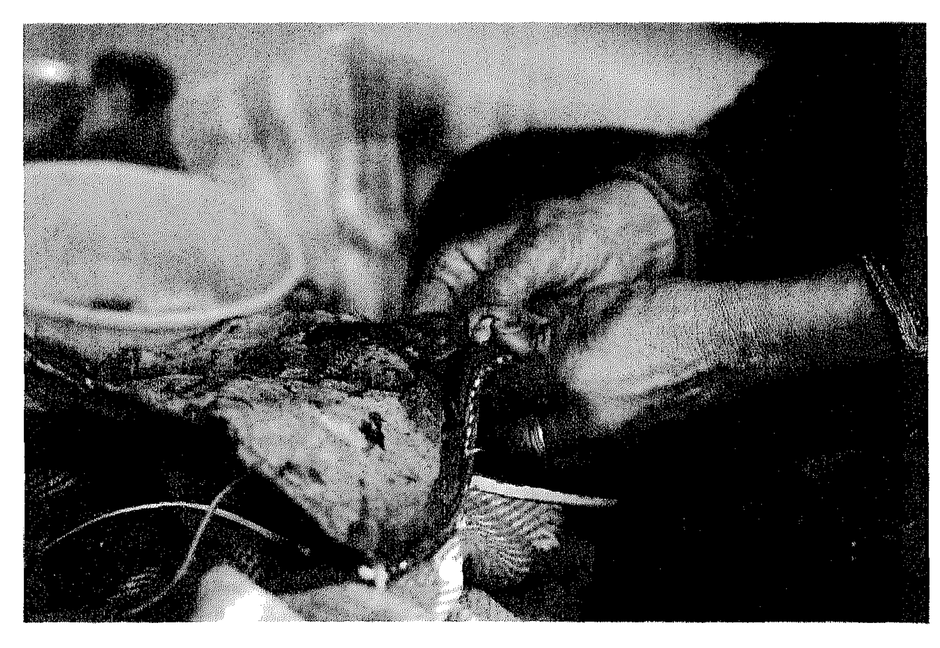


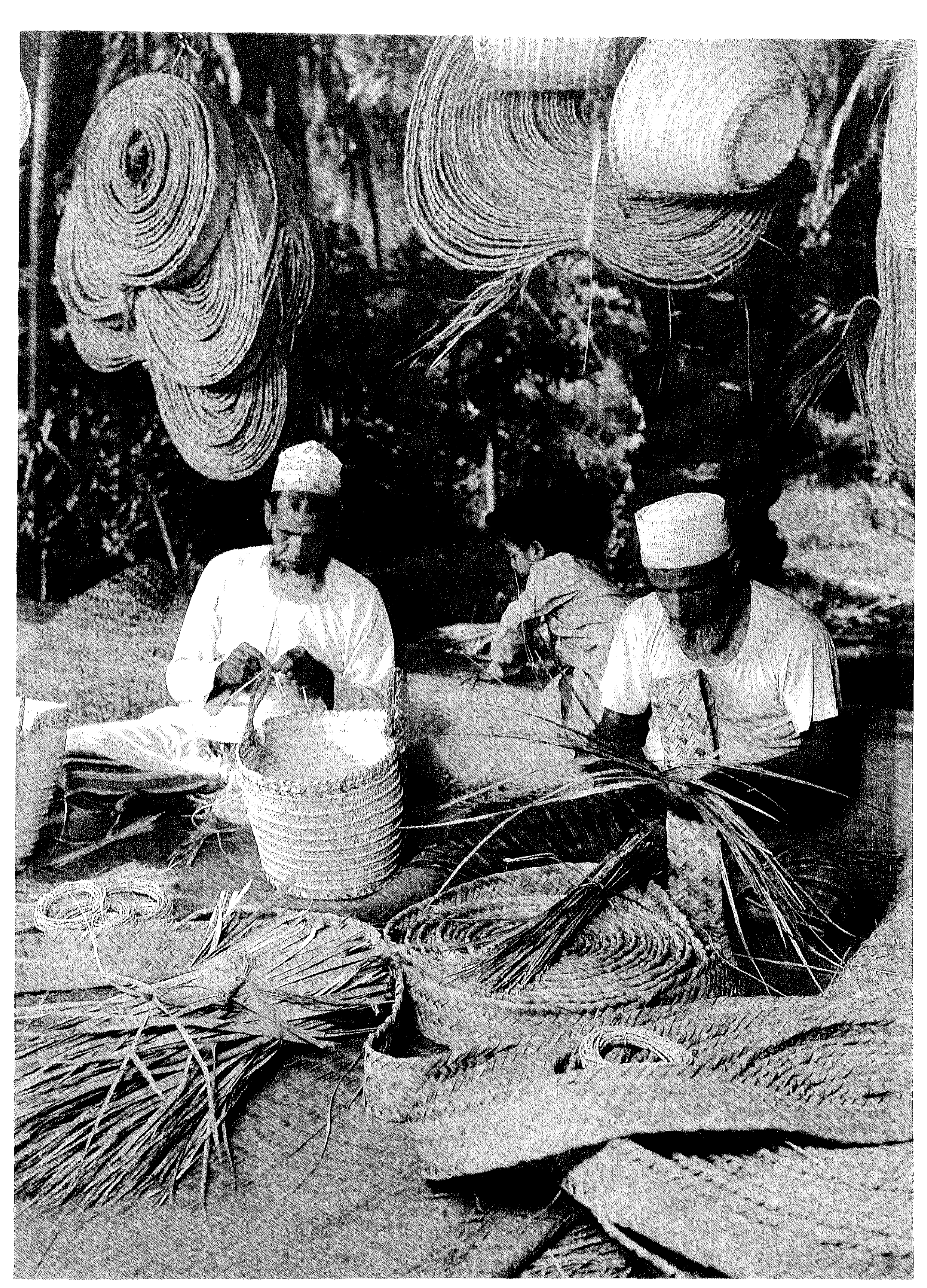




بدو الوهيبة.







شركة تنمية نفط عمان

صناعة السلال

بقلم جيجي كروكر جونس

كانت صناعة العديد من المنتجات النافعة تتم ـ ولا تزال باستخدام أشجار النخيل . ويتم بصورة تقليدية منذ أجيال عديدة استخدام أشجار النخيل الشائعة المزروعة في أغراض عديدة. وينمو هذا النوع من أشجار النخيل برياً في المناطق الساحلية عادة بالقرب من المياه السطحية. وتتميز هذه الأشجار البرية بأنها غير مثمرة عادة وتبدو أكثر كثافة بالرغم من أنها قد تكون ذات جذعين رئيسيين. وهناك نوع آخر من أشجار النخيل البرية هو النوع المحلي وهو نوع كثيف الجنبات ذو أوراق سعف مميزة مروحية الشكل، وينمو في المناطق الصحراوية وفي الوديان والمنخفضات الرملية. ويتم استعمال جميع أنواع أشجار النخيل المختلفة سواء المزروعة أو البرية في صناعة السلال في جميع أنحاء عمان.

ويستعمل أهل المدن والريف أشجار النخيل المزروعة، كما يستعملها البدو أيضاً والذين يقيمون خارج القرى في منازل مشيدة من سعف النخيل يتم اقامتها خلال فصل الصيف في أثناء موسم جمع التمر. وعادة تكون هذه الأشجار مملوكة للفلاحين والمزارعين.

وتحتاج أشجار النخيل إلى ري منتظم ويتم تلقيحها يدوياً بصورة أساسية بالرغم من أنها من أنواع الأشجار التي يتم تلقيحها بفعل الرياح. ولهذه الأشجار استخدامات عديدة بجانب إنتاج الرطب والتمر. فيتم استخدام جذوعها في أعمال البناء وخاصة في انشاء عوارض السقف. كما يتم حرقها وتحويلها إلى فحم أو استخدامها في انتاج الأسمنت المحلي أو انتاج الجير الأبيض المستخدم في طلاء واجهات المنازل. كما يتم استعمال ألياف الجذع في أغراض عديدة تتراوح بين صناعة الحبال ومقابض السلال وتبطين أغطية سروج الجمال وفي تنظيف الصحون. أما ضلوع سعف النخيل فيتم استخدامها في صناعة الأقفاص المختلفة مثل أقفاص نقل السمك وأقفاص الطيور وأقفاص الدجاج أو مباخر الملابس أو مقابض الفُرش. كما يتم استخدامها أيضاً في تقوية بعض الأدوات مثل إطارات أغطية الطعام.

أما الأوراق الطويلة لسعف أشجار النخيل المزروعة فيتم تحويلها إلى عدة أدوات منزلية مفيدة حيث يتم استخدام الأوراق المختلفة في انتاج بعض المشغولات الفنية. ففي مسندم على سبيل المثال يتم تفضيل استعمال أوراق سعف الشجيرات الصغيرة ثم الأوراق الجديدة المقطوعة من قمة الشجرة وهي لا تزال صفراء اللون إلى حد ما. ويتم استخدام هذه الأوراق في صناعة أغطية الطعام والمراوح الدائرية المستخدمة في تحريك الهواء لتأجيج جذوة الفحم المشتعل وفي تبريد الطعام والمراوح الشبيهة بالراية اليدوية والتي يستعملها الأفراد في تحريك الهواء أمام وجوههم للتخفيف من حرارة الجو وفي صنع سلال مستحضرات التجميل الدائرية وسلال الخبز وقطع الحصر المدوّرة التي يتم وضع صواني الطعام عليها.

كما يتم أيضاً استعمال أوراق سعف النخيل الأخرى، عند قطعها وهي خضراء، في صنع الفُرش، وأكياس التمر، وسلال الحمل بمختلف الأحجام للاستعمال في نقل التمر المجموع من الأشجار وحمل جميع الأشياء المنزلية، وفي صنع سلال كفة الميزان والحُصُر المستخدمة في تجفيف التمر وحصر الصلاة وحصر النوم والحصر المفروشة على الأرضيات.

ويمكن قطع سعف النخيل وجمعه في أي وقت من أوقات السنة وتجفيفه بتعريضه لأشعة الشمس لمدة يومين في فصل الصيف أو لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في



تم تحويل هذا العمل المجدول الجميل إلى غطاء للأطعمة. ولجعل حافة الغطاء صلبة يتم تقويتها باستخدام ضلوع سعف النخيل.

جيجي كروكر جونس

فصل الشتاء. وبعد أن تجف يمكـن صبغها أو استعمالها بلونها الطبيعي أو حفظها للاستعمال فيما بعد. ويتم شق أوراق السعف وهـي جافة بعد أن يتـم أولاً قطع قاعـدتها وضغط طرفي الورقة معها حتـى تتقشر الورقة طولياً في منتصفها ثـم يتم الامسـاك باحـدى اليديـن بحزمـة من الأوراق ووضـع ظفر أصبـع الابهام لليـد الأخرى داخـل الورقة بالقرب من قاعدتها وشق عدة جدائل في آن واحد.

وكان يتم فـي بعض المناطق وخاصـة ظفار استخدام النبـاتات مثـل نباتـات الألوة التـي تعطي اللـون الأزرق التقليـدي في صبـاغـة ألياف سعـف النخيـل. أمـا فـي المناطـق الأخرى، مثل مسنـدم، والتي لا تنمو فيهـا مثل هذه النباتات المستخدمة في الصباغة فكان يتم استخدام مواد الصبـاغة الكيمـاوية كما يحـدث الآن في كـل مكان لأسبـاب عملية. ولاجـراء عمليـة الصباغـة، يتـم اضافـة مسحوق الصباغة الكيماوي إلى حوض الصباغة وتقليبه ثم يتـم وضـع الأليـاف المبللة وغليها بـرفق لمـدة عشر دقائق ومن ثـم يتم رفعها من الحوض ونشـرهـا مسطحة على الأرض في الظل حتى تجف.

ويتم جدل الألياف المبللة، وهـو عمل تقوم به النساء عادة، حيـث يستعملن أصـابعهن فـي تشكيل العنـاصر المستخدمة فـي صنع السلال ويضعن بجوارهـن حزمة من الألياف ثـم يقمن بوضـع أحد العناصـر فوق العنصر الآخر الذي يعملـن به قبل أن ينتهي. ويتم إضافـة المزيد من العنـاصر الجديدة مـن الجهة اليمنى إلا إذا كـان يتم عمل أحد النقوش وهنـا قد يتم إضافة العناصـر الجديدة من كـلا الجهتين. ويمكن جدل العنـاصر بتمريرهـا أعلى العنصر الأخيـر وأسفله أو أعلـى العنصريـن الأخيريـن وأسفلهما طبقا للقطعـة التي يتم انتاجها. وبـالمثل يمكن أن تتبايـن الثخانـة باستعمال عنصـر واحد أو أكثـر من العناصر فوق بعضهـا البعض.

وعند الانتهـاء من عمل الجديلـة المربوطة بـالأسلاك يتم لفها وخياطتها في حـركة دائرية من المنتصف لانتاج المشغولات المستطيلـة. وغالبـا ما تقـوم النساء بـأعمال الخياطـة، غير أن الـرجال هـم الذيـن يقومـون بخياطـة أكياس التمـر. كما يتـم أيضاً على نحـو تقليدي صنـاعة الخيوط الـدقيقة المستخـدمة فـي الخياطـة من عنـاصر أشجار النخيل لكنه يتم الآن استخدام الخيوط المصنوعة من النايلون. ويتم في كمزار بمحافظة مسندم انتاج أرقى المشغولات المصنوعة من أشجار النخيل هذه.

وهنـاك اسلوب آخـر لصنـاعـة السلال بـاستخـدام أشجـار النخيل المـزروعـة، هـو اسلوب اللـف الملولـب. وهنـا يتـم صنـاعـة قلـوب السلال الملـولبة بـاستخدام محور السـاق الذي تـم منه جمـع التمر. ويتـم شق هـذا المحور وتحـزيمه لتشكيـل القلوب التي يتم خياطتها في وسط القاعدة حلـزونياً. كما يتـم استعمال أوراق سعـف أشجـار النخيل المشقـوقـة كمواد للخياطة حيث يتم لفها حـول القلب وخيـاطتها فـي الطبقة السابقة وفي الطبقات اللاحقة.



جيجي كروكر جونس

تقوم «شمسا» من المنطقة الوسطى في عمان بعمل سلة صغيرة باستخدام طريقة اللف. وهي حفظ السعف المشقوق المستخدم في الخياطة مبللاً في سلة صغيرة محكمة الغلق تضعها في حُجرها. وهي تستعمل أداة حادة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير أداة الخياطة.

ويتـم انتاج مجمـوعة كبيـرة من الحبـال باستخـدام ألياف جذوع أشجار النخيل لاستعمـالها محلياً. ولصنع هـذه الحبال يقـوم أخصائي الجـدل بسحـب قطعة مـن الألياف من جذع الشجرة ويبللهـا ويمشطها ليحافظ على توازي أليـافها ثم ينزع قطعـة صغيرة من هـذه الألياف ويلفها على أصـابع اليد مع تكرار هذه العمليـة حتى يتم تشكيـل مجموعـة مـن الكرات. ثـم يضـع كـرتين معـاً متـوازيتين ويثبتهمـا بأصبـع القـدم الكبير ويمسكهمـا بيديـه ويلفهما منفصلتيـن بعيداً عنه ثـم يلفهما معـاً في نفس الاتجاه حتـى يلتفا فوق بعضـهما. ويتـم تكرار هذه العمليـة مع الكـرات الأخـرى حتـى يتم الحصـول علـى الأطوال الكـافية. ويتـم اجراء المزيـد من عمليـات الطي واللف المختلفة لتحقيق القطر المطلوب.

وتنمو أشجـار النخيل البـرية بصـورة أساسيـة في المناطـق السـاحليـة حيث يتم جمعهـا واستخدامهـا في صنـع الجدائل. ويتم شق أوراق سعف النخيل هذه بنفس الطريقة المستعملة في شـق أوراق سعـف أشجار النخيل المزروعة. وكمـا هو الحال مع جميـع المشغولات الفنية، فإن جودة العمـل الفني تتبايـن مـن صـانع إلى آخـر ومن منطقة إلى أخرى. وعلى الرغم من أن استخدام هذا النوع من أشجار النخيـل في انتاج الأعمال الفنيـة لا يحتاج إلى نفـس المهارة المطلـوبة عنـد استخـدام أشجار النخيـل المروحية الشكل إلاّ أنه يتم في ظفار انتاج بعض الأعمال الـرائعة وخـاصـة سـلال الخبـز وأغطية حـاويات المـاء وحصر الطعام وحصر الصلاة. ويفضـل صانعو السلال في هـذه المنطقة استعمال أوراق سعف أشجـار النخيل



جيجي كروكر جونس

يتم الآن صنع أقفاص السمك من السلك، لكن هذا القفص يتم صنعه باستخدام المواد التقليدية وهي ضلوع سعف أشجار النخيل المزروعة. إن صانع قفص السمك التقليدي هذا هو ربما آخر هؤلاء الحرفيين الموجودين في خصب.

التي تنمو في المناطق الأخرى من عمان، لكن كان من الصعب الحصول عليها بالطبع. وقد اشتهرت ظفار باستعمال نباتات الصباغة.

وتعتبر أشجار النخيل البرية المحلية أفضل أنواع هذه الأشجار فهي تعطي أجود المواد المستخدمة في صناعة السلال. ويمكن شق أوراق سعفها لتشكل أليافاً ممتازة. وتتمتع النساء بمهارة خاصة في انجاز هذا العمل. وفي المنطقة الوسطى يذهب البدو وهم يمتطون الحمير أو الجمال إلى الوديان الموجودة عند باطن الجرف ربما مرتين في الشهر في فصل الشتاء حيث يمضون اليوم بطوله هناك. ويتولى الرجال عادة أعمال قطع السعف وجمعه، ويقومون بقطع السعف بالسكين وهو مفتوح إلى الربع أو النصف ويأخذون أربع أو خمس سعفات من إحدى الشجيرات ثم يوثقون الحزم باستعمال أحد الحبال التي يصنعونها بأنفسهم في الموقع من ألياف النخيل. ويقوم الرجال بجدل الكمامات الخاصة بالجمال وعمل أكياس ضروع الجمال لمنع الصغار من الرضاعة وعمل النقافات المستخدمة في قذف الحصى لجمع قطيع الحيوانات وأفخاخ صيد السحالي الجبلية (وهي عبارة عن عروات يمكن اطباقها) باستعمال ألياف النخيل وهي خضراء عادة. كما يقومون أيضاً بجدل السلال التي يتم تحميلها على ظهر الجمال والحمير والحصر التي يتم فرشها تحت أشجار السنط لجمع ثمار (قرنة) هذه الأشجار المستخدمة كعلف للحيوان.

وتقوم النساء بتجفيف السعف بتعريضه لأشعة الشمس لمدة اسبوع مع جلبه إلى الداخل في أثناء الليل لمنع تعرضه للندى الذي يجعله أسود اللون. ثم يقمن بعد ذلك بشق السعف واستخدام اسلوب اللف الملولب لعمل أوعية للحلب وسلال ذات أغطية وحاويات حفظ الأدوات النسائية. ويتم حفظ السعف المشقوق رطباً في وعاء مغزول صغير يتم منه سحب السعف حسب الحاجة. ويتم صنع السلال بخياطة كل صف من الصفوف الملولبة في الصف الذي قبله بواسطة ألياف الخياطة وباستعمال أداة مدببة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير ألياف الخياطة.

وعندما تتوفر أشجار النخيل البرية، يقوم بعض البدو الرعاة بجدل السعف المشقوق لعمل شرائط طويلة يتم خياطتها معاً لانتاج الحصر المستخدمة في تغطية سقوف منازلهم. ولا يزال البدو الصيادون يصنعون هذه الحصر ويستخدمونها كجدران خارجية لمساكنهم. ويمكن لف هذه الحصر للأعلى لتسمح بمرور النسيم أو إسدالها لتوفير الدفء حسب الأحوال الجوية والرياح.

وتشتهر ظفار بجودة انتاجها من أوعية الحلب، وتأتي هذه البراعة الفنية الممتازة أساساً من المناطق الجبلية والصحراوية. ويتم صنع هذه الأوعية للاستخدام أثناء حلب الأبقار والماعز، مع صنع أوعية أكبر للاستعمال أثناء حلب الجمال. ولصنع هذه الأوعية يتم أولاً نقع الألياف غير المصبوغة في الحليب لتقويتها، غير أنه يتم في بعض الأحيان نقعها في الماء لنفس الغرض عندما يتم صنع هذه الأدوية لبيعها للسياح بهدف تفادي الروائح الحادة. ويتم تبطين الأوعية من الداخل بقطعة مدبوغة وممطوطة من جلد الماعز، مزركشة بشرائط جلدية. كما يتم زركشة السلال والحاويات الصغيرة الأخرى بشرائط من الجلد كما يحدث في بعض المناطق الأخرى. ويتم في بعض الأحيان الآن صناعة أوعية الحلب باستخدام ألياف جوز الهند لبيعها للسياح، لكنها ليست بنفس الدرجة من المتانة أو قوة التحمل.

وهناك نوع آخر من الألياف يجب أن نذكره، وهو ألياف القصب. لقد كان هناك العديد من نساجي ألياف القصب في منطقة الباطنة وفي فنجا بالمنطقة الداخلية، لكنه لم يعد في فنجا الآن سوى اثنين من النساجين يستعملون ألياف القصب بألوانها الطبيعية أو بعد صباغتها بألوان مختلفة باستعمال مواد الصباغة الكيماوية. ويتم طرق القصب لاستعماله في صناعة الحصر العادية وحصر الصلاة، واستعمال القصب غير المطروق في نسج الحصر المستعملة في نقل جثث الموتى إلى المقابر. ويمكن غسل هذه الحصر على عكس تلك المصنوعة من القصب المطروق.

لقد دامت صناعة السلال في عمان فترة أطول من بعض الصناعات الحرفية الأخرى، لان المواد الخام لا تزال متوفرة ويمكن الحصول عليها بسهولة أكبر نتيجة لتوفر وسائل النقل الحديثة. وقد اختفت بعض أنواع المشغولات، لكن بعضها الآخر لا يزال موجوداً ويستخدم في تأدية بعض المهام الوظيفية المفيدة.

كتب ومطبوعات أخرى

بالاضافة إلـى الأبحاث العديدة المدرجة فـي مجلة الدراسات العمانية والمطبـوعات المتخصصة الأخرى، والمقالات وثيقة الصلـة المنشورة في مجلة «أخبار شركة تنمية نفط عمان» والمطبوعات الدورية العديدة الأخرى فإننا نوصي بالاطلاع على الكتب التالية أيضاً

مؤلـف مجهول أو غيـر مسمى (مـؤلفون متعـددون): *النتائج العلميـة لاستقصاء الحيـاة النباتيـة والحيوانيـة في عمـان، ١٩٧٥*، مجلة *الدراسات العمانية، ملحق خاص رقم ١*. وزارة الاعلام والثقافة.

مؤلف مجهـول أو غير مسمى (مؤلفـون متعددون): *استقصاء الحياة النباتيـة والحيوانيـة في عمان، ١٩٧٧ (ظفـار)*، مجلة *الـدراسات العمانية، ملحـق خاص رقم ٢*، مكتب مستشار الحكـومة لشؤون المحافظة على البيئة.

مؤلـف مجهول أو غير مسمـى (مؤلفـون متعددون): *اكتشـاف عمان*، دليل أبيكس إكسلورر، أبيكس.

بورشتايـن، إس. إم (المترجم)، ١٩٨٩، *أجاثارشيـدس السنيدوسي، حول البحر الأرتيري*. جمعية هاكليوت، لندن.

كوستـا، ب. ١٩٩١، *مسنـدم، المعمار والحضـارة الماديـة في احـدى مناطق عمان قليلة الشهرة*. دار إيميل للنشر.

ديير، إف.، و تي. وودوورد، ١٩٨٢ *البحار الحية، الحياة البحـرية في جنوب الخليج*. موتفيت.

المديرية العامة للاحصاءات الوطنية. *كتاب الاحصاء السنوي*.

دوي، ب.، ١٩٩٢، *سوقطرة: جزيرة السكون*، دار إيميل للنشر.

فاسي، دبليو.، *عمان: أمة بحرية*.

فينيس، آر.، ١٩٩٢، جزيرة *الرمال: البحث عـن مدينة اوبار المفقودة*. بلومزبري.

غالاجر، إم.، و إم. وودكوك، ١٩٨٠، *طيور عمان*، كوراتيت بوكس.

غضنفر، إس.، *الكتالوج التفسيري للنبات الوعائية في عمان*.

هاولي، دي.، ١٩٩٧، *عمان ونهضتها*، استاسي انترناشيونال، المملكة المتحدة.

هاولي، دي.، ١٩٩١، *تاريخ الشعوب العربية*، فابر آند فابر.

هيوجز كـلايك، إم.، ١٩٩٢، *التراث الجيولـوجي لعمان*. شركـة تنمية البترول العمانية.

كاي، إس.، ١٩٩٢، *بحارة الخليج*، موتفيت.

كاي، إس.، ١٩٩٢ *عمان المغردة*، موتفيت.

كـلاين، إتـش.، و ار. بركسـون، ١٩٩٢، *علـى الطريـق إلـى عمــان*. موتفيت.

لارسين، تي.، و كاي.، ١٩٨٠، *فراشات عمان*، بارثولوميو.

مـانـدافيل، جـي الصغيـر، ١٩٧٨، *الأزهـار البـرية لشمـال عمـان*، بارثولوميو.

مككينون، إم. ١٩٩٠، *الجزيرة العربيـة: رمل وبحر وسماء*، كتب هيئة الاذاعة البريطانية ودار إيميل للنشر.

ميللر، أي.، و إم. مـوريس، ١٩٨٨، *نباتـات ظفار، المنطقـة الجنوبيـة لعمـان. الاستخدامـات التقليديـة والاقتصـادية والطبيـة*. مكتب مستشار حماية البيئة، الديوان السلطاني، سلطنة عمان.

ميللر، دي. آر.، ١٩٩١، *تخطيط التنمية الاقتصادية في سلطنة عمان*.

وزارة الاعلام، عمان ٩٢، عمان ٩٣، ومطبوعات أخرى.

وزارة الشؤون البلدية والبيئة، *الاستراتيجية الوطنية لحماية البيئة*.

بوتس، دي. تي.، ١٩٩٠، *الخليج العربي في العصـور القديمة، المجلد الأول والثاني*، مطبعة كلاريندون، اوكسفورد.

ريسّو، بي.، ١٩٨٦، *عمان ومسقط، اوائل التاريخ الحديث*، كروم هيلم.

سالم، آر.، و آر. بـالدوين، ١٩٩١، *الغوص والغطس تحـت سطح الماء في عمان*، موتفيت.

شيبرد، إس.د إي بـرايس، سير روبـرتس، ١٩٩٢، *البيئة البحـريـة في المنطقة العربية، نماذج وعمليات في البيئات الاستوائية المتطرفة*. أكاديميك بريس.

ستيفنس، أي.، ١٩٩٠، عمان: *قلاع بين الرمال والبحر*. تيرا إنكوغنيتا.

سلطان القـاسمي، ١٩٨٦، *اسطورة القـرصنة العـربية فـي الخليج*. كروم هيلم.

ثيسيجر، دبليو.، ١٩٥٩، *رمال عربية* (موجود في سلسلة كتب بنجوين للرحلات).

فاين، بي. جي، ١٩٨٦، *لآلـيء المياه العربية، تراث البحرين*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جـي، و إم. ماككينون، ١٩٩١، *موجات الحرب*. بوكستري ودار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، و بي كاسي، ١٩٩٢، *دولة الامارات العربية المتحدة*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، ١٩٩٢، *تراث قطر*، دار إيميل للنشر.

شكر وتقدير

أولاً وقبل كل شيء، أشعر أن من واجبي أن أتقدم بالشكر العميق لكل من قابلتهم في عمان أثناء قيامي بعمل الأبحاث الخاصة بهذا الكتاب والذين مدوا إلي يد الصداقة وشملوني بكرمهم ولطفهم. لقد جعلوا مهمتي مهمة ممتعة تماماً وعاونوني كثيراً وجعلوني أشعر وكأنني بين أهلي على الرغم من طول غيابي عن أسرتي في رحلاتي الطويلة. إن أولئك الذين يعرفون عمان جيداً سوف يستوعبون ملاحظاتي هذه جيداً لأن من الصعب أن يجد الانسان شعباً أكثر حفاوة وكرماً من العمانيين. إن المكان هنا لا يتسع بالطبع لذكر جميع الذين ساعدوني وعاونوني بصورة أو بأخرى، غير أنني أقدر أكثر من أي شيء آخر المكانة العالية التي تحتلها القيم التقليدية. إن كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال اللذين شعرت بهما أثناء وجودي بين سكان رملة الوهيبة وجدة الحراسيس، على سبيل المثال ،قد تركت في ذهني انطباعات عميقة ستظل عالقة في ذاكرتي إلى الأبد.

والآن، ألتفت إلى النواحي الادارية والعملية المتعلقة بالعمل في إصدار مطبوعة من نوع هذا الكتاب، ويجب أن أعبر عن اعتزازي بالثقة الغالية التي منحني إياها سعادة الاستاذ عبد الله الذهب، سفير سلطنة عمان في لندن، الذي كان أول من ناقشت معه هذا المشروع والذي شجعني كثيراً على القيام به. وعندما وصلت إلى عمان استقبلني سعادة الاستاذ عبد العزيز بن محمد الرواس وزير الاعلام الذي تكرم مشكوراً بتوفير خدمات الدعم الشاملة وشجعني باستمرار وأبدى اهتمامه الشديد بمشروع الكتاب وذلك طوال العامين التاليين وأثناء قيامي باجراء الأبحاث الخاصة بالكتاب. وبدون هذا الدعم كان يستحيل علي أن أنجز هذا العمل. وقد امتدت الرعاية الشخصية من معالي الوزير إلى موظفيه في وزارة الاعلام الذين كانوا جميعاً على استعداد تام لمساعدتي وتلبية طلباتي العديدة. وأخص بالذكر هنا سعادة حمد بن محمد الراشدي وكيل الوزارة للشؤون الاعلامية والمستر انتوني اشورث مستشار معالي وزير الاعلام والفاضل عبدالله الرحبي مدير عام مكتب الوزير وزهور حميد الصالح وشيخا الكندي ونصر الوهيبي وعامر بن سيف العبري وروزماري هيكتر وأمين الريامي وسعاد الحارثي. أما بالنسبة للمساعدات التي تلقيتها في المتاحف العمانية، فأود أن أشكر الفاضلة ليلى بنت محمد بن سليمان اللمكي مديرة المتاحف والفاضلة فاطمة محمد موسى أمينة متحف القرم بمسندم للمساعدة القيمة في هذه المشروع.

كما أود أن أتقدم بالشكر العميق إلى معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئة للمساعدات القيمة التي قدمها لي في مجال الأبحاث المتعلقة بالتاريخ الطبيعي العماني ولاتاحة فرصة مراقبة أعمال ندوة «استراتيجية المحافظة على الطبيعة». وقد تكرم معالي الاستاذ سعيد بن أحمد الشنفري وزير النفط والمعادن بمنحي جزءاً من وقته الثمين لأجري معه مقابلة صحفية وأصدر أوامره الكريمة باتخاذ الاجراءات اللازمة التي تمكنني من الحصول على مزيد من المعلومات من المسؤولين في وزارته ومن المسؤولين في شركة تنمية نفط عمان. كما أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الاستاذ مال الله بن حبيب مستشار وزارة التراث القومي والثقافة لتكرمه بالموافقة على أن أجري معه مقابلة صحفية.

لم يكن بالامكان كتابة الفصلين الخاصين بتاريخ عمان القديم والحديث بدون جهود الأبحاث التي بذلتها مجموعة من الأفراد الذين عملوا في هذا المجال منذ سنوات طويلة. وأنني لأقر بالعرفان للفرصة التي اتيحت لي للاستفادة من المتاحف المختلفة في مسقط. لقد تمعنت بعمق في مجلة الدراسات العمانية وفي العديد من الأبحاث المدرجة على صفحاتها. وفي هذا الخصوص أود أن أتقدم بالشكر الجزيل بصورة خاصة للدكتور باولو كوستا الذي لعب دوراً هاماً في هذا الخصوص والذي كان كتابه عن مسندم مرجعاً قيماً أعانني في تأدية مهمتي. وكان لكتاب الدكتور دي. تي. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة والذي نشرته دار كلارندون للطباعة والنشر والذي يمثل مجملاً حديثاً لتسجيل الآثار العمانية عوناً كبيراً وكذلك أبحاث ورسائل الدكتور بول يال عضو بعثة الآثار الالمانية إلى عمان. كما أنني أدين بالامتنان للدكتور بول يال لتفضله بتزويدي ببعض الصور من مجموعته الخاصة، وكذلك للدكتور جيرهاردفيسجربر على ما قدمه من صور. كما أود أن أخص بالذكر الكتابين اللذين ألفهما دونالد هاولي (عمان ونهضتها) ووليام فاسي (عمان: أمة بحرية) فقد زوداني بمعلومات قيمة وملهمة. كما أود أن أقر بأنني قد تلقيت استشارات وتوجيهات قيمة من الدكتور جيفري أورتشارد بكلية دراسات الآثار القديمة بجامعة برمنجهام والدكتور باري جونس بشعبة علوم الآثار القديمة بجامعة مانشيستر.

كما تفضلت الفاضلة ليزلي فوربس أمينة قسم الكتب الشرقية بمكتبة الجامعة، بجامعة دورام بتقديم العون فيما يختص بالمراجع. وكانت الجمعية

التاريخية العمانية هي المكان الأمثل للقاء، وكانت جهودها في مجال الحفاظ علـى الاهتمام بالتاريخ العماني والثقافة العمانية والتاريخ الطبيعي لعمان وجعلها محبوبـة تستحق كل ثناء وتقدير. إن الخبـرات التي تضمها الجمعية كانت بـالطبع تفوق خبراتي ودراياتـي، ولذلك فبدونهم وبدون تقـاليدهم العريقة كانت مهمتي ستكون عسيرة. وعلـى ذلك يجب أن أتقدم بالشكر العميق للجمعية لأهتمامها بأعمالي ولما قـدمته من مساعدات قيمة. ومع ذلك فإنني وحدي أتحمل المسؤولية عن أية معلومات غير وافية قد يكتشفونها في هذه النسخة المصغرة من ماضي عمان.

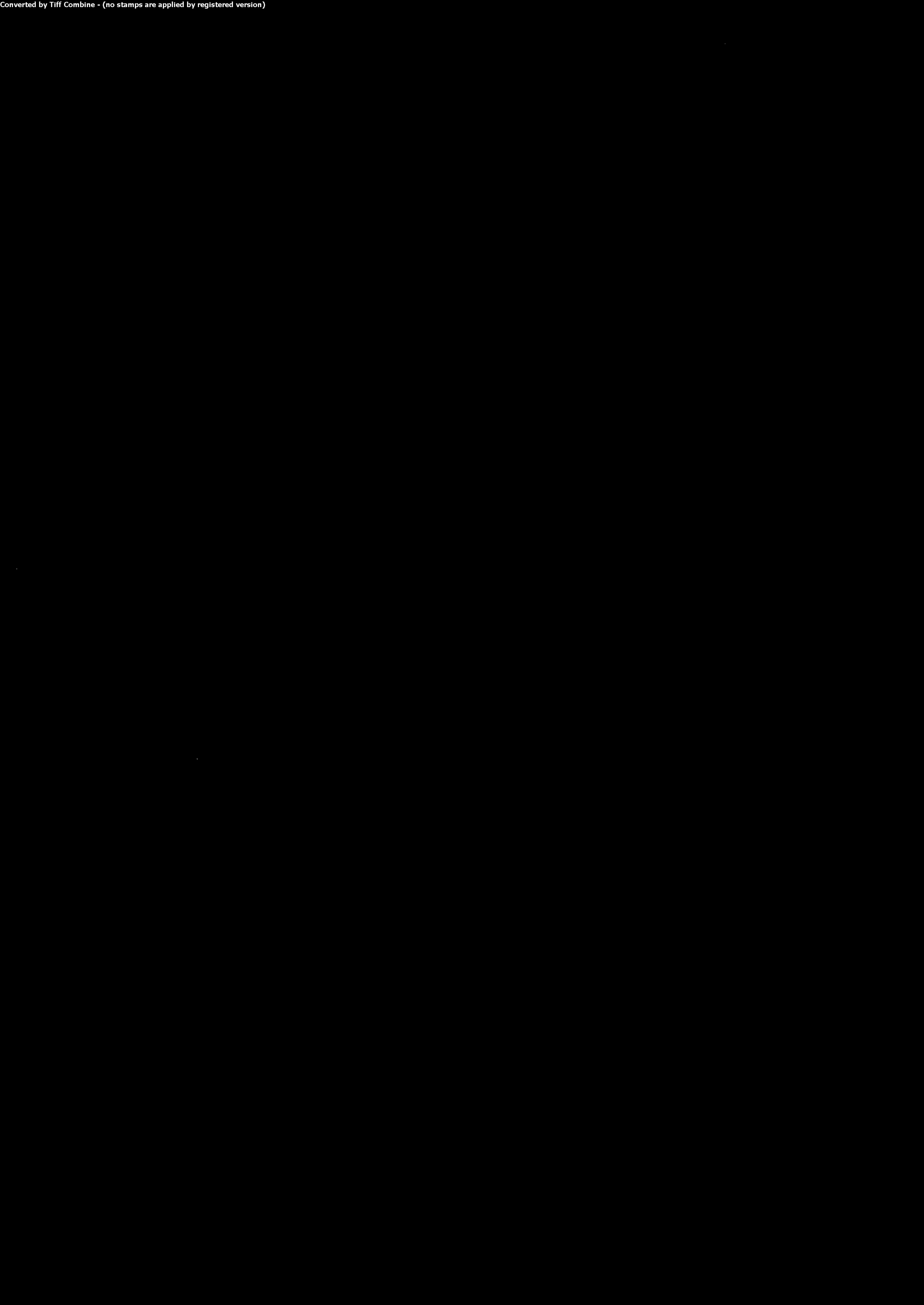
إن التقاليد العمانية غنية ومتنوعة وتستحق كتاباً وحدها. ولم يكن بـاستطاعتي تغطية جميع مجالات البحث في مجلد واحد، لكنني أدين بالشكر العميق للفاضلة جيجي كروكر جونس الخبيـرة في مجال فنون النسيج وصناعة السلال العمانية لاسهامها الجميل في هذيـن الموضوعين. وباستطاعة القراء الذين يرغبون في الالمـام بالمزيد من المعلومات عن هذين الموضـوعين الاطلاع على الكتاب القيم الذي ألفته جيجي كروكـر جونس وعلى المطبوعات المتخصصة الأخرى التي تتناول العديد من الموضوعات عن عمان والتي تتراوح بين الطهي والمشغولات الفضية.

كما أن التاريخ الطبيعي العماني هو موضوع متشعب أيضاً وتمت تغطيته في عدة مطبوعات متخصصة مثل كتاب «طيور عمان» لمايكل جلاغر ومارتن وودكوك، وكتاب «نباتـات ظفار» لأنتوني ميللر وميرانـدا موريس، وكتاب «دراسةالحياة النباتيـة والحيوانية في عمان» وكذلـك بعض الكتب والأبحاث والمجلات المتخصصة الأخـرى. ولذلك فقد كـان ذلك هو أحد الأسبـاب التي جعلت تفسيراتي فـي هذا الكتاب تعتمد بشـدة على خبراتي وانطبـاعاتي وتأملاتي الشـخصية، وتحاول أن تضيف شيئـاً من مذاق الحياة البرية المثيرة في عمان إلى بعض الحقائق الأخـرى الأكثر أهمية. وأنني أدين بالشكر العميق للصديق إيان ماكليش الذي صحبنـي معه في بعض رحلاته «الميدانية» بين جبال صلالة وريف شمال عمـان. لقد كان إيان بعيونه الخبيرة في مجال النباتات واهتماماته ودراياته بالتاريخ الطبيعي لعمان مصدر سرور وابتهاج كبيرين ومصدراً للمساعدات العملية. كما يجب علي أن أتقدم بشكر خاص إلى رالـف دالي مستشار حفظ البيئة بديـوان البلاط السلطاني الذي تبنـى ووجّه العديد من بـرامج المحافظة على الطبيعة فـي عمان. إن جهود المحافظة على الطبيعة في عمان ترعاها اليوم أيد خبيرة لفريق من العمـانيين المخلصين والمتحمسين يرأسها معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديـات الاقليمية والبيئة. وأود هنا أن أثني ثنـاءا عميقاً على جهوده من أجل ضمـان أن تحافظ عمان على مستـواها العالي في المحـافظة على الطبيعة والبيئة. وأود بصورة خاصة أن أعبر عـن عميق شكري للفاضل/ علي الكيومي مدير دائرة استراتيجية المحـافظة على الطبيعة بوزارة البلديات المحلية والبيئة لاهتماماتـه الخاصة بأعمالي ولتعريفي بالسلاحـف العمانية. كما أود أن أشكر أيضاً الدكتور مهدي أحمد بـن جعفر الذي يعمل بنفس الوزارة والذي سـاعدني وشجعني. كما ساعـدني أيضاً عدد كبير من الأفـراد في مختلف نواحي أبحـاثي في مجال التاريخ الطبيعـي العماني وأود أن أخص بالشكر مايكل جلاغر وباري جوب ورودي جونس وأندرو سبالتون وشـاهينة غزينفار وهان وجينز إريكسين ورودني سالم وروبرت بولدوين ومركز تعليم الغوص العماني.

إن الأبحاث التـي أجريتها للفصل الخـاص عن عمان الحديثـة قد أوصلتني إلى أنـواع مختلفة عدة من ضـروب الاستكشـاف والاكتشاف تراوحـت بين رحلات على متن طائرات شركة الطيران العمـاني وزيارات للمرافق الحديثة لصناعة البتروكيماويات. ولذلك أتقـدم بالشكر للفاضل/ منصور العامري مدير العلاقات العامة والاعلام بشركة تنمية نفط عمان للمساعدات التي قدمهـا بنفسه وللمساعدات التي قدمتها الشركة ولتزويدي بالبيانات والمراجع والصور. وهناك العديد من الأفراد الذين أرغب في أن أخصهم بالشكر العميق للمسـاعدات التي قدموها في اعداد هذا الكتاب وأرجو أن يغفر لي كل من لا يجده إسمه مدرجا هنا وعليهم معرفة أن جهودهم كانت تستحق العناء الذي بذلوه.

الفهـرس





الدكتور بيتر ڤاين هو مؤلف لتسعة عشر كتاباً، يتناول العديد منها الحياة البحرية العربية والتاريخ والتراث العربي. ان اهتماماته بهذه الموضوعات قد نشأت خلال الفترة التي امضاها مقيماً في منطقة الجزيرة العربية ونمت خلال خمسة وعشرين عاماً تنقّل خلالها في انحاء الجزيرة العربية. وبعد أن كان يعمل في البداية كعالم بحري ومستشار لصناعة صيد الأسماك، اتسعت آفاق اهتماماته لتتضمن مجموعة كبيرة من الموضوعات التاريخية والبيولوجية والتنموية التي تؤثر في الجزيرة العربية. وقد كتب عدة مؤلفات عن البحر الأحمر من بينها كتاب "الحيوانات اللافقارية للبحر الأحمر" الذي يعتبر أحد الأعمال المرجعية القياسية، وكتاب "السلامة في البحر الأحمر" وهو مصدر هام للمعلومات التي يستعين بها الغواصون. وتتضمن سلسلة مؤلفاته المنشورة عن تراث الدول العربية، والتي يشكل هذا الكتاب سادسها، مؤلفات عن عُمان والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة.

ان سلسلة كتب تراث الجزيرة العربية هذه تشتهر بجودة بحثها ونصوصها ورسوماتها التوضيحية التي نجح المؤلف في تجميعها. كما فاز كتابه "تقلبات الحرب" والذي تناول الآثار البيئية لحرب الخليج بجائزة أفضل كتاب لعام ١٩٩٢ في معرض فرانكفورت للكتاب الذي اقيم في عام ١٩٩٢. كما لعب المؤلف دوراً نشيطاً في انتاج فيلم عن هذا الموضوع يحمل نفس الإسم، وفي انتاج عدة أفلام أخرى عن الموضوعات البحرية.

ويواصل بيتر ڤاين، بوصفه رئيس التحرير التنفيذي لمجلة «الحياة البرية العربية» التي تصدرها دار بلانيت للنشر، النهوض بدور فاعل لنشر الوعي — على نطاق عالمي — بالخصائص الفريدة للجزيرة العربية وما يواجهها من تحديات.

ولاعداد هذا الكتاب، سافر بيتر ڤاين وتجوّل طويلاً في أنحاء سلطنة عمان. اما في الأوقات التي لا تتطلب منه السفر لأغراض البحث وجمع المعلومات اللازمة لإعداد الكتب أو لصنع الأفلام أو مزاولة اعمال النشر الخاصة به، فإنه يركن للإقامة في كليفدن بكونيمارا الواقعة على الساحل الغربي لإيرلندا.

وتتضمن قائمة المؤلفات التي نشرتها دار إيميل للنشر لنفس المؤلف:

تراث البحرين
تراث قطر
دولة الإمارات العربية المتحدة
الكويت: قصة أمة
تراث الأردن
جزيرة سيشيل
مستكشفو البحر الأحمر

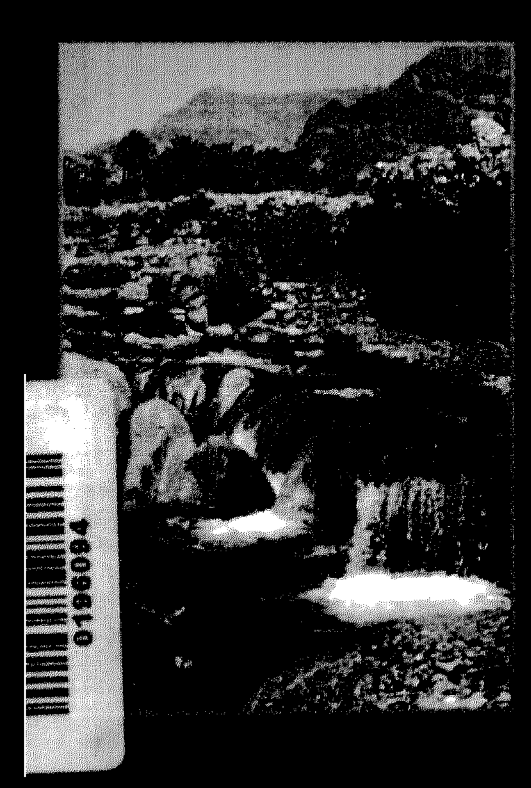
دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت، باركلي سكوير
لندن دبليو ١ إكس ٥أي ئي
هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩ فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

Immel Publishing Ltd,
20 Berkeley Street, Berkeley Square,
London W1X 5AE
Tel:0171 491 1799 Fax:0171 493 5524

إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعُمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلّد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف عن أهمية عُمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين وأوضح التطورات الجديدة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد.





ISBN 1 898162 40 9

IMMEL
Publishing